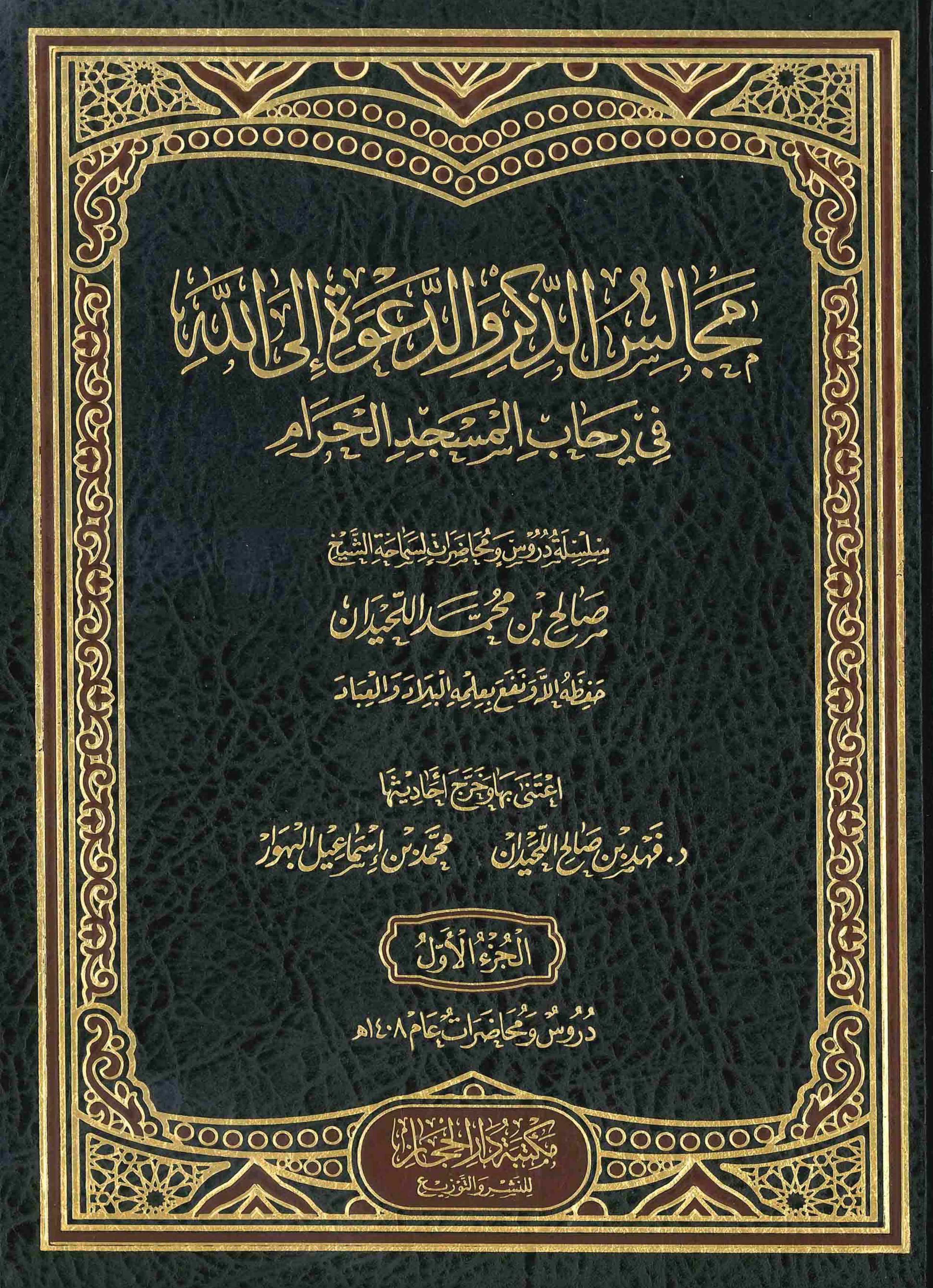
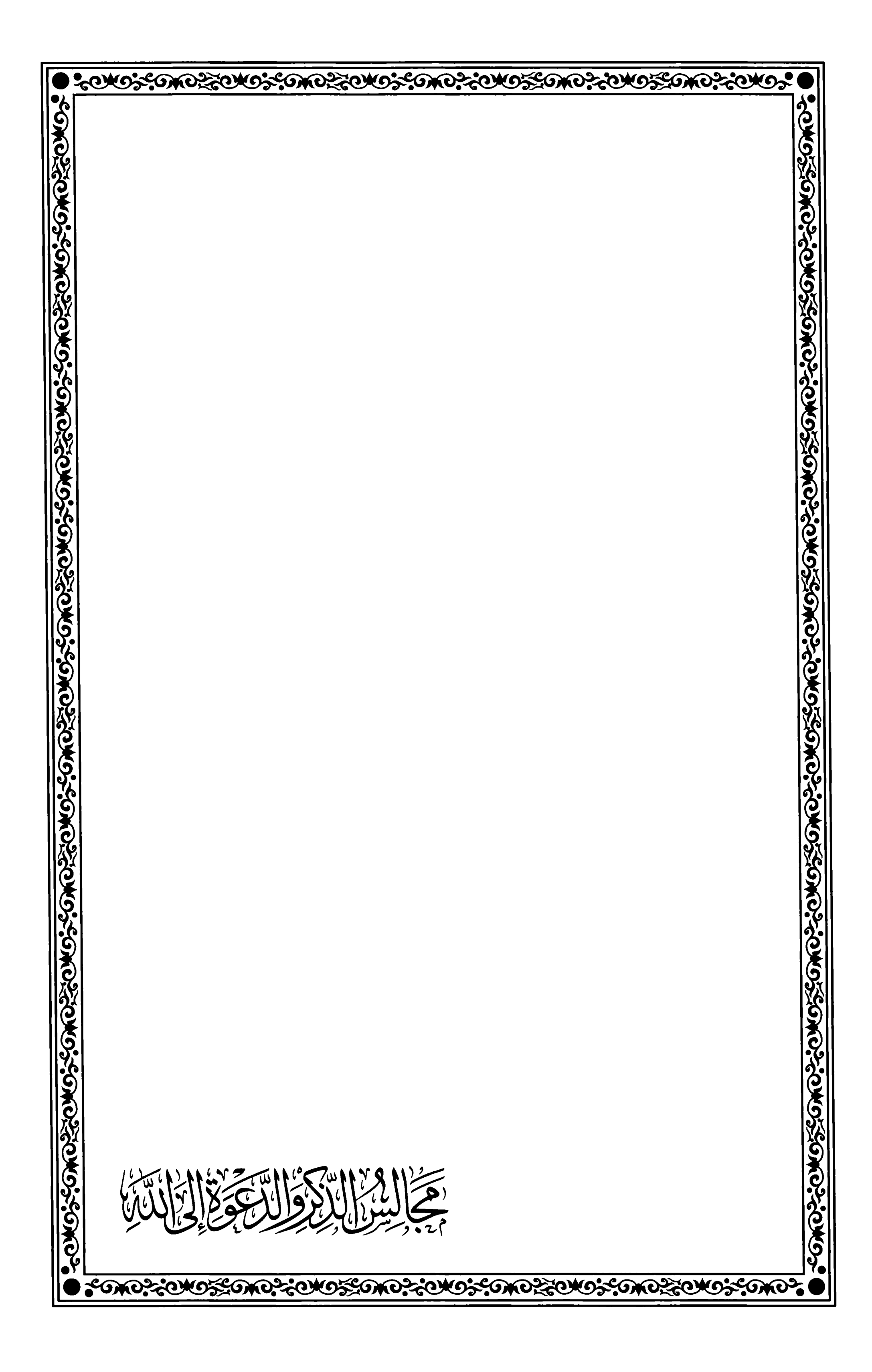


مجالس الذكر والدعوة إلى الله
في رحاب المسجد الحرام
سلسلة دروس ومحاضرات لسماحة الشيخ
صالح بن محمد اللحيدان
حفظه الله ونفع بعلمه البلاد والعباد
اعتنى بها وخرج أحاديثها
د. فهد بن صالح اللحيدان
محمد بن إسماعيل البهوار
الجزء الأول
دروس ومحاضرات عام ١٤٠٨هـ
مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع


مجالس الذكر والدعوة إلى الله

ⓒ دار الحجاز للنشر والتوزيع ، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اللحيدان ، صالح بن محمد
الجزء الأول من سلسلة مجالس الذكر. / صالح بن محمد اللحيدان
.- الرياض ، ١٤٤٣هـ

٧٨٠ ص ؛ ١٧*٢٤ سم.- (سلسلة مجالس الذكر)

ردمك: ٩-١-٩١٦٤٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الادعية و الاذكار أ.العنوان ب.السلسلة

ديوي ٢١٢,٩٣ ١٤٤٣/٣١٤٦

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٣١٤٦
ردمك: ٩-١-٩١٦٤٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م



للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ شارع السويدي العام ـ شرق النفق
الإدارة والمبيعات جوال ـ ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ ـ ٠٠٩٦٦٥٦٥٦١١٥٠٥٨ ـ ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ ـ ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣
الإسكندرية ـ ١٧٥ ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد الصديق هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ ـ جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١
القاهرة ـ ٦ ش المدرسة متفرع من ش البيطار ـ خلف الجامع الأزهر الشريف ـ هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢
جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ ـ ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ ـ فاكس: ٠٣٤٣٨١٥٠٩
البريد الإلكتروني: d.alhijaz@gmail.com

مجالس الذكر والدعوة إلى الله
في رحاب المسجد الحرام

سلسلة دروس ومحاضرات لسماحة الشيخ

صالح بن محمد اللحيدان

حفظه الله ونفع بعلمه البلاد والعباد

اعتنى بها وخرج أحاديثها

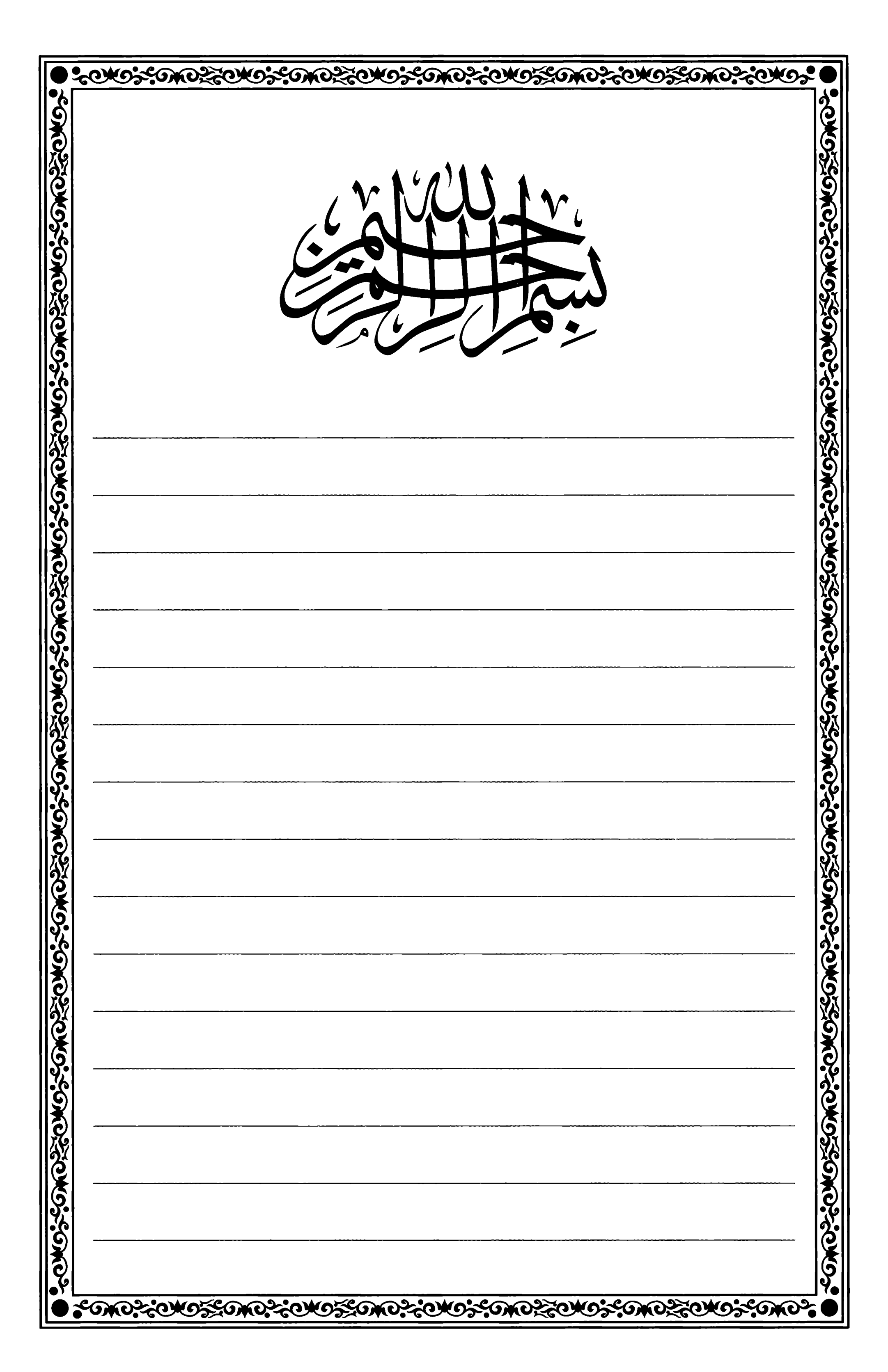
د. فهد بن صالح اللحيدان — محمد بن إسماعيل البهوار

الجزء الأول

دروس ومحاضرات عام ١٤٠٨هـ

مكتبة دار الحجاز

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة الناشـــرِ

الحمد لله فالق الحب والنوى، وخالق العبد وما نوى، المطَّلع على باطن الضمير وما حوى، وأشهد أن لا إله إلا الذي بهدايته سعد من اهتدى، وبتأييده رشد من اتَّعظ وارْعَوى، وبخذلانه ضلَّ من زلَّ وغوى، وحاد عن الطريق المرتجى، وأشهد أن محمدًا عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، بعثه بالتوحيد داعيًا إلى جميع الورى، ومبشرًا بجنات الخلد من ترك المِراء والهوَى، فصلَّى الله عليه، وأزْلفه في الحشر لديه، وسلَّم على آله وصحبه الطيبين الطاهرين ما طار طير أو هوى، أما بعد:

فإن من أجلِّ نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن أقام في أزمنة الفترات من يكون ببيان سنن المرسلين كفيلًا، واختصَّ هذه الأمة بأنه لا تزال فيها طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمره ولو اجتمع الثقلان على حربهم قبيلًا، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويُبَصِّرون بنور الله أهل العمى، ويحيون بكتابه الموتى، فهم أحسن الناس هديًا وأقومهم قيلًا.

وقد كان من فرائد عقود الجمان، التي أناط بها المولى المنان أعناق بني الإنسان، المشتاقين للنهل من روافد سنة عبده العدنان:

دروس سماحة الوالد/ صالح بن محمد اللحيدان

حفظه الله ونفع بعلمه البلاد والعباد

والتي ألقاها في المسجد الحرام

وقد انتقينا منها هذه السلسلة التي قمنا على تفريغها وترتيبها، ثم ضبطها وتنقيحها، ومراجعة سماحة شيخنا -حفظه الله- في الغامض والملتبس منها، وأتممنا عملنا عليها بتخريج الأحاديث والآثار تخريجًا مختصرًا، عامدين إلى اقتصار حواشيها على ما ينفع طالب العلم.

وما أن انتهينا بهذه السلسلة المباركة إلى ثوبها الحالي، عرضناها على سماحة الشيخ الوالد؛ ليتسنى له النظر فيها على نسق الطباعة، فنالت استحسانه والحمد لله، وأذن لنا بطباعتها، على أن يُضاف إليها ما رأى سماحته وجوب إضافته أو استدراكه، فلله الحمد أولًا وآخرًا على توفيقه وامتنانه.

وإذ نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، نسأله سبحانه أن ينفع بشيخنا ويبارك لنا في علمه وعمله، وأن يجزيه عنا خير الجزاء، وأن يغفر له ولوالديه ولأهله وذريته ومشايخه الكرام، وأن يحشره تحت لواء المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زمرة السابقين الأولين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وأن يجعل لنا من الخير نصيبًا، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، وتمسك بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

الاستقامة أن يكون عملك على منهج واضح، ومسلك جلي، إذا هممت بعمل نظرت أهو رضا لله ولرسوله؟ أيدنيك من أسباب مغفرته ورحمته؟ هل شرعه لنا رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فإذا كان كذلك أقدمت وبادرت للأخذ به؛ خشية العوائق، فإن الإنسان في هذه الدنيا يتعرض لمعوقات كثيرة، ولصوارف عديدة، يركض الشيطان على الناس بخيله ورجله؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء:٦٤].

إن الإنسان -أخي المسلم- في هذه الحياة الدنيا في امتحان واختبار مستمر، فإذا كانت امتحانات مطالب الحياة تنتهي عند غاية، فإن امتحان المسلم في هذه الدنيا مستمر، ولكن الفوز والسعادة والنجاة لمن آمن بالله جَلَّ وَعَلَا واستقام، وحرص على الاهتداء بهدي سيد الأولين و الآخرين، فمن أراد السعادة لنفسه والسلامة من متاعب الدنيا، من أراد أن يهوِّن الله عليه المصاعب في الحياة الدنيا ويذلل له العقبات، فليؤمن بالله وليستقم على

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٦/٢/١٤٠٨هـ.

الصراط السوي.

والصراط المستقيم هو ما كان عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وما كان عليه من اهتدى بهديهم و تمسك بسنتهم، وحرص على أن يكون عمله اقتداءً بهم؛ لأن الاقتداء بهم عز وسعادة وسلامة ونجاة من أهوال الدنيا والآخرة، ففي الحديث عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: **«هَذَا سَبِيلُ اللهِ»**، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: **«هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣][(١)].

فبيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن على كل سبيل من السبل المنحرفة شيطانًا يدعو الناس إليها، وليس معنى هذا أنه من شياطين الجن، فإن شياطين الإنس أخطر على الإنسان من شياطين الجن؛ لأن أولئك هم الدعاة الذين قال فيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»**، وقال في وصفهم: **«هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»**[(٢)]؛ ولذلك حذر منهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إن الإنسان -أخي المسلم- ينبغي له أن يتصف بالحكمة، وأن يحرص على

---

(١) أخرجه أحمد (٧/٢٠٧)، والنسائي في الكبرى (١٠/٩٥)، والدارمي (٢٠٨)، وابن حبان (١/١٨٠)، والحاكم (٢/٣٤٨)، وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه أحمد (٢٣/٤١٧)، وابن ماجه (١١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السؤال عن سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليكون في عمله ما يأخذ وما يدع متبعًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو الذي نُسأل عن متابعتنا إياه، وأخذنا بسنته، ومدى تفريطنا في ذلك، أو قوة تمسكنا، فإن أوَّل ما يُمتحن فيه الإنسان بعد انتقاله من هذه الحياة ونزوله منزلته الأولى في قبره أنه يُسأل عن ربه جَلَّ وَعَلَا، وعن دينه، وعن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١]، فإن اجتاز هذا الامتحان في أول مرحلة من مراحل الآخرة رُجي له أن يجتاز ما بعدها، فإن ما بعد القبر من النعيم أنعم وأجل وأعظم، وما بعده -والعياذ بالله- من النكال أعظم وأفظع، فمن سلم في امتحان ذلك المكان، فعرف الله عَزَّ وَجَلَّ، وعرف اتِّباعه واعتناقه لدين الإسلام، وعرف نبي الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأجاب على تلك الأسئلة؛ رُجي له الخير والفلاح.

وهذا إنما يحصل -يا أخي المسلم- بالاستعداد في هذه الحياة قبل الرحيل: بالإيمان بالله جَلَّ وَعَلَا، والاستقامة على شريعته، والعض عليها بالنواجذ، وتخليص العقيدة من كل الشوائب الضَّارة بها، فإن الإيمان الحق إذا نمَّاه المسلم بكثرة الأعمال الصالحة، وتعاهده وتفقده؛ لئلا يقع في شبك الأعداء وحبائلهم، وازداد مثابرة في تفقد الطاعات، وإعراضًا عن المعاصي، أكسبه الله جَلَّ وَعَلَا قوة في دفع الباطل، والأخذ بأسباب السعادة، والإقبال على أسباب مرضاة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

(١) تواترت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات عذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين للإنسان بعد موته؛ كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

وهذا إنما يكون بمغالبة النفس، وحملها على طاعة الله والعزم عليها، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٥٣]، والإنسان إذا تأثر بطلاب البطالة، وأعوان المهانة، ودعاة السفه والانحراف، أضاع نفسه بنسيانه لأمر الله جَلَّ وَعَلَا وأمر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن من ينسى أوامر الله ينسيه الله نفسه، فلا يتنبه لمصالحها، ولا يهتم بأسباب سعادتها، ولا يأخذ بحبال النجاة والأمان؛ لينجو من هذه البحور المتلاطمة من الفتن، وهذه الصراعات المتلاحقة التي أضلت كثيرًا من الناس.

وقد أخبر بذلك سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن تكاثر الفتن في آخر الزمان، وأنها تتابع كقطع الليل المظلم[١]، فلا ينجو منها إلا من آمن بالله تعالى، واستقام على شريعته، وأحب ما أحبه الله ورسوله، وكره ما كرهه الله ورسوله، فدان لله دين الحق، هذا الذي إذا ادلهمت الأمور جعل الله جَلَّ وَعَلَا إيمانه به سبحانه، واستقامته على الأعمال الصالحة، برهانًا له يكشف له دياجير الظلم[٢]، ويضيء له المسلك حتى يصل إلى المكان الآمن في حمى الله جَلَّ وَعَلَا، وفي ظله يوم لا ظل إلَّا ظله[٣].

---

(١) قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ من الدُّنْيَا»**. أخرجه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) دياجير: جمع ديجور، وهو الظلام. ينظر: تهذيب اللغة (١٠/٣٣٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٤٧)، ولسان العرب (٤/٢٧٨).

(٣) وهو يوم القيامة؛ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

إننا -يا أخي- نتعرض دائمًا لاختبار وامتحان في حياتنا كلها كذلك، لكن من وُفِّق لتنمية الإيمان بالإكثار من طاعة الله، والإكثار من الاستغفار كلما أذنب، وسؤال الله جَلَّوَعَلَا أن يهدي قلبه، وأن يُبَصِّرَه، وأن يرزقه البصيرة في دينه، إذا اجتهد في ذلك صادقًا، وتوجه إلى الله جَلَّوَعَلَا مقبلًا وراغبًا في هداية الله هداه الله؛ لأن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لا يخيب رجاء من رجاه، ولا يرد من سأله صادقًا في سؤاله، آخذًا بأسباب الإجابة.

وإذا رأينا أن كثيرًا من مطالبنا غير متحققة، فلعل من أسباب ذلك تقصيرنا في الأخذ بما يهيئ إجابة الدعاء؛ إما أن يدعو الإنسان وهو مرتكب ما حرَّم الله، مفرط في جنب الله، مضيع لشعائر الدين، معطل لأعظم أركان الإسلام بعد الشهادة، فإن كثيرًا من الناس -يا عباد الله- يضيع الصلاة ولا يبالي بها، إن وجد من النفس فراغًا ونشاطًا صلَّى، وإن شُغل في أمر دنيوي من مطالب دنياه ومكاسبها جعل الصلاة وأمرها على طرف العزيمة، إن وجد فراغًا فعل، وإلَّا فهو في أهم من ذلك في مطالب دنياه، فإذا مسه كرب وحلَّت به الضائقة ذكر الله، فيكون في ذلك فيه شبه من الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الزمر:٨].

أمَّا من أثمر إيمانه لله جَلَّوَعَلَا عملًا صالحًا، فتعرف إلى الله عَزَّوَجَلَّ في أيام رخائه، وفي أيام صحته، وفي أيام أمنه واطمئنانه، وفي أيام شبابه وقوته، واستغل أيام الفراغ فيما يرضي الله جَلَّوَعَلَا ويرضي رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ باتِّباعه، واستغل أيام قوته وفتوته في الأعمال لصالحه، واستغل أيام غناه بالبذل

في وجوه البر والإحسان؛ خشيه أن يتحول ما بيده من المال، ونعم الحياة الدنيا ومطالبها طبيعتها وعاداتها التحول، فكم من غني قد رأيناه قد افتقر! وكم من صحيح معافًى قد رأيناه قد مرض! وكم من عزيز قوي منيع الجانب رأيناه قد ذلَّ وهان! وكم من كثير الأهل والولد والأقارب أصبح فريدًا ذليلًا لا حول له ولا قوة!

فالدنيا كلها بمتاعها ونعيمها وأسباب عزتها أشبه ما تكون بالظل الذي لا يثبت في مكان؛ يتحول من هنا إلى هناك، فالموفَّق من استغل الفرص، وأخذ بالأسباب، فتقرب إلى الله جَلَّوَعَلَا، إن كان ذا مال بذل في وجوه البر، وتذكر أن كثيرًا من المحتاجين لو شاء الله لجعله مثلهم، أو جعلهم أغنى منه، وإن كان في عافية تذكر الذين يتقلبون على فُرش المرض، وإن كان في أمن واطمئنان تذكر الذين ألبسهم الله لباس الجوع والخوف.. وهكذا، دنيانا كلها بين أنس وسرور، وشقاء وعناء، والموفَّق من استغل الفرص للتقرب إلى الله جَلَّوَعَلَا؛ تثبيتًا للنعم واستدامة لها؛ لأن من تقرب إلى الله بأسباب النعمة التي أعطاها الله إياها ثبتها الله عليه، أو عوضه خيرًا مما يفوت فيما يبذله في جنب الله.

أخي المسلم! إن زماننا هذا زمن كثرت فيه أسباب الشقاء والمعوقات عن طاعة الله، ودعاة الضلال، وأصبح الإنسان يخشى على نفسه في كل مكان أن يصيبه أمر من أمر الله، فليس بيننا وبين الله جَلَّوَعَلَا نسب، لكن من اعتصم بالله وتوكل عليه وأطاعه وحرص على الدوام على ذلك؛ لأن «**أَحَبَّ الأَعْمَالِ**

إلى الله تعالى أدومها وإن قلَّ»(١)، فالاستمرار على طاعة الله وإن قلَّت خير من يأتي الإنسان بعمل كثير في فترة، ثم يغفل فترات طويلة، ثم يأتي فيجتهد في فترة، فإن هذا يعرض نفسه في فترات الغفلة؛ لأن يقتنصه الشيطان بواسطة رجاله وجنده، فيصبح -والعياذ بالله- من جند الشيطان، فإن ذكر الله، والاستعانة بطاعته جَلَّ وَعَلَا، والمواظبة على ذلك، من أقوى أسباب السلامة من كيد الشيطان ووساوسه.

إن الإنسان كلما أكثر من العبادة كلما قوي إيمانه، فإذا قوي إيمانك أخي المسلم ازددت منعة ومناعة ضد الأهواء والمغريات، فأصبحت تعلم بيقين أنه لا ضار إلا الله، ولا نافع إلا هو، ولا جالب لرزق وعز وتوفيق وسعادة إلا هو سبحانه، ولا يصيبك شيء إلا منه؛ بسبب التفريط والغفلة وإضاعة أمره، فهو تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يصيب أحدًا بنكبة بدون سبب، وإنما يصيب العباد ببعض المتاعب والنكبات بسبب ذنوبهم، ولو أنه جَلَّ وَعَلَا يؤاخذنا بكل ما نعمل ما ترك على وجه الأرض من أحد، ولكن رحمته التي وسعت كل شيء اقتضت أن يمهلنا، لعل العاصي أن يتوب، ولعل الغافل أن يستيقظ، ولعل المعرض أن يقبل، فإذا تاب المذنب غفر الله له؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غفور رحيم؛ ولأنه قال في كتابه العزيز: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، وقال أيضًا: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢]، فإذا انتبه الغافل أعانه، ويسر له سبيل الطاعة، وحفظه بها، وأما من تمادى على

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم واللفظ له (٧٨٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الغفلة، وصار من لهو إلى غفلة، فهذا إن تاب وإلا فلا يضر إلا نفسه، وكما جاء في الحديث القدسي الصحيح: **«يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي»**(١).

فاحرص -أخي المسلم- أن تصل إلى أسباب سعادتك وطاعتك لربك، وانظر ما وقع فيه كثير من الناس بأسباب معصيتهم لله، وإعراضهم عن شريعته، وتعطيلهم لشرائع دينه، كيف أصابهم الله جَلَّ وَعَلَا بأنواع من المصائب، وأصناف الذل، فتسلط عليهم أعداؤهم فساموهم سوء العذاب، وأخذوا ما في أيديهم وأذلوهم، وهذه النكبات والمصائب التي تقع على الناس في الدنيا إنما هي عِبَرٌ لمن وقعت عليهم؛ ليتوبوا إلى الله، فإذا تابوا وأنابوا انقشعت عنهم تلك المصائب والمحن، وهي أيضًا عِبَرٌ للذين لم يقع عليهم شيء حتى يأخذوا بأسباب الطاعة؛ لئلا يحل بهم ما حل بغيرهم؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ ليس بينه وبين العباد نسب، فمن أطاعه حفظه بطاعته، ومن عصاه وتمادى على الغي أخذه أخذ عزيز مقتدر؛ كما قال نبي الهدى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لم يُفْلِتْهُ»**، ثم تلا قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢](٢).

إننا في هذه الحياة -يا عباد الله- في أمسِّ الحاجة إلى أن نقوي صِلَتنا بربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن نُخْلِص له في العمل، وأن نتفقد عقيدتنا وإيماننا بربنا، فإن وجدنا غفلة أو خدشًا في عقيدتنا، أو تقصيرًا فيما بيننا وبين الله بالتأخير عن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واجبات ديننا، أبدينا الندم، وتبنا إلى الله، واستغفرناه من سيئات العمل، وسألناه أن يعيننا، فإنه كما قال جَلَّ وَعَلَا في الحديث القدسي: **«يا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»**(١).

فليجتهد المسلم ويسأل ربه؛ ولذلك شرع الله جَلَّ وَعَلَا لنا أن نسأله الهداية في كل يوم مرات كثيرة، وأوجب علينا ذلك، خمس صلوات في اليوم الواحد والليلة نسأل ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يهدينا؛ لأنه لا مهدي إلا من هداه الله، ومن هداه الله جَلَّ وَعَلَا أفلح ونجح.

إن أكثر الناس في هذه الحياة الدنيا في ضلال؛ ولذلك أصابهم ما أصابهم من الشر والمحن والفتن، وتسلط عليهم أعداؤهم فساموهم سوء العذاب، وليس عذاب الله جَلَّ وَعَلَا ببعيد عمَّن عصاه، كما أن لطفه قريب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ممن أطاعه؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يغير أحوال الناس إذا غيروا ما بأنفسهم فتابوا إليه، كما أنه جَلَّ وَعَلَا يغير أمنهم وطمأنينتهم ورغد عيشهم وراحتهم إذا عصوه، فيصيبهم ببعض ما كسبوا؛ كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

فأسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يثبتنا أجمعين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يعيذنا من نزغات الشيطان ووساوسه، وأن

---

(١) جزء من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتقدم تخريجه قريبًا.

يرزقنا الإيمان به والتوكل عليه، والاستقامة على دينه والعض عليه بالنواجذ، وأن يرزقنا حب متابعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصدق في ذلك، وأن تكون ميولنا وعواطفنا تابعة لما جاء عن الله وعن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما نسأله جَلَّ وَعَلَا أن يدفع عنَّا الفتن والمحن وسائر الشرور والآثام، وأن يحفظ علينا ديننا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن ينقذنا من كل سوء، وأن ينجينا من كل بلاء، وأن يهدي ضال المسلمين في كل مكان، وأن يصلح شأنهم، وأن يُعلي أمرهم تحت لواء دين الله، وأن يذل أعداءهم.

كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن ينتقم من أعدائنا أعداء الدين من اليهود والنصارى والمجوس والملاحدة وسائر الوثنيين، وأن يرينا فيهم عجائب قدرته وأجل عقابه.

كما أسأله أن يهدي ولاة أمر المسلمين في كل مكان، وأن يصلحهم ويصلح بهم، وينصرهم بالحق، وينصر الحق بهم، وأن يهدي كل ضال في بلاد الإسلام، إنه جَلَّ وَعَلَا جواد كريم.

كما أسأله أن ينصر المجاهدين في سبيله، وأن يعاجلهم بالنصر والتأييد، وأن يسلطهم على أعدائهم أعداء الدين، وأن يوفقهم لاستنقاذ بلادهم، ورفع لواء الحق عليها، إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أُولَى الوَصَايَا العَشْرُ الَّتِي أَوْصَى بِهَا اللهُ فِي القُرْآنِ[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، وتمسك بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

يقول الله جَلَّ وَعَلَا في محكم الكتاب: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦]، وهي الوصايا العشر التي ذكرها الله جَلَّ وَعَلَا في هذه الآية.

دعوة من الله الكريم المتفضل بالنعم الواقي من النقم لعباده أن يعبدوه سبحانه، وأن لا يشركوا به شيئًا؛ لأن الشرك أفسد الأمم كلها، ومن سلم من الشرك فاز برضا رب العالمين سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، هو مُوجد الكون، وخالق الخلق لعبادته جَلَّ وَعَلَا؛ كما قال في محكم الكتاب: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦- ٥٨].

ربنا جَلَّ وَعَلَا غني عن العباد، لكنه كريم يحب أن يجود عليهم، متفضل يحب أن يتفضل عليهم بالنعم، رحيم يحب أن يرحمهم؛ ولذلك يفرح بتوبة التائب، فلا أحد أحب إليه العود من الله جَلَّ وَعَلَا، يحب من عباده إذا أذنبوا أن

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٧/٢/١٤٠٨هـ.

يتوبوا ويعترفوا بذنبهم؛ ليعفو عنهم ويسامحهم[١]، ويبدل خوفهم أمنًا، **«وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ»**[٢].

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾، فالشرك بالله جَلَّ وَعَلَا مضيع للبركات، مُذهب للأعمال، لا يبقي معه أي فائدة ولا نفع، فمهما عمل الإنسان من الإحسان وبذل النفع للعباد إذا لم يكن مخلصًا موحدًا لله لا ينفعه ذلك؛ يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

فعلى الإنسان أن يحرص غاية الحرص أن تكون أعماله كلها خالصة لله لا شريك له؛ لينال بركاتها، وليفوز بثمراتها، وليدافع الله عنه عندما تزول أسباب النجاة إلَّا من الله؛ لأن الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا أراد نصر عبد من عباده

---

(١) كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»**. أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»**. أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فلا غالب له، ولكن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يعطي نصره وتأييده لعباده المؤمنين الذين لا يشركون به شيئًا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

فعلينا -أخي المسلم- النظر في أمورنا كلها، وأن نفتش في أعمالنا ونتتبعها، ولا نقرب ما كان من الشرك؛ كعبادة غير الله، والسجود للأصنام، ونحو ذلك.

وهناك أنواع أخرى من الشرك تخفى على كثير من الناس، لاسيَّما إذا قَلَّ العلم، وكثر الواقعون في المخالفات؛ حتى يُظَنَّ أن كثيرًا من الأعمال الشركية أعمال توفيق وإخلاص لله!

وإنما يُوفَّق لمعرفة الخطأ من الصواب، والضلال من الهدى، من استعان بالله جَلَّ وَعَلَا واتقاه، وإنما يوفق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من رزقه الله جَلَّ وَعَلَا علمًا يميز به بين الحق والباطل والضلال، وعبادة الله وعبادة المخلوق، وأكثر الناس في هذه الدنيا على ضلال؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣].

لعل الله جَلَّ وَعَلَا أن ييسر لعباده اليسر، وأن يجنبهم العسر، فإن الزمن الآن زمن كثرت فيه أسباب الانحراف والضلال، وشعارات انتحارية، ودعوات ضلال ومبطلات، وإشراك بأناس أحياء، وإشراك بأموات، وإشراك في متع الحياة الدنيا واتخاذها آلهة من دون الله! والمعصوم من عصمه الله، والمهدي من هداه الله.

وإنما يحتاج الإنسان أن يأخذ بأسباب الهداية، وأن يستعين بربه جَلَّ وَعَلَا، فإنه لا معين إلا الله؛ **«إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»**(١).

إن من أنواع الشرك -أيها المسلم- أن يطيع الإنسان مخلوقًا فيما حرَّم الله، فيحرِّم ما أحلَّه الله ورسوله، أو يحلِّل ما حرَّمه الله ورسوله؛ يحل الحرام طاعة للمخلوق، ويحرِّم الحلال طاعة للمخلوق، فهذا من الشرك؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، لَمَّا تلاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قبل أن يسلم وقد جاء راجعًا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إنا لسنا نعبدهم يا رسول الله، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ ما أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ ما حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟»**، قال: بَلَى، قال: **«فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»**(٢).

فمن أطاع مخلوقًا في تحريم الحلال أو إحلال الحرام، ورضي بذلك وفرح به، أو نافق وداهن، فقد اتخذه إلهًا من دون الله، إلى غير ذلك مما يعرفه كثير من الناس في هذه الحياة.

فإذا وطَّن المسلم نفسه على أن يكون عمله لوجه الله، وأنه لا يشرك بالله جَلَّ وَعَلَا شيئًا، فلا يتقرب إلى الله إلا بما شرع الله في كتابه أو على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفَّقه الله جَلَّ وَعَلَا وهداه؛ لأن من يتقِ الله يجعل له مخرجًا،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤١٠)، والترمذي (٢٥١٦)، والحاكم (٣/٦٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٧٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) بدون **«فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»**، والطبري في تفسيره (١٠/ ١١٤)، والطبراني في الكبير واللفظ له (٢١٨)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٦) من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويرزقه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من حيث لا يحتسب، ويدافع عنه؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا يدافع عن الذين آمنوا، وإنما تقع على كثير من الناس مصاعب ومتاعب بسبب عدم صبرهم وثباتهم؛ إذا أوذي أحدهم في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله، ولو أنه صبر لأدرك نتيجة الصبر وعاقبته، فإن العاقبة للمتقين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]، ولو صبر لأدرك مراده وإن طال الزمن.

فإذا حرصنا -يا أخي المسلم- على إخلاص عبادتنا لربنا جَلَّوَعَلَا، وتفقد أمورنا، وتجنبنا ما يعمله كثيرٌ من الناس؛ من الذبح لغير الله، أو التقرب بالنذور لغير الله، أو الذبح للشياطين والجن في بعض العلاجات التي يفعلها كثير من أهل الشعوذة والكذب على الناس؛ عندما يحتاج الإنسان لعلاج نفسه أو علاج مريض يقولون له: اذبح كذا، بصفة كذا، في مكان كذا، وادفنه، ونحو ذلك! فهذا كله من الشرك الأكبر والعياذ بالله.

كذلك النذور للأولياء والقبور؛ كل ذلك من الشرك المنافي لمعنى قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

ومن أنواع الشرك -أخي المسلم-: الرياء؛ بأن يعمل الإنسان العمل الصالح ليُقال عنه: إنه يعمل الصالحات. فقد جاء في الحديث الصحيح: أن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة؛ كانوا في دنياهم يعملون أعمالًا ظاهرها الخير فيما يبدو للناس:

الأول: «**رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ؛ لأن يُقَالَ:**

جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»، لما كان عمله ذلك لغير وجه الله لم يغنِ عنه عند الله شيئًا.

والثاني: «رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

وفي رواية: «فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟! قَالَ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»[١].

والثالث: صاحب المال؛ «رَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[٢].

فهؤلاء الثلاثة لما لم تكن أعمالهم لوجه الله جَلَّ وَعَلَا، وإنما كانت لأمور أخرى أدركوها في دنياهم وأخذوا ثوابهم عليها من قول الناس فيهم؛ كان

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَةٌ...» الحديث، وفي رواية: «فَهَؤُلَاءِ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».
أخرجه الترمذي (٢٣٨٢)، والنسائي في الكبرى (١٠/٣٩٥)، وابن حبان (٢/١٣٥).

قصدهم أن يُمدحوا ويُثنى عليهم، وقد أخذوا ثواب أعمالهم في دنياهم، ولهم النار يوم القيامة، هذا وهم يعملون أعمالًا في ظاهرها أنها صالحة نافعة، وأنها مجدية مفيدة للناس، لكن لمَّا لم يكن العمل لوجه الله، لمَّا لم يطلبوا ثواب تلك الأعمال من الله، ما نفعتهم عند الله شيئًا، وإنما استعجلوا ثوابها في دنياهم فحازوه، فليس لهم في الآخرة إلا النار.

فالإنسان لا يغتر بعمله؛ لأنه إذا لم يحذر من الشرك وقع فيه وظلم نفسه، ففي الحديث عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان:١٣]»(١).

فالظلم الذي جاء في الآية إنما هو الشرك، ولذلك الأمور البسيطة التي يكثر تداولها بين الناس؛ كالحلف بغير الله، كالذي يحلف بشرفه، أو حياته، أو الأمانة، أو يحلف بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو الولي، أو الكعبة، كل ذلك من الشرك، وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»**(٢)، فلا بد له أن يجدد إيمانه.

ولذلك على من حلف بغير الله أن يُكَفِّر عن ذلك بقوله: (لا إله إلا الله)؛

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٠/٢٤٩)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، والحاكم (٤/٣٣٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لأن (لا إله إلا الله) هي مدخل المرء إلى الإسلام، فإذا ارتكب عملًا ينافي هذه الكلمة فليبادر إلى أن يقول: (لا إله إلا الله)؛ لأن أعمال المعاصي تكفرها الأعمال الصالحة؛ كما أن الصدقة كفَّارة لمن يطلب كسب المال بغير حقٍّ؛ كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ حَلَفَ مِنكُمْ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللَّاتِ، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ»**(١).

وكثيرٌ من الناس -يا عباد الله- يجري على لسانه الحلف بغير الله، وهذا لا يكون حكمه كحكم من حلف بغير الله تعظيمًا للمخلوق؛ كالذي يحلف بشرفه، أو برأسه، أو برأس مكلمه، أو بالولي الفلاني، أو غير ذلك، كل ذلك أمرٌ حرَّمه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيَّن أنه كفر أو شرك.

فلتحرص -يا أخي المسلم- على أن يكون عملك كله نقيًّا سليمًا، واحرص على السؤال عن سنة نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كيف كان يعمل في مجالسه وعبادته، وحاله في جلوسه ونومه، وسائر تصرفاته مع الناس؛ لتعمل بقدر وسعك للاقتداء به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذي يقتدي ويتَّبع محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفوز بالخير والفلاح؛ يقول الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

فاتِّباعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبب لمحبة الله لعبده، والله جَلَّ وَعَلَا إذا أحبَّ عبدًا من عباده وضع له القبول في الأرض، فأحبه أهل الأرض وأهل السماء،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وأصبح من الفائزين بإذن الله(١).

فيا أخي المسلم، اغتنم الفُرَص، فإن الحيَّ عنده فرص عظيمة ليتوب إلى الله جَلَّوَعَلَا من ذنوبه؛ إن ذنوبنا كثيرة، فالإنسان منَّا لا يفتأ من ارتكاب كثير من الذنوب؛ أراد أو لم يُرِد! لكن كثيرًا من الذنوب يكفرها الاستغفار والندم؛ لأنها إنما تمرُّ مرورًا، وبعض الذنوب تحتاج إلى مكابدة ومجاهدة للنفس الأمارة بالسوء، وحمل لها للإعراض عن تلك الذنوب.

فإذا وُفِّق الإنسان لجهاد نفسه ومغالبتها وتذكيرها بمطالبه، وعرضها على الله جَلَّوَعَلَا، وأن الإنسان لا يفوز بحصوله على مراده وملذاته، ولا يفوز بتركه ما أمر الله به أو في ارتكابه ما نهى الله عنه، وإنما يفوز بطاعة الله وبطاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا غالب النفس وجاهدها وُفِّق بإذن الله؛ لأن تكون نفسه منقادة سلسة الانقياد، طيعة مقبلة على طاعة الله.

أسأل الله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يسهِّل لنا جميعًا التثبيت والتوفيق، وأن يهدينا لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقنا الإخلاص في أقوالنا وأفعالنا، وأن يسددنا ويهدينا أجمعين، وأن يرزقنا خوفه ورجاءه في السر والعلانية.

كما أسأله جَلَّوَعَلَا أن يهدى ضالَّ المسلمين في كل مكان، وأن يشبع

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»**.
أخرجه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

جائعهم، ويكسو عاريهم، وينصر مظلومهم، ويعزَّ ذليلهم بمنِّه جَلَّ وَعَلَا وكرمه، وأن يقهر ظالمهم، وأن يُذلَّ عدوهم، وأن يرينا في أعدائنا أعداء الدين عجائب قدرته، وأن ينزل بهم بأسه الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين.

وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يهدي المسلمين في كل مكان، ويجمع شملهم، ويؤلف بينهم، ويرزق قادتهم الصلاح والاستقامة، والقيام بأمره، وحمل العباد على طاعته، والأخذ على أيدي السفهاء، ولتحكيم كتابه الكريم وسنة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يذل اليهود، والنصارى، والشيوعيين، والوثنيين، والملاحدة الباطنيين، وسائر أهل الكفر والفساد، وأن ينصر المجاهدين في سبيله، وأن يعاجلهم بنصره وتأييده لهم، وأن يرد لهم أوطانهم، ويرزقهم إعلان دين الله عاليًا، والدعوة إلى الله قولًا وعملًا، إنه جَلَّ وَعَلَا جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على هادي البشر محمد وآله وصحابته، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

ثَمَرَاتُ صَلَاحِ القَصْدِ وَالنِّيَّةِ الطَّيِّبَةِ[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحابته، ومن اهتدى بهديه واتَّبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

قال الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠]، فإذا كان مكسب الإنسان في حياته الدنيا لحياته الأخرى مرتبطًا بالنية والقصد، وأن الإنسان إذا عمل أعمالًا اعتيادية وأصحبها نية يقصد بها طاعة الله جَلَّ وَعَلَا، والتقرب إليه؛ أُثِيب عليها، وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِن نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، حَتَّى اللُّقْمَةُ التي تَرْفَعُهَا إلى في امْرَأَتِكَ»**[(٢)].

فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الإنسان يُثاب ويؤجر على إطعامه أهله الذين تجب عليه نفقتهم، ويلزمه إطعامهم، فإذا أنفق هذه النفقة الواجبة وقصد بذلك وجه الله جَلَّ وَعَلَا، والتقرب إليه بذلك العمل؛ أُجِر على ذلك، بل الأمر أبلغ من هذا، فإذا أتى الإنسان ما يحبه ويستلذه من مطالب نفسه، ثم احتسب ذلك وأراد الثواب من الله؛ أثابه الله عليه[(٣)].

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٨/٢/١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كما في حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»**، قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ له فيها أَجْرٌ؟! قال: **«أَرَأَيْتُمْ لو وَضَعَهَا في حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إذا وَضَعَهَا في الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا»**، =

لقد أكثر الله جَلَّ وَعَلَا لعباده من أسباب الرحمة ووسائل المغفرة، ويسر لهم جَلَّ وَعَلَا ما يرحمهم بسببه، «**وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ**»(١).

إن أمورًا كثيرة من أعمالنا لو أن أحدنا رغب في الثواب عليها لو قصد التقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بها لحصل على ثواب عظيم وأجر جزيل، ولكن هل يتركنا الشيطان وهو يركض على الناس بخيله ورجله؟! وأعوانه من الكثرة بحيث يصعب إحصاؤهم ومعرفة عددهم وأشكالهم، فإن له من الأعوان من يساكنون الإنسان ويعايشونه في منزله ومكان عمله، يحسنون له القبائح، ويعينونه على الأخذ بأسباب الغفلة وركوب الطريق الوعرة؛ حتى إذا نأى به ذلك الطريق عن أسباب رحمة الله ومغفرته تركوه في مضيعة من حياته!

ومن وُفِّق وكان الله جَلَّ وَعَلَا معه هداه السبيل السوي، وأعطاه بصيرة يبصر بها الخير، فيأخذ بأسبابه، ويعرف بها الشر فيتقيه.

إن الإنسان -يا عباد الله- قد يعمل عملًا جليلًا كثيرًا ولكنه لم يقصد به وجه الله جَلَّ وَعَلَا، وإنما قصد أمرًا آخر، إذا فعل ذلك فليس له من ثواب عمله إلا ما قصد(٢)، فمن قصد الله والدار الآخرة حصل على ما أراد، والله جَلَّ وَعَلَا غني جواد كريم، يحب أن يعطي عباده، ويحب أن يرحمهم، يفرح بتوبة التائب،

=

أخرجه مسلم (١٠٠٦).

(١) أخرجه مسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**». أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

ويكره مساءته[١]؛ لأنه جَلَّ وَعَلَا كريم غفور رحيم، الرحمة أحب إليه من العذاب، والعطاء أحب إليه من المنع.

وإنما العباد يتسببون على أنفسهم بالحرمان، من قصد الله جَلَّ وَعَلَا بعمله أثمر عمله ثمرات جليلة؛ أثمر طهارة النفس، وحياة القلب وتفتحه، وحسن تصوره ومعرفته للأحوال فهُدي، ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه.

ومن عمل الأعمال لوجه الله جَلَّ وَعَلَا لا يريد من العباد جزاءً ولا شكورًا، وإنما يريد ما عند الله سبحانه والدار الآخرة، أعطاه الله جَلَّ وَعَلَا ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، ولم يفته من أمر دنياه شيء، وإذا أتعب نفسه واحتال لدنياه بأعمال الآخرة، فليس له من أعماله إلا ما نوى، ففي الحديث: **«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»**[٢].

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»**. أخرجه البخاري (٦٥٠٢). وحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«للَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ؛ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ!»**. أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (١)، ومسلم واللفظ له (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من كان عناؤه ونصبه وجهده واجتهاده يقصد به مرضاة الله سبحانه والدرجات العلا عنده فله ما أراد، والله لا يخيب رجاء من رجاه، ولا يرد سُئل من سأله؛ لأنه جَلَّوَعَلَا أكرم الأكرمين، وعطاياه مهما عظمت وكثرت لا تنقص مما عنده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ كما ورد في الحديث القدسي الصحيح: **«يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»**[(١)]. كلنا يتصور لو غمس إنسان إبرة في خضم البحر، ثم أخرجها، لا يمكن أن يقول عاقل: لقد نقص البحر بغمس هذه الإبرة!

والله جَلَّوَعَلَا خزائنه ملأى لا تضره نفقة سحاء الليل والنهار[(٢)]، فخزائنه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ملأى لا ينقصها عطاء أهل العطايا، وإنما علينا أن نتعرض لنفحاته، ونأخذ بأسباب هباته، ونحاسب أنفسنا؛ لئلا تَزِلَّ بنا الأقدام، ويدفعنا الهوى فنقع في هوَّةٍ يصعب على المرء النجاة منها، إلَّا من رفق الله به فأنقذه.

«فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ»، ولم يبيِّن ما ثمرة هذه الهجرة؛ لعظمها وكثرتها وجزيل أجرها؛ لأن ما كان من عند الله

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«يَدُ الله مَلأَى، لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»**. أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. والسَّحاء: الدائمة الصَّبِّ، يُقال: سحابة سحوح، أي: كثيرة الصَّبِّ. وفرس مسح، أي: سريعة شديدة العدو، تشبه بانصباب المطر. يُنظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥١١).

لا يجري عليه الحصر، ولا يتصور قدره البشر، وإنما يعلمه الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأمَّا من عمل عملًا يقصد به أمرًا من أمور الدنيا، فليس له إلا ما قصد، والله جَلَّوَعَلَا غني عن عمله؛ **«وَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه»**، وأصل الحديث قيل: بسبب رجل هاجر من أجل الزواج بامرأة تدعى أم قيس، فسمي مهاجر أم قيس[(١)].

إن النية -يا عباد الله- لها أثر وأي أثر! هي الإخلاص وهي القصد، يمكن أن تقول للإنسان: إنني أريد كذا وكذا. ولكن ما في قلبك يخالف ما تقول، فالذين تخاطبهم إذا لم يكونوا قد جرَّبوا عليك خلاف ما تخبرهم به يصدقونك، ولكن الذي يعلم ما في الضمائر ويطلع على مكنوناتها ويعلم ما يبيته المرء لا تخفى عليه خافية.

ولذلك لما ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أقوامًا يتجهون إلى عمل شنيع تستبشعه أنفس المسلمين فقال: **«يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ»**، قيل: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟! قال: **«يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»**[(٢)].

فالمهلك يكون واحدًا، والبلية ونزول العذاب يعمُّ الجميع، وإذا جاء

---

(١) أخرج الطبراني في الكبير (٨٥٤٠) عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «هَاجَرَ رَجُلٌ لِيَتَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لها: أُمُّ قَيْسٍ، وكان يُسَمَّى مُهَاجِرَ أُمِّ قَيْسٍ».

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له (٢١١٨) من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، وبنحوه مسلم (٢٨٨٢) من حديث أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، و(٢٨٨٣) من حديث حفصة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

البعث والنشور خرج الناس على قدر ما كانوا عليه؛ ولذلك يوم البعث والنشور يُسمَّى (يوم الفضائح)؛ لأنه تنكشف فيه السرائر، وتنجلي فيه وينفضح ما كان مستورًا في الدنيا، ويُعرف ما كان يخفى؛ لأن ذلك اليوم لا يكون فيه لأحد قدرة أن يخفي أمرًا عمله؛ ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «**إِنَّ الْغَادِرَ يُرْفَعُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلانِ بْنِ فُلانٍ**»(١)، فهو يوم الفضائح.

فمن خدع الناس في الدنيا، وتظاهر بخلاف ما هو عليه في الباطن فإنه لا يضر إلا نفسه، ويُبعث يوم القيامة على ما كان عليه؛ ولذلك جاء في الحديث الصحيح عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَوَقَصَتْهُ -أَوْ قَالَ: فَأَوْقَصَتْهُ- قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُحَنِّطُوهُ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»(٢)؛ لأنه مات وهو متلبس بهذا العمل الصالح، ولاشك أن نيته لوجه الله جَلَّ وَعَلَا؛ ولذلك يُبعث وعليه أثر ذلك العمل.

فعلينا -يا أخي المسلم- أن ننظر إلى أعمال قلوبنا، والنظر في ذلك من أدقِّ الأمور وأصعبها، فإن الإنسان في بعض الأحوال يرغب في أن يغالط نفسه، وأنه كان حسن القصد، سليم المراد، مع أن الله جَلَّ وَعَلَا يعلم قصده ومراده،

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٧٧)، ومسلم (١٧٣٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
قال ابن كثير في تفسيره (٢/١٧٥): «والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفيًّا لا يطلع عليه الناس، فيوم القيامة يصير علمًا منشورًا على صاحبه بما فعل».
(٢) أخرجه البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (١٢٠٦).

فليحرص الإنسان، فإنه قد يعمل أعمالًا كثيرة جليلة لو صحبتها نية صالحة وقَصْدٌ حسن لدفع الله عنه بها من المحن والمخاطر والمصائب والمتاعب ما لا قدرة له على دفعه، وما على أحدنا إلا أن يجتهد في إقباله على الله؛ بأن يهدي قلبه، ويحسن قصده، ويرزقه حسن الالتجاء وصدق التوكل عليه، وعظيم الرغبة فيما عنده، وأن يكون عمله دائمًا يقصد به وجه الله جَلَّ وَعَلَا والدار الآخرة، إنما قد يسَّر الله لنا الشيء الكثير الجالب للرحمة، ولكننا -كما هو معلوم- نغفل عن ذلك، فيعمل أحدنا كما يعمل أو كما تتحرك الأشجار وتسير البهائم لا قصد له، فيفوتنا أجر عظيم، مع أن الله يسَّر لنا موجبات الثواب ومسبباته.

فاجتهد يا أخي المسلم؛ اجتهد في عملك، في كفِّك الطرف عن النظر إلى المحرمات، في صَوْنِك سمعك عن الاستماع إلى ما حرَّم الله، اجتهد في النية الصالحة في إنفاقك على أهل بيتك وأولادك وإعطائهم مطالبهم، واجعل ذلك كلَّه من أسباب كسبك الأجر وحصولك على الثواب، فإن الإنسان إذا أطعم أهل بيته وأنفق عليهم، وكانت نيته أن يغنيهم عن التطلع لما في أيدي الآخرين، وأن يشعرهم بفضل الله عليهم وعظيم إنعامه وجزيل عطائه؛ ليحمدوه ويشكروه، آجره الله على ذلك العمل[1].

وإذا أعطاهم لينكفوا عن التطلع إلى ما بأيدي الآخرين، أو زوَّجهم

---

(١) كما في حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِن نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، حَتَّى اللُّقْمَةُ التي تَرْفَعُهَا إلى في امْرَأَتِكَ**». أخرجه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

ليعفهم؛ طلبًا للأجر من الله جَلَّ وَعَلَا، أثابه الله سبحانه الثواب الجزيل، ونفعه بهم بأن أصلحهم وهداهم فصاروا ذرية صالحة مباركة تنفع أهلها أحياءً وأمواتًا، فإن الولد الصالح من العمل الذي لا ينقطع للإنسان بعد موته؛ كما جاء في الحديث الصحيح(١).

إن الإنسان تكثر عليه الواجبات من الحقوق للآخرين، أو أداء العمل الوظيفي الذي يؤديه، ويقبض مقابله أجرًا، فإذا أحسن القصد واجتهد على إبراء ذمته ولأن يكون قدوة في أداء ذلك العمل، واجتهد لإعطاء أهل الحق حقوقهم؛ حتى يتخلص من مغبة ذلك، يوم يلقى الله ولا درهم عنده ولا دينار؛ خوفًا من ذلك اليوم، فإن الله جَلَّ وَعَلَا يُعْظِم له الأجر.

إن الإنسان مهما أراد أن يعدد الأسباب الجالبة للأجر، والأسباب المسببة للرحمة، لا يستطيع أن يعدها؛ لأن فضل الله وأسباب رحمته لا تُعدُّ.

فعليك -أخي المسلم- أن تبذل جهدك، وأن تروض نفسك على طاعة الله والإكثار من استحضار النية، والاحتساب عندما تشرب الشربة، وعندما تأكل الطعام، وعندما تُوقي أهل بيتك، وعندما تكسوهم تشعرهم أن ذلك من فضل الله، وأن الله هو الذي كساهم، وأنه هو الذي وفقك لذلك العمل؛ حتى تحسن صلتهم وصلتك بالله جَلَّ وَعَلَا، وليحصل لك بذلك الفضل والأجر والثواب.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يرزقنا أجمعين صدق القول

---

(١) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا من ثَلاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو له**» أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والعمل، وإخلاصه لوجه ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وألا يضيِّع علينا أعمالنا بعدم إصطحابها بالنية الصالحة.

كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يوفقنا للإكثار من الطاعة في أوقات القدرة، وأن يكتب لنا عند العجز مثلما كنا نعمل؛ كما جاء بذلك الوعد عن الله جَلَّ وَعَلَا، فإن من رحمة أرحم الراحمين أن الإنسان إذا مرض، أو كبرت سنه، أو سافر فشُغل عن العمل الصالح يُكتب له من فضل الله مثلما كان يعمل أيام الصحة والقوة والإقامة[1]، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

أسأل الله أن يهدي ضالَّ المسلمين، وأن يصلح شأنهم، وأن يجمع شملهم، وأن يُعلي قدرهم، وأن ينصرهم على أعدائهم، وأن يرزقهم التحاكم إلى دينه، والرجوع إلى كتابه وسنة نبيه، وأن يباعد بينهم وبين البدع، وأن يصدهم عن الشرور والآثام، وأن يصلح ولاة أمرهم، وأن يجعل ولاة أمرهم ولاة صالحين، يخافون الله فيهم ويتقونه، ويرتادون لهم المصالح، ويدفعون عنهم المظالم.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يصلح القادة في كل مكان، وأن يأخذ بأيديهم، وأن يرزقهم خوفه ورجاءه والإقبال عليه، والتقرب إليه بما يحب، إنه جَلَّ وَعَلَا جواد كريم.

كما أسأله أن ينصر المجاهدين في سبيله، وأن يعاجلهم بنصره وتمكينه،

---

(١) كما في حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»**، أخرجه البخاري (٢٩٩٦).

وأن يعيد إليهم أوطانهم سالمة من الشرك والبدع والآثام، وأن يرزقهم إقامة العدل فيها، ونشر لواء الحق فيها، وإقامة شعائر الإسلام، وإزاحة البدع عنها، إنه جوادكريم.

كما أسأله أن يذل اليهود، والنصارى، والشيوعيين الملاحدة، وسائر الكفرة الوثنيين من الباطنيين، وغيرهم من أعداء الله، إنه جَلَّوَعَلَا مجيب الدعاء، وصلَّى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

المُبَادَرَةُ إِلَى الاسْتِغْفَارِ[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، وتمسك بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلأً**»، هذا المثل ضربه سيد الخلق صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يبين به أحوال الناس في تلقي هذا الفوز الإلهي والانتفاع به وعدم ذلك، فيقول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»[(٢)]، لم ينتفع ولم ينفع!

هذا الدين الذي جاء به نبي الهدى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو في الحقيقة غيثٌ، ولكنه للقلوب، فإذا صادف قلوبًا طيبة ونفوسًا كريمة قبلت ذلك الغيث العظيم، فأنتجت وأثمرت، وانتفعت ونفعت، وأشاعت نور الله بين عباد الله، ودعت إلى دين الله جَلَّوَعَلَا على بصيرة من الأمر؛ لأن ذلك العمل خلافة

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٩/٢/١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢) من حديث أبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الأنبياء، الذين إنما يرثهم من قام بالدعوة لدينهم، والسير على منهجهم، وترسَّم خطاهم فيما يدعو الناس إليه من الهدى والفلاح، الذين ينتفعون بالوحي عملًا وتعلمًا وتعليمًا، وإرشادًا ونصحًا؛ بمثابة الأرض الكريمة الطيبة التي إذا أصابها أقلُّ غيثٍ اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، فاختلفت أصناف النوابت والروائح الطيبة والثمار الكريمة؛ لأنها أرض طيبة وافاها غيث طيب، فأخرجت من ثمارها ما نفع الله به العباد.

فكذلك من رغب في دين الله، وحرص على أن ينفع عباد الله، وجد ذلك؛ إذا علم خيرًا أحب أن يستفيد الناس مما علم، وإذا نُصح ووُعظ في موعظة وفهم المراد منها أحب أن يشاركه إخوانه من تلك المنافع؛ لأنه يحب لإخوانه الخير، يودهم ويرحمهم ويهتم بمصالحهم، يحقق في نفسه قول المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»**(١)، ويحقق قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**(٢).

وإذا نشط لخصلة من خصال الخير، أحب أن الناس المسلمين ينشطون لما نشط له، وأن يحصلوا على ثواب الله جَلَّ وَعَلَا وأجره ودفعه عن عباده بتلك الأعمال، فهم أتباع الأنبياء، وهم الداعون إلى دين الله جَلَّ وَعَلَا؛ تصديقًا لقول الله جَلَّ وَعَلَا لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

يفرح أحدهم إذا أشاع خيرًا أو دعا إلى فلاح، أو عمل أحدهم بدعوته وتوصيته وإرشاده؛ لأنه مخلص لله ومطيع له، راغب في نفع عباده، رجاء ما وعد الله به عباده الذين يسعون في إصلاح البشر وهدايتهم، وكلما ازداد عملًا ازدادت نفسه إقبالًا على الله ورغبة فيما عنده، يشعر بنشاط وأريحيَّة تهتز لها نفسه؛ لأن نفسه نفس كريمة طرية طيبة، أصابها وابل فأنتجت ما نفع الله به العباد.

وبعض الناس يكون نفعه لغيره أكثر من نفعه لنفسه، لكنه غير ضار لنفسه، هذا مثل من تلقى العلم فنشره وأشاعه، وإن قصَّر في بعض النوافل فإنه مؤدٍّ للفرائض، فنفعه ونشره العلم والهداية ينفع الله بها العباد، فصار بمثابة الأرض التي نزل بها الماء فأمسكته للناس، فاستقى الظمآن، وارتوت ماشية صاحب الماشية، وزرع صاحب الزرع، وحصل على مراده بسبب ما أودعه الله لهذه الأرض من حفظ ذلك الماء؛ كذلك من يحفظ على الناس دينهم، ويحفظ عليهم الشريعة، الذي هو أنفع للعباد من غيث الماء؛ لأن في غيث الماء حياة الأبدان، وأما غيث النبوة ففيه حياة القلوب وحياة الأرواح، وهو سببٌ للحياة الأبدية التي لا نهاية لها، فإن حياة الدنيا حياة محدودة، وملذات معدودة، وشقاءها ينتهي إلى أمد، أما حياة الدار الآخرة، ودار العاقبة، فهي حياة لا نهاية لأمدها؛ لذاتها لا تنقطع، ونعيمها لا ينفد، وسرورها لا يزول؛ كما أن شقاءها لا يفتر، وعذابها مستمر والعياذ بالله، نسأل الله السلامة من عذاب الله في الدنيا والآخرة.

وأما أهل الإعراض والغفلة، وأهل الاغترار بالدنيا ومتاعها -وما أكثر من يكون كذلك!- فإنهم لا يرفعون بأمر الله ولا بشرعه رأسًا، ولا ينتفعون بهذا الهدى العظيم والغيث المبارك، وإنما تتلقاه أسماعهم، وقلوبهم كالأرض الملساء التي لا تُنبت كلأً، ولا تمسك ماءً، يزول الخير عنها يمنة ويسرة، وتبقى كأن لم يصبها ماء، هذه هي قلوب أكثر الخلق، فإن أكثر الناس في ضلال!

فإذا وفِّقت -يا أخي المسلم- وشعرت من نفسك ارتياحًا عند سماع آيات الله جَلَّوَعَلَا، وأحسست من نفسك إقبالًا على تدبرها، وشعورًا بالهيبة عند سماع الخطاب الإلهي، فاحمد الله على هذه الحياة، واجتهد في تنميتها، فإن كثيرًا من الناس أموات وإن كانوا يسعون بين الخلائق؛ لأن الموت الحقيقي إنما هو موت القلب والنفس، والحياة الحقة هي حياة الإيمان بالله جَلَّوَعَلَا، والعمل الصالح الذي يرضى عنه الله جَلَّوَعَلَا، والرغبة في نفع الناس وهدايتهم؛ لأن في ذلك السعادة الأبدية، وهو الذي ينبغي أن نتنافس فيه، فإن التنافس النافع هو ما كان على الأمور التي تقرب من رضوان الله، وتباعد من سخطه، وتدني من مغفرته ورحمته، وتنجي من عذابه وعقابه، إلا أننا كثيرًا ما نغفل عن ذلك.

والموفق -أيها المسلمون- من إذا شعر بالغفلة سبَّح الله جَلَّوَعَلَا، وأثنى عليه، واستغفره وتاب إليه، وسأله أن ينبت في قلبه الشعور بمصالح دنياه وآخرته، والسعي بالأخذ بأوفر نصيب منها، فإن مصالح الدنيا والآخرة مرتبطة باتِّباع هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والانتفاع بما جاء به من الهدى والنور صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والضلال والهلاك يكون بالإعراض عن هديه، وطلب العزة من غير طريقه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

إن كثيرًا من الناس -يا عباد الله- يسمع آيات الله تُتلى وفيها النداء له

ولأمثاله باسم الإيمان أو بالجنس: يا أيها الناس، وكأنه لا يُدعى بذلك الدعاء، ويسمع أخبار النذر والوعيد وما تتضمنه آيات الوعيد مما أعد من النكال التي لا يستطيع الإنسان أن يتحمل أدنى قليل منه في هذه الدنيا، ومع ذلك يمرُّ عليه مرَّ الغافلين!

فإذا شعرت أخي وشعر الواحد منا بشيء من ذلك فليبادر إلى شيء من الاستغفار والتوبة، فإن الاستغفار يصقل القلوب، ويوقظ فيها الشعور بالحياة، وينمي فيها حاسَّة الحياء من الله جَلَّوَعَلَا، فإن الإنسان إذا استحى من الله خجل أن يرتكب معصية، والله مطلع على كل شيء، وخجل أن يتقاعس ويتوانى عن فعل طاعة من الطاعات وهو يقدر عليها؛ حياءً من الله، وهذا إنما يكون بحياة القلوب وامتلائها بالخشية من الله جَلَّوَعَلَا.

وينتفي ذلك عمَّن كان مثل الأرض الخبيثة الرديئة، التي لا يجتمع فيها الماء، ولا ينبت منها الكلأ، يصيبها الماء فإذا وقف كأنما لم تصب به؛ لأنها أرض خبيثة، وكذلك القلوب المريضة والميتة التي لا تنتفع بشيء من هذا النور الإلهي!

إن انتفاعك أخي بالوحي -من قرآن أو سنة- رهين بحرصك عليه، ورغبتك في الاستفادة، وترويضك نفسك وتدريبك إياها على الإقبال على الله، فإن النفس هي المركوب الذي تطويعه يحتاج إلى مجاهدة وممارسة وفعالية، ومن صدق في ذلك ورغب في تذليل نفسه لطاعة الله، والعمل بما يرضيه؛ ذلَّت له في آخر الأمر، وانقادت، وصارت الطاعات لها خُلُقًا، وصار النفور من المعصية صِفةَ لزوم لها، وصار الشعور بالطمأنينة عند سماع آيات الله من ألذِّ الأشياء.

فاحرص -يا أخي المسلم- على تذوق حلاوة الإيمان بالإكثار من الأعمال الصالحة، فلولا كثرة المعاصي لشعرنا بلذة الطاعة لو فعلناها، ولكن المعصية أفقدت الكثيرين منَّا حاسَّة تذوق حلاوة الإيمان وحلاوة الأعمال الصالحة، وإنما يكون ذلك لمن أكثر من الطاعة، وأكثر من التوبة إلى الله جَلَّوَعَلَا، وأكثر من التذلل بين يدي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فإن الله يحب من عبده أن يكثر من التضرع والتذلل، وأن يلح عليه بالطلب والإكثار من السؤال، فإنه جَلَّوَعَلَا كريم جواد، يحب منَّا أن نسأله دائمًا، وأن نكثر من السؤال، وقد يسر الله جَلَّوَعَلَا علينا الطلب منه، فلا نحتاج إلى الذهاب ولا القعود في مكان معين، بإمكانك أن تسأل الله وأنت في عمل تؤديه، أو في طريق تسلكه، أو في فراش نومك، يسَّر الله علينا، ولكن المرض الذي أصاب كثيرًا من القلوب أقعدها وأعجزها عن أن تتعلق بعفو الله، إلا من شاء الله.

فنسأل الله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يحيي قلوبنا، وأن ينفعنا بما نسمع ونقول، وأن يرزقنا البصيرة في أمورنا، وأن ينفعنا بالوحي الذي أنزله في كتابه أو على لسان رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يزيل عن قلوبنا الأضرار التي تراكمت عليها، والدرن الذي علا فوقها من كثرة المعاصي، وأن يكثر عندنا التوبة والاستغفار التي يحيي الله بها قلوبنا ويوقظها من سُباتها.

أسأله جَلَّوَعَلَا الذي جمعنا في هذا المكان أن يجمع قلوبنا على طاعته وتقواه، وأن يخلصنا من شوائب الذنوب والمعاصي، وأن يرزقنا خوفه ورجاءه في السر والعلانية، والإخلاص له فيما نقول ونعمل وندع، إنه جَلَّوَعَلَا

جواد كريم.

كما أسأله سبحانه أن يهدي ضالَّ المسلمين، وأن يصلحهم ويجمع شملهم، ويوحد صفهم، وينصرهم على أعدائهم أعداء الدين، وأن يزيدهم من الخير، وأن يرزقهم التوبة من الذنوب والآثام.

وأسأله أن يصلح القادة -قادة المسلمين- في كل مكان، ويأخذ بأيديهم ويرزقهم جَلَّ وَعَلَا التحاكم إلى دين الإسلام، والرضا بشريعته جَلَّ وَعَلَا وتقديمها على كل شيء، وأن يخصَّ ولاة هذه البلد بمزيد من التوفيق والتسديد والهداية والرشاد، وأن يملأ قلوبهم من خوفه ورجائه، والإنابة إليه، والرغبة في العمل بما يرضيه، وأن يثيبهم على ذلك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا وإياكم معهم في كل خير.

كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يذل أعداءنا أعداء الدين؛ من اليهود، والنصارى، والشيوعيين، والباطنية الملاحدة، وسائر الكفرة والوثنيين في كل مكان، وأن يحقق لأمة الإسلام اجتماع الكلمة، والنصرة للمجاهدين، والذلة على العاصين، إنه جَلَّ وَعَلَا جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

الحَثُّ عَلَى تِلَاوَةِ القُرْآنِ وَالانْتِفَاعِ بِمَا فِيهِ[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، وتمسك بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٢-٥]، جعلنا الله جميعًا منهم.

يخبر الله سبحانه عن القرآن الكريم بأنه هدًى للمتقين، إنما ينتفع بالقرآن أهل التقوى الراغبون فيما أعد الله من الثواب لأهل الإحسان، ما أعده في جنته التي لا تعلم نفس ما فيها من قرة أعين ومن النعيم المقيم.

هذا القرآن هدًى لأهل التقوى، يرشدهم ويهتدون به، يستنيرون بنوره، ويعملون بأوامره، ويجتنبون نواهيه، ويتلذذون بتلاوته؛ لأن تلاوته مناجاة لله جَلَّ وَعَلَا وتلذذ بخطابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكلَّما أحسَّ الإنسان من نفسه بارتياح عند سماعه القرآن، وأحسَّ باللذة، فإن ذلك يبشر بخير، ويدل على نوع من التقوى، فلينمِ هذه الخصلة، وليتعاهدها بالتأمل والتفكر في خطاب الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه، وقد أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ أن المنتفعين بالقرآن المهتدين بهديه هم

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ٢٠/٢/١٤٠٨هـ.

الذين يؤمنون بالغيب، ويصدقون بما وعد الله به عباده من الثواب في دار الجزاء، وما توعد به أهل الإعراض والغفلة وارتكاب المحرمات من الجزاء والنَّكال، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنده ثواب المتقين لأهل التقوى، وجزاء المفرطين لأهل الشقاء والعياذ بالله؛ قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّ عُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد:٣٥]، والفريق الآخر النار والعياذ بالله.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، ولا يكفي أن يقول ذلك؛ لأن الإيمان إذا لم يثمر عملًا فليس بإيمان، الإيمان الصحيح هو الذي يثمر العمل ويدفع الإنسان لتقوى الله، ويحمله على ترك المعاصي؛ لأنه يعلم أن الله مطلع عليه وحافظ عليه كل أعماله، فيخشى ويستحي في آن واحد؛ يستحي أن يعامل الكريم الأكرم وهو يدرُّ النعم عليه أن يعامله بنقيض ما يستحق؛ لأن من أحسن إليك لا يستحق أن تعمل ما يكرهه، وأن تجاهره بما نهى عنه، والله جَلَّ وَعَلَا يستوي في علمه الإسرار والإعلان، والظهور والخفاء، لا تخفى عليه خافية.

فأهل التقوى الذين يهتدون بهدي القرآن هم الذين يؤمنون بالغيب، أي: يصدقون بما غاب عنهم مما وعد الله به أو توعد الله به، فيحملهم على الرغبة فيما وعد الله به أهل التقوى على العمل الصالح، ويزجرهم إيمانهم بما توعد به أهل المعاصي، يزجرهم هذا الوعيد عن ارتكاب ما حرم الله، فهم مؤمنون بالغيب ولم يروه، يصدقون بالله جَلَّ وَعَلَا ويصدقون رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يبلغهم عن الله وعن رسوله من وعد أو وعيد.

فأنت لو علمت أن وراء الجبل خطرًا، إذا ذهبت من ذلك الطريق قضي عليك، وجاءك مخبر تثق به وتعلم صدقه، وأنت لا تستطيع دفع ذلك الخطر؛ لا يُعقل أن تذهب وتتعرض لذلك الخطر؛ لأنك تؤمن بهذا وهو مغيب عنك؛ لخبر من تثق به، وقد أخبرك اللطيف الخبير وأخبرك رسوله الصادق المصدوق أن الله أعد نكالًا لأهل المعاصي والفجور، وأعد مغفرة ورضوانًا وكرامة ونعيمًا لأهل الطاعة.

وقد فاز بأثر التصديق والإيمان المتقون أهل الصدق والإخلاص؛ لأنهم يؤمنون بالغيب؛ كما قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾؛ يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وينفقون الزيادة على ذلك مما هو غير واجب.

فمن أدَّى الواجبات ولم يقصر في شيء منها، وتجنب المحرمات ولم يقدم على شيء منها، وفعل هذا وترك ذاك خوفًا من الله، لا شك أنه في أمن وأمان، ولكن تُنال المنازل العالية والدرجات العُلى والفوز والنعيم بقدر تفاضلهم في الإكثار من الطاعات والقربات؛ ولذلك أخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم، وأن بعضهم يتراءى منزلة أهل المنازل العالية كما يتراءى الناس النجوم في الأفق، والكواكب الدراري في السماء، وهو في منتهى البعد؛ وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وأخرج مسلم نحوه (١٨٨٤)
=

وبهذه المناسبة يصدق الجهاد في سبيل الله على من قاتل بنفسه في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وعلى من جهَّز المجاهدين في سبيل الله؛ كما ثبت في "الصحيح" عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»**(١).

فكفالة أهل المجاهدين والإنفاق على أهل المجاهدين بمنزلة الغزو في سبيل الله، وتجهيز المجاهد وإعداد ما يحتاج إليه في قتاله للكفار جهاد في سبيل الله وغزو في سبيل الله، وطرق الخير كثيرة.

فالإيمان بالغيب مع العمل، وأعظم العمل أداء الواجبات؛ كما دلت عليه ونصت الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، يزيدون على ما أوجب الله عليهم بالإنفاق مما أعطاهم الله؛ لأنهم يعلمون أن ما عندهم إنما هو مال استُخْلِفوا عليه.

فإن أرضوا صاحبه، وبرُّوا عباده المؤمنين، وشكروا لما منَّ عليهم به من الاستخلاف؛ رغبة في أن يبارك لهم ربهم في أعمالهم؛ زادهم الله جَلَّ وَعَلَا توفيقًا وتسديدًا ورحمهم برحمته الواسعة.

وإن بخلوا بمال الله، ورفضوا قوله: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧]، فقد يمنعهم بذلك المال برهة من الزمن، ثم يسلبه منهم أو يسلبهم منه، فيتولى التنعم به والتلذذ بخيراته من لا يترحم عليهم!

=

من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٨٩٥) من حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

هؤلاء المؤمنون بالغيب المقيمون للصلاة المؤتون للزكاة المنفقون من رزق الله يصفهم الله جَلَّوَعَلَا بصفة عظيمة؛ بأنهم على هدًى من ربهم وبأنهم مفلحون، فازوا بقصب السبق(١)، وعُلوِّ المنزلة، وحصول الرحمة من أكرم الأكرمين، ما كانوا في هملٍ من أمرهم ولا حيرة في حياتهم، وإنما كانوا على هدًى من ربهم؛ لأنهم اتَّبعوا القرآن، وتأدبوا بآدابه، وتعلموا ما يأمر به، وانتهوا عمَّا نهى عنه، فهو هاديهم وقائدهم ومرشدهم فيما يعملون وما يتركون؛ ولذا وصفهم الله بقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة:٥].

أَجْمَلَ اللهُ صفة وأحوال المؤمنين في صدر هذه السورة بهذه الآيات التي أتت على أصول الخير وقواعده، واهتداء بالقرآن، وإيمان بالغيب، وإقامة للصلاة، وإيتاء للزكاة، وبذل في وجوه البر والإحسان مما أعطاهم الله، ففازوا؛ لأنهم على الهدى؛ كأنما ركبوا هذا الطريق ركوبًا متمكنًا، لا يُخشى عليهم أن يتزحزحوا أو يزلوا عنه؛ لأن الله أمَّن لهم الفلاح، وقد وصفهم بما دلَّ على لطف مسعاهم، وعُلوِّ هممهم، وعظيم رغبتهم؛ بما أعد المولى جَلَّوَعَلَا لأهل التقوى المهتدين بكتاب الله جَلَّوَعَلَا.

إنك -يا أخي المسلم- في أمسِّ الحاجة لأن تتأمل فيما تقرأ القرآن، فإن أكثر القرآن يفهمه كل فاهم للكلام العربي ولو لم يكن من العلماء، فإن قول الله

---

(١) يُقال للسابق: أحرز القصب؛ لأن الغاية التي يسبق إليها تُذرع بالقصب، وتُركز تلك القصبة عند منتهى الغاية، فمن سبق إليها حازها، ويقال: حاز قصب السبق، واستولى على الأمد. يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٦٧)، ولسان العرب (١/٦٧٧).

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٢، ٣] يعرف كل أحد أن في ذلك الأجر والمثوبة والرحمة من الله جَلَّ وَعَلَا، وكل واحد يعلم إذا سمع قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ [النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٩]؛ علم أن الله يدعوه إلى مكارم الأخلاق، ومِنْ لازِمِ دعوته بمكارم الأخلاق النهي عن مساوئها.

فاحرص -يا أخي- على الاهتداء بهذا القرآن، والتخلُّق بما جاء فيه من الآداب والأخلاق الكريمة، فإن القرآن اشتمل على كل ما يحتاج إليه الناس، وأوضح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أشكل فيه بسنته الكريمة الطاهرة، فاحرص -أخي- على التخلق بالأخلاق الكريمة، وتلذذ بسماع آيات القرآن الكريم، واتخذ وقتًا من راحتك في منزلك تتغنى فيه بالقرآن، وتتلذذ بالترنم بتلاوته؛ رغبة فيما أعده الله من الثواب، وأملًا في أن يُليِّن الله قلبك، ويطهر جوارحك، ويمنحك التوفيق والتسديد، وأن يحفظك من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن شمالك، ومن فوقك ومن تحتك، فإن الله إذا حفظك من هذه النواحي حفظك من كل شر، وأمَّنك مما تخاف.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن ينفعنا بالقرآن العظيم، وأن يرزقنا الاهتداء بهديه، وأن يجعلنا من المتقين الذين جعلوا القرآن هدًى لهم، وأن يرزقنا صدق الإيمان وصدق العمل، بأن يصدق إيماننا ودعوانا الإيمان بالعمل، وأن نتهم أنفسنا بالتقصير، وأن نجتهد في الاستغفار لعل الله جَلَّ وَعَلَا أن يستجيب دعانا، وأن يغفر ذنوبنا.

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأسمائه وصفاته أن يتوب علينا أجمعين، وأن يغفر زلَّاتنا، وأن يصلحنا ويصلح ذرياتنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يحبب إلينا الدين، وأن يرزقنا العضَّ عليه بالنواجذ، وأن يباعد بيننا وبين البدع والفتن، وأن يقينا الفتن وشرورها، وألا يعرضنا لها، وأن يشملنا بعفوه وعافيته، إنه جواد كريم، كما أسأله جَلَّوَعَلَا أن يغفر لأمواتنا، ويرحمهم برحمته الواسعة، وأن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح أمة الإسلام، ويهدي ضالها، وينصر ضعيفها، ويعز ذليلها، ويقهر ظالمها، ويمن علينا بمنِّه وكرمه بالتوفيق والتسديد والهداية.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يصلح قادتنا وأن يوفقهم لطاعته، وأن يرزقهم التحاكم إلى كتابه وسنة نبيه، وأن يعينهم على ذلك، وأن يشد أزرهم فيه، وأن يجنبهم الفتن والأهواء، ويجمع شملهم، ويرزقهم القيام بالدعوة إليه، ونصرة المجاهدين في سبيله، وفتح السبل أمام الدعاة إلى الله، وأن يرزقنا وإياهم الإخلاص في كل أمورنا.

كما أسأله جَلَّوَعَلَا أن يذل اليهود، والنصارى، والشيوعيين، والمجوس، والملاحدة، والوثنيين، وأن يرينا في الجميع عجائب قدرته، وعظيم بطشه وعقابه، وأن يسلط عليهم بمنِّه وكرمه، وأن يعاجل المجاهدين في سبيله بالنصر والتمكين، إنه جَلَّوَعَلَا جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أَهْـــلُ الهُدَىٰ[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

سمعنا في يوم أمس شيئًا يتعلق بأهل الهدى المنتفعين بكتاب الله جَلَّوَعَلَا، الذين يقودهم القرآن الكريم إلى أسباب مرضات الله، ويدفعهم عن الاقتراب من معصيته، الذين وصفهم الله جَلَّوَعَلَا بأنهم أهل الفلاح: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة:٥].

وذكر بعدهم جَلَّوَعَلَا أهل الكفر الذين ختم الله على قلوبهم، فهي مقفلة، لا تنتفع بالقرآن، ولا تهتدي بهدي سيد الأنام صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وإنما شأنها شأن البهائم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ﴾ [محمد:١٢]، يأكلون ويشربون والنار مثوًى لهم، لا ينفعهم التذكير، ولا تجدي فيهم دعوة، ولا يتعظون بموعظة، ولا يسمعون داعي الفلاح؛ لأن محلَّ الاستفادة ومكان التلقي مغلق؛ تزلُّ المواعظ عنه كما يزلُّ الماء عن الصخر، فهو كالإناء المُقفَّى إذا صُبَّ عليه الماء سَحَّ يمنة ويسرة، ولم يبقَ فيه شيء!

وكذلك أولئك الذين ختم الله على قلوبهم، فعميت بصائرهم، وصُمَّت آذانهم، فلم يسمعوا ولم يروا هدًى، لم تنفعهم أبصارهم التي يرون بها

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٢/٢١هـ.

المحسوسات، ولا أسماعهم التي يسمعون بها الأصوات؛ لأن مكان الهداية قد أُقفِل: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، فهؤلاء كلما سمعوا دعوة الحق ونداء داعي الفلاح يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ أي: على طريق ومنهج ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣]، يسيرون وراءهم وإن كانوا يقودونهم إلى الهاوية!

بخلاف أهل الهدى الذين ينتفعون بالخير، وكلما تجدد لهم سماع القرآن ازدادت نفوسهم راحة وقلوبهم إيمانًا واطمئنانًا.

أما أولئك كلما سمعوا شيئًا من آيات الله يُتلى عليهم جحدوا به وكفروا؛ لأن الله أضلهم وأعمى أبصارهم.

ثم ذكر الله جَلَّوَعَلَا الآيات المتعلقة بالكفار بعدما ذكر ما يتعلق بالمؤمنين وانتفاعهم بكتاب الله وآياته الظاهرة، وأنهم يؤمنون بالغيب، ويصدقون بما جاء عن الله على لسان رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وعلى ألسنة رسله السابقين. وأمَّا أهل الكفر فيستوي عندهم دُعوا أو لم يُدْعوا؛ لأن هؤلاء لا مكان في قلوبهم لتلقي الدعوة واستماع النداء، ولا يستفيدون من ذلك، فهذا عندهم سِيَّان جاءهم النذير أو لم يأتهم، باقون على ضلالهم!

والمؤمن إذا رأى كثرة أهل الضلال مع جَوْدَةِ تفكيرهم ومعرفتهم للدقائق من أمور الدنيا كفَّ على الخلق الكثير؛ حَمِدَ الله جَلَّوَعَلَا على توفيقه له وهدايته إياه، وفَتْحِ بصيرته وسَمْعِ قلبه؛ ليسمع نداء الحق ودعوة الخير، فتثمر في قلبه الإيمان بالله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والعمل بما يرضيه.

المؤمن إذا رأى كثرة أهل الضلال ومدى ركوبهم لأنواع الغي، عليه أن

يحمد الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه لو شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لجعله مثلهم، ولكن لطفه به ورحمته إياه وإحسانه إليه اقتضى أن يوفقه للإيمان به جَلَّ وَعَلَا، وبما جاء عنه، وبرسله، وأن يعمل بذلك.

فكلما رأيت من نفسك إقبالًا على عمل يحبه الله فاحمده جَلَّ وَعَلَا، فهو الموَفِّق لذلك، وهو الذي شرح صدرك له، فما أنت أقدر من كثير من الناس وقد ضل سعيهم في الحياة الدنيا؛ ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢]، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤]، وأنت -بحمد الله- تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتدين دين الحق، وتطيع الله ورسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاحمد الله على هذا التوفيق، فإنه لولا الله جَلَّ وَعَلَا ما اهتديت، ولا انتفعت بآياته، ولا اتعظت بمواعظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولكن الله سبحانه منَّ عليك، وحباك بنعمة عظمى، وأولاك منَّة كبرى، فقم على شكره، وأكثر من حمده جَلَّ وَعَلَا والاعتراف بجميله وفضله عليك، واسأله أن يثبتك بالقول الثابت، وأن يرزقك بصيرة تميِّز بها بين الحق والباطل عندما تَعْمَى الأمور، وتتفاقم الخطوب، ويصبح الناس في أمر من أمرهم مريج، اسأله جَلَّ وَعَلَا فإنه يجيب سؤال السائلين.

وإذا رغبت أن يستجيب دعاءك فأكثر من طاعته، واحرص على أن يكون لك قسطٌ من الليل تتضرع فيه إليه جَلَّ وَعَلَا، وتسأله أن يقيك ما يستقبلك في هذه الحياة الدنيا.

إن الناس الذين طبع الله على قلوبهم وجعل على أبصارهم غشاوة كانوا

مثلك في التقويم الخَلْقِي، ولربما أن بعضهم أكثر تحملًا وأقوى صبرًا فيما يتطلبون، ولكن ربك جَلَّوَعَلَا منَّ عليك بالهدى، فدُمْ على الفرح بذلك والاستبشار به، والخوف من أن يقلب قلبك عن ذلك.

فإن رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -كما ثبت عنه في "الصحيح "- كان يكثر في دعائه أن يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، هذا هو رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأرسله لهداية البشر، ومع ذلك يخشى، وقد سُئل وقيل له: أوَ تخاف وأنت رسول الله؟ قال: «**وَمَا يُؤَمِّنُنِي! وَقُلُوبُ العِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ**»[(١)].

فإذا كان هذا قول رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهذا خوفه، فما يؤمننا نحن؟! لسنا أهل عصمة ولا أهل جِدٍّ واجتهادٍ، ولا أهل صبر على طاعة الله جَلَّوَعَلَا! فرسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قام في تهجده حتى تورمت قدماه؛ لكثرة ما يقف في تهجده، ولـمّا قالت له عائشة رَضِيَاللَّهُعَنْهَا: يا رَسُولَ الله، أَتَصْنَعُ هذا وقد غُفِرَ لك ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ؟ قال: «**يا عَائِشَةُ، أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟**»[(٢)].

فقد كان يقف وقوفًا طويلًا، وربما كانت الركعة الواحدة يقرأ فيها سورة

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣/ ٢٣٠)، وأبو يعلى الموصلي (٨/ ١٢٨)، والخرائطي في اعتلال القلوب (١/ ١٩)، والآجري في الشريعة (٣/ ١١٦١) من حديث عائشة رَضِيَاللَّهُعَنْهَا. وأخرجه مسلم بنحوه (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠) من حديث عائشة رَضِيَاللَّهُعَنْهَا.

البقرة بكاملها، ثم يتبعها بسورة النساء، ثم يتبعها بسورة آل عمران، فلا يركع إلا عندما يختم سورة آل عمران في تلاوته في هذا في ركعة واحدة[١]، وأحدنا يستطيل أن يقرأ من قِصَار المفصل في ركعات إن وُفِّق في التهجد بها!

فليجعل المسلم من ليله قسطًا يتقرب فيه إلى الله جَلَّ وَعَلَا بالسؤال والتضرع والابتهال، وإذا سجد فليلح على الله ويطلب التثبيت؛ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]، فإن التثبيت على الحق من أعظم المنن، وأَجَلِّ الهبات والعطايا.

وقد جاء في الحديث الصحيح -في البخاري ومسلم- عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا**»[٢].

فينبغي أن يكون المؤمن على حذرٍ، وفي وضع من الخوف يدفعه للعمل؛ لأن الحذر الذي لا يدفعك لتأخذ أهبتك واستعدادك، والخوف الذي

---

(١) كما في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ»، أخرجه مسلم (٧٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لا يحملك على الهروب مما تخاف، غير مُجْدٍ!

وقد قال النبي ﷺ في الطرف الآخر في قرب الهداية من عباد الله إذا شاء: «**وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا**»(١). هذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

أسلم رجل في عهد النبي ﷺ ومشى إلى القتال، ولم يعمل شيئًا سوى ذلك، فأصابه أول سهم في القتال، فأثنى عليه النبي ﷺ وقال: «**عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا!**»(٢).

وكان رجل يتعجب الناس من كثرة عمله، وقد أثنوا عليه ثناءً عجيبًا، فقال النبي ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا، فَخَرَجَ مَعَهُ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**»، قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ**

---

(١) تتمة حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٨)، ومسلم (١٩٠٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(١)، فالأعمال بالخواتيم.

فينبغي للمسلم أن يحذر ألَّا تعصفه أعاصير الفتنة، فتحمله إلى مراتع الضلال والعياذ بالله، فإن خلقًا كثيرًا من الناس عصفت بهم أعاصير الفتن، فأخرجتهم من مواقفهم مع أهل الخير والتقى، وحملتهم بدفعها إلى أنصارِ صفوفِ أهل الانحلال والضلال؛ وذلك مصداق ما قاله نبي الهدى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن آخر الزمان وما فيه من الفتن العاتية التي تتدافع وتتوالى كأنها قطع الليل المظلم يرقق بعضها بعضًا، كلما جاءت فتنه عظيمة واستعظمها الناس واستهولوها جاءت فتنه أخرى أعظم فرققت سابقتها، يقول الحليم العاقل كلما مرت واحدة: «هَذِهِ مُهْلِكَتِي»، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: «هَذِهِ هَذِهِ»(٢)، يتوقع أن كل واحدة سوف تعصف به فتهلكه؛ تدع الحليم حيران، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم، وإنما يرحم الله جَلَّ وَعَلَا من عباده أهل الإحسان والتقوى، والاهتداء بهدي القرآن الكريم وسنة أصدق البشر أجمعين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

فاحرص يا أخي المسلم، وتعرف صفات أهل الضلال، وانظر إلى عدم استفادتهم وانتفاعهم بالهدى ودين الحق، وتعرف أحوال أهل الهدى والتقوى، ومدى تأثرهم بالنور الإلهي، فقد صقل قلوبهم، فصقل بصائرهم، فأصبح لهم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

بصر نافذ، وحسٌّ مرهف، وبصيرة عجيبة، كلما خفي أمر على أهل التخليط وضح لهم واستقام وتجلى، فأخذوا بما يرضي الله جَلَّ وَعَلَا، وعطفوا أنفسهم عما يغضبه، وحماهم الله جَلَّ وَعَلَا بهدايتهم عن الضلال، وحبَّبَ إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكَرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ووصفهم بأنهم أهل الرشد وأهل الفلاح.

فاحرص على أن تحبهم وتوافقهم وتتأسى بهم، فإن محبة أهل الصلاح رشدٌ، والرغبة في الاقتداء بهم فلاح، وقد قال رجل للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا ولم يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»**[1]، فمن أحب أهل عمل صالح لا لقرابة ولا لنفع دنيوي، ولا لما يأمله منهم من تقريب، وإنما أحبهم لما هم عليه من التقوى والاستقامة، فهو معهم، ومن أحب أهل الفجور والفسق، وأهل الضلال والانحراف، واغتر بباطنهم، وانخدع ببريق حياتهم فاتَّبعهم، فهو منهم والعياذ بالله.

ينبغي للمسلم أن يعوِّد نفسه على تعرف أحوال الصالحين، وعلى الأسباب التي رفعت منازلهم، وسيجد أنها بالتمسك بالكتاب الله والاهتداء به، والعض على سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنواجذ، والحرص على التأدب بالآداب الإسلامية، وأداء الشعائر الدينية على الصفة التي بلغتنا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فاحرص يا أخي المسلم، فإن زمننا هذا زمن تكاثرت فيه الفتن، وتعددت

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

منابعها؛ يأتي الرجل إلى بيته فيجد أعاصير الفتن تعصف به، يذهب إلى مكان عمله يجد مثل ذلك، يغشى الأسواق والمنتديات فيرى أمثال ذلك، فإذا تحصن بالإيمان وتَقَوَّى به، وتضرَّع بالأذكار إذا خرج، واستعاذ بالله جَلَّوَعَلَا من الضلال، وأكثر من قول: **«اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»**(١)، والتجأ إلى الله جَلَّوَعَلَا وتوكل عليه، وأكثر من ذكره في الصباح وفي المساء؛ حفظه الله جَلَّوَعَلَا وأحاطه مما يكره، ووقاه الفتن ظاهرها وباطنها.

وما أحوجنا في ذلك الوقت العصيف أن نكثر من طاعة الله، والاعتماد عليه، والحرص على التأدب بآداب القرآن الكريم وأخلاقه؛ لعل الله جَلَّوَعَلَا أن يشملنا بلطفه، وأن يرحمنا برحمته، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يستجيب دعاءنا، فإن دعاء من اعتصم بالله وأكثر من الطاعة وتجنب المعاصي حريٌّ أن يُرفع إلى الله جَلَّوَعَلَا، ومن غفل فلم يعرف الله إلا عند الشدائد، ولم يتذكر الدعاء إلا عندما تعرفه الحوائج، فيعجز عن إدراكها، فهذا عمل أهل السفه، وأهل الغفلة والضياع، الذين إذا مسَّهم الضرُّ دعوا الله، فإذا كشف عنهم الضرَّ مرُّوا كأنهم لم يصابوا، وغفلوا عن الله.

ينبغي لنا -يا أخي المسلم- أن نتخذ من أوقاتنا وسائل نستعد بها لدفع الشدائد إن جاءت، والدنيا كلها ملأى بالمتاعب والمصاعب، وإنما تُدفع بالاستعانة بكاشف الكُرَب، ومجيب الدعاء، ومفَرِّج الهموم، الذي يقول في

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٤)، والترمذي (٣٤٢٧)، والنسائي (٥٤٨٦)، وابن ماجه (٣٨٨٤)، وأحمد (٤٤/ ٢٩٩) من حديث أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

كتابه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يرزقنا قلوبًا حيَّة، وألسنةً رطبة من ذكره، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يحيينا حياة طيبة، وأن يدفع عنا بقوته كل مكروه، وأن يصدَّ عنا المصائب والآثام والفتن، وأن يصلح منا الأقوال والأعمال، وأن يصلحنا ويصلح ذرياتنا وأزواجنا وأقاربنا، وأن يظل أوطاننا بظل الأمن والأمان والسلامة والاستقامة، وأن يظللها بظل الحكم العادل الراجع إلى كتابه جَلَّ وَعَلَا وإلى سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يهدي ضالَّ المسلمين، وأن يشبع جائعهم، ويغني فقيرهم، ويكسو عاريهم، وينصر ذليلهم ويعزه، ويقهر ظالمه ويكبته.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يوفِّق أمة الإسلام لاجتماع الكلمة، وتوحيد الصف، والأخذ بالعروة الوثقى، والتمسك بحبل الله المتين، وأن يهيئ لها من أمرها رشدًا، وأن يعينها على القضاء على مشاكلها، وأن يرزقها الوقوف صفًّا واحدًا في وجه أهل البأس أهل العدوان والظلم.

كما نسأله جَلَّ وَعَلَا أن يزيد ولاة أمر هذه البلد بمزيد من التوفيق والهداية والصلاح والرشد، وأن يعينهم على من ولاهم، وأن يجعلوا خوفه ورجاءه والتوكل عليه أهم الأمور عندهم، وأن يصلح بهم البلاد والعباد، وأن يدفع بهم الشرَّ عن هذه البلاد، وأن يوفقهم لتأمين هذه الربوع والمحافظة عليها، وتهيئة السبل المؤدية إلى حج بيت الله الحرام، وزيارة مسجد رسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما نسأله جَلَّوَعَلَا أن يذل أعداءنا أعداء الدين؛ من اليهود، والنصارى، والشيوعيين، والملاحدة الباطنيين، وسائر أهل الوثنية والضلال من جميع أهل الكفر، إنه جواد كريم، وأن ينصر أهل الجهاد المجاهدين في سبيله الذين يذودون عن أوطان الإسلام، أسأله أن ينصرهم ويعاجلهم بالتمكن من رقاب أعدائهم وأموال أعدائهم، وأن يزيدهم قوة ومنعة واجتماع الكلمة، إنه جَلَّوَعَلَا جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على خير خلقه محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

المُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَاةِ[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، وتمسك بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

يقول الله جَلَّ وَعَلَا في محكم التنزيل: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨].

وجاء في الحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ تَعَالَى، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ؛ كَانَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ»**[(٢)].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الصَّلاةَ يَوْمًا، فَقَالَ: **«مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا؛ كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ»**[(٣)].

فالصلاة -يا عباد الله- هي الركن الثاني من أركان الإسلام؛ من حافظ

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٢/٢٢هـ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٥)، والنسائي (٤٦١)، وابن ماجه (١٤٠١)، وأحمد (٣٦٦/٣٧).

(٣) أخرجه أحمد (١٤١/١١)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٣٣/١)، والطبراني في الكبير (١٦٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٢/١): «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد ثقات».

على هذا الركن وتعاهده، كان له عند الله عَهْدٌ أن يدخله الجنة، وكانت الصلاة له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة.

أمَّا من أضاع الصلاة، فقد أضاع أسهمه في الإسلام، وليس له عند الله عهد أن يدخله الجنة، وليس له نور ولا برهان ولا نجاة.

وقد أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها تغسل عن المرء الخطايا كما يغسل الماء الدرن، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟»**، قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: **«فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»**(١).

فالصلاة -يا عباد الله- هي عماد الدين، وهي العلامة الفارقة بين الإسلام والكفر، والمسلم والكافر.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»**(٢).

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرض موته الذي مات فيه يوصي بالصلاة ويقول: **«الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»**(٣).

فأوصى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصلاة والنساء؛ لأن الصلاة عمود هذا الدين

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨)، وأحمد (٢/ ٢٤) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وركنه المتين[١]، وهي التي تشد الروابط بين المسلمين، وتقوي بينهم الصلة، وتزرع الألفة، وتجني التعاون، والنساء هن المسؤولات عن الحضانة وتربية النشء، وحضانة البيت وصيانته وتطهيره، فإذا اعتُنِي بهنَّ اعْتَنين بالنشء، ورَبَّين النشء على مخافة الله، ومحبة الإسلام والتمسك بآدابه.

إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شدَّد في أمر الصلاة، وتوعَّد من تساهل فيها، بل توعد من ترك الجماعة بأن يُحرِّق عليه منزله بالنار؛ كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلاةٍ عَلَى الْـمُنَافِقِينَ صَلاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**»[٢]، وما ذلك إلا لأهميتها ومكانها من الدين، وقد قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

ولـمَّا كان الناس أن يؤدون الصلوات الخمس على الهيئة الواردة عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي أوقاتها، وفي الأماكن التي أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه؛ كانت أحوالهم أحوالًا كريمة، وحياتهم حياة مطمئنة، وكانت ناشئتهم ناشئة مباركة؛ تعطف على الصغير فترحمه، وتوقر الكبير وتكرمه،

---

(١) كما في الحديث عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رَأْسُ الأَمْرِ الْإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١)، والترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢١٤)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١) واللفظ له.

ولـمَّا فرَّط الناس في أمر الصلاة وقعوا تحت قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

إن الصلاة -عباد الله- لها شأنٌ وأيُّ شأن في الإسلام! من حافظ عليها نهته عن الفحشاء والمنكر، وملأت قلبه وجوارحه نورًا واطمئنانًا، ومحبة للخير وأهله، وكراهية للشر و أهله، من أعطاها حقها حفظته، فصار إنما يمشي بنور من الله، ويهتدي بهُدى الله الذي أنزله على الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

إن الله جَلَّوَعَلَا لا ينظر إلى صورنا وهيئاتنا وصحة أجسامنا، وإنما ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا(١)، والقلوب إنما تشرق وتستنير وتحيى وتطمئن بالمحافظة على قواعد الدين، والتقرب إلى الله جَلَّوَعَلَا بما فرضه علينا، وبعد ذلك بالنوافل.

ولتعلم -أخي المسلم- أن المرء مسؤول عند الله يوم القيامة عن كل شيء في هذه الحياة؛ فيُسأل عمَّا قل وما كثر، ويُسأل عن اللفتات والغفلات، ويجد عند الله جَلَّوَعَلَا كتابًا سُطِّرت فيه جميع أعماله؛ حتى يقول المفرط: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩].

فليحرص المسلم على أداء هذه الفريضة؛ الرجل مع الجماعة، وليوطن نفسه على ذلك وليتعاهدها؛ حتى تألف هذا الأمر وتحبه، وحتى يحس عندما تفوت فريضة واحدة فلا يدركها مع الجماعة كأنما أُصيب بخيبة أمل وخسارة عظمى، وقد أخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن: **«مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ»**،

---

(١) كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**. أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

أي: في كنفه وحفظه؛ يحفظه ويدافع عنه، ثم حذَّر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تُخفر ذمة الله، فقال: «**فَلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**»(١).

فإذا أراد أحدنا أن يحفظ نفسه فليحافظ على هذه الصلوات الخمس، وليؤدها الرجل مع الجماعة.

وقد ثبت في "الصحيحين" أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الفَجْرِ وَصَلاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»(٢).

فليحرص المسلم ألَّا تصعد الملائكة وهو غافل، وألَّا تقدم عليه وهو غافل، فإن صعودهم ونزولهم وقت أداء الصلاة، فإذا كان الإنسان على غفلة، وفي إهمال وسهو عن الصلاة وإعراض عنها، وافته ملائكة الليل وملائكة النهار -اجتمعوا وتفرقوا- وهو على غير الصلاة؛ ولذلك قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**»(٣)، وفي رواية: «**مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٤)

ومعنى ذلك: أن من أدى صلاة الفجر والعصر في وقتها دخل الجنة؛ لأن

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٧) من حديث جندب بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال المناوي في فيض القدير (٦/١٦٥): «وخصَّ الصبح؛ لأن فيها كلفة لا يواظبها إلا خالص الإيمان، فيستحق الأمان».

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٦٣٤) من حديث عمارة بن رُؤَيْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

من حفظ هاتين الصلاتين لا يتكاسل في سواهما؛ لأن صلاة العصر في الغالب أن الإنسان إما في نوم، أو في اشتغال بطعام عندما تتغير أحوال الناس في أوقات أعمالهم، أما صلاة الفجر فإن الغالبية من الناس يسهرون الليل، لكن هل على طاعة؟ أكثرهم يسهر الليل لكن على غير طاعة! فإذا جاء آخر الليل استغرق في نومه، وآوى إلى فراشه، ولم يستعد للقيام لصلاة الفجر، فلا يحضر هاتين الصلاتين ولا يؤديهما في وقتهما اللَّذين وَقَّتهما الله جَلَّ وَعَلَا لهما.

فلتحرص -أخي المسلم- ولتحافظ على هذه العبادة، ولتأمر من لك عليه أمرٌ من أهلك وممن تملك؛ توصيه كما أمرك الله جَلَّ وَعَلَا بقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢]، ليست العاقبة للجاه، والمناصب، والمال بأصناف اللذات وحصولها، وإنما العاقبة للتقوى، لكن طبائعنا وميولنا تتوجه إلى غير ذلك، إلا من رحم الله، ونسأل الله أن نكون من المرحومين.

فلتحرص أخي على هذه العبادة، ولا بد أن ينالنا شيءٌ من التقصير في أدائها؛ من سهو، وغفلة، وانشغال البال، فكمِّل ما يحصل من نقص بالإكثار من النوافل؛ حتى تكون سادَّة لما يحصل من خلل، وهو قد يحصل عند الكثيرين منَّا، وأكثر من ذلك.

فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك كان يكثر من النوافل، فكان يصلي أربع ركعات وربما أكثر من ذلك في الضحى[1]، وكان يصلي بعد العشاء أربع ركعات غير التهجد، وكان يحض

(١) كما في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ»، =

على المحافظة على ثنتي عشرة ركعة، والمحافظة: هي المداومة على أدائها؛ ففي الحديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا فِي بَيْتِي، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ»(١)، وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «حَفِظْتُ مِنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ رَكَعَاتٍ: رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المَغْرِبِ فِي بَيْتِهِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ فِي بَيْتِهِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاةِ الصُّبْحِ، وَكَانَتْ سَاعَةً لَا يُدْخَلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا، حَدَّثَتْنِي حَفْصَةُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ وَطَلَعَ الفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ»(٢).

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بالوتر -وإن لم يكن واجبًا- ويقول: **«أَوْتِرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا»**(٣)، ويقول: **«اجْعَلُوا آخِرَ صَلاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا»**(٤).

فاحرص -يا أخي المسلم- على التقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بالطاعة، والتلذذ بمناجاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والرغبة فيما عنده، فإن عند الله فضلًا عظيمًا وخيرًا جزيلًا يخص به سبحانه من شاء من عباده، وأكثر من يفوز بذلك من يتعرضون لنفحاته، ويتهيئون لأسباب المنح وأوقات توزيع الفضائل، ومن أفضل هذه الأوقات جوف الليل الآخر، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصي

=
أخرجه مسلم (٧١٩). وحديث أم هانئ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الفَتْحِ صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ سُبْحَةَ الضُّحَى»، أخرجه البخاري (١١٠٣)، ومسلم (٣٣٦).

(١) أخرجه مسلم (٧٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٠، ١١٨١) واللفظ له، ومسلم (٧٢٩) بنحوه.

(٣) أخرجه مسلم (٧٥٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٩٩٨)، ومسلم (٧٥١) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

من لم يستطع القيام آخر الليل أن يوتر أوله[1]، فمن استطاع أن يقوم آخر الليل فهو أفضل، فإذا طمعت ووثقت من نفسك بأنك تستيقظ آخر الليل لتصلى صلاة الوتر فذلك أفضل، وإن خشيت ألا تستطيع ذلك فاعمل بوصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد ثبت في "الصحيحين" عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: **«أَوْصَانِي خَلِيلِي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلاثٍ: صِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ»**[2]، هذه وصية من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصاحبه أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهي وصية منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكل فرد من أمته إذا استطاع.

أخي المسلم! أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ابن آدم يصبح في كل صباح وقد وجب عليه ثلاثمائة وستون صدقة؛ لأن جسم الإنسان يتكون من ثلاثمائة وستين مفصلًا، فعليه أن يتصدق بهذا المقدار، فقال الصحابة: وأينا يستطيع أن يدفع ثلاثمائة وستين صدقة؟! فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»**[3]، فإذا صليت ركعتي الضحى بهذه النية كفت عنك بذل ستين وثلاثمائة صدقة، فضلًا من الله جَلَّ وَعَلَا وإحسانًا على عباده، وتيسيرًا وتوفيقًا

---

(١) كما في حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ»**، أخرجه مسلم (٧٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١).

(٣) أخرجه مسلم (٧٢٠) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لمن شاء منهم أن يتقرب إليه.

فليحرص كل رجل منَّا وكل امرأة على التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بما يحبه من الأعمال الصالحة، وليحافظ على هذه الفريضة التي فرضها الله على أمة محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من فوق سبع سموات؛ فرضها خمس صلوات وكتبها لعباده خمسين صلاة في كل يوم[١]؛ إحسانًا منه على العباد، وقد حافظ عليها سلف هذه الأمة وأدَّوها كما نُقِلت لهم عن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ففازوا بعزِّ الدنيا وأمنها، وادَّخر لهم الله جَلَّوَعَلَا ما شاء من الثَّواب.

فاحرص -أيها المسلم- وربِّ أولادك من بنين وبنات على هذه العبادة والمحافظة عليها، ولا شك أن التكليف يبدأ من سن الاحتلام؛ من تمام خمس عشرة سنة، أو الاحتلام، أو إنبات الشعر حول الفرج، أو الحيض بالنسبة للمرأة، ولكن مع ذلك أمَرَ سيِّدُ الخلق صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يأمر الناس أبناءهم بالصلاة إذا أكملوا سبع سنين؛ ليتعودوا هذه العبادة، و يألفوا هذه الطاعة، ويرتادوا أماكنها، فقال: **«مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عليها وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»**[٢].

فإذا زُجِر الطفل من صغره وأُدِّب على أداء هذه العبادة، وارتفع قدرها في نفسه، وألِفَ أداءها؛ حتى إذا بلغ سن الاحتلام بلغ وقد ارتادت نفسه واعتاد هذا العمل الكريم، وواظبت على هذه العبادة الجليلة، وأصبح سبب خير

---

(١) كما في حديث مالك بن صعصعة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢).

(٢) أخرجه أحمد (١١/ ٢٨٤)، وأبو داود (٤٩٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وأخرجه بنحوه الترمذي (٤٠٧) من حديث سبرة بن معبد الجهني رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

لنفسه ولأهل بيته؛ يدعو لهم في سجوده وفي ركوعه، ويتضرع إلى الله جَلَّوَعَلَا؛ لأن يغفر له ولوالديه ولأسرته.

فاجتهد -أخي المسلم- وعوِّد أهل بيتك من بنين وبنات على التقرب إلى الله بهذه العبادة، وشُدَّ على أيديهم إذا وجدت الإهمال أو التقصير، إن أحدنا يقسو وتشتد قسوته إذا رأى من طفله تساهلًا في مذاكرته وتقصيرًا في أداء امتحانه، ويضربه -وهو ابن سبع- إذا قصَّر في الذهاب للمدرسة، ويراه يتكاسل عن العبادة، ويغفل عن الصلاة، ولا يحسن الوضوء، ولا يدري كيف الاتجاه إلى القبلة، فلا يحرك ساكنًا، ولا يبدي أيَّ تأثر! بل إذا قُدِّم له في المدرسة شُكرٌ على ورقة الإجابة بادرهُ بالجائزة، وإذا رآه يلعب في البيت وقد عاد من الصلاة -إن كان من أهل المسجد- لم يحس تجاهه أي إحساس!

لا شك أن هذا من الخَسَارِ ومن التساهل، ومن غرس الإعراض عن هذه العبادة في نفوس الناشئة، ولكنك مسؤول عنهم؛ كل واحد منَّا راع في هذه الحياة ومسؤول عن رعيته؛ كما قال سيِّدُ الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»**، ثم عدَّد درجات الرعاية؛ من ربِّ المنزل ومسؤوليته عن رعيته، وربَّة البيت الزوجة ومسؤوليتها عن بيتها ومن فيه، والخادم ورعايته في مال سيده ومسؤوليته عن هذه الرعاية، ثم قال: **«أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»**[1].

فليُعد الجواب للاختبار والامتحان، والسائل قد أحاط بكل شيء علمًا،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٩)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

لا تنفع معه الحيل، ولا تجزئ عنده الحجة، ولا يغيب عنه شيء، بل يقيم الحجة على المرء من نفسه، وتشهد عليه جوارحه، وفمه قد خُتِم عليه.

فلتتقوا الله -يا عباد الله- ولنعمل صالحًا؛ لعل الله جَلَّوَعَلَا أن يقينا الكُرُبَات، وأن يُفَرِّج عنَّا المحن، ويدفع عنَّا المصائب والبليات، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يرزقنا السعادة في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد؛ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩].

فعليك أيها الرجل، وعليكِ أيتها المرأة أن تتعاونا على البر والتقوى، وأن يكون كل واحد منكم عونًا لصاحبه.

وبهذه المناسبة أذكر أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثنى على الرجل الذي يقوم من الليل يتهجد فيوقظ زوجته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، والمرأة التي تقوم في الليل تتهجد فتوقظ زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء[1]؛ لأنهما يتعاونان على البر والتقوى، ويجب على كل واحد منهما أن يكون صاحبه مُعِينًا على التقرب إلى الله.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم ذا الجلال والإكرام أن يرزقنا أجمعين قلوبًا حية مطمئنة، وأن يُحيي قلوبنا، وأن يشفيها من مرضها، وأن يزيدها من كل خير، وأن يرزقنا محبة اتِّباع محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدعوة إلى

---

(١) كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»**. أخرجه أبو داود (١٣٠٨)، والنسائي (١٦١٠)، وأحمد (١٢/ ٣٧٢).

دينه، والصدق في معاملة الله جَلَّوَعَلَا.

أسأله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يرزقنا ألسنة رطبة من ذكره، وأن يكون ذلك خالصًا لوجهه، وأن يسددنا في أعمالنا كلها، وأن يرزقنا الاستقامة والمحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، وأن يؤديها أهل المساجد في المساجد، وأن يتقبلها منهم، وأن يصلحنا ويصلح أهل بيوتنا، ويرزقنا صلاح ذرياتنا، وصلاح النية وطهارة الأنفس والأهل والأولاد.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يصلح ضالَّ المسلمين ويهديه، و يشبع جائعهم، ويكسو عاريهم، ويعزَّ ذليلهم، وينصر مظلومهم، إنه جَلَّوَعَلَا جواد كريم.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يظلَّ بلادنا في كل مكان بظلِّ الأمن والأمان والاطمئنان، والعزة والسعادة، والغنى عن أعدائنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، اللَّهُمَّ آمنَّا في أوطاننا، اللَّهُمَّ أَعِزَّ ولاة أمورنا بدينك، ولا تخذلهم بمعاصيهم يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ وفِّق ولاة أمر المسلمين في كل مكان لتحكيم كتابك وسنة نبيك، والقيام بأمرك، وحمل عبادك على طاعتك، يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفقهم وشدَّ أزرهم، وأصلح بواطنهم، وأصلح ظواهرهم يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ وفقهم لما تحب وترضى، اللَّهُمَّ زد ولاة أمر هذا البلد بمزيد من التوفيق والتسديد، والهداية والرشاد، والإصلاح والاستقامة، اللَّهُمَّ حبِّب إليهم طاعتك وطاعة رسولك صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقوِّهم يا حي يا قيوم على الأخذ بدينك، ومنع أهل الباطل وأهل التشويش عن العبث في أرض الله يا رب العالمين، اللَّهُمَّ وفِّقهم وشدَّ أزرهم، وأكثر من أعوانهم، وانصرهم

بالحق ولا تخذلهم، وهيئ لنا أجمعين من أمرنا رشدًا.

اللَّهُمَّ أرنا في الفجرة الطغاة؛ من اليهود، والنصارى، والشيوعيين، والملاحدة، والباطنيين، وسائر الكفرة، أرنا فيهم عجائب قدرتك وعظيم عقابك، وأنزل بهم بأسك الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين، ووفِّق المجاهدين في سبيلك لاجتماع الكلمة، وعاجلهم بنصرك وتأييدك، وامنحهم السَّداد واجتماع الكلمة يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ وفِّق الدعاة إليك يا رب العالمين للصدق في الدعوة وإخلاص العمل في ذلك، وافتح لهم القلوب، ومهِّد لهم السبل، وأكثر من أنصارهم، واجعلنا أجمعين من الدعاة إليك بحق يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على خير خلقه محمد، وعلى آله الطيبين وصحابته أجمعين.

ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ثبت في "الصحيحين" وغيرهما من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»**[١]، هذه الثلاث التي ذكرها سيد الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من توفرت فيه ذاق حلاوة الإيمان.

والإيمان بالله، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرِّه، قد لا تُتصور حلاوته؛ لعدم توفر أسباب تذوقها، ولكن يمكن أن يصف الإنسان الشيء ولو لم يذق طعمه، فإن الإنسان إذا سُرَّ بطاعة وفرح بها، وشعر بالغبطة إذا عمل عملًا خالصًا لوجه الله، وإذا ساءه أي تقصير يحصل منه، وندم على ارتكاب أي ذنب؛ **«مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ»**[٢]، من إذا رأى أمر الله جَلَّوَعَلَا وأمر رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تاقت نفسه للإتيان بما أمر الله

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (١/٢٦٨)، والترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في الكبرى (٨/٢٨٦) من حديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ موقوفًا ومرفوعًا.

به ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا عجز عن الإتيان به أحسَّ بالندم والأسى، وإذا رأى ما نهى الله عنه ورسوله وَجَدْتَ نفسه منزجرة غاية الانزجار؛ امتثالًا لأمر الله، وخوفًا من ارتكاب ما نهى الله عنه.

وأن يكون الله جَلَّ وَعَلَا ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب إليه مما سواهما، وكيف تتحقق محبة الله ومحبة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

إنما تتحقق بصدق امتثال الأوامر والنواهي، ومحبة العمل فيما يُرضي الله، والجِدِّ في إيصال الخير إلى عباد الله بمختلف صنوف الخير، أن يحب أن يكون الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب إليه مما سواهما؛ فتعارضت في النفوس رغبات، وحب الشهوات، ورغبة في مطالب الدنيا، فإذا أهملها الإنسان طلبًا لمرضات الله، واكتفاءً بما قسم الله وما أحلَّ، وأعرض عن كل ما حرَّم الله، وتجنَّب المكروهات والمشتبهات؛ اتقاءً لدينه وعرضه، وتحقيقًا لمحبته لله ولرسوله، فقد صدق في حبِّه لله جَلَّ وَعَلَا ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذا قدَّم طاعة الله على طاعة الزوجة والولد، والقريب والبعيد، وهوى النفس، إذا قدَّم أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمر النفس وأمر كل مخلوق، فإن هذا من دليل محبة الله ومحبة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقديم حب الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حب كل أحد.

أمَّا محبة المرء لله -فكما مر في كلام سابق- أن تحبه لأجل ما هو متصف به من الطاعة، وأن تعمل له المعروف من أجل طاعة الله ورغبة في ثوابه، أن تكره الإنسان لا لشيء، لا لأجل أمر غرَّك به في الدنيا، ولكن لما هو عليه من المعاصي، ولما هو عليه من الجرأة على الحرمات، تبغضه لذلك لا لشيء دنيوي، تكون محبتك وبغضك إنما هو في فلك الشريعة، تبغضه حيث يرضى الله

ورسوله أن تبغض، وتحب حيث يحب الله ورسوله أن تحب، ولا تبالي بهوى النفس ومطالبها، ولا برغبات الأهل ومطالبهم، ولا بالعصبية والقرابة، لا يمنعك حب أهلك وعشيرتك من أن تبغض أهل المعاصي ولو كانوا منهم، ولا يمنعك كراهية أحد لأمر من الدنيا أن تحبه في طاعة الله.

لابد -أخي المسلم- أن تكون محبتنا وكراهيتنا لله جَلَّ وَعَلَا وبالله؛ لنذوق طعم الإيمان.

إن طعم الإيمان -يا عباد الله- وحلاوته قلَّ من يتذوقها؛ وذلك لكثرة المعاصي، وعدم تحقيق محبة الله ومحبة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إن كثيرًا من الناس يلهجون بحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا رأيت أعمالهم ونظرت إلى أقوالهم وهيئاتهم وجدت أنها فارقة لمخالفة سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! إن أدلة حب الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هي في متابعة شرع الله وشرع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلابد -يا أخي المسلم- أن ننظر إلى ذلك، فإن كنَّا نحب أن تتحقق عندنا محبة الله ومحبة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن تتفوق على محبة الخلق أجمعين، فلننظر إلى طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أنفسنا، هل هي مقدمة على كل شيء من أمور دنيانا؛ على مطالب أنفسنا وأزواجنا وأهلينا؟ أم أن طاعة الله تأتي تابعة؛ كما هي الحال عند الكثير من الناس؛ يطيع الله حتى إذا تعارض أمر الله جَلَّ وَعَلَا ورغبة النفس في المال والشهوة والرفعة والعلو في الأرض؛ قدَّم ذلك على طاعة الله جَلَّ وَعَلَا وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

إن الإنسان في حال السِّعَة وإذا لم يمتحن قد يدَّعي أن محبة الله ومحبة رسوله فوق كل شيء، ولكنه إذا عرضت له شهوة مال أو منصب، أو ملذات،

أو غير ذلك؛ تبينت حقيقة الدعوة من زيفها، فإذا قدَّم الإنسان طاعة الله جَلَّ وَعَلَا على جميع مطالب الدنيا، وقدَّم طاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مطالب الدنيا كلها؛ علمنا أنه صادق في أن حب الله وحب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوق كل شيء عنده.

وإن الإنسان إذا زعم أنه يحب في الله ويبغض في الله، فلا يصح له أن يبغض أحدًا قط لعصبية، أو أن يكتم شهادة لأنها على قريب، لابد أن يقول الحق وإن كان مرًّا، لابد أن يحب الإنسان لأنه مطيع لله، وأن يكره الآخر لما اشتمل عليه من معصية الله، فليحرص المسلم يا عباد الله.

ثم تأتي الخصلة الثالثة التي لابد من توافرها مع الخصلتين السابقتين ليتذوق المرء حلاوة الإيمان: **«أَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»**، إن كل أحد -من عاقل وسفيه- لا يرضى أن يُلقى في فرن من الأفران، ولو قيل له: تخل من جميع ما تملك واخرج بجلدك لا بثوبك وإلا فهذه الحفرة من النار تلقى فيها الآن؛ لخرج من ذلك كله، مع أن نار الدنيا -كما نعلم- ينتهي عذابها بمفارقة الروح للجسد، أو بإطفائها بعد ساعات أو لحظات، أما نار الآخرة فلا يخفف عن أهلها من عذابها من شيء، لا يُفَتَّر عنهم العذاب وهم فيها -والعياذ بالله- خالدون.

إن ذلك -أخي المسلم- بتحقيقه يحصل المرء على حلاوة الإيمان، ويشعر بلذة الإيمان وحلاوته، يذوق طعمًا ما ذاقه في مشتهيات الدنيا؛ ولذلك يقول بعض علماء السلف من أهل التقوى والورع والطاعة المستمرة: «لَوْ عَلِمَ

المُلُوكُ وَأَبْنَاءُ المُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ»[١]، لو علم أهل الدنيا ما نحن عليه من النعيم من لذة الطاعة وتذوق حلاوة الإيمان؛ لأن هذا هو اللذة، لو علموا ذلك لجالدونا، لو لم يحصل لهم إلا بالقتال لفعلوا.

فهذه هي الحياة الطيبة، ليست الحياة الطيبة أن نسعد بالأموال، وأن نتذوق الملذات على مختلف صنوفها، وأن نصل إلى الجاه وإلى المناصب العالية، وأن نتصرف بالخلائق، فإنها كلها عارية، سرعان ما تذهب لذتها ويبقى حسابها وعقابها، أو نعيمها لمن عدل واتَّقى الله جَلَّ وَعَلَا، ولكن ملذات حلاوة الإيمان هي التي لا تضمحل ولا تزول، بل كلما طال الزمن تأثرت هذه الحلاوة وزاد رحيقها.

فاحرص -أخي المسلم- على المحافظة على دينك، ونمِّ طاعتك بكثرة العبادة، ونمِّ إيمانك وزده بكثرة ما تعمل لله جَلَّ وَعَلَا من الطاعات، وأحسن إلى عباد الله ليحسن الله إليك، وتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بما تحب أن تراه في صحائف أعمالك.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يجعلنا أجمعين ممن يتذوقون حلاوة الإيمان، وأن يهيئ لنا من ذلك ما يثقل موازيننا يوم العرض والحساب، أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يرزقنا خوفه ورجاءه، وتقديم أمره جَلَّ وَعَلَا وأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كل أمر وعلى هوى أنفسنا.

كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا التحاب في الله ومعاداة أعداء الله، وأن يرزقنا حب الإسلام، والتمسك به، والدعوة إليه، والعض عليه بالنواجذ حتى نلقى

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٧٠) من قول إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ.

ربنا بمنه جَلَّوَعَلَا وكرمه.

اللَّهُمَّ امنحنا يا ربنا القبول، وتجاوز عنَّا يا حي يا كريم، وزدنا من كل خير، وتجاوز عن سيئاتنا، واجعلنا ممن قلت فيهم إنك تتقبل عنهم أحسن ما عملوا، وتتجاوز عن سيئاتهم، يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ تب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم، وارحمنا يا أرحم الراحمين، وزدنا من كل عمل صالح.

اللَّهُمَّ يا إلهنا وفِّقنا في أيامنا المقبلة وليالي العشر المباركة لكل خير، وجنبنا كل شر، وتب علينا وأذِقْنا حلاوة الإيمان.

اللَّهُمَّ زدنا من الخير والبر يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أنت الله الذي لا إله إلا أنت، نسألك بأسمائك وصفاتك، نسألك بأنك قلت: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، نسألك بأسمائك الحسنى أن ترحم ضعفنا، وتجبر كسرنا، وتفرج همومنا، وتغفر زلَّاتنا، وتغفر لنا ولوالدينا وأبنائنا وأزواجنا، وسائر أقاربنا يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ اغفر لنا في هذه الليلة أجمعين، اللَّهُمَّ اغفر لنا في هذا المكان أجمعين، اللَّهُمَّ حط عنا الأوزار والخطايا، وبدل سيئاتنا حسنات إله العالمين.

اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّ المسلمين، واكسُ عاريهم، وأشبع جائعهم، وأغنِ فقيرهم، وأعز ذليلهم، وانصر مظلومهم، واهدِ ظالمهم، واجبر كسرهم أجمعين، ومُنّ عليهم يا حي يا قيوم بالخير والرغد، والأمن والأمان يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أنت الفعال لما تريد، اجمع كلمة المسلمين على الحق، اللَّهُمَّ أصلح

ولاتهم، اللَّهُمَّ اهدهم سبل السلام، وارزقهم خوفك ورجاءك في السر والعلانية، اللَّهُمَّ حبب إليهم تحكيم كتابك وسنة رسولك محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفِّقهم لاجتماع الكلمة، وتوحيد الصف، والقيام بأمرك، وتعزيز المجاهدين في سبيلك، ونصرة الدعاة إليك يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل الصوم والتهجد، وتقبله منا، إنك الجواد الكريم.

اللَّهُمَّ وفِّق ولاة أمر هذا البلد، وزدهم من الصلاح والتُّقى، وامنحهم يا حي يا قيوم البصيرة في الدين، وارزقهم من رزقك الواسع، وهيئ لهم من أمرهم رشدًا، واجعلهم رعاة أمناء وقادة أتقياء، ودعاة إصلاح موفقين يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اجمع الراية بأيديهم واجمع كلمة المسلمين، ويسر النصر على أيديهم لعبادك المؤمنين، وشد أزرهم، وارزقهم إعانة المجاهدين، وامنحهم يا حي يا قيوم التوفيق والتسديد.

اللَّهُمَّ اجعل كلمتهم كلمة الحق، واجعلها مقبولة عند عبادك يا رب الخلق أجمعين، اللَّهُمَّ أعنهم ووفقهم للمحافظة على أمن هذه البلاد، وتأمين السبل المؤدية إلى بيتك العتيق ومسجد رسولك الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ كافئهم بالعز والتمكين في الدنيا، والثواب المقيم في دار الآخرة يا أكرم الأكرمين، ولا تحرمنا أجمعين ذلك بمَنِّك وكرمك وجودك.

اللَّهُمَّ وفِّقهم وأصلح بطانتهم، وارزقهم التعاون فيما بينهم، وشد أزرهم بالحق، واجعل نصرة الإسلام أحب الأشياء إليهم يا إله العالمين، واخلف عليهم خيرًا مما ينفقون في ذلك.

اللَّهُمَّ أذل اليهود، اللَّهُمَّ أذل اليهود وأعوانهم من طوائف الكفر والإلحاد والشيوعيين والفجرة المارقين، اللَّهُمَّ أنزل عليهم بأسك الذي لا يُردُّ، اللَّهُمَّ

أذقهم عذابك الأليم في الدنيا يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أقض مضاجعهم، وأفزعهم في ليلهم ونهارهم، وسلط عليهم أهل الحق يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ عاجل المجاهدين بالنصر والتمكين، واستنقذ أوطانهم من أيدي أعدائهم يا أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على الهادي الأمين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الدَّعْوَةُ إِلَى الهُدَىٰ والضَّلَالَةِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فقد روى الإمام أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»**(١).

فهنيئًا -يا عباد الله- للدعاة الصادقين، هنيئًا للذين يدعون إلى الله جَلَّ وَعَلَا على بصيرة، لا تنقطع أعمالهم، ولا يستمر ارتفاع التغاضي لهم، كلما كثر العاملون بدعوتهم والمتبعون للهدى الذي دعوا إليه استمر لهم الأجور، دون أن تُنتقص أجور أولئك؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا غني حميد، واسع الغنى، عظيم الهبات، يثيب من أحسن إلى نفسه وإلى عباد الله بالدعوة إلى الهدى والإرشاد عن الضلالة بأن يستمر لهم العمل ما دام يُعْمَل بدعوتهم؛ ولذلك فإن نبي الهدى محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجره مثل أجور أمته إلى يوم القيامة بدعوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذا أتباعه، الصادقون في اتباعه، المتجنبون للبدع، الحريصون على إحياء السنن ونشرها بين الناس، يُكتب لهم من الثواب بقدر من يعملون بما دعوا إليه من سُنَّة إلى يوم القيامة، دون أن ينتقص من أجور أولئك ما يعطاه الداعون الذين اهتدوا بهم.

---

(١) أخرجه أحمد (١٥/٨٣)، ومسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلتهنأ نفس من دعا إلى هدًى، ولتقر عينه، وليحمد الله جَلَّوَعَلَا على هذا الفضل المستمر والثواب الذي لا ينقطع، مادام يوجد من يعمل بدعوته؛ ولذا فإنه ينبغي للإنسان أن لا يحتقر نفسه، وأن يدعو إلى كل هدًى علمه إذا رأى من يخالف الهدى، وألَّا يقول: إني لست مؤهلًا لذلك، إذا تيقن أن ما رآه من الآخرين خطأ مخالف لسنة سيد الخلق فليرشد لما يعلم، فإن هذا هو مقتضى هذه الخيرية التي أشار إليها القرآن الكريم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إنه لفضل عظيم -أيها المسلمون- أن يستمر للإنسان ثواب دعوته؛ ولذلك يقول نبي الهدى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ»**، وذكر منها العلم الذي ينتفع به[(١)]، فأنت إذا دعوت إلى هدًى وعُمل بدعوتك، فبما عُمِل يستمر ذلك العلم الذي يُنتفع به لا ينقص الأجر ولا ينقطع حتى يقف العمل بذلك الهدى.

إن الإنسان ينبغي له أن يجتهد في ذلك، وأن يتحرَّى، وأن يحرص على التعلم، وأن يحرص مع ذلك على التعليم والإرشاد، فإن **«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ»**[(٢)]، **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**[(٣)]، هكذا قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا شك أن كل عاقل رشيد يحب لنفسه أن يكون على طريق الهدى، ويكره لنفسه أن يكون على طريق الضلال المؤدي

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

إلى طريق جهنم والعياذ بالله.

وإذا كنا كذلك -وأرجو أن نكون أجمعين كذلك- فلنحرص على نشر هذا الهدى، وإشاعة الحق بين الناس والدعوة إليه؛ لعل الله أن يكتبنا مع الدعاة الذين يدعون إلى الله على بصيرة، المتبعين لرسول الهدى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الله جَلَّ وَعَلَا قال له: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨]، فكل من دعا إلى هدًى يطلب بذلك ثواب الله ويخاف عقابه فهو متبع للنبي المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإن في المقابل -أخي المسلم- من دعا إلى ضلالة، ومن حفَّز معصية، ومن أشاع فسادًا في البلاد، يُكتب عليه من الوزر بما عمل، وبمثل أوزار من عملوا بدعوته وانتشر الفسادُ بينهم بسببه، دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا؛ لأن من شاع بالفساد، ونشر الرذيلة، وحفَّزَ الفواحش وعمل على انتشارها بين الناس، تحمَّل ما ارتكب هو؛ تحمَّل وزر من ارتكب، وحمل مثل أوزار من اتبعوه دون أن يخفف عن أولئك.

إنه ينبغي لك -أخي المسلم- أن تحرص على مصلحة نفسك ونجاتها، ومصلحة إخوانك ونجاتهم، وأن تدعوهم على قدر استطاعتك، وأن تتجنب أن يتأثر أحد بك أو يقتدي بك في عمل سيئ، أو منكر تُطيع فيه هواك ونفسك الأمارة بالسوء والشيطان الذي يركض على الناس بخيله ورجله، فإن الشيطان وَعَد -ولكن نرجو الله أن يخيب رجاءه- أن يحتنكن ذرية آدم إلا من شاء الله من عباده المخلصين، نسأل الله لنا ولإخواننا أجمعين أن نكون منهم ومن المخلصين.

فيا هنيئًا لمن وفقه الله جَلَّوَعَلَا، ولا سيما في مثل هذه الأيام التي تتهيأ فيها قلوبنا للدعوة، وترتاح النفوس لاستقبال الإرشاد والتوجيه؛ لأن مجاري الشيطان قد ضاقت بالصيام، ولأن التعاون على الخير قد نشط بالعبادة، فإن الإنسان إذا التفت يمنة ويسرة ورأى كثرة السالكين على طريق الهدى تشجع ونشط، وإذا رأى القلة -إن لم يكن له تأييدٌ وتوفيق من الله جَلَّوَعَلَا- أحسَّ بالفتور؛ لأن كثيرًا من الناس يستوحش إذا سار في الطريق وحده، وإذا رأى معينين ومؤازرين نشطت نفسه وسار.

وفي هذه الأيام الأعوان -بحمد الله- بكثرة، والمتسابقون إلى الطاعة يراهم الإنسان يزاحمونه ويزاحمهم، وقد يستبقونه.

فليحرص الواحد منَّا على أن يكون من أهل الدعوة إلى الهدى والجادين في ذلك، وأن يتجنب طريق الفريق الآخر، فإن الناس فريقان: فريق الدعاة إلى الهدى وأنصار حق ومشيعوه رحمة بين العباد، وفريق دعاة ضلالة وخداع في الطرق، يدعون الناس إلى النار، من أجابهم قذفوه فيها؛ كما صفهم نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١).

فلنحذر منهم يا عباد الله، ولنجتهد في توجيههم وإرشادهم؛ عسى الله جَلَّوَعَلَا أن يوقظ قلوبهم، ويصرف أهواءهم وميولهم ويجرها إلى الحق، وهو جَلَّوَعَلَا الفعَّال لما يريد.

فاغتنم -أخي المسلم- فرصة إقبال النفوس، فإن للدين إقبالًا وإدبارًا، وإن للنفوس تأهبًا وتقبلًا للخير، وإعراضًا وصدًّا عنه، والعاقل من يغتنم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

فرص الإقبال، فيحثُّ بها دعوته، وينشر بها ما يدعو بها إلى الهدى؛ لعل الله أن يكتبه في سجل الدعاة وفي سبيل المهتدين، جعلنا الله جميعًا من الذين يدعون إلى الهدى ويشيعونه بين الناس، متبعين نبي الهدى محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعاذنا الله أجمعين من طريق الذين يدعون إلى الضلالة، ويشيعون المنكر بين الناس، ويزينون لهم الباطل ويمنُّونهم ويعدونهم كما يعدهم الشيطان ويمنِّيهم، فاحذروهم -يا عباد الله- فإن كثيرًا من دعاة الباطل إنما هم من بني جنسنا، ويتكلمون بألسنتنا، فلنحذرهم، فإن الحق عليه ضياء، ودعوة الحق لها إشراق وأنوار كاشفة عليها من الله جَلَّ وَعَلَا برهان؛ إذا رأيناها تدعو إلى طاعة الله الرحمن، ومعصية الشيطان، واتباع سيد الخلق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونبذ الخرافات والبدع، فلنعلم أنها دعوة حقٍّ، وإذا رأينا أنها دعوة لا تتفق مع منهج الرسالة وليس عليها نور من نور القرآن الكريم، فلنتجنبها، فإن فيما دعا إليه رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُنية ونجاة.

أسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا أجمعين من دعاة الهدى والمشيعين له، والمستجاب لهم بمنه جَلَّ وَعَلَا وكرمه، وألَّا ينقطع عملنا إلى يوم نلقاه.

أسأله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يهيء لنا من أمرنا رشدًا، وأن يوفقنا لصالح العمل، وأن يقبل لنا عملنا وتهجدنا وجميع جوارحنا، وأن ينفعنا بما علمنا وبما سمعنا، وأن يوقظ ضمائرنا بمنِّه جَلَّ وَعَلَا وكرمه.

أسأله سبحانه أن يغفر لنا في هذه الصلاة أجمعين، وأن يتجاوز عن جميع سيئاتنا السالفة، وأن يوفر لنا طاعتنا، ويرفع بها درجاتنا يوم نلقاه، وأن يدفع عنَّا بها كل مكروه في دنيانا وآخرتنا.

وأسأله أن يصلح ولاة المسلمين أجمعين، وأن يهدي ضالهم، ويشبع

جائعهم، ويكسو عاريهم، ويغني فقيرهم بمنه وكرمه، وأن يعز ذليلهم، وينتصر لمظلومهم، وأن ينتقم من أعدائنا أعداء الدين.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يشيع الخير والرغد والرخاء في بلاد الإسلام، وأن يرفع المحن والفتن، وأن يزيل المصائب عن أمتنا الإسلامية، وأن يحل بينها طاعته جَلَّ وَعَلَا وطاعة رسوله، والقيام بأمره، والرفاهية والرغد والأمان بمنِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وكرمه.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يصلح ولاة المسلمين في كل مكان، وأن يهديهم، وأن يهدي بهم، وأن ينصرهم بالحق وينصر الحق بهم، وأن يقيم بهم العدل في كل مكان، أسأله أن يجمع كلمتهم، ويوحد صفهم، ويبعدهم عن النفاق والخداع، ويجعلهم متعاونين على البر والتقوى صادقين في ذلك، إنه جواد كريم.

كما أسأله أن يخص ولاة أمر هذا البلد بمزيد من الخير والتقى، والسعادة والصلاح، وأن يصلحهم ويهديهم ويوفقهم لصالح العمل، وأن يهدي بهم ويصلح بهم، وأن ينصر بهم الحق، وأن يصدهم عن كل منكر، وأن يصلح بهم البلاد والعباد، وأن يؤمن بهم ربوع هذه البلاد، وأن ييسر على أيديهم جمع كلمة المسلمين، وأن يجعل ذلك منهم احتسابًا لوجهه وطلبًا لمرضاته، وأن يكافئهم على ذلك بالخير العظيم، والفضل الجسيم، والعز في الدنيا والآخرة، ونحن في هذا المكان معهم بمنه جَلَّ وَعَلَا وكرمه.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن ينتقم لنا من أعدائنا أعداء الدين، وأن يعاجلهم بعذابه، وأن يسلط عليهم النكال والبلاء، وأن يزلزل أقدامهم، وأن يقض مضاجعهم، وأن يصيبهم بالمصائب، وأن يرفع أذاهم عن الأمة الإسلامية.

أسأله أن يذل اليهود، والنصارى، والملاحدة الباطنيين، وسائر الكفرة

المارقين، بمنِّه سبحانه وكرمه، وأن ينصر المجاهدين في سبيله.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن تكون بقية هذه العشرة أيام انتصارًا للمجاهدين، وأيام فتوح ورغد، واجتماع كلمة، واتباعًا للسنة فيما بينهم، وفي سائر بلاد الله، وأن لا يأتيهم العيد إلا وقد عادوا بانتصارهم على عدوهم، وإخراج أعداء الإسلام من بلادهم، وهو القادر على ذلك، وهو على كل شيء قدير.

اللَّهُمَّ استجب دعاءنا، اللَّهُمَّ استجب دعاءنا، ومُنَّ علينا بالصلاح والفلاح، وارحمنا واغفر لنا ولأبنائنا وأمهاتنا وأزواجنا وأقاربنا يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ أصلحنا أجمعين، وأصلح ذرياتنا وأزواجنا يا أكرم الأكرمين، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا بمنك وكرمك، فإنك أكرم الأكرمين، وصلَّى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته، أما بعد:

يقول الله جَلَّوَعَلَا في محكم التنزيل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٣-٣٥].

عباد الله! ربكم جَلَّوَعَلَا رازقكم، والمدافع عنكم، وصاحب الإحسان المتتالي عليكم؛ يخبر أنه لا أحد أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال: إنني من المسلمين؛ لابد أن يتوفر فيه ذلك:

- أن يكون عاملًا للصالحات.
- وأن يكون من المسلمين.

فالدعوة إلى الله بحق، والسعي لهداية البشر وإيصال النفع إليهم هو أحسن الأعمال؛ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾، شتَّان بين أهل الإحسان إلى الخلق، والرأفة بهم، ودعوتهم إلى الخير، والعطف عليهم، وبين من يحملهم على الفساد، ويحضر لهم المنكرات، ويدعوهم إلى الإلحاد، ويحملهم عليه!

شتَّان بين من يأمر بالمعروف، ومن يأمر بالمنكر! ومن يدعو إلى دين الله، ومن يدعو إلى دين الشيطان! ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾.

شتَّان بين مَنْ خَيرُه واصلٌ، وشرُّه ممنوع، ولسانه رطب من ذكر الله، ودعوته للخلق بطاعة الله بقوله وفعله، ورؤيته تُذَكِّر بالآخرة، ودعوته إلى الله على بصيرة، وبَيْن من يأمر بالمنكر، ويحمل الناس على الفساد، ويُحَسِّن لهم القبائح، ويظلمهم ويسومهم سوء العذاب!

لا أحد أحسن من أهل التُّقَى والدعوة الصالحة، والسعي المتواصل لإرشاد العباد، إذا خلصت النية، وسلم القصد، وتحققت متابعة سيد الخلق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول إلهنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ لا أحد أحسن قولًا ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، فلا يحتقرن مسلم نفسه، ولا يتهاون أحد بالدعوة، ولا يستَقِلَّنَّ ثوابها وأجرها، فرُبَّ كلمة واحدة يهدي الله بها خلقًا، ورُبَّ توجيه واحد سليم يكتب الله لك به السعادة، ويُدافع عنك ويمنحك جَلَّ وَعَلَا بسببه التوفيق والسَّداد في الدنيا والآخرة.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، لا بد -أخي المسلم- أن تكون الدعوة مقرونة بالعمل الصالح، وإلَّا فإن من دعا إلى معروف وخالفه، ونهى عن منكر وارتكبه، معرضٌ لقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢، ٣].

أخي المسلم ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فصلت:٣٤]، شتَّان بين من يدعو إلى الله على بصيرة، ومن يُسَفِّه أحلام المتقين، ويشوِّه طاعات

المطيعين، ويحبب المنكرات والفساد، ويدعو إلى الفجور والإلحاد، ويحسِّن القبائح، ويحتقر السُّنَّة ويمقت أهلها، ويمجِّد الباطل وأهله! شتان بين هذا وذاك! ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ الحسنة إذا دفع بها انقلب العدو صديقًا والبعيد قريبًا.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، ادفع ما يسوؤك، ادفع ما غاظك وما آذاك بالحسنى، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾، قد يكون الولي غير حميم، ولكن من تملكه بأخلاقك الإسلامية، وتأسره بصفاتك الكريمة مع العمل الصالح والدعوة إلى الله، يُصبح كأنه ولي من الأقارب، حميمٌ يودك ودًّا شديدًا، لكن من يحصل على هذا؟!

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾، إنما يُلَقَّى هذه الصفات الحميدة، ويتحمل هذه الأعمال الجليلة، أهل الصبر والإيمان، أهل التقوى والاستقامة ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، ليست الحظوظ -يا أخي- بارتفاع المناصب، وامتلاك الثروات، وحيازة الأموال المكدسة، والحصول على ما زُيِّن للناس من شهوات الدنيا؛ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران:١٤]، ليست هذه هي الحظ العظيم، وإنما الحظ العظيم أن يكون الإنسان قائمًا بالدعوة إلى الله، عاملًا بالصالحات مسلمًا،

فلا أحد أحسن من ذلك.

فيا أمَّةَ الإسلام! لطالما خيَّم على أمَّتِنا الركود، ولطالما تراكم عليها غبار المعاصي والغفلة، ولطالما تكالبت عليها الأعداء بسبب غفلتها عن طاعة المولى جَلَّوَعَلَا، إنه لا منجاة -عباد الله- مما نحن فيه من فرقة متناهية، وبلاء منتشر، وفقر شاع في كثير من بلاد الإسلام، وتقصير في أوامر الله جَلَّوَعَلَا، وتعطيل لكثير من حدود الإسلام، وإشاعة للمنكر والفساد؛ لا وسيلة إلى تقويض ذلك كله إلَّا بالرجوع إلى الله، إلَّا بأن يقول الإنسان قولًا سليمًا، إلَّا بأن يكون من أهل القول الحسن.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، إنه لا منجاة لنا -يا عباد الله- من أهوال مقبلة، ومصائب قد انعقد سحابها، وشرٍّ مستطير قد تلبدت به آفاق عالمنا الإسلامي، إلا بالرجوع إلى الله الخالق الحكيم.

إنه لا نجاة -أيها المسلمون- إلا بأن ترجعوا إلى الخلَّاق العليم؛ رجوع الأوابين الخائفين الراجين ثوابه الخائفين من عقابه، وإنَّ مَنْ صَدَق مع الله وأقبل عليه وتوكل عليه صادقًا؛ كان جَلَّوَعَلَا معه، فحفظه عن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، ومن أمامه ومن خلفه؛ يحفظه جَلَّوَعَلَا حفظًا لا يتسلط عليه عدو، المهم أن يكون التوكل مبنيًّا على الطاعة والاستقامة، وحسن متابعة لسيد الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

عباد الله! لقد آذنت أيامنا العظيمة ولياليناالكريمة بالفراق، ولقد تخشَّعت خيام شهرنا، وكُوِّرت أذنابه، وتهدَّمت أعلامه، وأذن بالرحيل، فيا مَنْ

ملأه بالأعمال الصالحة، هنيئًا لك ثمَّ هنيئًا، ويا مَنْ فرَّط -وكلنا كذلك إلا من رحم الله- فبادر أخي، «**فَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ**»(١)، وإن الرب جَلَّ وَعَلَا بعظم إحسانه، وجميل لطفه، وكريم جوده، يعفو عن السيئات لمن تاب، ويغفر لمن أناب إليه ورجع؛ لأنه يحب أن يتوب على عباده، فقد أخبر سيد الخلق رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح وقال: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ**»(٢).

فالله جَلَّ وَعَلَا -وله المثل الأعلى- يقول رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنه أشد فرحًا بتوبة العبد المسلم إذا تاب إليه من ذلك!

ذلك أنه كريم يحب أن يكرم، رحيم يحب أن يرحم، غفور يحب أن يغفر الذنوب، جواد يحب أن يعطي العباد، فتعرضوا له يا عباد الله، ولنتب من ذنوبنا السالفة ومن أعظمها، ولكن الذنب مهما عظم إنما هو بجنب عفو الله ورحمته وبجنب جوده وعفوه لا شيء، المهم أن نتوب.

وإننا إذا صلحنا -أيها المسلمون- وامتثل الصلاح فينا وإخوتنا في كل مكان؛ رجع إلينا مجدنا وعزنا تحت ظل الإسلام، وعادت إلينا هيبتنا وهابتنا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٧) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمم، وانتُزع الوهن الذي ملأ قلوبنا، فإن الأمة الإسلامية قد ملأ الوهن قلوبها، وخيَّم عليها الخوف والذلة، والتفريط في طاعة الله جَلَّ وَعَلَا، فأصابنا الله جَلَّ وَعَلَا ببعض ما أصابنا؛ لعلنا نتوب إليه فنرجع إلى دينه.

ولن يصلح أمتنا في آخرها إلا ما أصلح أولها، ولم يَصلح أولها إلا بإقامة العدل، وتحكيم الشرع، واجتناب المعاصي، وقول الحق أينما كنا، والجد والاجتهاد لجمع الكلمة، وتوحيد الصف، وإعلاء الحق على الباطل.

فيا أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يا عباد الله، يا مَنْ مَنَّ الله عليهم بالقدوم إلى هذه الرحاب، اجتهدوا في سؤال الله، وتضرعوا إليه، وأنيبوا إليه جَلَّ وَعَلَا، واسألوه؛ سلوه سؤال المفتقرين، فنحن والله أفقر الخلق إليه، وتضرعوا إليه تضرع الواثقين بعفوه، الواثقين بكرمه وجوده، الواثقين بإحسانه ولطفه، فإن الله جَلَّ وَعَلَا قال عنه عبده وخليله فيما يرويه عنه: **«أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»**[1]، فظنوا بربكم خيرًا، وسلوه ذلك الخير.

فاتقوا الله -يا عباد الله- وانظروا إلى قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٣-٣٥].

شتَّان بين من هو في الشوارع يتتبع العورات وينظر إلى النساء الكاشفات، وبين من هو في الحرم الشريف أمام الكعبة الكريمة يدعو ربَّه مخلصًا!

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وشتَّان بين امرأة دمعها يتساقط من خشية الله، وأخرى تتلفت يمنة ويسرة تتعرض للرجال بمفاتنها!

وشتَّان بين من قلبه معلق بالمساجد، وبين من قلبه وراء المعاصي!

وشتَّان بين من إذا تعلق به حق لأحدٍ من العباد حرص على ردِّه، وتعب حتى يدفع الحقوق الواجبة، وبين من يظلم الناس حقوقهم، ويغبطهم أموالهم، ويظلمهم في ذلك!

وشتَّان بين من لسانه رطب من ذكر الله، وبين من لسانه رطب من الغيبة والنميمة والسباب والخصام والانطلاق في الحرام!

فيا أمة محمد! ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٥٥ أَن تَقُولَ نَفۡسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٤-٥٦]، اتقوا الله جَلَّ وَعَلَا مادام العمل ينفع، فإن الإنسان إذا بلغت الروح الحلقوم، ورأى ملائكة العذاب قد دنوا، وملائكة الرحمة قد اجتهدوا، ما ينفعه ندم، ولا يجدي معه خوف ولا رجاء؛ لأنها إذا بلغت الروح الحلقوم طويت صحيفته، وخُتِم على عمله، فلا ينفعه شيء، وإنما تتملقه وتستولي عليه ملائكة العذاب، أعاذنا الله جَلَّ وَعَلَا من العذاب وأسبابه.

فيا عباد الله! اتقوا ربكم وأخلصوا له في العمل، وجِدُّوا في طاعته، وسلوه سبحانه، فإنه يحب السائلين، ويحب المستغفرين، ويغفر ذنوب المذنبين، ويفرح بالتائبين، فأكثروا من التوبة، وأكثروا من الاستغفار.

ويا من فرَّط -وكلنا كذلك إلا من شاء الله- في الأيام السالفة قد بقي

لديك هذه الليالي المقبلة، إما ليلتان أو ثلاث، اغتنم الفرص، وابكِ على ما مضى، وتعلق بآداب العفو، وتعلق بأسباب عفو الله، وتضرع إليه جَلَّ وَعَلَا لعله أن يوقظ القلب النائم، وأن يحيي القلب الميت، وأن يصرف القلب المنحرف، وأن يثبت الجميع بالقول الثابت في الحياة الدنيا.

فيا أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! تداركوا أيامكم، فلم يبق من شهركم إلا قلة قليلة، اغتنموها؛ عسى الله جَلَّ وَعَلَا أن يكتبنا أجمعين في سجل التائبين.

اللَّهُمَّ يا جواد يا كريم، يا رب العباد، يا مَنْ نَشَرَ رحمته على العباد، لا تحرمنا فضلك وإحسانك بسبب تقصيرنا وغفلتنا، اللَّهُمَّ آمنا في أوطاننا، اللَّهُمَّ أصلح لنا ديننا، اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح لنا ذرياتنا وأزواجنا، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ ارزقنا عملًا صالحًا، وتفضل علينا بالقبول، يا حي يا كريم، يا جواد يا رب العباد.

اللَّهُمَّ يا من منحتنا التوفيق للقدوم إلى هذه الرحاب، ويسَّرت لنا الاجتماع في هذا المكان، ووفقتنا للقول والاستماع، نسألك أن تجعلنا أجمعين ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ممن لا تخالف أعمالهم أقوالهم، وممن يطبقون بعملهم الصالح قولهم الصالح، يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل الصدق والوفاء، والإخلاص والتقوى، وتجاوز عنَّا بمنِّك يا مولانا يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ أنت المسؤول والمرتجى، وإليك المفزع يا حي يا قيوم، بيدك الخير كله، وأنت الفعال لما تريد، اللَّهُمَّ ارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، وكمِّل نقصنا، وتجاوز عن تقصيرنا يا جواد يا رحيم.

اللَّهُمَّ أنت الله الذي لا إله إلا أنت، أنت الحي القيوم، دعوتنا لسؤالك،

أمرتنا بالطلب منك، وقد تهيأنا لذلك، اللَّهُمَّ أجب طلباتنا، واقبل أعمالنا، وارفع دعاءنا، ويسِّر لنا أمورنا، وارحمنا وارحم أمواتنا يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك بأنك أنت الكريم الأكرم، وبأنك العفو العظيم، وبأنك خير من تجاوز وعفا، عاملنا بما أنت أهله بالتجاوز والعفو والمغفرة والرضوان يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تجعلنا ممن قبلت عمله، وتجاوزت عن تقصيره، وعفوت عنه، وغفرت له، وأصلحت سريرته وظاهره يا جواد يا كريم، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، واغفر لنا ولوالدينا ولوالديهم وأولادنا وأولادهم يا جواد يا أرحم الراحمين، ولسائر أقاربنا وإخواننا بمنِّك وجودك وكرمك يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ أصلحنا أجمعين، واهدِ ضالَّ المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ انصر مظلومهم، واهد ظالمهم، واقهر عدوهم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمر المسلمين، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمرنا، اللَّهُمَّ اهدهم سبل السلام، اللَّهُمَّ وفِّقهم لما تحبه وترضاه، اللَّهُمَّ اجمع كلمتهم، وألِّف ذات بينهم، وأصلح بهم البلاد والعباد، وانصر بهم دينك، وانصرهم بدينك يا أجود الأجودين، اللَّهُمَّ خُصَّ ولاة أمر هذا البلد الأمين بمزيد من الخوف والرجاء والاستقامة والعمل الصالح، والقوة بالحق يا ذا الجلال و الإكرام، اللَّهُمَّ أصلح بهم واهدهم واهدِ بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، واجمع على أيديهم كلمة المسلمين، اللَّهُمَّ أصلح بطائنهم، ووحِّد صفوفهم، واقذف أعداءهم أعداء الدين في كل مكان يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ حط بهم عن المسلمين الحرب والخصام، واجمع بهم الكلمة يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أعنهم واجعلهم من أسباب نصر المجاهدين وصلاح الدعاة

المرشدين في كل مكان يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ جازهم على ذلك العزة في طاعتك، والرفعة تحت لواء الحق يا ذا الجلال والإكرام، وأعزَّ بهم بلادنا، ووفقهم للمحافظة على أمنها، والأخذ على أيدي السفهاء بقوة، وصيانتها بالحق، وتسهيل السبيل المؤدي إلى بيتك العتيق وسنة رسولك الكريم يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصرهم وأَخِف عدوهم، ووفقهم لاجتماع الكلمة وتوحيد الصف، وإخلاص العمل لك يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أكثر من أعمالهم، اللَّهُمَّ مدهم يا حي يا قيوم بالمال والنصر العاجل، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم ارزقهم الثبات والسداد والانتصار العاجل.

اللَّهُمَّ أنزل بأعدائهم الهزائم المتلاحقة، اللَّهُمَّ املأ قلوب أعدائهم بالرعب والهلع والفزع، اللَّهُمَّ زلزل أقدام أعدائهم وأقض مضاجعهم، وسلط عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللَّهُمَّ أنزل بأسك وأليم عقابك وعظيم سطوتك على أعدائنا؛ اليهود، والنصارى، والمجوس، وسائر الوثنيين، والملاحدة الباطنيين، يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ صبَّ عليهم العذاب صبًّا، واستبدلهم بمن يخافك ويرجوك، ويعرف حق عرض محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ اجعل يومنا هذا يومًا مباركًا علينا وعلى أمتنا في كل مكان، واجعلنا موفقين للعمل في ليلتنا المقبلة في يومنا هذا وفي بقية أيامنا لما يرضيك عنا يا إله العالمين، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

حِفْظُ الفَمِ وَالفَرْجِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته، وبعد:

فقد ثبت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: **«مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»**[1].

إن الإنسان عندما يسمع مثل هذه الكلمة والسلعة المضمونة يقول: ما أيسر هذا! مادام أن حِفْظَ ما بين اللحيين وهو اللسان، وما بين الرجلين وهو الفَرْجُ؛ من حفظهما مع الإسلام فالجنة مضمونه له، والذي ضمنها سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى!

قد يظن الإنسان أن الأمر سهل، وأنه متيسر، لكن إذا علم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لـمَّا بيَّن لمعاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما ينبغي أن يتمسك به قال: **«أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»**، وأخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطرف لسانه، فقال معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقال: **«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»**[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣٦/ ٣٤٤)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢١٤) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثمرات اللسان تكب الناس في نار جهنم والعياذ بالله، فما المخرج؟

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، من يصدق في طلب النجاة يُسَهِّل الله له سبيلها ووسيلتها.

إن اللسان -يا عباد الله- أمره عظيم، وشأنه خطير، يقول الكلمة يريد أن يُضحك بها القوم، ما يظن أن تبلغ به ما بلغت، يكتب الله له بها الشقاء إلى يوم يلقاه، يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يظن أن تبلغ به ما بلغت، يكتب الله بها شقاء إلى يوم القيامة(١)، والعياذ بالله.

وقد جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى إليه رجل في رمضان فقال: إِنَّ هَاهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا، وَإِنَّهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ أَوْ سَكَتَ، ثُمَّ عَادَ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّهُمَا واللهِ قَدْ مَاتَتَا أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا، قَالَ: «**ادْعُهُمَا**»، فَجَاءَتَا، فَجِيءَ بِقَدَحٍ أَوْ عُسٍّ فَقَالَ لِإِحْدَاهُمَا: «**قِيئِي**»، فَقَاءَتْ قَيْحًا أَوْ دَمًا وَصَدِيدًا وَلَحْمًا؛ حَتَّى قَاءَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ، ثُمَّ قَالَ لِلأُخْرَى: «**قِيئِي**»، فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ وَصَدِيدٍ وَلَحْمٍ عَبِيطٍ وَغَيْرِهِ؛ حَتَّى مَلأَتِ الْقَدَحَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللهُ لَهُمَا، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمَا، جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى، فَجَعَلَتَا يَأْكُلانِ لُحُومَ النَّاسِ**»(٢)، وهو حديث لا بأس به.

ويكفي أن الله جَلَّ وَعَلَا وصف حديث الإنسان بالغيبة في القرآن بأنه

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣٨/ ٦٠) من حديث عبيد مولى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بمثابة أكل المرء للحم أخيه ميتًا: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢].

إن أمر اللسان أمر عظيم؛ قد يُقتل الإنسان في الدنيا بسبب دنيوي، يتكلم بكلمة توجب بدمه، فلابد للإنسان أن يحاسب أمر لسانه، وأن يحرص غاية الحرص على المحافظة عليه، فإذا علمنا أن كلامنا من أعمالنا، وأننا إن تكلمنا بخير ثقلت به موازيننا، وإن تكلمنا بشرٍّ أحط بالمتكلمين في نار جهنم، فإذا كانت كلمة «الحمد لله» تملأ الميزان، و«سبحان الله والحمد لله» تملآن ما بين السماء والأرض[(١)]، فأي خطر للسان، وأي منفعة عظيمة بالمحافظة عليه في طاعة الله!

وقد علمنا في أحاديث مضت أن الإنسان قد يبذل صدقات كثيرة جدًّا بكلمات يقولها بلسانه؛ **«فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عن الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ من ذلك رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا من الضُّحَى»**[(٢)]. إلى غير ذلك.

فإذا استمر يسبح ويهلل وهو في طريقه من مكان عمله إلى بيته، أو من المسجد إلى بيته، أو في طريقه لقضاء حاجة أو في عودته منها، وهو يسبح

---

(١) كما في حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ -أَوْ تَمْلأُ- مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»**، أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٧٢٠) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويهلل ويكبر ويحمد؛ صدقات يقولها بلسانه، يأتي على آلاف الصدقات دون أن يبذل شيئًا من النقود، فإذا جمع إلى ذلك الصدقة من المال فقد حصل على فوز عظيم!

إن المحافظة على اللسان -يا عباد الله- بأن يوطن الإنسان منَّا نفسه أن يحاسبها كلما تكلم بكلمة، وأن ينظر في هذه الكلمة، فإن كانت في سخط الله جَلَّ وَعَلَا بادر بالاستغفار والندم والتوبة، والإقبال على الله، والإكثار من الحسنات التي تكفر السيئات، وإن كانت من طاعة الله حمد الله على التوفيق وشكره، فإنه لولاه جَلَّ وَعَلَا ما أدَّى عملًا صالحًا، وإذا همَّ أن يتكلم مع أحد من المسلمين تذكَّر أن الوقيعة في أعراضهم كسفك دمائهم وأكل لحومهم، فارتدع.

إنك لو تصورت اثنين جالسين يأكلان لحم شخص من معارفهما وهو ميت بينهما؛ لاقشعر جلدك، وحصل لك من الاشمئزاز ما الله به عليم، وأنت قد تراهما وقد تشاركهما فعلهما!

فليحرص المسلم -يا عباد الله- على تجنب هذه الأمور الخطرة والأعمال المنكرة، وليبادر إلى التوبة والمحافظة على اللسان، إن الإنسان إذا عجز أن يحفظ لسانه فماذا يحفظ؟! إذا عجز أن يصون لسانه فكيف يصون غيره؟! فليتقِ اللهَ المسلمُ، كيف والمصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضامن لمن حفظ اللسان والفرج إذا كان مسلمًا مؤديًا لشعائر الدين، ثم احتاط لسانه عمَّا يشين، وحفظ فرجه أن يقع في المنكرات، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضمن له الجنة.

إن كثيرًا من الناس -يا عباد الله- يتساهلون في أمور حياتهم، وإذا وجد أناسًا يخوضون في أعراض المسلمين -وإن لم يشاركهم مشاركة فعلية- يجد

ارتياحًا وسرورًا لاستماع ما يقولون! وهذا في الحقيقة راضٍ بالمنكر، ومن رضى بالمنكر فهو مشارك فيه، فكيف إذا وقع في الأعراض، وكذب فيها؟!

سأل النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه يومًا فقال: **«أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟»**، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **«ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»**، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: **«إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»**(١)، فالأمر أعظم.

أمَّا ما يتعلق بما بين الرِّجْلين وهو الفَرْجُ، فإنه قرين الشرك بالله والعياذ بالله، وإذا زل الإنسان مرة واحدة استمرأ الطريق الموحل، وأَلِف العمل الخبيث، وهانت عليه الفواحش والفضائح، وربما رضي في أهله المنكر؛ لأنه إذا هان عليه إفساد أهالي الآخرين ونسائهم صبر على فساد أهل بيته والعياذ بالله، وقد يُبتلى الإنسان في بيته وأهله إذا تجرأ على الفساد مع نساء الآخرين.

إن الزنا -يا عباد الله- من أخطر الأعمال وأخبثها، وإذا وقع في حال الصيام فأي انتهاك لحرمة الصوم وقع، وأي منكر حلَّ واستحل وقع فيه والعياذ بالله؟!

لا شك أن إغلاق أبواب الأسباب، وسد المنافذ المؤدية إلى هذا المنكر متعينة؛ لأن الوقاية خير من العلاج، ودرء المفاسد أمر مقرر في الإسلام، ولذلك حرَّم الله جَلَّ وَعَلَا النظر إلى النساء، وحرَّم نظر النساء إلى الرجال؛ لما في ذلك من البلاء والشرِّ المستطير؛ لأن النظر بريد -والعياذ بالله- للزنا، ورسولٌ خبيثٌ لراغب الفواحش، ووسيطٌ بين عشاق المنكرات، فلابد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

للمسلم أن يحتاط لئَلا يقع في ذلك.

فمنع الوسيلة أعظم من العلاج، ودرء المفاسد أمر مقرر، والاحتياط والأخذ بأسباب النجاة واجب على المسلم؛ ولذلك حرَّم الله جَلَّ وَعَلَا النظر من الرجال إلى النساء ومن النساء إلى الرجال، وبالتالي حرَّم إبداء ما يدعو إلى النظر ويسبب الوقوع في هذا المنكر.

فليحرص الناس على التعاون، ليحرصوا على تقوى الله جَلَّ وَعَلَا والأخذ بالأسباب المؤدية إلى النجاة، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ترك أمرًا يقربنا إلى رضوان الله إلا بيَّنه، ولا أمرًا يقرب الناس إلى سخط الله إلا بيَّنه وحذَّر الناس منه، حضَّ على الأمر الأول النافع، وحذَّر من الأمر الثاني الضار؛ لأن الله بعثه رحمة للعالمين: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

فليتقِ اللهَ المسلمُ، وليحافظ على دينه، وليحفظ أمره؛ حتى لا يقع في أمر يوقعه في مهلكة.

إن الواجب على المسلم أن يفكر في نفسه، وأن يهيئ للاستعداد لصيانتها قبل أن تزل القدم فلا ينفع الندم، قبل أن يرتكب المركب الصعب فيجمح به إلى المهالك، فإن هذه الفواحش والمنكرات مراكب صعبة تجمح براكبها -والعياذ بالله- إلى مزلَّة لا نجاة منها، إلَّا لمن لطف الله به فأنجاه.

فليحرص المسلم وليصن لسانه، ويحفظ الأسباب التي تحمل فرجه على عدم الصيانة، وليحفظ فرجه أن يقع فيما حرَّم الله؛ يضمن الفوز بما ضمنه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إن هذه الأيام -أيها المسلمون- وهذه الليالي التي نعيشها أيام مرابحة ومتاجرة مع الله، لا يليق أن تكون أيام مسابقة في الفساد، أو أيام تساهل فيها

يسبب الفساد، إن الواجب على الرجال و النساء والمسؤولين أن يتعاونوا على ما ينفع الأمة الإسلامية وينجيها من المهالك، فإن الدين الإسلامي قضى على كل مسلم أن يكون حارسًا على الحرمات، وأن يكون راعيًا في الأمة، وأن يكون مجتهدًا لصد المنكر والمحافظة على القيم؛ حتى يكون المجتمع الإسلامي مجتمعًا متعاونًا على البر والتقوى.

فاتقوا الله، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]، وتعاونوا على البر والتقوى تفلحوا وتنجحوا، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان فينزل عقاب الله، فإن عقاب الله إذا نزل أصاب الناس أجمعين؛ ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥].

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يرحمنا برحمته، وأن يحول بيننا وبين المعاصي والفواحش، وأن يكفينا بما أحلَّ لنا وعمّا حرم علينا، وأن يغنينا بفضله عمن سواه، وأن يرزقنا ألسنةً رطبة من ذكره منشغلة بذكره، وقلوبًا متيقظة بصيرة في أمور الدين، وأن يحفظ علينا أسماعنا وأبصارنا وألسنتنا وبطوننا وفروجنا وسائر جوارحنا، وأن يحفظ علينا بيوتنا أن يصيبها شرٌّ أو بلاء.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر ذنوبنا أجمعين، اللَّهُمَّ ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء فأنت أرحم الراحمين، وتب علينا أجمعين، واغفر لوالدينا ولوالديهم وأولادنا ووالديهم، ولجميع أقاربنا بمنِّك وكرمك، فأنت أكرم الأكرمين.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يصلح المسلمين أجمعين، وأن يهدي ضالَّهم، ويرحم ضعيفهم، ويغني فقيرهم، ويشبع جائعهم، ويكسو عاريهم، وينصر

مظلومهم، ويعز ذليلهم بمنِّه جَلَّوَعَلَا وكرمه، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق، وأن يصلح الولاة القادة في كل مكان، وأن يزلزل أقدام من سبق في علمه جَلَّوَعَلَا ألا يصلح، وأن يسلط عليه من يستأصله عن الوجود، وأن يستبدله بمن يخافه سبحانه ويرجوه، ويرحم أمة محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويرتاد لها المصالح بمنِّه سبحانه وكرمه، وهو أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أصلح قادة الأمة في كل مكان، وشد أزرهم، وحبب إليهم القيام بأمرك، والدعوة إليك، ونصرة الداعين إليك والمجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ وفقهم لتحكيم شرعك، وإقامة الحدود على من ارتكب موجبها يا ذا الجلال والإكرام، وخُص اللَّهُمَّ يا جواد يا كريم يا رب هذا البيت العتيق خُص ولاة أمر هذا البلد بمزيد من التقوى والصلاح والهداية والفلاح والرشاد والسداد يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ وفقهم وأصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهدِ بهم، وأعزهم بطاعتك، وأعز بهم دينك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفقهم لصالح العمل، وارزقهم خوفك ورجاءك، وأصلح لهم بطانتهم وأعوانهم بمنك وكرمك يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ اجعل أحب الأشياء إليهم طاعتك وطاعة رسولك صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأبغض الأشياء إليهم معصيتك ومعصية رسولك صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ ارزقهم البصيرة في الدين، وقوِّم بهم اعوجاج المعوجين، وأصلح بهم فساد المفسدين يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أقمع بهم كل فاجر فاسق، واجمع على أيديهم كلمة المؤمنين يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تذل اليهود والنصارى والشيوعيين والملاحدة الباطنيين وسائر الكفرة يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أذلهم، اللَّهُمَّ زلزل أقدامهم، اللَّهُمَّ سلط عليهم عذابك.

اللَّهُمَّ أعلِ شأن المسلمين في كل مكان، وانصر المجاهدين يا حي يا قيوم، ومُنَّ عليهم بالنصر العاجل، ومكِّن لهم في الأرض، ووفقهم للعدل فيها وإقامة الحق بربوعها، وارفع راية الحق يا ذا الجلال والإكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على الهادي الأمين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

قِصَّةُ أَصْحَابِ الغَارِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته، وبعد:

عباد الله! ثبت في "الصحيحين" من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً للهِ، فَادْعُوا اللهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللهُ مِنْهَا فُرْجَةً، فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ**»، غير أنهم لا يستطيعون الخروج.

«**وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ**

وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ»، غير أنهم لا يستطيعون الخروج.

«وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا، فَخُذْهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللهُ مَا بَقِيَ»(١).

فانظروا -يا عباد الله- إلى هذه الأعمال كيف يفرج الله بها كربات الدنيا عند الشدائد؟! بر الوالدين من أعظم القُرَب إلى الله، فعندما تشتد الشدائد، وتعصف العواصف، وتدلهم الخطوب، ويكون الرجل بارًّا بوالديه أو المرأة، يبتغي بذلك مرضات الله جَلَّ وَعَلَا والدار الآخرة، يأتيه الفرج من مُفَرِّج الكُرُبَات الكريم الأكرم، فيدفع عنه الضائقات، ويُفَرِّج عنه الكربات، ويؤمِّنه مما يخاف.

والذي يَنْكفُّ عن المحارم، ويدع الشهوات المحرمة بعد القدرة عليها، يتركها لله جَلَّ وَعَلَا؛ يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معه عندما تشتد الأمور، وتصعب عليه المواقف، ويعلم أن لا فرج إلا ممن بيده مفاتيح الفرج، إذا ترك لذَّة عابرة ولحظة أنس ثائرة خوفًا من الله جَلَّ وَعَلَا والتماسًا لمرضاته؛ يُفَرِّجُ الله جَلَّ وَعَلَا عنه الكرب، ويورثه خشية في قلبه وتسديدًا في تصرفاته؛ ذاك بارٌّ بوالديه، وذاك انكف عن المعاصي بعد القدرة عليها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

وذلك الثالث: يتخلص من الحقوق، ولا يجحد الناس حقوقهم، وإنما يوفيهم أجورهم، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوَفِّهِ أَجْرَهُ»**(١).

فذاك يكون -والعياذ بالله- في أعظم المهالك، وهذا الذي أتم أجور الأجير ووفاها فلما جاءه بعد حين أعطاه إياها دون أن يأخذ منها ولا أجرة تنميتها وتربيتها، فرَّج الله عنه تلك الكربة.

فقد دخلوا في ذلك الغار فسدت صخرة فم الغار، وفي بعض الطرق: أنهم كانوا في يوم مطير، فعمي أثرهم، وتعذر عليهم أن يعلموا أين مذهبهم، ولكن العالم بكل شيء والخبير العليم أحاط بكل شيء علماً، يعلم أين هم، ويعلم كيف يخرجون، فلما سألوه جَلَّوَعَلَا وابتهلوا إليه وتذكروا صالح أعمالهم؛ فرَّج الله عنهم بتلك الأعمال الصالحة ما هم فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨].

فانظروا -يا عباد الله- بركة الأعمال الصالحة عند الشدائد والمصاعب، هذا هو حال **«تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»**(٢)، فمن تعرَّف إلى الله جَلَّوَعَلَا في الرخاء، وانْكفَّ عن معصيته مع القدرة عليها، والأمن من

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٧)، وأحمد (١٤/٣١٨) واللفظ له من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١/٢٩٣)، والترمذي (٢٥١٦)، والحاكم (٣/٦٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣٧٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

نتائج إقدامه عليها في الدنيا، ومَنْ قدَّم طاعة والديه بعد طاعته لله على طاعة سائر الناس، ومَنْ برَّهُمَا ووفَّى حقَّهما وقدَّمهما على الأهل والمال، كيف تكون حاله عندما تنغلق أبواب الفرج إلا من الله جَلَّ وَعَلَا؟ يأتيه فرج الله ولطفه سبحانه، فيُفَرِّج عنه من حيث لا يحتسب.

فاحتسبوا -يا عباد الله- نتائج الأعمال، واجتهدوا فيها، واعلموا أنكم في أيام عظيمة الشرف، عظيمة الفوائد، جليلة الأرباح؛ أيام هي إن فاتتكم فقد فاتتكم أيام المرابح، ولم يبق منها إلا هذه الليلة وثلاث ليالٍ بعدها، اجتهدوا فيها -يا عباد الله- بالعمل الصالح وما زاد، فمحل الجدِّ قد يأتي وقد لا يأتي، وفيها ليلة تُرجى في الأوتار، فاغتنموا الاجتهاد فيها، وتهيؤوا لها بالراحة والاستعداد للنشاط قبل أن تأتيكم، فإن الليلة القادمة هي أرجى الليالي لأن تكون ليلة القدر، فاغتنموا استعدادكم لها، وقد تكون تلك هذه الليلة لا ندري، لكنها في الليلة القادمة أرجى، وتقديم الأعمال الصالحة في الأيام الفاضلة من أعظم العون للاستعداد في الأيام المقبلة، فمن أراد أن يعمل صالحًا تهيأ قبل ذلك اليوم، ومن أراد أن يدعو الله قدَّم أسباب إجابة الدعاء بالتوبة والعمل قبل أن يتهيأ للطلبات، من أراد حاجة من المخلوقين استعد لإرضائهم قبل أن يتقدم بطلبها، فكيف بخالق الخلق ومقَدِّر الأرزاق الذي بيده الأمر كله؟!

فاستعدوا في ليلتكم هذه وغدكم بالأعمال الصالحة، والتوبة من الذنوب، والتقرب إلى الله بالإحسان إلى الخلق؛ لعل الله أن يستجيب لدعائكم في ليلتكم هذه ويوم غدكم، وفي الليلة القادمة، فإنها ليلة سبع وعشرين، وإنها أرجى الليالي بإذن الله، واعلموا أن ما بعدها ينبغي أن يجتهد العبد فيه؛ لعل

الله أن يرفع الأعمال فيها وفيما بعدها.

اجتهدوا -أيها المسلمون- وأخلصوا لله بالدعاء، وألحوا عليه، فإنه جَلَّ وَعَلَا يحب من عباده أن يكثروا من الدعاء وأن يعظموا مطالبهم، فإنه جَلَّ وَعَلَا لا تعجزه الطلبات، ولا يتبرم بكثرة السائلين وكثرة الحاجات؛ لأنه الكريم الأكرم الذي دعا العباد لأن يسألوه، ووعدهم بالإجابة، فأجيبوا دعوة الله إذا دعاكم، وأخلصوا له في القول والعمل، وعظِّموا المسائل التي تطلبونها منه، وأعظم المسائل أن تسألوه هدايتكم والبقاء على دين الإسلام، وأن يقبضكم إذا قبضكم مسلمين، أعظموا في ذلك الطلب، وألحوا على الرب الكريم، فإنه جَلَّ وَعَلَا لا يخيِّب سائله، ولا يرد من تعرض للحوائج منه، ولا يفتقر من اعتز به واستغنى به.

اسألوه -يا عباد الله- وألحوا عليه، اسألوا الله الكريم الجواد الغفور التواب الذي ندبنا للسؤال، اسألوه أن لا يفرق جمعنا هذا إلا بذنب مغفور، وعمل صالح مبرور، وأن يوفقنا فيما بعده للأعمال الصالحات، وأن يتفضل علينا بالقبول.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يجعلنا من التائبين، وأن يرزقنا الإكثار من التوبة والاستغفار، وأن يحط عنَّا بذلك الأوزار، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا ألسنة رطبة من ذكره، وقلوبًا متيقظة بذكره مطمئنة بعبادته، أسأله سبحانه أن يرحم ضعفنا، ويغفر زللنا، ويتجاوز عن خطايانا، ويرحم أمواتنا، إنه جواد كريم، اللَّهُمَّ نوِّر على أهلينا قبورهم، اللَّهُمَّ اغفر لهم وارحمهم، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم تجاوز عنهم يا خير من تجاوز ورفع، اللَّهُمَّ ألحقنا بهم بالأعمال الصالحة، وارفع منازلنا ومنازلهم بكرمك وجودك يا عفو ياكريم.

اللَّهُمَّ إنك أنت ربنا ومولانا، وأنت ندبتنا لدعائك، وأنت هيأت لنا القرب من بيتك، اللَّهُمَّ لا تحرمنا بذنوبنا من فضلك، اللَّهُمَّ لا تردنا بسيئاتنا يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ اهدنا صراطك المستقيم، وارفع عملنا الصالح لك، وتجاوز عن سيئاتنا يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح ذريتنا وأزواجنا وأقاربنا وجميع المسلمين يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلحهم أجمعين، اللَّهُمَّ اهدِ أولادنا من بنين وبنات، واهدِ نساءنا ورجالنا يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ ارزق نساءنا الحشمة والحياء والخوف منك والرجاء، وارزقهن التستر والاحتشام والمحافظة على زينتهن يا كريم يا جواد.

اللَّهُمَّ ارحمنا أجمعين، واغفر زلَّاتنا يا رب العالمين، واجعل ليلتنا هذه ليلة غفران الذنوب والعتق من النار يا كريم يا جواد.

اللَّهُمَّ أصلح الأمة الإسلامية، وأفلح قادتها، وأعزهم بدينك، وأعز بهم دينك، وانصر بهم عبادك المؤمنين، واقمع بهم أهل الفساد يا رب العالمين، اللَّهُمَّ أعز ولاة أمرنا بطاعتك، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم العباد والبلاد يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ وفقهم لتحكيم كتابك وسنة نبيك محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ اصرف كل ظالم عنيد عن سلطته، واستبدله بمن يخافك ويرجوك ويحكم دينك يا رب العباد.

اللَّهُمَّ خصَّ ولاة أمرنا في هذا البلد بمزيد من الخير والصلاح والعزة والاستقامة، اللَّهُمَّ وفقهم يا حي يا قيوم واملأ قلوبهم بخشيتك، وانفعهم بعملهم، واجعلهم هداة مهتدين، قادة مصلحين غير خزايا ولا مفتونين، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم اجمع شمل المسلمين على أيديهم، ووحد صف الأمة على

أيديهم، وارزقهم نفوذ الكلمة بين عبادك المسلمين يا رب العالمين، ووفقهم لاستغلالها فيما يرضيك، وكافئهم يا إلهنا بعز الدنيا والسلامة يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم يتخلف عز الدنيا عنهم فلا يبقي إلا العمل الصالح، اللَّهُمَّ ارزقهم بأعمالهم، وانفعنا أجمعين بأعمالنا، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم حط بهم الحرب عن المسلمين، وانصر بهم عبادك المظلومين، ووفقهم يا ذا الجلال والإكرام للإصلاح بين كل متخاصمين من المسلمين من القادة في كل مكان، اللَّهُمَّ أعز بهم الأمة، واجمع شملها بهم، ووفقهم لتأمين هذه البلاد، وتأمين السبل المؤدية إلى بيتك العتيق، وإلى مسجد رسولك الكريم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصرهم وأيدهم، واجمع كلمتهم، ووحد صفهم، وارزقهم خوفك ورجاءك، وتحكيم سنة نبيك، ونبذ الشبهات والخلافات والخرافات يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ ارزقهم الاستقامة في الأمور كلها، وحقق لهم النصر العاجل، وسلطهم على أعدائك أعداء الدين، اللَّهُمَّ مكنهم من رقابهم وأموالهم يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ عاجلهم بنصرك، واقمع أهل الفساد والإلحاد يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ دمِّر اليهود، والنصارى، والملاحدة الباطنيين، وسائر أهل الكفر من الوثنيين وغيرهم يا رب العالمين، إنك أنت أكرم الأكرمين وأجود الأجودين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على الهادي الأمين سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

عُلُوُّ الهِمَّــةِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته، وبعد:

عباد الله، جاء في الحديث الصحيح عن ربيعة بن كعب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: **«سَلْ»**، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: **«أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟»**، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: **«فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»**[1].

هذا الحديث -يا عباد الله- يدين به أهل الهمم الشريفة، والرغبات العالية، والمطالب الغالية، الذين إذا سمحت لهم الفرص طلبوا ما ينجيهم من عذاب الله ويقربهم من رضوانه.

لم تنصرف نفس الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أمور الدنيا، وقد عرض عليه الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسأله حاجته، لم يطلب مطلبًا دنيويًا، وإنما طلب مرافقة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟»**، أوليس لك مطلب سواه؟ قال: هُوَ ذَاكَ. تلك هي الحاجة إن حصلت، فقال: **«فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»**، إذن فكثرة السجود لله والتقرب إليه بالنوافل مع الإعراض عن الإساءة إلى عباد الله يرتفع بها العبد في المنازل الكريمة، ويكون مرافقًا للشهداء والصالحين، ويدنو من جوار المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا غرابة في ذلك، فقد مرَّ في أوَّل الشهر حديث

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم الرجل المعلق قلبه بالمساجد[١].

إذن فكثرة الطاعة والصلاة والتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بهذه العبادة العظيمة، والحرص على إتقانها وأدائها كما نُقِلت لنا عن رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سبب قوي يعلو به المرء إلى المنازل العالية في جنة عدن ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

إن الأمر صعب ولكنه سهل على من يسره الله عليه، ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥]، فليستعن المرء بكثرة التقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بالصلوات النوافل، وليغتنم الفرص والأزمان التي يوافيه فيها العمل لتشرب نفسه حب طاعة الله جَلَّ وَعَلَا وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا ألفت هذا المنحى ودرجت في ذلك المسلك الكريم صارت كلما غفلت حنَّت إليه، وكلما فترت تجددت همتها للقيام به، فيفوز المرء -يا عباد الله- برضوان الله جَلَّ وَعَلَا وعفوه وإحسانه.

إن الإنسان إذا حرص على الطاعة، واجتهد بالتقرب إلى الله بها، وعانى في مراودته نفسه وترويضها حتى تألف الصراط المستقيم؛ ليكون ذلك لها خلقًا لازمًا لا ينفك عنها، ولربما إذا جاءه ما يقعده عن العمل تعبت نفسه وتألمت، وأحس بالضيق والأسى، فإذا مارس هذه العبادة ارتاحت لها نفسه، واطمأن خاطره، وأحس بشيء من السرور والغبطة، كيف لا ورسول الهدى

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة[١]، ويقول: «**يَا بِلالُ، أَقِمْ الصَّلاةَ، أَرِحْنَا بِهَا**»[٢].

إن من داوم على مجاهدة النفس وترويضها على الطاعة، واجتهد في تقويمها وترغيبها في العبادة، وأكثر من النوافل متقربًا بها إلى الله جَلَّ وَعَلَا، لا يمضي الوقت إلا وهو يستنكر من نفسه الفتور، ويستغرب التقصير، ولا يأنس الغفلة عن صلاة النوافل.

ها هو رسول الهدى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول للصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لـمَّا طلب هذا المطلب الصعب إلا على الموفَّقين: «**أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»، يعني: بالإكثار من النوافل والتقرب إلى الله بها، فهلمُّوا -عباد الله- يومكم وفي مستقبلكم بالمواظبة على الإكثار من النوافل.

وإن النوافل منها ما هو مقيَّد بأوقات؛ كالرواتب التي تكون قبيل الصلاة وبعدها، وركعتي الضحى، ومنها ما هو نوافل مطلقة غير مقيدة؛ إذا توضأت أو نشطت نفسك في غير وقت نهي تقوم تتضرع إلى ربك جَلَّ وَعَلَا أن ينيلك منازل الأكرمين، وأن يصونك عن مهاوي الحُفر التي أكثر الناس يقع فيها في هذه الدنيا، إن الناس في هذه الدنيا أكثرهم يسير على غير هدى؛ ولذلك ترى

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣١٩)، وأحمد (٣٨/ ٣٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٥١٦) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٨٥) من حديث رجل من خزاعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٦٤) من حديث رجل من أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٦٢١٥) من حديث سالم بن خالد الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كثرة المتعسرين، وترى كثرة الذين تعوقهم حركاتهم عن اللحاق بالسابقين، ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦].

أخي المسلم! وطِّن نفسك على الإكثار من طاعة الله، واحتسب ذلك عند الله سببًا ينجيك به الله جَلَّ وَعَلَا من الهوى التي يتردى به كثير من الخلق، فإن أعظم الأسباب بعد شهادة أن لا إله إلا الله للإنقاذ من الهوة السحيقة: المحافظة على العبادة البدنية الصلاة؛ فرائضها ونوافلها.

لا شك أن العبد لا يُحاسب ولا يُسأل عن تقصيره في النوافل، ولن يحاسب إلا على ما افترضه الله عليه، ولكن الدرجات العالية والمطالب المنيعة إنما تُدرك بكثرة التعبد، والإكثار من النوافل، والحرص على أداء ركعات كثيرة؛ طلبًا للمثوبة، وأملًا في ارتفاع في الدار التي رِفْعَتُها عزَّة، وعلوها مجد وسعادة وكرامة، أما علو الدنيا فإنه عوارٍ، فقد يعلو الإنسان فيتردى على رأسه إلى أن يصل إلى أبعد المنحدرات، فإن علو الدنيا مهما ارتفع الإنسان به -بمال، أو جاه، أو نفوذ- إن لم يُسلب عنه ذلك سُلب هو من ذلك الجاه والعلو، وأما علو الدار الآخرة فإنه لا يُسلب عمَّن ناله، ولا يُحرم منه من أدركه، وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء.

فيا أيها المسلمون! يا مَنْ مَنَّ الله جَلَّ وَعَلَا عليهم بأن أدركوا شهر رمضان، واستكملوه إلا القليل، صاموا مع الناس في صيامه، وسهروا مع الناس في قيامه، واجتهدوا في طاعة الله، وأكثروا من السجود كما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حتى يفلحوا بإذن الله جَلَّ وَعَلَا، وينالوا مطالبهم، وقد علموا

أن الصلاة عون حتى على أمور الدنيا، وأن الجد والاجتهاد فيها من أعظم ما يسهل به الله جَلَّ وَعَلَا على الإنسان متاعب الدنيا.

فاستعينوا بالله جَلَّ وَعَلَا، وجاهدوا النفس الأمَّارة بالسوء، ووطنوا النفس ودربوها بالزيادة يومًا بعد يوم على العبادة؛ حتى تأنس بها وتألفها.

أخي المسلم! إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام يتهجد على قدمه حتى تورَّمت قدماه، فهل أحدنا يقوم حتى ينزل الدم في قدميه فتتورمان من كثرة القيام؟! النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام هذا القيام، مع أن الله جَلَّ وَعَلَا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولمَّا قالت له عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رَسُولَ الله، أَتَصْنَعُ هذا وقد غُفِرَ لك ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ؟! قال: **«يا عَائِشَةُ، أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟»**[1].

فكيف بنا يا أخي المسلم؟! لنحرص على ذلك، فإن الإنسان إذا حافظ على صلاة الوتر، وأداها بقدر ما يستطيع خمس ركعات في الليلة، أو سبع ركعات في الليلة، أو أدى ثلاث ركعات في الليلة؛ تعينه على تلاوة القرآن، يتلو حزبًا من القرآن في هذا التهجد ولو بالمصحف؛ ليألف ذلك، ويجعله واجبًا لا يخل به؛ حتى ترتاح نفسه إليه، ثم بعد ذلك يحس بدافع من نفسه وإقبال عليه، لو أخلَّ به لأصبح مهمومًا مغمومًا.

فقد ذُكِر عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلاةِ، فَقَالَ: **«ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ»**[2]. فلا بد لك

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٤)، ومسلم (٧٧٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

-أخي المسلم- أن تجعل لك وردًا من الليل، تركع فيه بركعات توتر بواحدة في آخر ركعاتك توتر لك ما سلف؛ كما قال سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»**[(١)].

فاعقد العزم أيها المسلم، وإن من الحزم من الرجل المؤمن الذي يخشى ألا ينتبه آخر الليل ألا ينام إلا على وتر، فإن كنت ممن لا يستطيع أن ينتبه آخر الليل فإذا هممت بالنوم وأردت أن تأوي إلى فراشك توضأ وصلِّ ما يسره الله لك، وتضرع إلى الله، واحرص أن يكون ذلك حال خلو فكرك من الانشغال وخلو بيتك من الحركة؛ ليجتمع لك فكرك، وتحضر لك حواسك، وتتصور ما أنت فيه من العبادة، وتستطيع أن تتذكر حوائجك المهمة، وإن من أعظم الحوائج أن تطلبها أن تطلب صلاحك وصلاح أهل بيتك وذريتك، وأن تسأل الله أن يحفظ عليك دينك، فإن من حِيز له ذلك فقد حاز المكسب الأعلى؛ لأن رأس مال المسلم دينه، فمن فقد دينه فلا مال له، ولا حظ له في دنيا ولا آخرة.

أخي المسلم! وطِّن نفسك على ذلك، فقد ثبت في "الصحيح" من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: **«أَوْصَانِي خَلِيلِي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلاثٍ: صِيَام ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ»**[(٢)].

فاحرص -أخي المسلم- على أن تؤدي هذه الأمور من العبادة، فإن ركعتي الضحى -كما قلت قبل ذلك في بعض الأوقات- تعدل ثلاثمائة وستين

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢)، ومسلم (٧٤٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١).

صدقة، كل من أصبح منَّا أصبح عليه أن يدفع ثلاثمائة وستين صدقة على قدر مفاصل عظام جسده؛ شُكرًا لله على ما منَّ به علينا، وإذا عجزنا أن ندفع ذلك، **«فكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عن الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ من ذلك رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا من الضُّحَى»**(١). فضل من الله عظيم، ورحمة منه بعباده، وإحسان إليهم، ولكن أين طالب الإحسان؟! نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

أخي المسلم! أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوصاه نبي الهدى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألَّا ينام إلا على وتر، فإن كنت من أهل القيام آخر الليل فقد أثنى الله على المستغفرين بالأسحار، حينما يخلد أهل الراحة بالراحة، ويأوي أهل التَّرف والنعيم إلى الفرش بعد سهرهم على لهو الدنيا والغفلة، أو على المعاصي، أو على دنياهم، إذا أووا إلى فرشهم وراحتهم؛ قام أهل السبق والفضل والإحسان يستغفرون بالأسحار، فحريٌّ إن أمكن أحدنا أن يكون من هؤلاء، وإن كان في ذلك عُسر إلا على من يسره الله له.

فإذا لم يتيسر ذلك فلا تنم إلا على وتر، واحرص على ألَّا تكون زاهدًا بالوتر فتكتفي بواحدة أو ثلاث، إن الثلاث خلاف ركعتي العشاء فضيلة، وأكمل منها خمس، وأكمل منها سبع، وأكمل منها تسع، وهكذا كلما زاد الإنسان بالتطوع والتهجد ثقل ميزانه عند ربه، وإذا ثقل الميزان ارتفعت المنازل، وعلا الإنسان في مدارك السالكين ومراتب أهل الفضل والنعيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٠) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فيا إخوة الإسلام! سلوا ربكم في هذا اليوم وفي ليلتكم القادمة وعند إفطاركم أن يجعلكم ممن شملهم بعنايته، وعمَّهم برحمته، وسلكهم في سبيله المستقيم، لا تغفلوا -أيها المسلمون- وسلوا الله لإخوانكم أجمعين.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يغفر لنا في هذا اليوم أجمعين، وأن يبارك لنا في أعمارنا وأعمالنا وما أعطانا، وأن ينفعنا بما نسمع ونقول، وأن يرزقنا قلوبًا مطمئنة، ونفوسًا مرتاحة للخير مقبلة عليه بمنِّه جَلَّ وَعَلَا وكرمه.

يا ذا الجلال والإكرام، يا من علمتنا الدعاء ودعوتنا لذلك، نسألك ألَّا تردنا خائبين، اللَّهُمَّ يا من حبانا بهذا الدنو من بيته الكريم، نسألك ألا تجعل ذلك استدراكًا لنا، اللَّهُمَّ اجعله إدناءً لنا إلى رحمتك، وتقريبًا لنا من مرضاتك، وتيسيرًا لنا لسبل الارتفاع عندك في جنتك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ اجعل شهرنا هذا شهر خير علينا وعلى أمتنا، وبارك لنا فيه، واختم لنا فيه بالخواتيم الحسنة، اللَّهُمَّ اجعلنا يا رب العالمين ممن خُتِم لهم بالإحسان في هذا الشهر الكريم يا رب العالمين، ونجوا من عذاب النيران، اللَّهُمَّ أعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأزواجنا وأولادنا أجمعين، وجميع أقاربنا من نار جهنم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أنت الله الذي لا إله إلا هو، مننت علينا بالصحة والعافية والاجتماع في هذه البقعة المباركة، اللَّهُمَّ أجب دعاءنا، وارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، واخلف علينا ما فات وما سيفوت من شهرنا يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ لا تخذلنا يوم البعث والنشور، اللَّهُمَّ لا تردنا خائبين، اللَّهُمَّ أكرمنا بما تكرم به عبادك المؤمنين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ إنا نسألك بأسمائك وصفاتك أن تدنينا من منزلة الشهداء

والصالحين، وأن تغيث قلوبنا بغيث الإيمان، اللَّهُمَّ اجعل في قلوبنا نورًا، وفي أبصارنا نورًا، وعن أيماننا نورًا، وعن شمائلنا نورًا، وأمامنا نورًا، وخلفنا نورًا، واجعل لنا نورًا يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ نوِّر قلوبنا بنور الإيمان.

اللَّهُمَّ اعصمنا من الخطأ والزلل، وبارك لنا فيما أعطيتنا من العمل يا إله العالمين، اللَّهُمَّ إنا نسألك ألا تجعل هذا الاجتماع آخر اجتماع لنا في مثل هذا اليوم في مثل هذا المكان يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ منَّ علينا بالتيسير، واغفر لنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

اللَّهُمَّ إنا دعوناك وقد ندبتنا لذلك، فأجب دعاءنا، وارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، واغفر زللنا يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعزَّ ديننا، وأعزَّنا في ديننا ودنيانا، وارحم ضعفنا يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ اجمع كلمة المسلمين على الحق، اللَّهُمَّ ألِّف ذات بينهم، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ اخذل أعداءنا أعداء الدين، اللَّهُمَّ أرنا في الظلمة الفجرة الملحدين عجائب قدرتك، وعظيم بطشك وعذابك يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ وفِّق ولاتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهدِ بهم، اللَّهُمَّ انصرهم بدينك وانصر دينك بهم، وخصَّ اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام ولاة أمر هذا البلد بمزيد من التوفيق والتسديد، اللَّهُمَّ أصلحهم يا حي يا قيوم، وأصلح بهم البلاد والعباد، اللَّهُمَّ اهدهم واهدِ بهم البلاد والعباد، اللَّهُمَّ أعزهم بدينك وأعز دينك بهم، وانصر بهم يا حي يا قيوم عقيدة التوحيد عقيدة الإخلاص يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أعلِ شأنهم في دينهم، واجعلهم مستخدمين ذلك فيما يرضيك، مدافعين به عن سبيلك، داعين إلى

الطريق القويم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ اجمع على أيديهم أمة الإسلام، واهدِ على أيديهم قادة الأمة، وحط على أيديهم الحرب عن المسلمين، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم وفقهم لحقن دماء المسلمين ونصرة المجاهدين، وحقق على أيديهم كل خير لنا ولإخواننا في كل مكان يا ذا الجلال والإكرام، ووفقهم يا إلهنا للمحافظة على أمن بلادنا، وتيسير السبل المؤدية إلى هذا البيت، وصيانته عن الإجرام والآثام، وصيانة مسجد رسولك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتهيئة السبل المؤدية إليه، إنك أكرم الأكرمين مجيب الداعين.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ عاجلهم بالنصر والتمكين، اللَّهُمَّ سدد سهامهم، وثبت أقدامهم، وأعظم بطشهم وسلِّطهم على أعدائهم، واجعل كلمتهم كلمة خالصة للتوحيد يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ اجعل عيدنا المقبل عيد انتصار لهم ولجميع الدعاة إلى الحق يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أذل كل داعية للفساد، وملحد عنيد، وفاجر جبار خبيث؛ من اليهود، والنصارى، والشيوعيين، والملاحدة، وسائر طوائف الكفر يا ذا الجلال والإكرام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على الهادي الأمين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا معهم بمنِّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

تَقْوَى اللهِ وَصَلَاحُ العَمَلِ

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته، وبعد:

يقول الله جَلَّوَعَلَا في محكم الكتاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

عباد الله! يناديكم ربكم جَلَّوَعَلَا بأن تتقوه وتطيعوه سبحانه؛ بأن تتجنبوا معاصيه، وتعملوا بطاعته، وتخلصوا له في عبادتكم، وتتجنبوا كل ما حرَّم عليكم، وأن تحرصوا على القول السديد، وهو القول الذي يرضي الله سبحانه، القول الصواب حقًّا، فإن السَّداد في الأمر من أعظم الأمور.

ولذلك قال سيد الخلق صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو يحدث ابن عمه علي بن أبي طالب رَضِيَاللَّهُعَنْهُ يوصيه بأن يقول: **«اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»**، ثم قال له: **«وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ»**[1].

فإذا قلت: اللَّهُمَّ اهدني، وإذا قلت: اللَّهُمَّ سددني. اذكر تسديد القول، فإن التسديد بحال من الدقة والكمال في إصابة الحق في منتهى الأمر، فالقول السديد: هو أن يضمن الإنسان لسانه وفمه، وألَّا يقول إلَّا حقًّا، ولا يقول إلَّا ما يرضي المولى جَلَّوَعَلَا؛ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾، فإذا قلنا القول

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٥) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

السديد، وتمسكنا به، ورغبنا رغبة صادقة؛ أصلح ربنا منا الأقوال: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾، تصلح أعمالنا فتستقيم، وتحسن أمورنا فلا نتعرض لأسباب سخط الله.

فإذا أصلح الله لك العمل -أيها المسلم- فقد فزت بالفوز العظيم، إذا أصلح الله لك عملك، ما تقلبت إلا في طاعته، ولا أقبلت على معصيته، وكنت دائمًا كأن الطاعة خُلِقَت لك وصفة من صفاتك، لا تنفك عنها ولا تنفك هي عنك، بالقول السديد تصلح الأعمال وتُغفر الذنوب.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، وأي فضل وأي فوز وعزة خير من أن تصلح الأعمال، وأن تُغفر الذنوب، وأن يحصل للإنسان السلامة من الذنوب وآثارها؟! إن هذا -أيها المسلم- لفوز عظيم، وإنه لكسب لا يماثله كسب، ويتحقق بيسر لمن يسره الله عليه، ويأتي بسهولة وعدم مشقة لما أعانه الله على النفس الأمارة بالسوء فغلبها وغلب القرين، ووفِّق للعمل.

إذا اتقى الله سبحانه، وقال القول السديد لله سبحانه؛ صلح منه العمل، فإذا صلحت الأعمال استقامت الأمور، ونجا الإنسان من المهالك، ولم تعثر قدمه ولم يزل في خطيئة، ولم يرتكب ذنبًا، فصار في طاعة الله متقلبًا، ثم غُفرت الذنوب فيتقلب في الدنيا لا ذنب عليه، وأي شيء أعظم ربحًا من أن يعيش المرء في الدنيا مغفور الذنوب، مكفرةً عنه الخطايا؟! ذلك هو الفوز العظيم، وهذا إنما يتأتى بطاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ

فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

إن الفوز -أيها المسلم- بطاعة الله وبطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يصدر أمر عليك من الله ورسوله إلَّا بما فيه صلاحك، ولا يأتيك أمر من الله أو رسوله إلَّا بما فيه سعادتك، فإذا جاء الأمر عن الله وعن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فثق بأن الخير والسعادة والعزة بهذا الأمر، فعض عليه بالنواجذ، وبادر الامتثال، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

ليس الفوز -يا أخي المسلم- بما يحصل عليه العباد من ملذَّات دنياهم، أو ارتفاع منازلهم في هذه الدنيا، أو النهوض فيها، لا يحصل الفوز بذلك، وقد يكون ذلك سببًا للفوز لمن وفَّقه الله لمن استعمل ماله وجاهه ونفوذه ليقربه إلى الله جَلَّ وَعَلَا، فهذا من التقوى، ومن طاعة الله جَلَّ وَعَلَا، ومن القول السديد، ومن أسباب مغفرة الذنوب.

فتأمل -أخي المسلم- أوامر الكريم الأكرم، ودواعيه لك، فإنما يأمرك بما يربِّحك معه، وبما ينجيك من عذابه، وبما يُعلي درجاتك عنده، فبادر -أخي المسلم- بالعمل بما أمرك الله به، وندبك إليه، ووجهك لوجهته؛ تحصل -بإذنه تعالى- على الفوز بالدنيا؛ بأن تحيى حياةً طيبة.

والحياة الطيبة -أخي المسلم- هي التي ترتاح فيها نفسك، فإذا أتى أمر تكرهه عرفت أن ذلك بقضاء الذي لا يُرد قضاؤه، ولا يُصرف أمره، وإنما أمره نافذ، وقضاؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تامٌّ، فتحصل على التسليم له، وإذا صادفتك نعمة علمت أنها ليست بحولك ولا بقوتك، فأنت إذا أُصِبت بما تكره تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ لتفوز بإذن الله بقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ

مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٧]، وإذا جاءتك نعمة علمت أنها من المنعم المتفضل، قلت: الحمد لله على مَنِّه وكرمه، الحمد لله على عطائه وجوده الذي لا يُردُّ والذي لا يُقَدَّر قَدْرُه، وإنما علمه عند مجيب الدعاء، ومفرِّج الكرب، ومغني الخلق أجمعين، فأنت تتقلب في نعمة الله، فاتقِ الله والزم القول السديد.

وإن القول السديد -أخي المسلم- ينافيه الخوض فيما لا يعنيك من الكلام، ويبطله الخوض في الأمور الضَّارة؛ من إطلاق اللسان بالنميمة والغيبة والسباب؛ لأن «**سِبَاب المُسْلِمِ فُسُوقٌ،وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[١]، والغيبة والنميمة تغيِّب صاحبها -والعياذ بالله- في نار جهنم، وتنافي القول السديد.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾، من أراد أن يصلح عمله، ويُغفر ذنبه، وتحسن أموره، ويحصل على السعادة، فليحرص على أن يتقي الله وأن يقول قولًا سديدًا، فإذا وفِّق لذلك غفر الله جَلَّ وَعَلَا ذنوبه، وكفَّر خطاياه، فأصبح في خير وعافية، وفي عز وسعادة، وفي أمن من المكاره.

فلنتقِ الله -أيها المسلمون- ولنعمل صالحًا ونجتهد فيما يرضي الله، ولنغتنم هذه الفرص، لنغتنم هذه الأيام والليالي، لنغتنم هذه الأيام والليالي، لنغتنم هذه الأيام والليالي، ولنجتهد قبل أن يقول أحدنا: أخرج رمضان؟! أتسربت لياليه وأيامه؟! لقد كنت أنوي أن أعمل! ولقد كنت أنوي أن أفعل! ولكن لعل الله أن ييسر لي رمضان آخر!.

ها أنت -يا أخي- قد بَقِيَت بَقِيَّةٌ فيها خير، وبيدك أيام وليالٍ فيها فضل

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وسعادة، فأحسن القول والعمل، وأتقن تقواك لربك، واجتهد في ذلك، وتحرَّ طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيها الرجال! اتقوا ربكم، أيتها النساء! اتقين ربكن وأصلحن من أنفسكن، اجتهدوا -أيها المسلمون- وتعاونوا على البر والتقوى، اجتنبوا الأوزار كلها، احرصوا غاية الحرص على أن تصرفوا أنفسكم عمَّا حرم الله يورثكم الله جَلَّ وَعَلَا تقوى في النفوس، وراحة الضمير، وإقبالًا عليه، فيمتلئ القلب بالنُّور التَّامِّ، نسأل الله ألَّا يحرمنا النُّور التَّامَّ يوم تنطفئ أنوار المنافقين.

عباد الله! احرصوا على القول السديد، وعلى تقوى ربكم الجليل، وأصلحوا أعمالكم، واجتهدوا في أفعالكم كلها؛ ليكون لكم عند الله جَلَّ وَعَلَا عهد وميثاق، وليكون عند الله لكم رصيد ينفع يوم يبعثر ما في القبور، يوم يخرج الناس من القبور وكلٌّ ينظر إلى صحيفة عمله، فما بين مستبشر فرح مسرور، وما بين قلق مغموم محزون، فالمفرطون الضائعون في هَمٍّ وفَرَقٍ، وفي حزن وضيق، يقول أحدهم: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة:٢٥].

وأهل السعادة والتقوى، أهل القول السديد والعمل الصالح، أهل طاعة الله وطاعة رسوله، أهل الفوز ومغفرة الذنوب، يقول قائلهم: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة:١٩]، فهو مسرور لا يخشى من خزي في الكتاب ولا عار.

فتعرضوا -عباد الله- لرحمة الله جَلَّ وَعَلَا، وهيؤوا أنفسكم، وإنها لحظات في طاعة المولى الكريم بإخلاص وإقبال عليه جَلَّ وَعَلَا قد تصادف انفتاح أبواب الرحمة، وتنزل المغفرة، وحصول إجابة الدعاء، فيكتب الله لكم الرضا والسعادة إلى يوم الحشر إلى دخول الجنة، لا حرمنا الله أجمعين دخولها.

عباد الله! إن التقوى أمرها سهل يسير على من وفقه الله جَلَّ وَعَلَا لتطلبها، وإنها صعبة المراد بعيدة المنال وعرة المرتقى لمن أتْبَع نفسه هواها، وقيَّدها لشيطانها، وحرص على مشتهياتها، ولم يحاسبها أو يتذكر عرضها على ربها، فجدوا يا عباد الله، وإذا كنَّا مفرطين -وأكثرنا على التفريط، بل عامة الناس إلا من رحم الله مخل في كثير من الأمور- فإن باب التوبة مفتوح، وإن أيامكم هذه أحرى الأيام لإجابة الدعاء، وإقالة العثرات، وتفريج الكربات، فتعرضوا لنفحات الله، والتمسوا أسباب مغفرة الله، وإنها لميسرة.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾، فإذا فعلتم ذلك، وصنتم ألسنتكم، وجاهدتم أنفسكم، وتمسكتم بحبال التقوى؛ أصلح ربكم أعمالكم، وغفر ذنوبكم، ووفَّقكم لطاعته وطاعة رسوله، ففزتم -بإذن الله- بالفوز العظيم؛ يغبطكم عليه أهل الدنيا المفرطون، الذين لا يدركون ما تدركون.

فيا أيها الناس! هذه الأيام التي أنتم فيها أيام ينبغي لكم أن تروها في أغلى الأثمان، فلا تفرطوا فيها وأثمانها بأيديكم ميسرة، أقبلوا على الله بصدق وتوبة نصوح من الذنوب، واجتهدوا في العمل، وتفقدوا أحوالكم، واستغفروا ربكم، وأخلصوا التوبة؛ إذا فعلنا ذلك فإن الله جَلَّ وَعَلَا غفار للذنوب، وقد قال لأمثالنا: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، وقال جَلَّ وَعَلَا للذين يكثرون من التفريط: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢].

فلنتب إلى الله صادقين، ولنتقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مخلصين، ولنحرص على

القول الصواب، والصواب: هو الذي يُرضي الله، وأن نقول بالحق أينما كنا وحيث كنا ومع من يكون، لا نفرق في قول الحق بين قريب أو بعيد، بين صديق أو عدو، بين كبير أو صغير، بين ذي جاه ومنصب وعلو في الأرض وبين حقير فيها وضيع فيها عالي المنزلة عند الله، نقول الحق أينما كنا وإن كان مُرًّا، إذا فعلنا ذلك نلتمس به طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هيأ لنا أسباب السعادة.

فاحرصوا -عباد الله- على أيامكم هذه فهي ثمينة، وجِدُّوا فإن الله يستجيب لدعاء الداعين، ويوفق من يطلبون التوفيق.

أسأل الله الكريم الجليل بأسمائه وصفاته ألَّا يحرمنا بذنوبنا فضلًا، وألَّا يحول بيننا وبين التوفيق بسبب جرائرنا، أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا التقوى بالقول والعمل، وأن يرزقنا سداد القول وصلاح العمل، وأن يغفر لنا ذنوبنا كلها صغيرها وكبيرها بمنِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وكرمه.

أسأله جَلَّ وَعَلَا ألَّا يخرجنا من هذه الجلسة إلا وقد حطَّ عنا الأوزار والذنوب، وغفر لنا الخطايا بمنِّه جَلَّ وَعَلَا وكرمه، فإن ذنوبنا لا تغفرها الأعمال؛ **«لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنَّا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»**، هكذا قال سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولـمَّا قيل له: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: **«وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»**[1].

اللَّهُمَّ يا كريم، يا حي يا قيوم، يا مجيب السائلين، تغمدنا برحمتك مع نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ تغمدنا برحمتك، وأدخلنا الجنة، وأعذنا من النار، نحن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ووالدينا ووالديهم، وأولادنا وذرياتنا وأقاربنا يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ إن فضلك واسع لا نهاية له، ورحمتك وسعت كل شيء، فهيئنا لأسبابها، وتقبل منَّا أعمالنا، وتجاوز عن تقصيرنا يا حي يا قيوم، يا خير من تجاوز وعفا.

اللَّهُمَّ إنك أخبرت على لسان نبيك أنك أولى من خلقك بالجواز، وأنك تتجاوز عنهم بفضلك ومنِّك، اللَّهُمَّ وفقنا للتجاوز عن عبادك، وتجاوز عنا بذلك بمنِّك وكرمك وجودك يا إله العالمين، اللَّهُمَّ وفقنا للرفق في أنفسنا بيننا وبين عبادك، وارفق بنا، وأصلح لنا ظواهرنا وسرائرنا يا كريم يا جواد.

اللَّهُمَّ إننا دعوناك، وعليك جَلَّوَعَلَا الإجابة، اللَّهُمَّ إنا نسألك ألا ترد دعاءنا، إلهنا ومولانا أكرمنا بمغفرتك، وارحمنا برحمتك، وسددنا بتسديدك، واجعلنا من عبادك الذين إذا أذنبوا استغفروا، وإذا أُعطوا شكروا، وإذا أصيبوا صبروا، يا إلهنا ويا مولانا.

اللَّهُمَّ أصلح المسلمين أجمعين، اللَّهُمَّ أصلح ضالَّهم واهده، اللَّهُمَّ أصلح فاسد المسلمين، اللَّهُمَّ أعز ذليلهم، وانصر مظلومهم، واقهر كل ظالم فاجر عنيد يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ اجمع كلمة المسلمين على التقوى، اللَّهُمَّ ألِّف ذات بينهم، اللَّهُمَّ أصلح قادتهم وأصلح بهم، اللَّهُمَّ اهدِ قادتهم واهدِ بهم، اللَّهُمَّ مُنَّ عليهم بتحكيم كتابك وسنة نبيك محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفقهم لاجتماع الكلمة، وخصَّ ولاة أمر هذا البلد بمزيد من التوفيق والتسديد يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اهدهم سبل السلام، اللَّهُمَّ أصلح بطائنهم، وأصلح ظواهرهم وسرائرهم، وارزقهم خوفك في السر والعلن، وارزقهم القيام بأمرك، والجد في سبب رضاك يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ

أصلح بهم البلاد والعباد، وأعز بهم دينك يا رب العالمين، اللَّهُمَّ أعلِ بهم شأن الإسلام، واجمع بهم كلمة المسلمين، ووحد بهم الصف، وجازهم على ذلك بعز الدنيا والآخرة، اللَّهُمَّ اجعل أعمالهم كلها خالصة لوجهك موافقة لسنة نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللَّهُمَّ اصرفهم عن السوء، وكرِّه إليهم المعاصي، وارزقهم خوفك ورجاءك والحرص على إرضائك يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ أعزهم بالدين، ووفقهم لتأمين بلادك هذه وجميع بلاد المسلمين، اللَّهُمَّ أعنهم على ما وليتهم، ووفقهم لتأمين السبل المؤدية إلى بيتك وإلى مسجد رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكافئهم يا حي يا قيوم بعلو الدنيا والآخرة، واجعل عملهم كله في مرضاتك.

اللَّهُمَّ لا تحرمنا الثواب، وقنا شر العذاب والعقاب يا رب الأرباب يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصرهم وعاجلهم بتأييدك، وأعلِ شأنهم، واخذل عدوهم وعدونا، وارزقهم يا حي يا قيوم مباغتة أعدائهم، وسلب ما في أيديهم، واسترداد أوطانهم، اللَّهُمَّ اجعل أعداءنا أعداء الدين الذين ينتهكون حرمات المسلمين غنيمة للمسلمين، اللَّهُمَّ اشدد وطأتك على أعدائنا من اليهود والنصارى والشيوعيين والملاحدة وسائر الوثنيين يا رب العالمين، اللَّهُمَّ اشدد عليهم وطأتك، وأنزل عليهم بأسك، وسُمْهم سوء العذاب، وسلط عليهم عبادك المؤمنين يا حي يا قيوم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيد الخلق أجمعين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته، وبعد:

فقد ثبت في "الصحيح" من حديث سفيان الثقفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، فَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»**[(١)].

هكذا ثبت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمر بالإيمان بالله ثم الاستقامة على ذلك، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

والاستقامة -يا عباد الله- هي لزوم الصراط المستقيم؛ صراط النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتِّباع هديه عليه أفضل الصلاة والسلام؛ حبًّا وبغضًا، موالاةً ومعاداةً؛ أن يكون هوى أحدنا موافقًا لما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالإيمان هو الركيزة والأساس، وبدونه لا قيمة للأعمال بكاملها، ثم الاستقامة على الصراط المستقيم؛ صراط الذين أنعم الله عليهم من عباده المؤمنين، لا صراط أهل الضلال، ولا صراط أهل الكفر والعناد، وإنما صراط أهل الإيمان الذين إذا ذُكِّروا بالله تذكروا، وإذا وُعِظوا اتَّعظوا، وإن أُصِيبوا صبروا، وإن أذنبوا استغفروا، وإن أُعْطوا نعمة من الله -وما أكثر النعم- شكروا، هذا

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨)، وفيه: **«فَاسْتَقِمْ»**، وأخرجه أحمد (٢٤/ ١٤١) واللفظ له.

هو صراط المؤمنين، وهو الاستقامة والتمسك بحبل الله المتين.

يقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فالإنسان إما على صراط الهدى وطريق المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإما على الطرق الملتوية، والمسالك المتعرجة، والمناهج التي تؤدي بصاحبها إلى الهلاك والعياذ بالله.

وقد خطَّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خطًّا بيده في الأرض، ثم قال: **«هَذَا سَبِيلُ اللهِ»**، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: **«هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1].

فالاستقامة -يا عباد الله- هي لزوم الصراط السوي والمنهج القويم الذي كان عليه نبي الهدى محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه، وبقية الطرق إنما هي الطرق التي على أبوابها دعاة جهنم، يزينون للناس دخولها، فإذا دخلها أحد أمسكوا بزمامه؛ حتى إذا بَعُدَ عن الهدى رَكَبَ ما شاء الله أن يركب من المنكرات، وصار من رعيَّة الشيطان والعياذ بالله، فلا يفلت من أيديهم إلا من شاء الله جَلَّوَعَلَا له التوفيق، واستيقظ وتاب إلى ربه وأناب.

فالإيمان بالله جَلَّوَعَلَا هو الأساس، والاستقامة تشمل جميع شرائع الدين؛ الاستقامة على أمر العبادة بأن تكون على الصراط المستقيم، لا تبتدع شيئًا من العبادات لم يسنها رسول الله، ولا تأخذ بمنهج لم يسر عليه سلف هذه الأمة

---

(١) أخرجه أحمد (٧/ ٢٠٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه ابن حبان (١/ ١٨٠)، والحاكم (٢/ ٢٦١)، ووافقه الذهبي.

من أصحاب القرون المفضلة، الذين شهد لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخيرية، فإذا سلكت مسلكهم، واهتديت بهديهم، وترَسَّمت خطاهم، ولم تلتفت إلى ما أُحْدِث من بعدهم، فأنت -إن شاء الله- على طريق الاستقامة، ومن سلك طريق الاستقامة نجا بإذن الله.

وأمَّا من رَكَبَ الطرق الملتوية، وصدَّق كل ناعق وقائل بأن الهدى عن طريقه، فإن هذا يضيع مع الضائعين، إلا من شاء الله له السلامة.

إن أكثر الناس في الدنيا يدعون إلى غير هدي نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك لمَّا سأل حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»**، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: **«قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»**، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»**(١).

إذن فالخطر -يا عباد الله- من هؤلاء الدعاة الذين هم من بني جنس الإنسان، ومن أهل وطنه، ومن أهل لغته ولسانه، الخطر منهم أعظم، إن الإنسان المسلم يندر أن يستجيب لداعٍ يهوديٍّ أو لداعٍ نصرانيٍّ، ولكنه قد يستجيب لمن يدَّعي أنه على الهدى، وأنه على مسلك سليم، فإذا دُعِيت إلى مسلك فطالب الداعي بالدليل من كتاب الله ومن سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه لا خير إلا وقد بينه رسولنا صلوات الله وسلامه عليه، فإنه ما ترك طائرًا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

يقلب جناحيه في السماء إلا وأعطانا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه علمًا، ولذلك لـمَّا قال رجل من المنافقين -يتهكم في الإسلام والمسلمين- لسلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ! قَالَ سَلْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَجَلْ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ»(١).

فما ترك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا من الأدب الكامل، والسلوك السليم، والمنهج الكريم، إلَّا ودلَّ الأمة عليه وحضها عليه، وما من أدب رديء ولا مسلك وبيل، ولا منهج سيئ، إلَّا وَأَبَانَهُ وأوضح الطرق إليه، وحذَّر الناس منه، وقد قال: **«إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ»**(٢).

وقد بيَّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنا غاية البيان، وجمع الإسلام كله بهذه المقالة القصيرة التي قالها لسفيان الثقفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **«قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»**؛ آمنت بالله وسلمت له أمري كله، واعتقدت بأن ما قضاه الله هو النافذ، وأن ما اختاره الله هو الحق، وأن ما شرعه الله هو الكامل، وأن ما عداه فإنما غثاء لا يغني من ظمأ، ولا يغني من جوع، ولا ينفع في إنقاذ من مردَّة أو مهلكة، وإنما السعادة والنجاة كلها فيما شرعه الله جَلَّ وَعَلَا.

«قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»؛ أن تؤمن بأن الله جَلَّ وَعَلَا اختار لك ما هو الأكمل، ورضي لك ما هو الأتم، ويسَّر لك جَلَّ وَعَلَا ما فيه سعادتك، ثم

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢) من حديث سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

تستقيم على ذلك، فلا تتحول ولا تغتر بكثرة الدعاة والناعقين، فإن الهمج الرعاع هم الذين يتبعون كل ناعق، كلما قال لهم قائل: إلينا إلينا، ذهبوا إليه مسرعين، وإنما العقلاء الراشدون هم الذين إذا دُعوا إلى شيء طلبوا ما يدل على صحته وسلامته، وأرادوا أن يتعرفوا هل هو موروث عن السلف الأول أم أنه مما أُحْدث بعدهم؟ فإن كان مما أُحدث بعدهم فإن فيما تركوه من خير ما يغني عمَّا أُحدث بعدهم.

فإن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد أحبار هذه الأمة وعلمائها لـمَّا رأى أناسًا يتعبدون بأذكار لم تكن طريقتهم فيها على طريقة أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غضب وأنكر عليهم، وقال: «مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلالَةٍ»، قَالُوا: واللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ!»[(١)]، فهذه هي الاستقامة بعد الإيمان بالله جَلَّ وَعَلَا.

إن من الاستقامة -أيها المسلم- أن تحرص غاية الحرص على السؤال عن هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعماله كلها، لا أن تسأل ما هو رأي فلان أو رأي فلان في العبادة، وإنما تقول: ما الذي فعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه؟ وما الذي قاله؟ وما الذي سنَّه بعده خلفاؤه الراشدون؟ وما الذي سار عليه سلف هذه الأمة في قرونها المفضلة، الذين شهد لهم النبي بقوله: «**إِنَّ خَيْرَكُمْ**

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٢١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ١٢).

قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، يقول الصحابي: فَلا أَدْرِي أَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ قَرْنِهِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً، «**ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**»[1]، يعني: أنهم يتسابقون على ملذات الدنيا ورغباتها، ويغفلون عن الآخرة وما فيها من نعيم أو عذاب، فإذا غفلوا عن تلك الدار وما فيها من نعمة ونقمة، وأخلدوا إلى ملذات الدنيا سمنوا كما تسمن الأنعام؛ لأن الأنعام إذا أكلت سمنت؛ لأنها لا تفكر برحيل، ولا تتوقع حسابًا ولا عقابًا، وإنما يعجبها المرعى الطيب والأعلاف النافعة، فإذا أكلت وكانت سليمة من الأمراض ظهر فيها السمن، وكذلك بنو آدم الذين يغفلون عن آخرتهم، ويضعف إيمانهم، وتتزعزع استقامتهم، ويخلدون إلى ملذَّات دنياهم، تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته، وتكثر فيهم الخيانة، ويقل ائتمانهم؛ لكثرة ما جُرِّب عليهم من الخيانة!

والمسلم عليه أن يحذر أن يكون من أولئك، وأن يتفقد حال نفسه وسلوكه، ومدى أثر الإيمان عليه، فإذا رأينا من أنفسنا ارتياحًا للطاعة وأُنْسًا بها، وسرورًا بالعبادة وفرحًا بها، وتكدرًا إذا فاتتنا طاعة أو ألـمَمْنا بمعصية، فهذا يدل على أن الإيمان لا يزال عامرًا عندنا.

وإذا رأينا من أنفسنا استثقالًا للطاعة، وعدم اهتمام بفقدها وفواتها، واستلذاذًا بالملذات ولو كانت محرمة، وعدم حياء من الله أو من خلقه حينما نتلبس بما حرَّم الله، فلنعلم أن الإيمان إما أنه رحل من القلوب، أو أنه أُصيب

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

بمرض وضعف متناهٍ؛ حتى لم يكن له أثر على القلوب، فلنبادر بعلاجه بكثرة العمل الصالح، والإنابة إلى الله، والنظر إلى العباد الصالحين، والمبادرة إلى مسابقتهم ومحاكاتهم.

فَتَشَبَّهُوا بِهِمْ إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالكِرَامِ فَلاحُ[(١)]

لابد للإنسان أن يحرص إذا رآهم في خير وطاعة أن يغار منهم، وأن يغبطهم، لا محبة في زوال تلك النعمة عنهم، وإنما يغبطهم لحرصه على أن يماثلهم أو يسبقهم، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا غِبْطَةَ**»، وفي رواية: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ**»؛ رزقه الله مالًا -وهو عزُّ الدنيا وعصبها- فلم يهتم بالدنيا وتشييدها، وإنما تسلط عليه بالإنفاق في وجوه البر والإحسان، والسير على طريق الاستقامة والهداية، ينفق في وجوه البر والإحسان، يبر الفقراء ويحسن إليهم، ويساهم في مشاريع التنمية الصالحة، ويخلف المجاهدين والغزاة في أنفسهم وأهليهم؛ رغبة فيما عند الله، وأملًا في أن يكتب غازيًا مع الغزاة.

«**وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»[(٢)]، يبتغي بذلك وجه الله، فإن غالب من يتسلط على المال ينفقه من أجل السمعة والرياء، فيستعجل ثوابه في الدنيا، وكذلك من تعلم ويعلمه من أجل أن يُقال: إنه عالم بليغ، ومتكلم فصيح، فإنه يستعجل ثوابه في الدنيا، وليس له ولا لصاحبه في الدنيا

---

(١) البيت لأبي الفتوح يحيى بن حبش، شهاب الدين السهروردي، أورده ابن خلكان في قصيدة له حائية. يُنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٦/ ٢٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

من خلاق، نسأل الله السلامة من العمل لغير وجه الله.

إن العمل وإن قلَّ إذا خلص لوجه الله نفع، وإن العمل وإن كثر إذا لم يخلص لوجه الله لم ينفع؛ ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

فلابد -أخي المسلم- من الإيمان ومن الاستقامة على الصراط السوي، وإن الاستقامة سهلٌ وصولك إليها، ومتيسر ركوبك طريقها، فما عليك إلَّا أن تتوجه إلى ربِّ هذا الكون، إلى ربِّ هذا البيت العتيق، فتسأله صادقًا أن يثبتك، وتفزع إليه مخلصًا أن يأخذ بناصيتك، وتتضرع إليه ولاسيما إذا خلوت بمنزلك بحيث لا يراك إلا هو جَلَّوَعَلَا، تسأله الثبات على الحق، تسأله أن يوجهك إلى ما يحبه جَلَّوَعَلَا، تتبرأ إليه من الحول والقوة، وتتخلى عن الذنوب والجوائر، وتعاهد الله وتصدق في ذلك أَلَّا تقدم على معصية، وألا تصر على ذنب اجترأته، ولتبادر إليه تائبًا مستغفرًا.

إذا فعلت ذلك صادقًا فثق بأن الله جَلَّوَعَلَا أكرم من أن يردك خائبًا؛ لأنه جَلَّوَعَلَا كريم من صفته الكرم، ومن صفته إجابة الدعاء، ومن صفته الإحسان للذين يلتمسون منه الإحسان، إنك في هذه الأيام والليالي المباركة قد حانت لك الفرصة، وسنحت لك المناسبة، بأن تسأل ربك صادقًا، وتتضرع إليه مبتهلًا، وتفزع إليه فزع المضطر الذي ألـمَّت به المصائب من كل جهة، الذي لا حول له إلا بربه، فتسأله سبحانه أن يأخذ بيدك إلى أسباب مرضاته، وأن يهيئ لك من أمرك رشدًا، وأن يعيذك من قرناء السوء من شياطين الجن والإنس، وأن ينقذك من أسباب الفتن؛ فتنة الأهل والأولاد والولد والوطن،

وأن يهيئ لك قرناء خير وأعوان إحسان، يذكرونك إذا نسيت، ويشجعونك إن تكاسلت، ويسايرونك حتى لا تستوحش الطريق، فإن بعض الناس لا يكون عنده القلب القوي، ولا يمتلئ قلبه بالإيمان الذي يضيء جوارحه وجوانبه ويشع أمامه بحيث يرى المسلك واضحًا جليًّا، فيحتاج لأعوان وأصدقاء على المحجة البيضاء، وإذا وجد أمثال هؤلاء فقد وفِّق للخير العظيم؛ لأن النفس تكسل، ولأن القلب قد يُصاب بالخمول، فإذا يسَّر له أعوان خير، وأنصار فضيلة، وقرناء فلاح وهدًى، ذكَّروه بطاعة الله، وأعانوه إذا أهمَّ بها، وآنَسُوه حتى لا يستوحش في طريقه.

فإن الناس في هذا الزمن إنما هم في زمن الغربة التي قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن هذا الدين بأنه: **«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»**[١].

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته وبأنه صاحب الحول والقوة ذو الجلال والإكرام أن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يتوب علينا ويرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء، وأن يعيذنا من نزغات الشيطان ووساوسه، وأن ينصرنا على النفس الأمارة بالسوء وقرين السوء، وأن يجعلنا من الذين إذا سمعوا الخير انتفعوا به، وإذا سمعوا القول اتبعوا أحسنه، بمَنِّه جَلَّ وَعَلَا ولطفه وإحسانه.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لنا في هذه الليلة أجمعين، وأن يجعلنا ممن يصبحون وقد محيت خطاياهم، وغفرت ذنوبهم، بمَنِّه جَلَّ وَعَلَا وكرمه.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم اغفر لنا ولوالدينا ولأولادنا وذريتنا وآبائهم، وجميع

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أقربائنا وأصدقائنا، وإخواننا المسلمين، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم نسألك بأسمائك وصفاتك عند بيتك العتيق أن تعتق رقابنا من النار، وأن تعيذنا من الشيطان الرجيم، وأن تحبب إلينا طاعتك، وأن تنفعنا بها في دنيانا وأخرانا يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تصلحنا، وتصلح ذريتنا وأزواجنا وأقاربنا، وجميع إخواننا المسلمين، يا إله العالمين، اللَّهُمَّ أصلح ولاة المسلمين، اللَّهُمَّ أصلحهم واهدهم ووفقهم لطاعتك، وجنبهم أسباب سخطك، اللَّهُمَّ وفقهم للتعاون على البر والتقوى، اللَّهُمَّ اهدهم سبل السلام، اللَّهُمَّ ارزقهم خوفك ورجاءك والاهتمام بمصالح عبادك يا إله العالمين، اللَّهُمَّ اجمع شملهم على الحق، ووفقهم لنصرة دينك ومساعدة الدعاة إلى دينك يا رب العالمين، اللَّهُمَّ وفقهم للجهاد في سبيلك، والدعوة إليك، وإقامة العدل في أرضك، وتحكيم كتابك وسنة نبيك يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ وفق ولاة أمر هذا البلد خاصة، وزدهم إيمانًا وتثبيتًا، وادفع عنهم كل شرٍّ، وأصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهد بهم، ووفقهم لما تحبه وترضاه، واجعل أحب الأشياء إليهم طاعتك وطاعة رسولك، وجمع كلمة عبادك المسلمين، وارزقهم يا إله العالمين الصدق معك، والإخلاص لك، والحزم في معالجة ما يسُرُّك يا رب العالمين، اللَّهُمَّ وفقهم لتأمين السبل المؤدية من بلاد الإسلام إلى البلاد المقدسة يا رب العالمين، وكافئهم على ذلك بالأمن والأمان في هذه الربوع، والنصر والتمكين، واجعل ذلك كله في سبيل مرضاتك.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك،

اللَّهُمَّ أعلِ شأنهم، ووحد صفهم، واجمع كلمتهم، وأبعد عنهم البدع والخرافات، ووفقهم للتمسك بسنة نبيك والاقتداء به في حربهم وسلمهم في تعاونهم فيما بينهم، وعاجلهم يا إلهنا بالنصر والتمكين، وانصرهم على أعدائهم، وأذل أعداءهم أمامهم، وارزقهم استنقاذ بلادهم واستنقاذ أوطانهم والاستيلاء على ما بأيدي أعدائهم يا حي يا قيوم، وعاجلهم بالنصر والتمكين، واجعل يا حي يا قيوم شهرنا هذا شهر خير وبركة، ونصر وتأييد للمسلمين أجمعين، إنك جواد كريم.

اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى والشيوعيين والملاحدة الباطنيين في كل مكان، اللَّهُمَّ أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللَّهُمَّ استبدل بالشرار الملحدين عبادًا صالحين يرعون في أمة محمد ذمتهم، ويحافظون على مصالحهم يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

فَضْلُ الذِّكْرِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شرع لعباده من الذكر ما يتحصنون به من وساوس الشيطان، وجعل الأذكار نافعة لهم ومعينة على نوائب دنياهم؛ ذلك من رحمته جَلَّ وَعَلَا وإحسانه على عباده.

فقد ثبت في "الصحيحين" أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفاطمة بنت محمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وقد جاءت تطلب من والدها خادمًا يعينها فلم تجده، فلمَّا جاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم بمجيئها، فذهب إلى بيتهما، فوجدهما نائمين، فأرادا أن يقوما، فقال: **«على مَكَانِكُمَا»**، ثم جلس بينهما، ثم أخبره علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا طحنت بالرَّحى حتَّى كلَّت يدها، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها، وفعلت وفعلت من خدمة البيت، وأنه قال لها: لَوْ أَتَيْتِ أَبَاكِ فَسَأَلْتِهِ خَادِمًا، فَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟ إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا، أَوْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، فَكَبِّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»**[1]، فالذكر بالنسبة لأعمال الدنيا يساعد على تخفيف متاعبها.

أمَّا بالنسبة للتخلص من وساوس الشيطان وكيده وأذاه، فقد ثبت في "الصحيح" أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يحرس الصدقة،

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٨)، ومسلم (٢٧٢٧) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فلمَّا كان جوف الليل وإذا بآت يحثو من الصدقة، فأمسكه وقال له: واللهِ لأَرْفعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فأطلقه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فلمَّا أصبح أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأتى إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟»**، أطلعه الله على ذلك، فقال: شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: **«أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»**، يقول أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعْنِي، فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. كل ذلك يحسبه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إنسيًّا من الإنس.

فلمَّا أصبح أبو هريرة غدا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟»**، قال: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: **«أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»**، يقول أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ! قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ...﴾ [البقرة:٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ.

فأطلقه أبو هريرة مقابل هذه الفائدة، فلما غدا على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقبل قال له: **«مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟»**، فقصَّ عليه القصة، فقال

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟»**، قَالَ: لا، قَالَ: **«ذَاكَ شَيْطَانٌ»**(١).

فالشاهد من هذا الحديث أن قراءة آية الكرسي عند إرادة المرء أن ينام يحفظه الله جَلَّ وَعَلَا بها من الشيطان، ويجعل عليه حارسًا من ملائكته يحرسه حتى يصبح، وذلك بصفة مستمرة كلما قرأها في كل ليلة، لكن لابد إذا أردت أن تستفيد من قراءتها أن تقرأها مؤمنًا بها وعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آثارها، وأن تحرص على المحافظة على شعائر الدين.

فالأذكار -أيها المسلمون- نافعة ومعينة على متاعب الدنيا، والله جَلَّ وَعَلَا أمرنا بأن نذكره، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١، ٤٢]، سبحوه في الصباح والمساء، واذكروه دائمًا وأبدًا، فذكر الله مطردة للشيطان، وفيه تطهير للقلب وتهوين لمتاعب الدنيا؛ لأن القلب إذا استراح وأحسَّ بالسعادة والراحة أفاض على الجوارح من راحته فاستراح البدن كله؛ ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

فإذا أكثر الإنسان من الذكر، وحرص أن يكون لسانه رطبًا من ذكر الله؛ أعطاه الله جَلَّ وَعَلَا من الخير ما الله به عليم، فإن الله لـمَّا ذكر ﴿الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ...﴾ إلى آخر الآية، وفيها ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾، قال: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥]، فالذين يذكرون

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣١١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله ذكرًا كثيرًا من الرجال والنساء يعد الله لهم من الأجر ما الله به عليم.

وقد جاء في الحديث الصحيح: **«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»**[1]، لا يشق على المرء أن يذكر الله في نومه، ومسيرته، وقيادته سيارته، وفي عمله، ويحصل بسبب ذلك على أجر عظيم.

إن التحصن بالأذكار في الصباح والمساء من أعظم ما يعين المرء على أن يحفظ نفسه من عدوه الشيطان وأعوانه شياطين الجن والإنس، ثم إن في الذكر فضلًا عظيمًا، وقد ذكرت في إحدى الليالي السابقة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الحديث الصحيح: **«كُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عن الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ من ذلك رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا من الضُّحَى»**[2].

فما عليك -أخي المسلم- إذا أردت أن تكثر من الصدقات إلَّا أن تكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر. ومهما أكثرت من القول فقد أكثرت من الصدقات.

أمَّا إذا جمعت إلى ذلك بين الصدقات بالمال فقد جمعت الخير كله بإذن الله، فقد جاء في "الصحيح": **«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ؛ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مِنْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٧٢٠) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»(١).

والإنسان إذا **«أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ»**(٢).

وإذا أمسى وقال: (لا اله إلا الله) إلى آخر تلك الكلمات عشر مرات؛ كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل!

إنه لا عليك -أخي المسلم- أن تكثر من العتق إذا أنت أكثرت من هذه الأذكار العظيمة.

وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا وَقَالَ: **«اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ»**(٣)، ثم قال: **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»**(٤).

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يقول: **«لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»**، وقال لأحد أصحابه: **«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟»**، قال: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قال: **«لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»**(٥)، فما عليك -أخي- إذا أردت أن تكثر من كنوز الجنة إلا أن تكثر من قول هذه الكلمة، مصدقًا لما فيها، أي: بأنه لا حول لك ولا قوة إلا بالله، وأن من وهبه الله الحول والقوة فقد قوَّاه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣) من حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٥٩١) من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فأكثر -أخي- من الذكر، وتحصَّن به من الشيطان الرجيم ووساوسه، واعلم أن من تصبَّح بالأذكار وتمَسَّى بها، ونام إذا آوى إلى فراشه على الأذكار، أن الله جَلَّوَعَلَا يحفظه في نومه ويقظته، وفي تقلبه في أسواقه وطرقه.

ما أحوجنا -أيها المسلمون- إلى أن نستعين بالله على متاعبنا، وأن نستعيذ بالله من وساوس شياطين الجن والإنس، وأن نتضرع بأضراع من الأذكار؛ لنحفظ بها أنفسنا وأهلينا.

إن من الأذكار النافعة العظيمة: أن يقرأ الإنسان قبل أن ينام فاتحة الكتاب، وأن يقرأ أواخر سورة البقرة، وأن يقرأ المعوذتين، وقد قال: النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بشأنهما: **«فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا»**(١). لأنهما جمعتا الاستعاذة من شياطين الجن والإنس وسائر ذوي الشرور.

فإذا أكثرت -يا أخي- من ذلك أحييت قلبك، وأنرته بنور الإيمان، وصقلته بآيات القرآن الكريم، فما أحوجنا لمعالجة قلوبنا!

إن القلب -يا أخي المسلم- يصدأ كما يصدأ الحديد، يعلوه الصدأ ويتراكم عليه حتى يعمي بصيرته، ويصم سمعه، وتُصقل القلوب بالأذكار النبوية من القرآن والسنة الصحيحة(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٦٣)، والنسائي (٥٣٤٨)، وأحمد (٢٨/ ٥٦٠)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٥٥٢) من حديث عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [المطففين:١٤]». أخرجه الترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، وأحمد (١٣/ ٣٣٣).

وقد خلَّف لنا نبينا صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أذكارًا كثيرة للصباح والمساء، ودُبر الصلوات الخمس، وعند الاستيقاظ من النوم، وقد كان صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا استيقظ من نومه قرأ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١][(١)].

فاحرص -أخي المسلم- على الذكر النافع بذكر آيات الله الكريم، وقراءة الأذكار النبوية، والتحصن بها عن الشيطان ووساوسه، فتنال بذلك الفلاح العظيم، واعلم أن المحافظة على الأذكار دبر كل صلاة فريضة يغفر الله به ذنوبك مهما كثرت، لكن كيف يحصل ذلك؟! إننا إذا سمعنا هذا الحديث قلنا: ما أسهل ذلك! **«مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»**[(٢)].

إنك -يا أخي- عندما تسمع هذه الكلمة أوَّل مرة تقول: ما أيسر ذلك وما أسهله! وعندما تريد أن تطبقه بعد كل فريضة تجد أن ذلك من الصعوبة بمكان، إلَّا على من أعانه الله على نفسه وشيطانه، وسهَّل له أسباب ذكره ووفَّقه للذكر؛ لأن الشيطان يشغلنا في بعض الأحوال، وتأتينا مشاغل من

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٩)، ومسلم (٢٥٦) من حديث ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٥٩٧) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

أهلينا وأولادنا وأصدقائنا وأنفسنا، فتجد أحدنا يحافظ على هذا الذكر أيامًا، ثم تجده يغفل يومًا من الأيام؛ لتنخرم تلك السلسلة، ولينقطع ذلك الحبل المتين؛ حتى لا يفوز الإنسان بغفران الذنوب من الله الغفور الرحيم، ومن استعان بالله وتوكل عليه واعتصم به صادقًا وفَّقه وأعانه.

وقد مرَّ معنا حديث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفيه قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ له ولفاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: **«أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟ إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا، أَوْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا ...»** إلى آخر الحديث، لما حدَّث رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بهذا الحديث وهو في العراق، قال: «فَوَ اللهِ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْكَوَّاءِ -رجل من أهل العراق-: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ فَقَالَ: «قَاتَلَكُمُ اللهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ! نَعَمْ، وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ»[١]، يعني: يوم حربه مع معاوية، رضي الله عن الصحابة وأرضاهم أجمعين.

فإذا وُفِّق الإنسان كما وُفِّق السلف بالمحافظة على الذكر؛ كما حفظوه حفظوا، وإذا أراد الله جَلَّوَعَلَا أن يمضي قضاءه في عبده أنساه الذكر في ليلة من الليالي، فوقع عليه ما أراد الله.

فاجتهدوا -يا عباد الله- بالذكر، ونوِّروا بيوتكم بذكر الله، واجعلوا فيها من النور قسطًا كبيرًا؛ بقراءة القرآن فيها، وتلاوة الأذكار في البيوت؛ لأن الذكر يطرد الشيطان؛ كما أن اقتناء الكلاب واقتناء الصور يطرد الملائكة من المنازل[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٢)، وأصله في البخاري (٥٣٦٢)، ومسلم (٨٠) مختصرًا.

(٢) كما في الحديث عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: وَاعَدَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جِبْرِيلُ =

أسأل المولى الكريم بأسمائه وصفاته أن يحقق لنا أجمعين المحافظة على الذكر، وأن ينفعنا به، وأن يغفر لنا به ذنوبنا أجمعين، وأن يجعلنا في ليلتنا هذه من المرحومين.

أسأله بأسمائه وصفاته أن يغفر لنا ما أسلفنا من الذنوب، وأن يوفقنا للنزع عنها في المستقبل، وأن يغفر في ليلتنا هذه ذنوبنا أجمعين، وأن يغفر لنا ولوالدينا ومن له حق علينا، وذريتنا وأزواجنا وجميع أقاربنا والمسلمين أجمعين بمنه، فهو أكرم الأكرمين.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يجعل ليلتنا هذه ليلة مباركة علينا وعلى المسلمين أجمعين، وأن يحقق لنا وللمسلمين فيها كل خير، وأن يصدَّ عنا فيه كل شر، إنه جَلَّ وَعَلَا جواد كريم.

أسأله بأسمائه وصفاته أن يرزقنا قلوبًا ذاكرة، وألسنة رطبة من ذكره، ونفوسًا حية بطاعة الله، وأن يغفر لنا أجمعين، وأن يصلح ذريتنا وأزواجنا وأقاربنا وإخواننا وجميع المسلمين، إنه جواد كريم.

كما أسأله بأسمائه وصفاته أن يصلح قادة المسلمين، وأن يهديهم، وأن يوفقهم للعمل بما يرضيه لتحكيم كتابه وسنة نبيه، إنه كريم جواد.

=

عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ، وَفِي يَدِهِ عَصًا، فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ: **«مَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَا رُسُلُهُ»**، ثُمَّ الْتَفَتَ، فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَقَالَ: **«يَا عَائِشَةُ، مَتَى دَخَلَ هَذَا الْكَلْبُ هَاهُنَا؟»**، فَقَالَتْ: وَاللهِ، مَا دَرَيْتُ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَاعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ»**، فَقَالَ: مَنَعَنِي الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ، إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ. أخرجه مسلم (٢١٠٤).

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يوفقهم للقيام بأمره، والأخذ على أيدي السفهاء، وإقامة العدل في بلادهم، وإقامة حدود الله على مقتضاها، إنه كريم جواد.

أسأله بأسمائه وصفاته أن يزيد ولاة أمر هذا البلد بمزيد من التوفيق والتسديد، والهداية والرشاد، والصلاح والفلاح، وأن يوفقهم، وأن يعينهم على تأمين سبل بيت الله الحرام ومسجد رسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن يكافئهم على ذلك في هذا البلد بالأمن والأمان، وأن يوفقهم للسعادة مع سائر الولاة الصالحين على البر والتقوى، إنه أكرم الأكرمين.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يوفقهم للتمسك بدينه، والدعوة إليه في الداخل والخارج، وأن يوفقهم لإعانة الدعاة وتجهيز الدعاة، وأن يفتح القلوب للدعوة السلفية الصحيحة.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يضع الحرب عن بلاد الإسلام، وأن يحقق الأمن والأمان فيها، وأن ينصر المجاهدين في سبيل الله، الذين يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا، وأن يخذل الذين يقاتلون لإخفاء كلمة الحق وإذلال أهل الحق، وأن يسلط عليهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

أسأله أن يذل اليهود والنصارى والمجوس والشيوعيين والملاحدة الباطنيين في كل مكان، فهو مجيب الدعاء، وغافر الذنب، وكاشف البلوى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على الهادي الأمين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

عَاقِبَةُ كُفْرَانِ النِّعَمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

يقول الله جَلَّ وَعَلَا في محكم كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧].

عباد الله! إن أثر المعاصي وجرائر الذنوب قد تكون عقوباتها عقوبات دنيوية وأخرى أخروية؛ كما أن ثمرات الطاعات ونتائج الأعمال الصالحات تجلب للإنسان سعادة دنيوية وأخروية، وسلامة من المشاكل، وتفريجًا للكربات؛ كما في الحديث الصحيح: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**»[1].

فالله جَلَّ وَعَلَا يثيب المحسنين بالإحسان، ويجازي أهل الفضل بتفريج الكربات، ويثيب أهل الظلم والجور والعدوان بالنكال والعذاب الأليم يوم القيامة؛ كما يضرب لنا ربنا جَلَّ وَعَلَا الأمثال ليتعظ العباد ويتذكروا، وليبين أن

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٨) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قومًا كان لهم في مسكنهم آية؛ جنان وثمار يافعة، ورغد في العيش، وعز في المكان، وكان من لازم ذلك ومقتضاه أن يشكروا نعم المولى جَلَّ وَعَلَا، وأن يلزموا طاعته ويتجنبوا معصيته، وأن يكثروا من شكره سبحانه، لكنهم أعرضوا وصدوا عن الهدى، وكفروا بأنعم الله، ولم يحمدوا مولاهم على ما أولاهم من النعم العظيمة، فقلب الله جَلَّ وَعَلَا أسباب عزهم أسباب ذلة، ووسائل رغدهم وغناهم وسائل تدمير وخراب، فسلط عليهم مصدر حياتهم، وسلب رغدهم وجنانهم، فدمر ما كانوا يصنعون، وأطلق جميع ما شادوه وأنشأوه، فسلط عليهم سبحانه السيل العظيم الذي كانوا ينعمون بسببه، ويعيشون في خير وافر، وجنان وبساتين، ورغد وعزٍّ وأبهة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس:٤٤].

ظنُّوا أن ما عندهم من خير ورغد بسبب ما أحكموه من عمل، وما أشادوه في بلادهم، وحسبوا أنهم متمكنون مما هم فيه، وإذا بقدرة القادر على كل شيء تعصف بهم، فيبدل خيرهم شرًّا، ويبدل جميع ما شيَّدوه، ويبدل جنانهم أشجارًا غير نافعة، ولـمَّا ذكر الأشجار التي فيها شيء من النفع قال: ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

ثم بيَّن جَلَّ وَعَلَا أنه لا يؤاخذ الناس وقد أحسنوا، ولا يعذبهم وقد أطاعوا وشكروا، ولا يسلط عليهم النكبات في مقابل الإحسان والعمل الصالح، وإنما يجازي جَلَّ وَعَلَا أهل الظلم والكفر على قدر سيئاتهم أو يخفف عنهم، وإلا فهو لا يجازي بالعقاب ولا العذاب إلا الكفور ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾.

فيا عباد الله! إن الإنسان إذا عاش بنعمة ولم يؤدِّ حقَّها، ولم يشكر مُوليها جَلَّ وَعَلَا، فإنه يُخشى عليه أن يغار الكريم جَلَّ وَعَلَا فيُسَلِّط عليه النقمة، ويقلب أسباب النعمة أسباب دمار وهلاك، وتلك الأمثال يضربها المولى جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم؛ ليعتبر القوم بمصارع الأمم، فيُعلم أن الله جَلَّ وَعَلَا ما أخذ أحدًا بإحسان، وإنما أخذ الناس الظالمين بالجور والطغيان، فعذبهم وعاقبهم.

وإذا عاش الناس في نعمة، وتفيَّؤوا ظلالها، وتقلبوا في أسباب الرغد والعيش، فإن من واجب شكرها أن يحمدوا ربهم جَلَّ وَعَلَا، وأن يحسنوا إلى أنفسهم بطاعة الله، وأن يَلْزموا شرعه، وينفذوا ما أمرهم به؛ خشية أن يأخذهم الله جَلَّ وَعَلَا أخذ عزيز مقتدر، فكم أخذ من أهل النعم؟! وكم أصاب من قوم بطروا نعم الله عليهم فأصابهم ببعض ما كسبوا؟! كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥]، لكنه جَلَّ وَعَلَا يترك المسيئين ويؤخر عقابهم، ويملي للظالمين لعلهم يرتدعون عن ظلمهم.

فمن تاب وأناب، واستغفر ربه جَلَّ وَعَلَا، واعترف بذنبه أمام الله تائبًا معرضًا عن المعاصي؛ عفا الله عما سلف. ومَنِ استهتر بالنعم، واستطال على العباد بها، وظنَّ جاهلًا أن ما أَتَى له ما بين يديه من الرزق، وما ناله من العزِّ والجاه بسبب ما أُعْطِيه من جودة التصرف، وإصابة الرأي، وحسن التدبير والعقل! فكم وكم لله جَلَّ وَعَلَا من صرعى، ظلموا أنفسهم ولم يرعوا؛ حتى إذا حلَّت بهم النقم والقوارع أحسوا بندمهم، وقالوا: إنا كنا ظالمين؟!

ولكن قد مضى الأوان، وحلَّ العقاب!

فيا عباد الله! إنَّ مَنْ كان في نعمة ورغد عيش، أو في صحة وعافية، أو في أمن وأمان، ينبغي له -لاستدامة ما هو فيه من الخير- أن يحمد الله ويشكره، وأن يسأله جَلَّوَعَلَا أن يعرفه نعمه عليه، وأن يوفِّقه لشكرها، فإن كثيرًا من الناس في نِعَمٍ ولم يدر أنه في نِعَم، وإنَّ كثيرًا مِنَ الناس في فضل وخير لا يدركه كثير من الناس، ولكن لجهله وقلة بصيرته لا يدري أنه بخير، وأنَّ الناس فقدوا ما هو فيه!

فإذا سأل العبد ربَّه أن يعرفه النعم التي أسبغها عليه، وأن يرزقه شكرها، وأن يوفقه لاستدامة الشكر حتى يدفع الله عنه المكاره، فإنه حريٌّ أن يستجيب الله دعاءه، ويفتح على بصيرته، وينير له قلبه، فيعرف ما هو فيه من النِّعَم، فيُبادر إلى شكرها، وإذا وفِّق للشكر فإن هذا من فضل الله عليه وإحسانه به أن وفقه للشكر والطاعة، فليحمد الله على ذلك، فإن كثيرًا من الناس في هذه الدنيا محرومون، وإن كثيرًا من الناس لا يعلمون أن الله أنعم عليهم وتفضل؛ ولذلك كثيرًا ما تحل بهم القوارع، وتنزل عليهم العقوبات والنقم، فلا يفلحون والعياذ بالله.

ونحن -أيها المسلمون- في هذه الأيام العظيمة حريٌّ أن نشغلها بطاعة الله، والابتهال إليه بأن يبصِّرنا بديننا، وأن يفتح لنا فواتح رحمته، وأن ينير لنا مسالكنا؛ حتى لا نسير في طريق وعرٍ، أو نقع في حُفَرٍ هاوية لا منجاة منها، وإنما المعصوم من عصمه الله، والموفَّق من وفَّقه الله، والمهديُّ من هداه الله، لا هدى إلا هدى الله، ولا توفيق إلا منه جَلَّوَعَلَا.

فاعتصموا بحبل الله وتوكلوا عليه، وسلوه جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته سؤال من يعلم أنه ضعيف ضائع إن لم يحفظه الله جَلَّوَعَلَا ويقوه، سؤال من

يحس بفقره وفاقته إن لم يقوه الله ويغنه عن عباده، سؤال من يعلم أن كثيرًا من العباد يتقلبون في أحوال في منتهى الفظاعة، لا خير عندهم لا في دين ولا في دنيا، وإنما هم في أمر مريج!

وأنت -أخي المسلم- إن يكن فاتك شيء من مطالب الدنيا فإنك تعبد الله آمنًا، فاحمد الله جَلَّ وَعَلَا على نعمه التي لا تحصى.

فليحرص المسلم على أن يستبعد نقم الله بطاعة الله، وليحرص على أن يكون دائمًا متذكرًا نعمة الله، وإذا رأى أحدًا يرى أنه فاقد لبعض النعم فليتحسس حاله، ولينظر ما هو فيه، فسيجد نعمًا عظيمة يعرف فقدانها برؤية أولئك، إذا رأى من هو مُقطَّع الأيدي أو الأرجل، أو رأى من لا يستطيع أن يذهب إلا بمن يساعده، أو رأى من لا يقضي حاجته إلا أن يُحْمَل، وهو تحمله قدماه، أو رأى .. أو رأى، فإذا رأى هؤلاء ونظر إلى وضعه ونفسه علم أي نعمة يتمتع بها، وأي فضل حباه الله به، فليشكر الله جَلَّ وَعَلَا، فإن الله جَلَّ وَعَلَا لا يعاقب أهل الشكر على شكرهم، ولا يجازي أهل الإحسان بالعقاب على إحسانهم، ولكنه جَلَّ وَعَلَا كما قال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾.

أخي المسلم! إن أيامنا هذه القليلة -ولا سيما ليلتنا المقبلة- ينبغي أن تعضَّ عليها بالنواجذ، وأن تعلم أنها من أنفع فرص عمرك وأهم ساعات وقتك، فاغتنمها بطاعة الله، واستعد لها بالتهيؤ من يومك هذا، فإن أرجى الليالي هي ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين، فإن الله أثنى على ليلة القدر في غير موضع في كتابه الكريم، وبيَّن منَّته العظمى على العباد بأنه أنزل القرآن

الكريم في ليلة القدر، فاحرص على شكر الله أن مكنك من صيام هذا الشهر وأعانك على صيامه، واشكره جَلَّ وَعَلَا ولا تكفر نعمه، وتهيَّأ للعبادة والإلحاح على الله في ليلتك القادمة، فإنه ثبت أن رجلًا قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد شكا عجزًا: دلني يا رسول الله على ليلة أعمل فيها؛ لعلي أوافق فيها ليلة القدر، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَإِنْ ضَعُفَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَجَزَ، فَلا يُغْلَبَنَّ عَلَى السَّبْعِ الْبَوَاقِي**»[1].

فاحرص -أخي المسلم- وتهيأ لها، فإنها تبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر:٥]، فتهيأ لها، ووفر حوائجك، واقضِ لوازمك، واستعد لها من غروب شمسها بأن تشغل أوقاتك ما بين ذكر ودعاء، وتضرع وابتهال، وسؤال الله جَلَّ وَعَلَا، وتذكر حوائجك وما أكثر حوائجنا وما أعظم افتقارنا إلى ربنا جَلَّ وَعَلَا، فتذكر ما أنت مضطر له، واعلم أن أعظم المطالب وأرفع الأغراض وأعزَّها أن تطلب من الله جَلَّ وَعَلَا أن يعفو عنك، وأن يجازيك بعفوه وإحسانه وكرمه، وأجلَّ ما يمكن أن يحصل لك أن تفوز بالزحزحة عن النار ودخول الجنة ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥].

فاحرص -أخي المسلم- في ليلتك هذه، وتضرع إلى الله، وقدِّم بين يدي ذلك توبة وندمًا على المعاصي، وندمًا على التفريط والإقلال من العمل، فإننا مهما عملنا فنحن مقصرون، مهما بذلنا في أسباب طاعة الله لن نستطيع أن

(١) أخرجه مسلم (١١٦٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وليس فيه قصة الرجل الذي شكا عجزًا.

نكافئ نِعَمَ الله علينا، مهما فعلنا فإن الله جَلَّوَعَلَا نِعَمه لا تُحصى، بل إننا إذا أطعنا الله فإن ذلك من نعم الله علينا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فمن فضله عليك -أخي المسلم- أن يوفقك للالتجاء إليه، ومن نِعَمِه عليك أن يصدَّك عن المعاصي، ومن نعمه عليك أن يوفقك لسهر الليالي في طاعته؛ كلها نعم نجهل قدرها وفضلها.

فاجتهد -أخي المؤمن- واغتنمها، فإنك والله لا تدري أتدرك مثلها في العام القابل أم لا، والله لا ندري أنستدرك أيامنا وليالينا هذه أم لا، اغتنم أخي الفرص، واعقد العزم على الجِدِّ والاجتهاد في هذه الليلة المقبلة من حالتك هذه، فإنه إن لم يتيسر لك ما أردت يكتب الله لك كأنما عملت العمل كله، فإنه جاء في الحديث الصحيح: **«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ»**(١)، يا له من فضل من المتفضل المنعم.

فاتقوا الله -يا عباد الله- واغتنموا أوقاتكم، واعملوا جاهدين وتضرعوا إلى ربكم، فإنه سبحانه يستجيب الدعاء، ويغفر الزَّلَّات، ويوفق الموفقين.

أسأل الله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يمنحنا أجمعين التوفيق والهداية والتسديد، وأن يزيد أهل الخير والصلاح منَّا صلاحًا وتُقًى وعملًا متقبلًا، وأن يوفِّق المقصرين منا للاستدراك والاحتياط والعمل الجاد بمَنِّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وكرمه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

اللَّهُمَّ يا واسع الفضل والعطاء يا كريم يا جواد وفقنا للعمل لما يرضيك عنا، وارزقنا يا إلهنا الاستعداد لما أقبل علينا من هذه الأوقات الشريفة، وارزقنا يا حي يا قيوم صدق التسابق إلى مرضاتك، ومُنَّ علينا يا إلهنا بالرحمة والغفران والعتق من النيران.

إلهنا ومولانا نسألك وأنت المسؤول وأنت الواحد الأحد الخلاق الرزاق ألا تخيب رجاءنا، وألا تردَّ دعاءنا، وألا تجعلنا من المفلسين في هذه الأيام، أيام المرابحة العظيمة.

إلهنا نسألك بأنك تعرضت للسائلين ألا ترد أسئلتنا بذنوبنا، وأن ترفع أدعيتنا إليك، وأن تستجيب لها يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ لا ترد سؤالنا بكثرة ذنوبنا، ولا تحرمنا فضلك لعيوبنا، وتجاوز عنا فإنك خير من تجاوز وعفا.

اللَّهُمَّ اغفر لنا في هذا المكان أجمعين، وتجاوز عنا بفضلك يا حي يا قيوم، واغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا ولأقاربنا وجميع المسلمين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ ارحمنا برحمتك، واغفر لنا مغفرة من عندك، وهيئنا للعمل الصالح، وتفضل علينا وتكرم بالقبول يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ وفقنا لليلة القدر، اللَّهُمَّ وفقنا لها ووفقنا للعمل فيها، وكفِّر عنَّا بها سيئات أعمالنا يا جواد يا كريم، اللَّهُمَّ إنا مقصرون وإنا مخلطون، ولكن عفوك وكرمك يا حي يا قيوم أوسع من ذلك، فاشملنا بعفوك وإحسانك، والطف بنا بلطفك يا جواد يا كريم، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا، وأصلحنا وأصلح أولادنا وأزواجنا وجميع أقاربنا يا كريم يا جواد، وأصلح فاسد المسلمين في كل مكان.

اللَّهُمَّ اهد ضال المسلمين، اللَّهُمَّ ارحم المسلمين، اللَّهُمَّ انصرهم واغنهم من الفقر، وانشر عليهم رحمتك، وأسبغ عليهم نعمك، واغنهم عن خلقك

يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أعز ذليل المسلمين، وانصر مظلومهم، واكبت من ظلمهم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أصلح قادة المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهدِ بهم، وانصر بهم يا حي يا قيوم، ووفقهم لاجتماع الكلمة، وتوحيد الصف، والعمل فيما يرضيك، وتحكيم كتابك وسنة نبيك يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ وفقهم لنصرة الحق وأهله، وقمع الباطل وأهله في كل مكان.

اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ وفق ولاة أمرنا في هذا البلد بمزيد من التوفيق والهداية، وأصلحهم وأصلح بطانتهم، وارزقهم عونك وتوفيقك وتسديدك، وانفع بهم الإسلام والمسلمين، وشد أزرهم يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ سددهم في أعمالهم، وأصلح بطائنهم وظواهرهم، وأصلح لهم بطانتهم بمنك وكرمك يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ وفقهم لجمع كلمة المسلمين، ووضع الحرب عن المسلمين، وشد أزر المجاهدين يا ذا الجلال والإكرام، وكافئهم بمنك وكرمك بالعز والتمكين في الدنيا والعز في الآخرة، ونحن معهم في هذا كله بمنك وفضلك، فأنت واسع الفضل والجود.

اللَّهُمَّ وفقهم وأعنهم على ما ولَّيتهم، وارزقهم خوفك ورجاءك، والرفق بعبادك، والسعي لإصلاحهم وتقويمهم يا حي يا قيوم، ووفقهم للمحافظة على أمن بلدك هذا، وتأمين السبل المؤدية على بيتك، وكافئهم على ذلك بخير ما تكافئ به عبادك الصالحين يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ عاجلهم بالنصر والتمكين، اللَّهُمَّ سلطهم على أعدائهم، وامنحهم رقاب أعدائهم وأموالهم يا إله العالمين، اللَّهُمَّ اكبت أعداءنا من جميع طوائف أعداء الإسلام من كل فرقة، وأنزل

عليهم بأسك الذي لا يُرد، واشدد عليهم وطأتك، وأقض مضاجعهم، وزلزل أقدامهم، وسلِّط عليهم من يسومهم سوء العذاب.

اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى والشيوعيين والملاحدة الباطنيين وسائر أهل الكفر يا ذا الجلال والإكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على خير البشر محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته، وبعد:

فقد ثبت في "الصحيح" عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَةً، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ»**[1].

إن هذا الوعيد الشديد لمن اتصف بهذه الأعمال المنكرة وعيد يجب أن يفزع منه كل مسلم، وأن يخاف الوقوع في أسبابه كل عاقل؛ لأن من أُنْذِر بأن الله لا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم ماذا بقي له من الخير؟! والله جَلَّ وَعَلَا لا يهلك عليه إلا هالك.

فهؤلاء الثلاثة لمَّا كانت دواعي ارتكاب المعصية ضعيفة عندهم، ثم مع ذلك لم يزجرهم ما هم عليه عن ارتكاب المعاصي؛ صاروا بهذه المنزلة.

فالزنا ممقوت من الشاب والشابة، ومرتكبه منهما مرتكب لما حرَّمه الله، ومتعرض لعذاب الله، فإذا وقع فيه المسن الذي ضعفت قواه وكثرت تجاربه، وجاءه النذير، فما عذره؟! فقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦١١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٨٧) من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وأخرجه مسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه: **«شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»**.

[فاطر:٣٧] أن الشيب نذير لمن لاح شيبه[١].

ولذلك يقول العربي: كَفَى الشَّيْبُ وَالإِسْلامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا[٢].

فالعقلاء يرون أن الشيب زاجر عن المعاصي؛ لأنه لا يحصل إلا بعد أن تستحسن تجارب المرء، ويعظم فكره ورأيه، وتضعف أسباب المعصية عنده، فإذا ارتكب معصية الزنا مسنٌّ أو مسنَّةٌ فإن ذلك يدل على أن نفس مرتكب هذه الجريمة وهو بهذه السن نفس خبيثة تستحق من الله الطرد والإبعاد، إلا إن سبقت رحمة الله فتاب على العبد.

فالزنا محرم، وأمره مغلظ من الشباب والكهول، فكيف ممن وصلهم المشيب؟! ولذلك أنذره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الله لا يكلم هذا ولا يزكيه وله عذاب أليم، وقد جاء في الحديث الصحيح: «**أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ**

---

(١) يُنظر: تفسير الطبري (٢٠/٤٧٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣١٨٥)، وتفسير البغوي (٣/٦٩٩).

(٢) عجز بيت يُنسب لعبد بني الحِسْحَاس، أنشده بين يدي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتمامه:

وَدِّعْ سُلَيْمَى إِنْ تَجَهَّزْتَ غَازِيَا ... كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢٣٨).

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢٠٠)، وأبو بكر الدنيوري في المجالسة وجواهر العلم (٤/٢١٦) من مرسل الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ: «كَفَى بِالْإِسْلامِ وَالشَّيْبِ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّمَا قَالَ الشَّاعِرُ: كَفَى بِالشَّيْبِ وَالْإِسْلامِ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا. فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: بِالشَّيْبِ وَالْإِسْلامِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بِالْإِسْلامِ وَالشَّيْبِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، مَا عَلَّمَكَ اللهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَكَ.

قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٣/٢٧٥): «فهو مع إرساله فيه ضعف».

حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً»[١]، يعني: أن من بلغ هذه السن ولم يتوجه إلى أعمال الطاعة ولم يقلع عن المعاصي، فإن الله قد أعذر منه؛ لأنه كثرت تجاربه، وعرف كثيرًا من الأمور المستهجنة وعرف العار، وأثره فإذا عرف هذا مع غيره بعد أن بلغ هذه السن فقد أعذر الله إليه.

ذلك الشيخ الزاني، ومثله المرأة، فإن غالب أحكام الشريعة في الوعد والوعيد الرجال والنساء فيها سواء، وإن كان الخطاب في كثير من الأحوال للرجال، فمن يزني بتلك السن لا ينتظر من الله جَلَّوَعَلَا إلا المقت.

ولذلك جاء في حديثٍ فيما يتعلق بالشباب: **«إِنَّ اللهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»**[٢]؛ لأن الشباب مظنة الوقوع في المغريات، مظنة الانخداع؛ لعدم الاستحكام بالتجارب ومعرفته بالعار وقدر الذنب.

أمَّا إذا كثرت تجارب المرء، وعرف العار والعقاب وما أعده الله للمسرفين، فما الذي يعذره؛ لأن يرتكب ما حرَّم الله؟!

إن الإنسان ينبغي أن يعود نفسه من قبل أن يصل إلى السن بأن يرتدع عن المعاصي، وأن يتوب إلى الله جَلَّوَعَلَا ويسرع إلى الاستغفار في كل آن، وأن يجمح نفسه، فإن النفس أمَّارة بالسوء إلا ما رحم ربي، وإن الإنسان عند المغريات وأسباب الوقوع في الرذائل تضعف نفسه، إن لم يتسلح بالإيمان، وإن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٨/ ٦٠٠)، والطبراني في الكبير (٨٥٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤١٧/٢) من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٠): «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، وإسناده حسن».

لم يتذكر عرضه على الملك المنان جَلَّوَعَلَا.

فإن الإنسان لو استذكر عرضه على الله، وأن الله سوف يسأله ويحاسبه، وأنه سوف يقف بين يدي الله يخاطبه بلا ترجمان، وأن الله سيختم على فمه فتتكلم جوارحه؛ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤]، إذا تذكر ذلك وفِّق للإنزجار عن المعاصي، فإن الإنسان لا يرتكب المعصية إلا حال غفلته عن ربه، وغفلته عن عقاب الله، وغفلته عن عرضه على الله يوم العرض الأكبر.

فإذا وُفِّق الإنسان في كل أحواله، وكلما لاحت له شهوة أو رغبة تذكر العرض على الله جَلَّوَعَلَا، فإن ذلك يورثه خوفًا من الله سبحانه، وإقلاعًا عن الذنب وإقبالًا ورغبة في الطاعة، وكلما غفل المرء عن ربه ولم يرتدع عن المعاصي، ولم ينزجر بالزواجر، ولم يتعظ بالمواعظ؛ لأن القلب إذا تراكمت عليه الذنوب، ثقل سمعه، وكلَّ بصره، فلا يسمع موعظة، ولا يبصر طريق هدى، هذا ما يتعلق بالزنا.

والزنا -عباد الله- قرنه الله جَلَّوَعَلَا بالشرك في آيات كثيرة؛ كما في قوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨]، ولمَّا سُئِل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أيُّ ذنب أعظم؟ قال: **«أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ»**، قال: ثم ماذا؟ قال: **«أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»**، قال: ثم ماذا؟ قال: **«أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ أَجْلَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ، أَوْ يَأْكُلَ طَعَامَكَ»**(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٧/ ٤٢٩) بهذا اللفظ من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وأخرجه البخاري =

فجعل قتل النفس إذا اقترن بعدم الثقة بالله وكان المقتول ممن لا تجري العادة بقتله جعله بعد الزنا، والعياذ بالله.

فأمر الزنا أمر عظيم؛ ولذلك ورد في الأثر: «مَا ظَهَرَ الْغُلُولُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا أُلْقِيَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ، وَلَا فَشَا الزِّنَا فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا كَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ»(١).

وجاء في حديث بإسناد لا بأس به: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ»**، وذكر منها: **«لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا»**(٢).

فإن بعض الأحاديث وإن لم تكن أسانيدها بالمنزلة عالية إلا أن واقع الحال يؤكد أن لها أصلًا، فالزنا يسبب أمراضًا بعضها لا شفاء منه؛ كالمرض الخبيث الذي انتشر في الغرب ونقله بعض أفراد الشرق الذين ذهبوا إلى الغرب، فأتوا بأخلاقه الوبيئة وأمراضه الوبيلة.

فالشاهد: أن من يرتكب معصية مع ضعف الدواعي لها عنده يكون إثمه عند الله عظيمًا.

=

(٤٧٦١) وفيه تقديم قتل الولد على الزنا.

(١) أخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي (٢/ ٤٦٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٤/ ٥٨٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢١٨) من طُرقٍ، وقال: «فهذه الطرق كلها ضعيفة، إلا طريق الحاكم فهو العمدة، وهي إن لم تزده قوة فلا توهنه».

والثاني من الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: العائل المستكبر، وهو الفقير المتكبر؛ لأن التكبر إنما يدعو إليه في الغالب الشعور بالاستغناء، وإن لم يكن مستغنيًا حقًّا؛ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦، ٧]، هو لم يستغنِ حقيقة؛ لأن الناس كلهم فقراء إلى الله، لكن الإنسان لجهله بنفسه وجهله بربه جَلَّوَعَلَا وقلَّة بصيرته يظنُّ أنه إذا رأى ما عنده من مال وصحة وجاه، ورأى من يطلب ذلك من الناس، تكبَّر؛ ظنًّا منه أنه استغنى، وهو لو ضربته شوكة أو صداع، أو قيل له من طبيب جاهل: إن فيك داءً لا شفاء منه! أو قاله طبيب مخطئ في هذا القول؛ لتكدر صفوه، ولم يهضم طعامًا، ولم يستلذ بشيء، وذهب سارحًا لا يدري ماذا يكون!

فالفقير الذي يتكبر ما الذي يدعوه للكبرياء؟! لا يدعوه إلا خبث النفس، وإلَّا فالذين عادة يتكبرون الذين يشعرون بأنهم مستغنون عن الناس، الكبرياء ممقوت عند الله جَلَّوَعَلَا من الأغنياء والكبراء في الدنيا، وأهل الجاه والصولجان والشأن، والذين يتكبرون يحشرون يوم القيامة أمثال الذَّرِّ يغشاهم الناس؛ إذلالًا لهم قبل ذهابهم إلى النار[1].

وقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما يرويه عن رب العزة سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنه

---

(١) كما في الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ»**. أخرجه أحمد (١١/ ٢٦٠)، والترمذي (٢٤٩٢)، وقال: «هذا حديث حسن».

قال: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»(١).

والمتكبرون ورد ذمهم في القرآن الكريم كثيرًا، لكنه إذا تكبر مَنْ لا شيء عنده يدعوه إلى التكبر؛ دلَّ ذلك على أن نفسه نفس سيئة، فستحق من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هذا العقاب، وإن كان أغنى الناس في الدنيا وأرفعهم منزلة فيها مطلوب منه ألا يتكبر، فهذا العبد الصالح لقمان عندما وعظ ابنه قال: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨]، فإن الله لا يحب أهل الخيلاء ولا أهل الفخر والاستعظام إذا كان عندهم ما يدعوهم لذلك، فكيف بمن ليس عنده شيء من هذا؟!

والثالث الذي مع هذين الاثنين الذين لا يكلمهم الله: «**رَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَةً؛ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ**»، هذا ممقوت عند الله؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا يمقت العبد الحلَّاف كثير الحلف، الذي يحلف على الحق والباطل ولا يبالي، والحلف ينبغي أن يتورع منه المسلم ولو بحق، فإذا لم يتورع من ذلك تعرض للوقوع في الحلف بالباطل، أمَّا أن يحلف كاذبًا، فقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ** -يعني: وهو كاذب- **فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)، وأحمد (١٢/٣٣٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**»(١)، لو حلف كاذبًا على سواكٍ ليأخذه بغير حقٍّ فقد استحق عذاب الله، وفي رواية: «**لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»(٢)، والله جَلَّ وَعَلَا إذا غضب لا يقوم لغضبه شيء؛ لأنه سبحانه فعال لما يريد.

فالحلف -يا عباد الله- ولو كان على برٍّ قد نهى عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذَّر من الحلف في البيع والشراء، وقال: «**الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ**»(٣)، وشدَّد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك.

وجاء في بعض روايات حديث الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة: «**وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ، وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ**»(٤). وذلك؛ لأن بعد العصر إيذان بتصرم اليوم، وهو مثالٌ لتصرم الأعمار؛ لأن عمر الإنسان في هذه الدنيا بمثابة اليوم، يبدأ قبل شروق الشمس بنور، ثم تشرق الشمس ضعيفة، ثم تشتد إلى أن تبلغ عزَّها في الظهيرة، ثم يبدأ بها النقص حتى ينتهي إلى اضمحلالها في نهاية اليوم.

وهكذا عمر الإنسان؛ يبدأ طفلًا رضيعًا، وينمو ويشتد حتى يصلب عوده ويقوى ويبلغ أشده ويستوي، ثم يدب به الضعف ويأتيه النذير وتأتيه

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٧) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٥٦)، ومسلم (١٣٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٥٨)، ومسلم (١٠٨) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المنذرات؛ يموت أقرانه، ويموت أهله وذووه، ويموت أصحابه، فكلما مات ميت فهو ناع يُنْعَى له جزءٌ من عمره، وإنما يتذكر من أناب، وإنما يستفيد من المواعظ والمذكِّرات من وفَّقه الله جَلَّ وَعَلَا.

إن المسلم -يا عباد الله- ينبغي أن يستفيد مما يسمع من كتاب الله جَلَّ وَعَلَا ومن سنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو من حوادث الأيام والليالي، وهي ملأى بالحوادث، إلا أننا قلَّ أن نتعظ أو نتذكر؛ لِمَا أصاب قلوبنا ونفوسنا من الأمراض المستعصية، والأسباب الطامسة للبصائر، إلا من رحم الله، ولو أن بصائرنا متيقظة، ولو أن بصائرنا حيَّة منتبهة لَمَا وقع الكهل في المعصية، ولما ارتكب الشيخ الفاني الفاحشة، ولما استعلى الفقير وشعر بالزهو والخيلاء رغم فقده لذلك، ولما تجرَّأ الحالف كاذبًا على أن يحلف على أمر قد يدرك ثمرته وقد لا يدركها، ولكنه ضعيف البصيرة، وضعيف التصور للعرض على الله جَلَّ وَعَلَا، وضعيف التصور لعذاب الله سبحانه وغيرته على المعاصي!

فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تكلم أمامه سعد بن عبادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بأمر من الغيرة على المحارم، قال: **«أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ فواللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، واللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»**(١)، فإن الله إذا حرَّم أشياء على العباد يغار إذا هم تجرَّؤوا عليها وارتكبوا ما حرَّم عليهم.

فإذا كانت هذه الذنوب -يا عباد الله- قبيحة سيئة في سائر الأيام، فإن شهر التكريم والاحترام وليالي الصوم والتهجد والعبادة خليقة بأن تُصان عنها هذه الأمور، إن الشهر المبارك العظيم -الذي جعله الله ميدانًا للمتسابقين

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومجالًا للفوز بالعتق من النار- ينبغي أن يُصان عن الفواحش والمنكرات، وأن يحفظ الناس ألسنتهم، لا سيما في بيوعهم وشرائهم ومخاصمتهم، وأن يتواضع الأغنياء والكبار، وأن يشعروا بأنهم فقراء وأذلة بين يدي الله، فضلًا عن المساكين.

إن هذا الشهر العظيم جدير بأن يُعرف حقُّه، وأن يُعطى ما يستحقه من التقدير؛ من الانصراف عن المعاصي، والرجوع إلى الله جَلَّ وَعَلَا، والطمع فيما عنده، والرغبة فيما أعدَّه من الثواب للطائعين، وإذا كان أحدنا قد قارف ذنبًا أو ارتكب معصية فليبادر إلى الله بالتوبة بصدق، وليحرص على المحافظة على شروط التوبة؛ لتكون توبته مقبولة عند الله.

فإن التوبة تكون مقبولة -بإذن الله- إذا نزع المرء عن المعصية مسرعًا؛ خشية أن توافيه منيَّته وهو على تلك المعصية، أو قلبه متعلق بها، فإن الإنسان يُبعث على ما مات عليه(١)، فمن ما وهو في حال سكر بُعِث يوم القيامة يتخبط بسكره، ومن مات في فواحش بُعث يوم القيامة مفضوحًا على فواحشه، وهكذا من مات على أمر يُبعث يوم القيامة عليه، ومن مات متلبسًا بالعبادة وقلبه متعلق بها بُعث يوم القيامة على تلك الحالة الكريمة الطيبة.

إن هذه المعاصي -يا عباد الله- سيئة مقيتة، ولكنها في شهر الصوم أعظم سوءًا، إن بعض الناس يستغل شهر الصوم لوجود غفلة من الناس في بعض الأحوال، ولوجود أمور يطلبها في أحوال أخرى، فيجعل شهر المسابقة إلى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**».

طاعة الله مجالًا لشهواته ورغباته، وميدانًا لارتكاب معاصي الله، أمَا يخشى ذلك المسكين أن تنزل عليه منيَّتُه وهو في شهر العبادة، والناس يتضرعون إلى الله ويبتهلون وهو يبارز الله بالمعاصي ويجترئ على ما حرم؟!

إنه ينبغي لنا -أيها المسلمون- أن نتواصى بالبر والتقوى، وأن ننصح من نعرفه من إخواننا وأولادنا وأقاربنا، وأن نكون في أمورنا كلها خائفين من موقفنا بين يدي الله، راجين ثوابه الذي أعده للذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويخافون الله، إنه ينبغي لنا أن تظهر علينا آثار شهرنا بالتواصي بالبر والتقوى، والنصح لأقربائنا وسائر من نعرف؛ لعل الله أن ينقذ بنا أقوامًا وأن يعتق آخرين استوجبوا النار؛ لنفوز بإصلاحهم ونفوز برضوان الله جَلَّ وَعَلَا وثمرات أعمالهم، «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[1]؛ لأن الله صاحب فضل وجود ناجز سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عطاؤه جزيل، ولا ينقص ما عنده بذلك العطاء.

فلنحرص -أيها المسلمون- ولنغتنم أيامنا ولياليناالمقبلة، فإن شهرنا بدأ بالإسراع بالرحيل، وتصرمت أيام كثيرة وليالٍ كثيرة من مجالات المسابقة والمرابحة مع الله، فاغتنموا الفرصة والأيام الباقية، وحضُّوا أولادكم من بنين وبنات ونساءكم وأقاربكم، تواصوا بالبر والتقوى، وتناصحوا وتعاونوا على ذلك؛ لتنالوا -إن شاء الله- من الله جَلَّ وَعَلَا الفوز بالسعادة في الأمن من

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المكاره في الدنيا، وتنالوا الفوز بالجنة التي من حصلت له فقد حصل على الفوز كله.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائه وصفاته أن يوفقنا أجمعين للعمل الصالح، وأن يصرف قلوبنا عن المعاصي، وأن يحول بيننا وبين ما يكره، وأن يحبب إلينا الطاعة وأن يزينها في قلوبنا، وأن يرزقنا الإنابة إليه، وأن يوفقنا للتوبة والاستغفار في كل وقت، إنه سبحانه أرحم الراحمين ومجيب السائلين.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لنا في هذه الليلة المباركة أجمعين، وأن يتجاوز عن سيئاتنا وتقصيرنا، وأن يهدي قلوبنا بمنِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكرمه.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يصلح ذريتنا وأزواجنا وأقاربنا وأصدقاءنا وجيراننا وسائر إخواننا المسلمين، أسأله بمنِّه جَلَّ وَعَلَا وكرمه وبأسمائه وصفاته أن يجعلنا في هذا المكان المبارك وفي هذه الليلة المباركة ممن مُحيت سيئاتهم، وغُفرت ذنوبهم، وأفلحوا في دنياهم وآخرتهم بمنه جَلَّ وَعَلَا وكرمه، فهو الكريم الجواد.

أسأله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يهدي ضال المسلمين، وأن يصلح فاسدهم، وأن يتوب على تائبهم، وأن يغفر لمستغفرهم، وأن يوفقهم أجمعين للاستغفار والتوبة، وأن يردهم إلى طاعته وحِمَاه.

أسأله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يعزَّ الإسلام والمسلمين، وأن يذل الشرك والمشركين، وأن يدمر أعداء الدين، وأن يوفق المسلمين لنبذ البدع والخرافات، وأن يوفقهم للتمسك بسنة سيد المرسلين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يبصِّرنا بديننا، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يوفقنا لصالح العمل، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا، ولسائر إخواننا.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يعزَّ كل ذليل من المسلمين، وأن ينصر كل مظلوم، وأن

يقهر كل جبار عنيد.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يصلح ولاة أمر المسلمين، وأن يوفقهم للعمل بكتابه وسنة نبيه، وأن يوفقهم للأخذ على أيدي السفهاء، ومنع الزنا والفواحش والخمور والقمار وسائر المحرمات في كل بلد من بلاد الإسلام، وأن يخلف عليهم خيرًا مما كانوا يتعلقون به بسبب تلك الذنوب، أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يوفقهم لتعزيز وتأييد الدعاة إلى الله ونصرهم وتأييدهم، وقمع من يقف في طريقهم في كل مكان، كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن ينتقم من كل والٍ ملحد فاجر، وأن يستبدله بمن يخافه ويرجوه، وأن يوفق المسلمين في كل مكان.

كما أسأله بأسمائه وصفاته أن يزيد ولاة أمر هذا البلد بمزيد من التوفيق والتسديد، والهداية والرشاد، وأن يصلح ظاهرهم وبواطنهم، وأن يوفقهم لاختيار الأعوان الصالحين، وأن يعينهم على ما حملهم، وأن يوفقهم لما يحبه ويرضاه، وأن ييسر لهم تأمين السبل المؤدية إلى بيته العتيق ومسجد رسوله الكريم، وأن يوفقهم لتأمين هذه البلاد والتعاون مع سائر الولاة الصالحين لنشر الأمن والأمان في سائر ربوع الإسلام بمنِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكرمه.

كما أسأله أن ينصر المجاهدين في سبيله؛ أن يعاجلهم بنصره وتمكينه، وأن يشد أزرهم ويطهر قلوبهم، ويجمع كلمتهم على الحق على كتاب الله وسنة نبيه، وأن يصلح ظواهرهم وسرائرهم، وأن ينزع ما بينهم من خلافات، وأن يعاجلهم بنصره وتأييده، وأن يسلطهم على أعدائهم أعداء الدين، وأن يوفقهم في كل مكان، إنه سبحانه الجواد الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

ثَمَرَاتُ التَّوْبَةِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فإنه ثبت في "الصحيح» عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»**(١).

ما أعظم كرم الله جَلَّ وَعَلَا، وما أكثر أسباب المغفرة التي يسرها لعباده! ما أجلَّ عفوه وأكرمه! ما أعظم صبر الله على إساءات عباده! فإنه ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»**(٢)، فهو جَلَّ وَعَلَا من أسمائه الصبور الذي صبره لا يُماثل، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب الصابرين، ويجازي على الصبر بالجزاء العظيم؛ كما قال -جَلَّ مِنْ قائل-: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

فيا عباد الله! إن ربنا جَلَّ وَعَلَا يبسط يده في الليل والنهار ليتوب العباد إليه، وهو يعلم سبحانه كثرة إساءاتهم، وعظم ذنوبهم، وقبيح أفعالهم، ومع ذلك فإنه جَلَّ وَعَلَا يفرح بتوبتهم، فهو الكريم الأكرم، إن الإنسان ينبغي أن يستحي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من الله جَلَّ وَعَلَا أشد الحياء؛ يدر علينا النعم ويواليها! ويمهل لنا -رغم الإساءات- فلا يعاجلنا بالعقاب!

إن العبد ينبغي أن يعرف قدر ربه جَلَّ وَعَلَا، وعظيم إحسانه إليه، وكثرة عفوه عن أخطائه، وتجاوزه جَلَّ وَعَلَا عن إساءات عبده.

إن الإنسان مخلوق لا يملك حولًا ولا قوةً، ومع ذلك لو أحسن إليك إحسانًا ظهر لك وعرفته لاستحييت منه أن تواجهه بما يكره، أو أن تخالف أمره، وأنت تستطيع أن تخالفه، وإحسان الله إلينا ومننه علينا ونعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم القليل منها والكثير لا نعلمه تقتضي منَّا أن نستحي منه جَلَّ وَعَلَا، وألَّا نتقاعس عن العمل الذي يقربنا إليه، وألَّا نجترئ على ارتكاب ما نهانا عنه.

والحياء -يا عباد الله- شعبة من شعب الإيمان؛ كما جاء في الحديث الصحيح عن المصطفى الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ يقول: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أعلاها: قَوْلُ لَا إِلَهَ إلا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عن الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الْإِيمَانِ**»[1]، فحريٌّ بالمؤمن وحريٌّ بالمسلم أن يكثر حياؤه من ربه، وأن يتوب إليه جَلَّ وَعَلَا مما اقترف من السيئات، وأن يغتنم الفرصة قبل أن يُحال بينه وبين التوبة، ولا سيَّما في مثل هذا اليوم وما بقي من شهرنا هذا، هذا الزمن العظيم التي تُقال فيه العثرات، وتُستجاب فيه الدعوات، وتُفرَّج فيه الكربات، وتُعظَّم فيه من أهل الطاعات الحسنات.

ينبغي للمسلم إذا هو تكاسل أن يستحي من الذي يريه النعم، ويدر عليه

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الرغد، ويعافيه من بين سائر العباد، ويدفع عنه أمراضًا كثيرة أصيب بها بعض الناس ممن يعرف وممن لا يعرف، ولولا لطف الله جَلَّوَعَلَا ورحمته به وإحسانه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليه لأصيب ببعض المكاره، ولابْتُلي ببعض المتاعب، ولكن لطف اللطيف الخبير دفع عنه كثيرًا.

إن الله جَلَّوَعَلَا قد هيَّأ لنا أسباب المغفرة، ويسَّر لنا وسائل التوبة، ودعانا إلى ذلك في كتابه الكريم وبخبر رسوله المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقد جاء في الحديث الصحيح عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه قال: **«يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ جَلَّوَعَلَا: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟»**[١].

وفي الحديث الآخر يقول: **«للَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»**[٢].

ويقول -أيضًا-: **«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ،**

---

(١) أخرجه أحمد (١٥/٣٦٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو بنحو هذا اللفظ عند البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(١).

فهو سبحانه يعلم إساءاتنا، ويطلع على حسناتنا؛ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، يُرفع إليه جَلَّوَعَلَا عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، فما نعمله يُرفع إليه جَلَّوَعَلَا؛ لا تخفى عليه خافيه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [٢٥٥]، وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: **«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ»**(٢).

فيا عباد الله! اغتنموا الفرص لتُرفع توباتكم إليه جَلَّوَعَلَا صباح مساء؛ لعلكم أن تكونوا من أهل القبول والغفران، ولا سيَّما في مثل هذه الأوقات وأنتم تودعون أكرم الشهور وأعزها، وأعظمها فائدة لكم وأجلها مجالًا للأعمال الصالحة، اغتنموها وتوبوا إلى الله جَلَّوَعَلَا جميعًا لعلكم تفلحون، وبادروا ولا تستكثروا التوبة، فإن سيد الخلق محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتوب في اليوم الواحد أكثر من مائة مرة(٣)، وكان يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«واللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»**(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩).

(٣) كما في حديث الأغر المزني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ويقول أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: إنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: **«رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»**[(١)]، ومجالسه كثيرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

فبادروا -يا عباد الله- واغتنموا هذه الأيام؛ عسى أن نُكتب فيها من عتقاء الله من النار، احرصوا على العمل الصالح، إن أحدنا لو تمكن أن ينظر إلى سجل خطاياه وكتابة ذنوبه لأصيب بالإغماء من كثرة ما نعمل من السيئات، ولكن الله جَلَّ وَعَلَا لَطَفَ بنا، فلا نعرفها ولا ندري عن الكثير منها، ولو أن الذنوب والخطايا تفوح لها روائح لما استطاع أحد أن يجلس بجانب أخيه الآخر من كثرة الخطايا والسيئات!

والتوبة -أيها المسلمون- تغسل القلوب وتزيل عنها درن الخطايا والشبهات، وقد قال سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟»**، قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: **«فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»**[(٢)]، فدلَّ على أن أحدنا يُصاب في اليوم بالضرر الكثير، فاغسلوا هذه الأضرار التي تصيبنا بكثرة الأعمال، والتوبة إلى الرب الكريم، والاستغفار

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، والنسائي في الكبرى (٩/ ١٧٢)، وابن حبان (٣/ ٢٠٦)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٢٣١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والابتهال؛ عسى الله أن يستجيب دعاءنا، وأن يغفر زلَّاتنا، وأن يتجاوز عنَّا، فإنه خير من تجاوز وعفا.

اللَّهُمَّ يا من مددت يديك لعبادك ليتوب مسيئنا في النهار ومسيئنا في الليل، نسألك أن توفِّقنا أجمعين للتوبة، وأن تتقبلها منَّا، وأن تغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا، اللَّهُمَّ ارحمنا برحمتك الواسعة، وأَقِل عثراتنا، وخفِّف عنا الحساب يوم العرض الأكبر.

اللَّهُمَّ إلهنا ومولانا، لقد تصرَّمت أيام شهرنا ولياليه، فلا تجعلنا فيه من الخائبين، اللَّهُمَّ يا كريم يا جواد اجعل شهرنا شاهدًا لنا بالخير، وتجاوز عن السيئات والتقصير، واعف عنَّا، فإنك أنت العفو الكريم.

اللَّهُمَّ يا جواد يا ماجد، يا حي يا قيوم، يا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، يا خير الغافرين، اغفر لنا في هذا المكان أجمعين، وأعتقنا من النار، وأعتق والدينا وأولادنا وزوجاتنا وسائر أقاربنا، وجميع من له حق علينا يا حي يا قيوم، واغفر اللَّهُمَّ للمسلمين والمسلمات أجمعين.

اللَّهُمَّ أنت ربنا، اللَّهُمَّ أنت العالم بالسرائر والظواهر، نسألك يا حي يا قيوم، يا مَنْ أسْدَل علينا سِتْره في الظاهر ألا تفضحنا يوم تُكشف السرائر، اللَّهُمَّ يا من منَّ علينا بالقرب من هذا البيت قرِّبنا من رحمتك يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ يا مَنْ مكَّننا من شهود شهر رمضان ومشاركة أهل الصيام والقيام نسألك ألَّا تجعل أعمالنا مردودة علينا، اللَّهُمَّ عاملنا بعفوك وإحسانك وكريم لطفك وامتنانك يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّنا، اللَّهُمَّ أصلحنا أجمعين، اللَّهُمَّ أصلح ذريتنا وأزواجنا، اللَّهُمَّ طهر قلوبنا، اللَّهُمَّ طهر نفوسنا، اللَّهُمَّ املأ بيوتنا بالطهارة والنور، اللَّهُمَّ

طهر بيوتنا أجمعين، وجنبنا يا حي يا قيوم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق، واهدنا صراطك المستقيم يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ اهد المسلمين أجمعين، اللَّهُمَّ أصلح قادتهم، اللَّهُمَّ أصلح قادتهم، اللَّهُمَّ اجمعهم على الحق، اللَّهُمَّ ألف ذات بينهم، اللَّهُمَّ ارزقهم القيام بأمرك، والأخذ على أيدي سفهاء عبادك، وتقييم معوجهم يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ انصر بهم الحق وانصرهم به، وأعلِ شأنهم بدين الإسلام، وارفع شأن الإسلام بهم في كل مكان، اللَّهُمَّ ما علمت حربًا على الإسلام ومعطلًا للسنن ومميتًا لها ومظهرًا للبدع فاستبدلهم بِمَنْ يقيم السنن ويميت البدع ويجمع الكلمة يا جواد يا كريم.

اللَّهُمَّ إن في عبادك ممن أنت أعلم بهم مفسدين في الأرض، فيا حي يا قيوم اهدهم، أو أزلهم عن الوجود، واستعمل مكانهم من يخافك ويرجوك ويلطف بعبادك، إنك جواد كريم.

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمر المسلمين في كل مكان، وخُصَّ يا حي يا قيوم يا رب هذا البيت العتيق ولاة أمر هذا المكان وسائر هذه البلاد بمزيد من التوفيق والتسديد، والهداية والرشاد، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهدِ بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، إنك مجيب الدعاء.

اللَّهُمَّ اجمع كلمة المسلمين على أيديهم، اللَّهُمَّ وفقهم يا حي يا قيوم لجمع الكلمة ونزع الخلافات وحط الحرب عن المسلمين، اللَّهُمَّ اجمع بهم الكلمة، ووحد بهم الصف، وأصلح لهم القادة، إنك فعال لما تريد.

اللَّهُمَّ وفقهم يا حي يا قيوم للمحافظة على أمن هذا البلد، وزدهم من كل خير، ووفقهم لما تحب، ويسر لهم تأمين السبل المؤدية إلى هذا البيت العتيق

ومسجد نبيك، وكافئهم على ذلك بعز الدنيا والآخرة يا جواد يا كريم، واحشرنا يا حي يا قيوم وإياهم مع الذين أنعمت عليهم، إنك جواد كريم.

اللَّهُمَّ أنت الله الذي لا إله إلا أنت، انصر المجاهدين في سبيلك، وعاجلهم بنصرك وتأييدك، وسلطهم على رقاب أعدائهم، وارزقهم الحزم والعزيمة، واتحاد الكلمة، وتوحيد الصف في ظل لا إله إلا الله يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ املأ قلوب أعدائهم بالوهن والهلع والرعب والخوف، وأقض مضاجعهم، وزلزل أقدامهم يا إله العالمين، واجعل بقية شهرنا هذا خاتمة حروبهم، إنك أجود الأجودين.

اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى، وسائر طوائف الكفر والإلحاد والفجور من الشيوعيين والباطنيين، وسائر أهل الوثنية، يا جواد يا كريم، اللَّهُمَّ أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللَّهُمَّ من أراد المسلمين والإسلام بسوء فأشغله بنفسه، وسلط عليه من يسومه سوء العذاب، اللَّهُمَّ زلزل أقدامهم، وأنزل بهم بأسك الذي لا يُرد عن القوم المجرمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على الهادي الأمين، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهم إلى يوم الدين.

تَحْرِيمُ الظُّلْمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته، وبعد:

فقد ثبت في "الصحيح" عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه جَلَّ وَعَلَا أن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: **«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»**(١).

يا عباد الله، إن هذا الحديث العظيم القدسي الذي يخاطب الله جَلَّ وَعَلَا به

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عباده، يبين فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه الفعَّال لما يريد؛ حرَّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرَّمًا، فمن ظلم أخاه المسلم فقد ارتكب ما حرَّم الله عليه، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة؛ كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»**[1].

فالظلم -أيها المسلمون- ظلم الرجل لأخيه من أقبح الأعمال وأشنعها؛ لأنه ارتكب ما حرَّمه الله جَلَّ وَعَلَا على نفسه وجعله محرمًا بين عباده، فالله جَلَّ وَعَلَا أحكم الحاكمين وهو الحكم العدل لا يرضى بالظلم، فهو لا يظلم العباد شيئًا، ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].

فإذا ارتكب المرء مظلمة مع إخوانه وجب عليه أن يتخلص منها ويخرج من مغبتها قبل أن يموت؛ لأنه إذا مات إن أباحوه وأحلوه منها، وإلَّا فإنه يوم القيامة لا يتسامح أحد عن شيء في ذلك اليوم، لا أحد يتنازل عن حق له مهما صغر، ومهما كان الذي له الحق، ولو كان أقرب الناس إليه؛ من زوج، أو زوجة، أو أخ، أو أخت، أو قريب، أو قريبة، لا يتسامح ولا يتنازل، يود كل واحد أن يأخذ من سيئاته فيضعها على سيئات أقرب الناس إليه؛ لأنه في ذلك اليوم كلٌّ لا يهمه إلا نفسه!

فليحرص المسلم على تجنب أسباب الظلم، وليحرص على إنجاء نفسه من ذلك قبل أن يلقى الله جَلَّ وَعَلَا وصحائفه ملأى بمظالم العباد، فيكون مع

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

المفلسين؛ كما جاء في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد سأل أصحابه: **«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»**، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: **«إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»**(١).

لأن المسلم له حق عظيم، فالله جَلَّ وَعَلَا حرَّم الظلم على نفسه وحرَّمه فيما بين العباد، فمن ظلم نفسه استعملها في مساخط الله، ومن ظلم العباد وانتهك حقوقهم وتكبر عليهم وآذاهم، فإنه لم إن لم ينتقم الله منه في الدنيا نصرهم الله جَلَّ وَعَلَا يوم القيامة، فإنه دعوة المظلوم لا تُردُّ، ففي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الغَمَامِ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»**(٢).

فالمسلم يجب عليه أن يحاسب نفسه قبل أن يُعرض على الحساب؛ قبل يوم الحساب، فإن من ناقش نفسه في الدنيا، وتتبع عثراتها، وتخلَّص من مظالمها للعباد قبل أن يرحل من دنياه؛ أفلح ونجح، ومن نسي ما ارتكبه مع الناس، وكان همُّه مطالب نفسه ومشتهياتها؛ نسي أمر الله جَلَّ وَعَلَا فأنساه الله نفسه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١٥/٤٦٣)، والترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والعياذ بالله، إن الله جَلَّ وَعَلَا أرحم بعبده من الوالدة بولدها[1]، ولا يهلك على الله إلا هالك.

إن الله سبحانه حرم الظلم، وأعظم الظلم -أيها المسلم- هو الشرك بالله جَلَّ وَعَلَا؛ ففي الحديث عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»**[2].

ثم يليه تظالم العباد فيما بينهم؛ من أكل الحقوق، والتكبر عليهم، واستئجار الأجير وعدم دفع أجره، والخوض في أعراضهم، والإساءة إليهم، كل هذا من المظالم التي إن تخلَّص العبد منها في الدنيا وإلَّا فالميزان والحساب والنقاش يوم القيامة.

فلتحرص -أخي المسلم- في هذه الأيام المباركة على التوبة إلى الله والتخلص من مظالم العباد، وأقبل على ربك لعله أن يهدي قلبك، ثم اعلم أن الهداية بيد الله جَلَّ وَعَلَا؛ كما في هذا الحديث العظيم: **«يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا**

---

(١) كما في الحديث عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْيٍ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟»**، قُلْنَا: لَا، واللهِ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»**، أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤).

مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»، أكثروا من سؤال الله الهداية، أكثروا من سؤال الله أن يهديكم، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١].

ألحوا على الله جَلَّ وَعَلَا واطلبوا منه بإلحاح في حال السجود وفي حال جلوسكم، لا أحد عندكم يتطلع على أعمالكم سواه، اجتهدوا في ذلك؛ لعل الله جَلَّ وَعَلَا أن يهدي قلوبنا أجمعين، فإنه لا مهدي إلا من هداه الله.

«**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ**»؛ الإنسان لا حول به في هذه الدنيا ولا في الآخرة إلا بالله، فالجائع إنما يطعمه الله جَلَّ وَعَلَا ويسقيه، ييسر له أسباب الطعام، ويحسن له استساغته، فالجائع إنما يسأل ربه وما بأيدي الناس إنما هو إلا من الله، فإذا أعطوك فهذا فضل ساقه الله جَلَّ وَعَلَا منهم إليك، فإن الناس لا يرزقون أحدًا، بل الله جَلَّ وَعَلَا هو الرزاق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

فاحرص -أخي المسلم- أن تسأل الله جَلَّ وَعَلَا من فضله، وإذا رأيت خيرًا عند الآخرين فاسأل الذي أعطاهم، وتضرع إليه أن ييسر لك إما على أيديهم أو بأي وسيلة ومن أي باب يشاء، فإن الفضل عنده، والرزق منه جَلَّ وَعَلَا ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

فاسأل ربك في طعامك وشرابك، ووفاء دينك، وتفريج كرباتك، توجه إليه جَلَّ وَعَلَا وحده، وأقبل عليه بقلبك، واعلم أن الخلائق أجمع لن يستطيعوا أن يخففوا عنك همًّا، ولا أن يقضوا عنك دينًا، ولا أن يجلبوا لك رزقًا، وإنما

ذلك كله من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ»؛ كلهم عارٍ إلا من كساه الله، وكلهم فقير إلا من أغناه الغني الكريم، فالناس أجمع هم الفقراء لله، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: **« يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي»**، مسكين ذلك الذي يظن أنه أفلت من أمر الله جَلَّ وَعَلَا وتصرف فيما أراد، فإن الأمر كله لله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، فهو جَلَّ وَعَلَا الذي يملك كل شيء، وإنما ينبغي للإنسان أن يسأل ربه ويتوجه إليه.

إن الإنسان -يا عباد الله- لا يضر إلا نفسه، من أراد أن يخادع الله بالمعاصي فيتظاهر بأمر ويبدي أمرًا آخر فإنما يخدع نفسه، ولا يضر ربه جَلَّ وَعَلَا إنما يضر نفسه فقط، ثم إن الله جَلَّ وَعَلَا غنيٌّ كريم لا تضره معصية العاصي، ولا تنفعه طاعة المطيع، وإنما يأمرنا بطاعته؛ لأنه كريم يحب الإكرام، جواد يحب الجود، عفو يحب العفو، يأمرنا بطاعته ليكرمنا ويحسن إلينا، ويكافئنا ويجازينا، فهو الجواد الكريم؛ لا تضره المعصية، ولا تنفعه الطاعة، لو أن أهل الأرض أجمعهم آمنوا به وأطاعوه وتمسكوا بدينه ما زاد ذلك في ملكه شيئًا، لأنه جَلَّ وَعَلَا مالك الملك، وهو سبحانه له كل شيء؛ كل من في الأرض ملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن هو في السماء، ومن هو موجود، ومن سيوجد.

لا تضره جَلَّ وَعَلَا معصيتنا، ولا تنفعه طاعتنا، وإنما إذا عصا العبد ربه فإنما يظلم نفسه؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس:٤٤].

فاحرص أخي المسلم على طاعة الله؛ لتفوز بجوائز الله جَلَّوَعَلَا في هذا الشهر وفي غيره، واحرص أخي المسلم على أن تجتهد في طاعة ربك، والإحسان إلى نفسك، والجد والاجتهاد في تجنب مساخط رب العباد جَلَّوَعَلَا، فإنه سبحانه إذا أحسن العبد إلى نفسه باستعمالها بالطاعة أحسن الله إليه بأن يسَّر أمره، وفرَّج همه، ونفَّس كرَبَه، ورزقه من حيث لا يحتسب، فهو جَلَّوَعَلَا يرزق من يشاء بغير حساب.

إن العبد إذا أطاع الله جَلَّوَعَلَا، وتعرض لنفحاته، وتعرض لتنزل الرحمة منه، وتعرض لرزقه وفضله؛ رزقه من حيث لا يحتسب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

وإن الإنسان إذا أُعْجِب بذكائه وفطنته، وما يسر الله على يديه من خير ورزق، أملى له الله، فإذا بلغ من اغتراره مداه، وبلغ من غروره بنفسه أبعد الأمور، أخذه الله جَلَّوَعَلَا أخذ عزيز مقتدر، فإن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

فيا أخي المسلم، اجتهد في الفرار من المعصية، فروا إلى الله إنه لا منجى من الله إلا إليه، ولا مفر من عذابه إلا إليه، ولا مفزع من سخطه إلا إلى رضاه، وإن رضا الله جَلَّوَعَلَا بامتثال أمره، وبالاهتداء بهدي رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومحبة عباده المؤمنين، وكراهية أهل الفساد وفسادهم.

إن الله جَلَّوَعَلَا إذا رأى من عبده إقبالًا على الطاعة، وإعراضًا عن المعصية، وتقربًا إليه جَلَّوَعَلَا بالنوافل؛ حفظ سمعه، وبصره، ويده، ورجله،

ولسانه، وفرجه، وبطنه، وصانه عن كل ما حرَّم عليه. وإذا العبد استطال بنعم الله، وتضرع بها إلى المعاصي، واستعمل فضل الله جَلَّ وَعَلَا بالتكبر على عباد الله وظُلمهم؛ أملى له الله جَلَّ وَعَلَا؛ كما قال عن الظلمة: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٣]، ثم يأخذهم جَلَّ وَعَلَا أخذ عزيز مقتدر.

فاحرص -يا أخي المسلم- إنك في أيام كريمة، وإن شهرك قد تصرمت أيامه ولياليه، «**وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ**»(١)، وإن من أحسن في آخر الأمر صادقًا، وأقبل على الله جَلَّ وَعَلَا مفتقرًا إليه، وتضرع إليه وابتهل وافتقر إليه، وتذكر ذنوبه وسيئاته، وخاف منها فرجا عفو ربه جَلَّ وَعَلَا؛ تاب الله عليه، وبدَّل سيئاته حسنات، ويسر له اليسرى وجنبه العسرى؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا هو اللطيف الخبير.

فاجتهدوا -أيها المسلمون- إنه لم يبق لشهركم بالتأكيد إلا أربع ليالٍ وقد تكون خمس، فاجتهدوا في هذه الأربع، لو أن إنسان أثقل ليله في مثلها وأتعب نهاره لما كان كثيرًا في انتظار الفضل الذي يكتبه الله له، والتيسير الذي ييسره فيها وتنزل الرحمة، لا سيما وأن فيها ليلة عظيمة، لا سيما وقد أقبلت في أصح أقوال أهل العلم ليلة العمل فيها أحب إلى الله جَلَّ وَعَلَا من العمل في ألف شهر.

فاغتنموا الفرص -أيها المسلمون- وتأهبوا لها بالنشاط والإقبال والعزيمة؛ تفلحوا بإذنه تعالى، فإن الإنسان إذا عزم على الخير، ونوى فعل الطاعة، واجتهد في ذلك؛ يسَّر الله له أسبابه، وهيأ له سبله، وأعانه وأكثر من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٧) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أعوانه، وإيَّانا -أيها الأخوة- أن نسوِّف ونفرط، فإن أهل الفلس والغبن هم الذين يمنُّون أنفسهم؛ حتى إذا فاتتهم الفرص، وتقطعت الحبال من أيديهم، وتسربت الأيام والليالي، ونزل بهم الحق وبلغت الروح الحلقوم، تمنى أحدهم وقد عاين الخسارة أن لو بقى أيامًا أو ساعات يستدرك، لكنها ساعة لا ينفع فيها الندم؛ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:٩٩، ١٠٠].

فبادر -يا أخي المسلم- لعل الله جَلَّوَعَلَا أن يكتبنا أجمعين من عباده الذين يبادرون إلى الأعمال الصالحة قبل حلول العوائق والصوارف.

أسأل الله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يمن علينا بالفضل العظيم، والخير الجسيم، والمغفرة السابغة، والرحمة الشاملة.

أسأله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يجعل خير أيامنا في شهرنا هذا بقية هذا الشهر، وأن يجعل أفضل ما نتقرب إليه سبحانه فيه الأيام والليالي المقبلة، أسأله جَلَّوَعَلَا أن يجعل هذا اليوم المبارك يوم تغرب شمسه بذنوبنا وخطايانا، وبما على المسلمين من همٍّ وغمٍّ ونكدٍ وفرقةٍ.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يجعل يومنا هذا هذه الجمعة يوم اجتماع كلمة وانتصار من عباده المؤمنين على الكافرين، وارتفاع لراية التوحيد بمنِّه جَلَّوَعَلَا وكرمه.

أسأله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يكتبنا في هذا المكان أجمعين ممن غفر ذنوبهم، وحطَّ عنهم سيئاتهم، وبارك لهم فيما أعطاهم من أعمال ومال وأهل وولد، بمنِّه جَلَّوَعَلَا وكرمه.

أسأله سبحانه أن يلطف بنا، وأن يعاملنا بما هو أهله من الكرم والإحسان

والعفو والجود، وألا يأخذنا بجهلنا وتقصيرنا، وألا يسلط علينا بذنوبنا من يسومنا سوء العذاب، أسأله جَلَّ وَعَلَا وهو المسؤول، وأرجوه وهو المرتجى، ألا يخيب أملنا، وألا يرد دعاءنا، وألا يسلط علينا بذنوبنا.

أسأله سبحانه أن يجمع كلمة المسلمين، وأن يؤلف ذات بينهم، وأن ينصرهم على عدوه وعدوهم، وأن يجمع شمل القادة، وأن يصلحهم وينفع بهم البلاد والعباد، وأن يوفقهم لتحكيم الكتاب المطهر والسنة النبوية الشريفة، وأن يرزقهم التعاون على ما يُعلي شأن الإسلام وأهله، وعلى ما يرد كيد الكائدين عنه بمنِّه جَلَّ وَعَلَا وكرمه.

اللَّهُمَّ وفِّق ولاة أمرنا في كل مكان، اللَّهُمَّ شدَّ أزرهم، واجمع كلمتهم، وحبب إليهم طاعتك، وارزقهم الرفق بعبادك يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ من رَفَق بأمة محمد فاستجب فيه دعاء محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن شقَّ على أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستجب فيه دعاء محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ يقول: «**اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ**»، اللَّهُمَّ اشقق على كل فاجر شاق على أمة محمد، «**وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**»[(١)]، اللَّهُمَّ ارفق بكل رفيق بأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم وفق ولاة أمر هذا البلد لطاعتك، وجنبهم أسباب معصيتك، وأصلحهم وأصلح بطانتهم، واجمع كلمتهم، ووفقهم للتعاون على البر والتقوى، وارفع قدرهم عندك بالعمل الصالح، واهدهم سبل السلام،

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وارزقهم القيام بأمرك ونصرة دينك والدعوة إليه في الداخل والخارج، ووفقهم يا حي يا قيوم للمحافظة على أمن هذا البلد وتأمين سبل بيتك الحرام ومسجد نبيك الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا حي يا قيوم، وكافئهم على ذلك وأثبهم بعز الدنيا وعز الآخرة، ونحن معهم بمنِّك وكرمك وجودك يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ وفقهم يا حي يا قيوم للسعي لإحلال السلام في ربوع بلاد الإسلام، ووضع الحرب عن أمة الإسلام، ونصرة المجاهدين.

اللَّهُمَّ عاجل المجاهدين بالنصر والتمكين، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم املأ قلوب أعدائهم هيبة لهم وذعرًا منهم، وارزقهم يا حي يا قيوم الربح والفلاح، وعاجلهم بالنصر والتأييد، واجعل شهرنا هذا شهر خاتم لقتالهم مع أعدائهم يا إله العالمين، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في كل مكان، ووفق الدعاة الصالحين الصادقين في كل مكان، واشرح قلوب العباد لدعوة الحق يا ذا الجلال والأكرام.

اللَّهُمَّ إنا نسألك أن ترينا في الفجرة الظلمة من اليهود والنصارى والشيوعيين والملاحدة الباطنيين، وسائر الوثنيين والكفرة عجائب قدرتك، اللَّهُمَّ أنزل بهم بأسك الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين، اللَّهُمَّ اشدد وطأتك عليهم، اللَّهُمَّ أقض مضاجعهم، وزلزل أقدامهم، وسلط عليهم من يسومهم العذاب، يا ذا الجلال والإكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على الهادي الأمين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته، أما بعد:

فيا عباد الله، ثبت في "الصحيح" عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»**(١).

هذا الحديث العظيم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُشرى للمحسنين المنفقين في وجوه البر والإحسان؛ بدعاء الملائكة لهم بالخلف، فإن من أنفق في وجوه البر، وبذل في سبل الإحسان، وتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بشيء مما منَّ عليه وأعطاه؛ يستخلف الله عليه، ويؤتيه خيرًا مما أنفق، فإنه ما أنفق العبد نفقة أو يتصدق بصدقة إلا أخلف الله عليه جَلَّ وَعَلَا خيرًا مما أنفق؛ لأن الله سبحانه هو أجود الأجودين، وهو خير الشاكرين جَلَّ وَعَلَا.

فمن أحسن فيما أحسن الله به عليه، وتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بشيء من فضله، ونظر إلى حاجات عباد الله فأمدهم بشيء مما أعطاه الله، فإن الله جَلَّ وَعَلَا وهو الشاكر العليم يعطيه خيرًا مما أنفق، ويخلف عليه أفضل مما بذل، ويبارك له جَلَّ وَعَلَا فيما أبقى، وتدعوا له الملائكة مع المحسنين بالخلف والخير؛ كما أن أهل الإمساك والشُح، وأهل البخل، يدعون عليهم بالتلف.

وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المال لا تنقصه الصدقة، ولا تذهب

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بركته الإحسان والبذل[1]، بل إن الصدقة تزكيه وتنميه وتحفظه من العوادي والمصائب؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا يزيد الشاكرين ويحفظ عليهم ما يشكرون به، فقد قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧].

فيا عباد الله، أحسنوا إلى الله وتقربوا إلى الله بذلك، وانتظروا الخلف من الله، وانتظروا حفظ ما في أيديكم من الله، فإن الله جَلَّوَعَلَا هو خير حافظ، وهو أرحم الراحمين، وهو الذي جَلَّوَعَلَا إذا شكره عبده وعلم أن الفضل منه فتقرب إليه جَلَّوَعَلَا أورد عليه الخيرات، وفتح له أبواب الرزق، وآتاه من الرزق بغير حساب، ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:٣٨].

فأحسنوا يا عباد الله، واغتنموا ليلتكم هذه وما يليها، فإنها قد فنيت أيام شهركم ولياليه، فمن كان يسوِّف في بذل المعروف لآخر الشهر فها أنت في أواخره، ومن كان يتردد في الإحسان فإنه لا ينبغي التردد في الطاعة، ومن كان مقصِّرًا فيما سلف فليتدارك بقيمة يومه وأيامه؛ لعل الله جَلَّوَعَلَا أن يلحقه بالمحسنين.

اجتهدوا أيها المسلمون، وأطيعوا ربكم وتسابقوا في عبادته وتضرعوا،

---

(١) كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ، إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا»**. أخرجه أحمد (١٢/ ١٣٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٤١٢). وأخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، والطبراني في الكبير (٨٥٥) من حديث أبي كبشة الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإن شهركم شهر الخير والبركة والإحسان قد تهيأ للرحيل، أرأيتكم لو حلَّ بكم صاحب إحسان وكرم، وصاحب بذل وعطاء ومن ينفعكم وجوده وتستريحون له، ويحس كل واحد منكم أنه صاحب معين على الخير، وصاحب مؤنس في المكان، ألا يحس أحدنا إذا هم هذا الصاحب بالمفارقة بأسى في نفسه وحزن على الفراق؟!

إن شهرنا هذا شهر عظيم، شهر الثواب والإحسان، شهر تنزل الرحمة، شهر العفو والعتق من النيران، وقد آذنكم بالفراق والرحيل، فودعوه بخير ما يودع به الأصحاب والأحبة، وودعوه بأفضل ما ترغبونه بأن تروه في خزائن أعمالكم، اشكروا الله جَلَّ وَعَلَا على توفيقه لكم بأن مكنكم من بلوغ الشهر وحباكم لإتمامه وقد أوشكتم على إتمامه، فاعملوا صالحًا لعله جَلَّ وَعَلَا أن يبدِّل السيئات السالفة بحسنات، ولعله أن يحطَّ الخطايا والمعاصي، لعله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر الذنوب فإنه سبحانه عفو كريم، غفور رحيم، جواد ماجد، يعطي ولا يبخل، ويجيب من سأل.

فاسألوا الله جَلَّ وَعَلَا وألحوا عليه، واغتنموا هذه الساعات القلائل من ليلتكم هذه ويومكم التالي وليلة القابلة، فقد لا يكون لديكم من الفرص سوى ذلك، أو قد لا يكون لدى بعضنا شيء من الفرص إلا جلسة اليوم، فاغتنموا يا عباد الله، اغتنموا اجتماعكم، فإنه ما من قوم يجلسون في روضة من رياض الجنة في حلق الذكر ينتظرون رحمة الله ويتعرضون لعفوه وإحسانه إلا حباهم الله جَلَّ وَعَلَا[1].

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ**
=

بل إن المسلم المسيء إذا جلس مع أهل الخير، واستحيا أن يفارقهم، فبقي معهم حياءً من أن يقوم فتلتفت إليه الأعناق، تنزل عليه الرحمة؛ لأن القوم أهل الزكاة والطاعة لا يشقى بهم جليسهم، فمن جلس مع أهل الخير ولم يكن يريد ذلك في السابق لكن لـمَّا ضمهم المجلس والْتفَّ عليه القوم وجلسوا يسمعون الذكر أو يذكرون الله، يستحي أن يقوم، فما يدع القيام إلا حياءً أن يكون شاذًّا منهم؛ يشمله عفو الله، ويعفو الله عنه معهم ويرحمه، ويقول الله جَلَّوَعَلَا في حقهم: «**هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**»(١).

فاغتنموا -أيها المسلمون- الفرص، واغتنموا الساعات القلائل، وألحوا

=

مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»، أخرج مسلم (٢٦٩٩).

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا، يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ! قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»، أخرج البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

على الله، فإن الإنسان ينبغي له إن كان وفِّق في ليلته الماضية للعمل الصالح ألَّا يقول: هي كافية، وألَّا يقول: أكتفي بها. فإن من علامة التوفيق والتسديد أن تُتبع الحسنة بالحسنة، وإن من علامات القبول -إن شاء الله- أن يتلو العمل الصالح العمل الصالح السابق؛ لأن ذلك دلالة على أن العبد لا يزال في توفيق من الله جَلَّ وَعَلَا.

إن إتباع الحسنة بالحسنات من علامات التوفيق يا عباد الله، فجدُّوا بالطاعة، ولا يقولن أحدنا: لعل عمله ليلة البارحة قد قُبِل. هو في الحقيقة إذا قُبِل تسبَّب لنا في العمل ليلتنا هذا، وهكذا فإن الأعمال المقبولة تستدعي الاستمرار على العمل؛ لأن من قُبِل عمله وفِّق للاستمرار على الطاعة، ومن رُدَّ عمله -يا عباد الله- رُدَّ جَهْدُه، فلم يوفق للاجتهاد والعمل.

فاغتنموا -أيها المسلمون- اغتنموا الساعات، واعملوا صالحًا، وتضرعوا إلى ربكم بأن يوفقكم، فإن من جَدَّ في العمل في شهر رمضان وعقد عزمه أن يستمر على ذلك بعد رمضان فإن الله جَلَّ وَعَلَا يوفقه للعمل، ومن قال: أكتفي بالعمل في رمضان. فإن من ترك العمل الصالح استلمه الشيطان وقاده إلى زمرته وأدخله في حظيرته، ووجهه إلى مطالبه ومقاصده، فأفسد عليه بالعمل السيئ ما سبق من صالح العمل، ومحا الحسنات الطيبات المباركات بالسيئات الخبيثات المنتنات.

فاحرص -يا عبد الله- وتجنب مزالق السوء وشرك الشيطان وحبائله، وكن دائمًا على صلة بالله، مشتغلاً بذكره، متقربًا إلى الله جَلَّ وَعَلَا بما تحب أن تراه في سجل أعمالك وموازين عملك يوم القيامة.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يختم لنا أعمالنا بخير، وأن يجعل

شهرنا هذا شهرًا مبارك علينا، وأن يخلفه علينا أعوامًا تالية متتالية، وأن يجعلنا فيه ممن فاز بالعفو والرضا والرحمة والعتق من النار، أسأل الله جَلَّ وَعَلَا لنا أجمعين أن يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء، وأن يعتقنا من النار، وأن يرحمنا برحمته، وأن يعفو عنا بلطفه وإحسانه،

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لنا أجمعين، وأن يغفر لوالدينا ووالديهم وأولادنا ووالديهم وسائر أقاربنا إنه جواد كريم، اللَّهُمَّ بأسمائك وصفاتك نسألك أن تختم لنا بالحسنى، وأن تتقبل منا أعمالنا، وأن تتجاوز عن سيئاتنا يا أكرم الأكرمين يا خير من تجاوز وعفا، اللَّهُمَّ أرفق بنا وارحمنا، اللَّهُمَّ عافنا واعفُ عنا، اللَّهُمَّ إنك عفو كريم تحب العفو فاعفُ عنا.

اللَّهُمَّ يا كريم يا جواد أصلح لنا ديننا ودنيانا، وأصلح لنا حياتنا وآخرتنا، ومنَّ علينا بالتثبيت، وألحقنا بآبائنا الصالحين، وألحق بنا ذريتنا بصلاح واستقامة يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ اجعلنا من الذين آمنوا وألحقت بهم ذريتهم بإيمان يا أجود الأجودين، اللَّهُمَّ لا تردنا خائبين، اللَّهُمَّ لا تخزنا يوم الدين، اللَّهُمَّ لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمرنا، اللَّهُمَّ أصلح سادتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمر المسلمين، واجمع شملهم، وألِّف ذات بينهم، وأصلحهم وأصلح بطانتهم وأعوانهم، اللَّهُمَّ اهدهم واهدِ بهم العباد، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، واجمع بهم كلمة المسلمين، اللَّهُمَّ وفِّق ولاة أمر هذا البلد بما تحبه وترضاه، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، اللَّهُمَّ وفقهم واهدهم، اللَّهُمَّ اجمعهم على ما تحب، وارزقهم يا حي يا قيوم القيام بأمرك، والصدق معك، والنصح لعبادك المؤمنين، اللَّهُمَّ هيئ على أيديهم أسباب النجاح والنصر، واجمع على

أيديهم كلمة المسلمين، ووحد على أيديهم كافة الأمة المحمدية يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، اللَّهُمَّ اهدهم وأعنهم ولا تسلط عليهم، وقوِّهم بالحق يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تعينهم على ما وليتهم، وأن توفقهم للمحافظة على أمن هذه البلاد، وأن تعينهم على ذلك، وأن توفقهم لتسهيل السبل المؤدية إلى بيتك العتيق وإلى مسجد رسولك الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا أكرم الأكرمين يا حي يا جواد.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصرهم وأيدهم، واقمع أعداءهم، اللَّهُمَّ زلزل أقدام أعدائهم، وأقض مضاجعهم، واملأ قلوبهم بالوهن والخوف والرعب، وسلط عليهم عبادك المؤمنين يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ عاجلهم بالنصر والتمكين، وأذل اليهود والنصارى والشيوعيين والملاحدة الباطنيين وسائر الكفرة يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ أعز أهل الصلاح والتقى، واهد أهل الضلال من المسلمين، اللَّهُمَّ حُطَّ عن المسلمين الحرب يا ذا الجلال والإكرام، واستبدلها بالأمن والأمان، وسلط على دعاة الحرب يا حي يا قيوم من يذيقهم سوء العذاب يا جواد يا كريم إنك أجود الأجودين، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

الرُّقْيَةُ الشَّرْعِيَّةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدي بهديه وتمسك بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

فقد روي البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم حديث حصين بن عبد الرحمن قال: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الْأَسْلَمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: لا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ، فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ»** -يعنى: في المنام- **«فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»** -بعض الأنبياء يجلس يدعو إلى انتهاء عمره ولا يستجيب له أحد- **«إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»**، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«مَا الَّذِي تَخُوضُونَ**

فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ؟**»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»(١).

فهذا الحديث العظيم فيه فوائد عظيمة تتعلق بالاعتقاد والتوكل على الله، وجواز التداوى لمن احتاج إليه وطلبه، فإن الإنسان إذا أصيب وأحب أن يتداوى فلا حرج في ذلك، فإنَّ «**الله لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»(٢). ولـمَّا سُئِل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألا نتداوى؟ قال: «**نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، إِلَّا دَاءً وَاحِدًا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «**الْهَرَمُ**»(٣). وفي رواية: «**إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوَوْا ولا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**»(٤).

فحديث حصين الذي يرويه عن الشعبي، عن بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يتعلق بجواز التداوي؛ لأن الرقية نوع من الدواء.

والرقية: قراءة ودعاء يسترقي بها من أُصِيب بعين، والعين: أن يصاب الإنسان بعين -أي: بحسد- من أخيه المسلم أو غير مسلم، و«**الْعَيْنُ حَقٌّ**»(٥)،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤/٢٧٨) من حديث أسامة بن شريك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨)، والنسائي في الكبرى (٧/٧٩)، وابن ماجه (٣١٣٦)، وأحمد (٣٠/٣٤٩) من حديث أسامة بن شريك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤)، والبيهقي في الكبرى (١٠/٩) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم (٢١٨٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تصيب الإنسان وربما قتلت، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤]، قادر أن يودع في بعض الناس خاصية إذا فكر بشخص يصيبه بنوع من الأذى، والغالب أن ذلك بدون قصد منه، فإذا أصيب بشيء من الأذى جاز له أن يتداوي.

فهذا أصل في التداوي وأنه مباح، إلا أن الدواء لا يؤخر أجلًا ولا يرد قضاءً وقدرًا، وتركه لا يعجل أجلًا؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا جعل لكل نفس أجلًا لا تتجاوزه ولا تتخلف عنه؛ «**لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا**»[1]، هكذا جاء الحديث عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

إِلَّا أن الدواء ينفع؛ حتى لا يقول الإنسان: لو أني فعلت كذا لأدركت كذا. يأخذ بالسبب؛ لتسلم له عقيدته من التعلق بغير الله، فلا حرج بالتداوي بما أباحه الله.

وأما حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في تمام هذا الحديث في الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فهؤلاء لهم مزية خاصة ومنزلة عالية، إذا عرفنا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقف معه في عرفة في حجة الوداع مائه ألف مسلم، والذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب سبعون ألفًا؛ علمنا أن هذه منزلة لا يصل إليها إلا أفراد قليلون، فإن الإنسان وإن لم يتطير قد يحتاج إلى دواء ويفعله، بل النادر مِنَ الناس مَنْ لا يبالي؛ اعتمادًا على قضاء الله وقدره، ولعلمه أن كلَّ نفس لها أجلها الذي لا تتعداه، ورزقها الذي لا يفوتها أو تفوته، وأن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٧٩)، وابن أبي الدنيا في القناعة والتعفف (٥٧)، والحاكم (٢/ ٥)، والبيهقي في الشعب (١٣/ ١٩) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الناس لن يستطيعوا أن يحجبوا شيئًا عنها كتبه الله لها، لكن ذلك لا يكون عند كثير من الناس بالدرجة العالية التي تصل بالإنسان إلى قمة التوكل.

ولذلك يُروى أن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا مرض وجاؤوه يعودونه، قالوا له: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلَا نَدْعُو لَكَ طَبِيبًا يَنْظُرُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «قَدْ نَظَرَ إِلَيَّ»، قَالُوا: فَمَاذَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: «قَالَ: إِنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيدُ»[1]. يعني: أن طبيبه الذي يشفيه هو الله جَلَّ وَعَلَا؛ كما قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

فهؤلاء السبعون ألفًا «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ**»، أي: لا يستعملون الرقية، «**وَلَا يَسْتَرْقُونَ**»، أي: لا يطلبون من أحدٍ أن يرقيهم برقية ولو كانت مباحة «**وَلَا يَتَطَيَّرُونَ**»، من الطيَرة، وهو نوع من الشرك، «**وَلَا يَكْتَوُونَ**»، والكي -كما هو معلوم- نوع من العلاج، وكان من أنفع العلاجات في الزمن القديم، فهم لا يكتوون ثقة بالله واعتمادًا علية، ولعظم توكلهم ويقينهم أن الكي لا يؤجل أجلًا، ولا يدفع ما كُتِب على الإنسان؛ لأن الإنسان كُتب عليه ما هو أتٍ لا محالة.

فهم «**لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ**»، فجمعوا أسباب التوكل بكاملها، فوصلوا الذروة فيها، وجمعوا التبرؤ من الشرك إلى أقصى درجاته، ومع ذلك: «**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»؛ يحققون العقيدة غاية التحقيق، ويصفُّون إيمانهم بالله جَلَّ وَعَلَا أتم التصفية؛ حتى يكون صافيًا في غاية الصفاء، ولذلك كان جزاؤهم: أن يدخلوا الجنة بغير حساب ولا عذاب؛

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٩٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٤).

لا يُنظر في صحائف أعمالهم؛ لأن أعمالهم غُمِرت بالإيمان، فأصبحت السيئات لا حساب لها بالنسبة للأعمال العظيمة التي عملوها ودانوا لله جَلَّوَعَلَا بها.

ولـمَّا قال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذه المقالة قام الصحابي الموفَّق عكاشة بن محصن الأسدي، فقال: ادعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: **«أَنْتَ مِنْهُمْ؟»**، فاشرأبت أعناق الناس ليتسابقوا، فقام رجل وقال: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: **«سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»**.

وليس معنى هذا أنه ليس في أولئك الجمع من يدخل الجنة من غير حساب، فلا شك أن الصديق والفاروق وعثمان وعلي أفضل من عكاشة رضي الله عنهم أجمعين، إلا أن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بحكمته الباهرة وبُعد نظره أغلق الباب؛ حتى لا يتدافع الناس، فيقول لبعضهم: نعم، ولبعضهم: لا. فقال: **«سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»**، أما عكاشة فقد قُتل في حروب الردة شهيدًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فلينظر المسلم إلى قيمة العقيدة وأثرها وثمراتها العظيمة بدخول الجنة بدون حساب ولا عذاب، وليس معنى «ولا عذاب» أنهم لا يمرون النار أبدًا، فإن النار لابد من المرور عليها؛ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١]، لكن كما قال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا»**[١]، إلى آخر ما هو مذكور في الحديث.

فأولئك السابقون بعظيم إيمانهم، وعالي توكلهم، وصدق براءتهم من الشرك وأسبابه، وكثرة أعمالهم ابتغاء وجه الله، يفوزون بهذا الفوز العظيم

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وهذه المنزلة العالية؛ بأن يتطلع الناس إليهم، فهم يدخلون الجنة بلا حساب، والناس يُعرضون على الحساب يوم القيامة؛ لكن من خُفِّف حسابه سلم ونجا، و«**مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ**»(١)، نسأل الله السلامة من نقاش الحساب.

إن التوحيد -يا عباد الله- توحيد الله جَلَّوَعَلَا وتنقية العقيدة، ومحاولة إبعاد كل ما من شأنه أن يضعف ضياءها أو يعتم صفاءها، من أعظم أسباب الفلاح في الدنيا، واتضاح الأمر إذا ادلهمت الأمور، ووضوح السبيل إذا عميت السبل؛ ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، يعطيه الله جَلَّوَعَلَا نورًا يستطيع أن يميز به بين الحق والباطل، والظلام والهدى، والنافع والضار، ولاسيما في الأزمنة التي تغشى الناس فيها ظلمات الجهل، وظلمات الهوى، وظلمات الشبهات والشهوات، لاسيما في مثل هذا الزمن الذي أصبح عامة مقاليد الأمور بيد السفهاء والظلمة والمخالفون لأمر الله ولأمر رسوله، فيفتتن كثير من الناس ويضعف إيمانه.

ولكن الموفَّق من وفقه الله جَلَّوَعَلَا واعتصم به، وعلم أن الدنيا مهما اتسع فيها نطاق الجاه والسلامة والرغد إنما هي كأضغاث أحلام، وإذا نظر الإنسان إلى سِيَر السابقين وأهل الفضل والسبق في الأعمال الصالحة وَجَد أنهم جعلوا دنياهم مطية لآخرتهم، وما أعطاهم الله منها جعلوه وسيلة وسببًا للفوز بما أعده الله لعباده المؤمنين، فإذا سمعوا عن عمل صالح أو عامل بعمل صالح طاقت أنفسهم؛ لأن يسايروه ويماثلوه أو يسبقوه، وإذا علموا أحدًا فاز بعزٍّ في الدنيا خشوا عليه أن يُفتن في ذلك؛ لأن أغلب الفتن إنما تكون مع الغنى؛

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦، ٧].

نسأل الله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يرزقنا تحقيق الإيمان وسلامة العقيدة، وعظيم التوكل عليه والاعتماد عليه جَلَّوَعَلَا، وألا يعرضنا للفتن، وأن يبعد عنَّا الفتن أجمعين، وأن يَهبنا بمنِّه جَلَّوَعَلَا وتوفيقه السلامة من المكاره، والعافية من المحن والفتن؛ حتى تسلم لنا عقيدتنا وديننا.

كما نسأله جَلَّوَعَلَا أن ينفعنا أجمعين بما نسمع ونقول، وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعلنا أجمعين ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه بمنِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكرمه.

كما أسأله سبحانه أن يهدى قلوبنا، وأن يصلح ذريتنا وأزواجنا وأقاربنا وسائر إخواننا المسلمين وجميع المسلمين في كل مكان، وأن يرزقنا أجمعين الخوف منه، وعظيم الرجاء به، والتوبة إليه والاستغفار دائمًا وأبدًا من كل ذنب بمنِّه سبحانه وكرمه.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يغفر لإخواننا أجمعين، وأن يغفر لآبائنا وأمهاتنا وجميع والدينا وإخواننا بمنِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكرمه، كما أسأله أن يجعل يومنا هذا يومًا أغرًّا مجيدًا للإسلام والمسلمين، وأن يجعل للمسلمين فيه من الخير والثواب والأجر أوفر حظ ونصيب.

كما أسأله سبحانه أن يهدى المسلمين في كل مكان، أن يهدي ضالَّهم، ويشبع جائعهم، ويكسو عاريهم، وينصر مظلومهم، ويعزَّ ذليلهم بمنِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكرمه.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يهدي القادة في كل مكان، وأن يوفقهم لما يحبه ويرضاه، وأن يحبب إليهم الدعوة إليه، وإقامة عدله، ونصرة شريعته، وإقامة الحدود،

وعقاب المجرمين، إنه اكرم الأكرمين، أسأله أن يرزقهم التعاون على البر والتقوى، وتعزيز الجهاد والدعوة إلى الله، وأن يخصَّ ويزيد ولاة أمر هذه البلد بمزيد من التوفيق والتسديد، والهداية والرشاد، وأن يعينهم على ما ولاهم، وأن يهديهم لما يحب ويرضى، وأن يباعد بينهم وبين المعاصي والفتن، وأن يحبب إليهم كل طاعة، وأن يكرِّه إليهم كل معصية، وأن يرزقهم الصدق والتوبة إليه من كل ذنب، وأن يوفقنا معهم أجمعين.

كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يعينهم على ما ولاهم، ويوفقهم لتأمين وتحقيق أمن هذه البلاد المباركة، وتيسير السبل المؤدية إلى بيت الله العتيق ومسجد رسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنه سبحانه جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الخلق أجمعين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

حَقِيقَةُ الصِّدْقِ وَالإِخْلَاصِ فِي العَمَلِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدي بهديه وتمسك بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

لقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤدِّب أصحابه كما أدَّبه ربُّه جَلَّ وَعَلَا فأحسن تأديبه؛ كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بإخلاص العبادة لله بالصدق مع الله جَلَّ وَعَلَا، والصدق مع الله هو أن يحرص الإنسان على طاعة الله، وألا يعبد إلا الله، فإن أبرَّ الصدق وأكمله أن تصدق في معاملتك لربك جَلَّ وَعَلَا، وإن تحرِّي الصدق والرغبة فيه في الجد والهزل مظنة أن يكون الإنسان متخلقًا بالصدق وأخلاق الصادقين، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

فالصدق -يا أخي المسلم- سبيل من سبل الجنة، بل «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ**»(١)، كأنك ركبت طريقًا لا محالة لمن يركبه إلا أن يصل إلى الجنة، وإن الله جَلَّ وَعَلَا يكافئ الصادقين في الدنيا بأن يظهر صدقهم، فيُقبل قولهم، ويصدقهم الناس فيما يقولون ويعملونه ويطمئنون إليهم؛ لأنهم قد تبرؤوا من أخلاق المنافقين، وإن من أخلاق المنافقين اعتياد الكذب، والتخلق به، وألفه والمحافظة عليه، والعياذ بالله.

فعليكم بالصدق، «**فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ**»، والبر من الإيمان، بل من أكمل أحوال الإيمان، وثواب البر -أيها المسلم- الجنة؛ لأنه يهدي المتمسك به

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والسائر عليه إلى جنة الله التي أعدها لعباده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وإن الإنسان إذا تحرَّى الصدق وحرص عليه مع معامليه ومع أهله ومع أولاده وفي كل أموره تخلَّق بالصدق، فأصبح الصدق خُلقًا له، وأصبح معتادًا له، لا يستطيع أن يكذب ولو أراد أن يكذب؛ لأنه قد جُبِل على الأخلاق الكريمة، وتشبَّعت نفسه بمحبة الصدق ولزومه، فأصبح دَيْدَنَها، فاحرص أخي المسلم.

وإن من الصدق مع الله جَلَّوَعَلَا الحرص على طاعته وعبادته، والنصح لعباده، والإخلاص في ذلك، والجد والاجتهاد في هذه الأيام وما بعدها من الأعمال التي يرجو الإنسان أن يراها في سجله وموازينه وأعماله يوم القيامة.

إن الصدق -يا أخي- من صفات المؤمنين، **«وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا»**، وقد علمت في كتاب الله الثناء على الصديقين، وأن الله جَلَّوَعَلَا جعلهم من قبيل النبيين والشهداء، لـمَّا ذكر النبيين ذكر معهم الصديقين والشهداء، فمَنْ كَتَبَه الله جَلَّوَعَلَا عنده صديقًا فإن ذلك من أفضل المنازل، فأنه يتلو منزلة النبيين.

فاحرص -أخي المسلم- فإن الإنسان إذا تحرَّى الصدق مع أهله وأولاده حتى مع أطفاله ومع الناس أجمعين؛ وفَّقه الله تعالى لهذا الخُلُقِ النبيل، وأصبح من أهل الصدق والوفاء، وكُتِب عند الله في سجل الصادقين.

إن السلف كان أحدهم يستنكف أن يكذب على الدابة! فقد ذهب أحد المحدثين يطلب حديثًا عند رجل، فرآه ينادي دابته -كأن في يديه شيئًا- فلما دنت أمسكها وليس في يديه شيء، فرجع ذلك الراحل لطلب الحديث دون أن يروي عن ذلك الرجل شيئًا، وقال: من استساغ أن يكذب على البهيمة

استساغ أن يكذب على غيرها!

كان السلف يستعظمون أمر الكذب في كل حال، ويستبعدون أنفسهم عنه، ويرون أنه من الأخلاق الرذيلة والصفات الذميمة؛ لأن الكذب -أيها المسلمون- يتنافى مع الإيمان، فالإنسان المسلم قد يرتكب ذنبًا لشهوة، يرتكب ذنبًا للطمع، يرتكب ذنبًا لأمورٍ، لكن ما الذي يحمله على الكذب مع أن الصدق سبيل النجاة، وأن الصدق سبب الرفعة في الدنيا والآخرة، إلا أنه قد تخلق بأخلاق المنافقين، فإن من أخلاق أهل النفاق أن أحدهم إذا حدث كذب.

أخي المسلم، ورد في الأثر أن امرأة قالت: لطفل صغير تناديه: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟»**، قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ»**(١). فهي إنما دعت الطفل لمصلحته!

فبمثل هذه الآداب العالية أدب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحابته، فتراهم مصابيح هدى، ودعاة أصلاح، وموازين عدل وفتوح، وقد أعلى الله على أيديهم كلمة الله جَلَّ وَعَلَا، ونشر بأسبابهم نور الهداية، وأشاع في ربوع الدنيا ضياء الإيمان بسبب دعوتهم الصادقة، ولكم -أيها المسلمون- بهم أسوة حسنة.

وإن في زمننا هذا -الذي تفشى فيه من الكذب والخيانة، والإثم والفجور- نحتاج أعظم الحاجة إلى الصدق والوفاء والإخلاص لله جَلَّ وَعَلَا،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩١)، وأحمد (٢٤/ ٤٧٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٣٣٥) من حديث عبد الله بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم لعباده بالنصح والهداية.

فاحرص -يا أخي المسلم- احرص على الأخذ بأسباب طريق المهتدين، وتحرَّى الصدق في أحوالك كلها تفز بأن تكون من الصادقين عند الله جَلَّوَعَلَا، واعمل بأمر رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وما حضَّك عليه وما دعاك إليه صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإنه ما يدعوك إلا لما يحييك، ولا يأمرك ألا بما ينفعك، ولا يرشدك ألا لما فيه خيرك وصلاحك وإصلاحك، فاغتنم الفرص وأطع الله ورسوله تفز بسعادة الدنيا والآخرة.

ثم أحذر مما حذَّرك منه نبيك صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقد قال الصادق المصدوق: **«إِيَّاكُمْ وَالكَذِبِ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»**[١].

والكذب -يا عباد الله- من أبرز صفات المنافقين، والمنافقين قد أعد الله لهم الدرك الأسفل من النار، فالكذب خصلة من خصالهم، وهل يرضى المؤمن الذي يرجو ثواب الله والدار الآخرة أن يتحلى بحلية المنافقين، وأن يتخلق بأخلاقهم، وأن يتأدب بآدابهم؟! فإن خصالهم يجر بغضها بعض، فإذا تحلى المسلم بحلية النفاق دعته هذه الحلية إلى حلية أخرى؛ حتى يستكمل لباس النفاق، وينقلب بين الناس منافقًا خالصًا.

فاحرص -أخي المسلم- على تجنب أخلاق المنفاقين، وإن كان أحدنا قد استمرأ الكذب واستحلاه؛ ليُسْتَلذ به حديثه، ويُقبل كلامه بين أصدقائه، فأنه اليوم في الأيام العظيمة التي هي أحرى في قبول التوبة، ومحو السيئات، ورفع

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود رَضِوَاللَّهُعَنهُ.

الدرجات، وتبديل السيئات بالحسنات، فافزع إلى الله تائبًا صادقًا، واعزم أن تكون من الصادقين.

«إِيَّاكُمْ وَالكَذِبِ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ»، وإن الفجور من صفات المنافقين، وأن المنافق **«إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»**[١].

فتجنب -يا أخي المسلم- أخلاق النفاق الذي يدعو إلى الفجور، ثم يدعو إلى النار، فإن الرجل إذا ألف الكذب وتحرَّاه، واستمرأ طريقه وسار عليه، كُتِب عند الله كذَّابًا، أي: من أهل الكذب المبالغين فيه، وهل يرضى المسلم أن يكون مع أهل الكذب والنفاق والشقاق؟!

ينبغي لك -أيها المسلم- أن تعوِّد نفسك على تجنب الكذب ولو كان مزاحًا، فإن الكثير من الناس يستهين بالكذب في حال المزاح، ويقول: إنما هي في حال مزاح، لا أظلم أحدًا، ولا آخذ حق أحد، وإنما أُضْحِك القوم وأمازحهم وأسليهم!

إن الرجل -يا أخي المسلم- **«لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»**[٢]، يتكلم بالكلمة ليضحك بها القوم كاذبًا فيها فتهوى به في النار والعياذ بالله!

إن الكذب -أيها المسلم- يتنافى مع صفات الإيمان؛ لأن الإيمان إنما هو محل الصادقين، وإنما هو مرتكز القلوب بالصدق والوفاء، وإن الكذب محله

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قلوب المنافقين، وهو من أخلاق أهل الكذب والفجور والغدر، فتجنبوا -أيها المسلمون- أخلاق أهل النفاق، واعملوا بنصائح نبيكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتأدبوا بما أدبكم به، وتخلقوا بما دعاكم للتخلق به.

ولقد كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أصدق الخلق حديثًا، وأبرَّهم قَسَمًا، وأوفاهم ذِمَّةً، وأخلصهم في كل شيء صلوات الله وسلامه عليه، ولكم فيه أسوة حسنة، فتحلوا -أيها المسلمون- بحلية الصدق وتأدبوا به، وتخلوا عن الكذب وأخلاقه.

فإن الكذب -أيها المسلمون- لم يُبَح بحال من الأحوال إلا في أمور ثلاثة؛ لما في ذلك من الإصلاح ودفع الشر وإحكام الروابط الكريمة بين الأسر، لم يُبَح الكذب -لا في جَدٍّ ولا في هزلٍ- إلا في الحرب؛ يكذب أهل الإيمان على الفجرة الكافرين المنافقين في الحروب ليخدعوهم؛ لأن **«الحَرْبَ خَدْعَةٌ»**(١)، فيجوز في ذلك إذا كان القصد رفع شأن الإسلام.

ويجوز أن يكذب المرء للإصلاح بين المسلمين، وإبعاد الخصام والشقاق عنهم، وإحلال الصدق والوفاء والتعاون والإخاء بينهم، فالكذب لإصلاح ذات البين جائز، وهو من أجلِّ طلب الثواب من الله.

وتأتي المرحلة الثالثة مما يجوز فيه الكذب: أن يكذب الرجل على امرأته فيما يتعلق بإصلاح الأسرة(٢)، وإحكام روابط المحبة والإخاء على دين الله،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٩)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في حديث أم كلثوم بنت عقبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول: **«لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا»**، وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخِّصُ =

على أساس من حسن العشرة بين الزوجين، وكذا المرأة يجوز لها أن تكذب على زوجها في هذا السبيل، ولا يحل أن يكذب أحدهما على الآخر في أمر خيانة، ولا في أمر غدر وإخلال، وإنما هو في إصلاح الأسرة وجمع كلمتها وإبعاد الشقاق عنها؛ يتحدث عنها بمحبة ووفاء وإخلاص، وتتحدث معه في ذلك، ولا يحل أن يكون الكذب على أساس من الغدر والخيانة، وعلى أساس من الفجور والفواحش والمنكرات، إن هذا لا يحل بحال.

فاحرصوا -أيها المسلمون- على صفات المؤمنين، تخلقوا بها وتحلوا بها، فإن الإنسان إذا حرص على الخير ورغب فيه وتتبع أموره، وفَّقه الله جَلَّوَعَلَا لصالح العمل، وإن الإنسان -يا عباد الله- إذا رضيت نفسه بالشر، واستمرأت عقوبته، صار مَرْكَبَها الشرُّ -والعياذ بالله- فقادها إلى نار جهنم.

أسأل الله بأسمائه وصفاته أن يجنبنا أجمعين أخلاق أهل الغدر والخيانة والكذب والفجور، وأن يوفقنا لأخلاق أهل الصدق والوفاء، وحسن المعاملة مع الله جَلَّوَعَلَا ومع عباده، أسأله سبحانه أن يجعلنا أجمعين من الصادقين، وأن يكتبنا عنده من الصديقين، وأن يحبب ألينا الصدق، وأن يرزقنا إلى تحريه بمنه جَلَّوَعَلَا وكرمه، وأن يحبب إلينا الصدق في كل أمورنا، وأن يجنبنا الكذب في كل أمورنا، وأن يعلي شأننا بالصدق، وأن لا يخذلنا بالكذب، إنه جَلَّوَعَلَا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

=
فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا». أخرجه البخاري (٢٦٩٢) مختصرًا، ومسلم (٢٦٠٥) واللفظ له.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم منَّ علينا بالتوفيق والتسديد، واهدنا صراطك المستقيم، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع أقاربنا وأولادنا ووالديهم يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ أعذنا من النفاق وأخلاقه، اللَّهُمَّ حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، اللَّهُمَّ كره إلينا الكفر والفسوق والعصيان يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا اللَّهُمَّ اهدِ ضال المسلمين، اللَّهُمَّ اهدِ ضال المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وأعز ذليلهم، وانصر مظلومهم يا كريم يا جواد.

اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمر المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهدِ بهم، وانصرهم بالحق وانصرهم على أعداء الإسلام يا منان يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ وفقهم للتعاون على البر والتقوى، وجنبهم التعاون على الإثم والعدوان، وارزقهم يا حي يا قيوم الإخلاص لك في السر والعلانية، ومحبة الدعوة إليك، والجد والاجتهاد في ذلك، اللَّهُمَّ وفقهم لشد أزر المجاهدين في سبيلك، ونصرة دعوتك، والاجتهاد في ذلك يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ وفقهم لتحكيم كتابك وسنة نبيك على عبادك يا رب العالمين، اللَّهُمَّ خصَّ ولاة أمر هذا البلد بمزيد من التقوى والتسديد، والفلاح والإصلاح، والهدى والرشاد، يا رب العباد، اللَّهُمَّ وفقهم، واهدهم واهدِ بهم، وانصرهم بالإسلام وانصر الإسلام بهم يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ وفقهم لاختيار البطانة الطيبة الصالحة اليقظة، وارزقهم يا إله العالمين الحرص على جمع كلمة المسلمين، واكتب على أيديهم كل خير، وصدَّ

على أيديهم كل شرٍّ يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ وفقهم لتأمين هذه البلاد وحفظها، وإقامة العدل في ربوعها، وإعلاء كلمة الحق عليها يا حي يا قيوم، ووفقهم لتأمين سبل بيتك الحرام ومسجد نبيك الكريم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ وفقهم وأعنهم على ما وليتهم، وارزقهم العمل على كتابك وسنة نبيك، والسعي فيما يرضيك، والرحمة بعبادك المؤمنين، والأخذ على أيدي السفهاء يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ اجعل عملهم خالصًا لوجهك الكريم، وحقق على أيديهم النصر المظفر يا رب العالمين، اللَّهُمَّ سلطهم على أعدائك أعداء دين الإسلام، ومكنهم من رقابهم و أموالهم، واستنقذ بهم أوطان المسلمين يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ اكبت اليهود والنصارى والشيوعيين والملاحدة الباطنيين وسائر الكفرة المارقين في كل مكان يا رب العالمين، اللَّهُمَّ أذلهم وأذل دعوتهم، وانصر أهل الحق عليهم في كل مكان يا ذا الجلال والإكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

اسْتِغْلَالُ الأَوْقَاتِ بِالطَّاعَاتِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فإن نعم الله جَلَّوَعَلَا تتجدد، وأفضاله تتوالى، وأسباب رحمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تتكاثر، لاسيما في هذا الشهر الكريم المبارك، لا سيما في هذا البلد الأمين الذي جعل الله جَلَّوَعَلَا العبادة فيه مضاعفة؛ كما أن الخطايا والسيئات يعظم أمرها في هذا الحرم الكريم.

إن الله جَلَّوَعَلَا ييسر لعباده المؤمنين كلما صدأت قلوبهم وأثقلت الذنوب كواهلهم أوقاتًا يطهرون فيها قلوبهم ويتخففون من ذنوبهم؛ رحمة من الله لعباده، وإحسانًا إليهم، وهو صاحب الفضل والإحسان، وإن أعظم ما ينبغي أن يعتني المرء المسلم به ويتمسك ويعض عليه بالنواجذ أن يؤدي فرائض الله؛ لأنه ما تقرب العباد إلى الله بشيء أحب إليه سبحانه مما افترضه عليهم، فإذا أدو الفرائض ثم تقربوا إلى ربهم بالنوافل حفظ أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم وجوارحهم، وجعلهم يتصرفون في أسباب رحمته ويتقلبون في وسائل مغفرته ورضوانه، وهذا من رحمة الله بالعباد فهو أرحم الراحمين.

إن الله جَلَّوَعَلَا لا يؤاخذنا بالإقلال من النوافل، ولكنه يؤاخذنا بالتفريط في الفرائض، وقد جاء في الحديث القدسي أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقول: **«مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ،**

وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ...»(١) إلى آخر الحديث.

فيحفظ بهذه النوافل أسماعنا أن نرهفها إلى استماع ما حرَّم، وأبصارنا أن نرسلها إلى ما حرَّم، وما أكثر الأسباب المغرية لانطلاق الإبصار إلى المحرمات؟! ويحفظ سبحانه ألسنتنا أن تنطلق فيما حرم، ويحفظ جَلَّ وَعَلَا سائر جوارحنا أن تمتد أو أن تتصرف بشيء حرمه الله علينا؛ بشيء تسر به وتمتد إليه.

فبركة الطاعة -يا عباد الله- وبركة الأعمال الصالحة أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يصون بها الجوارح، ويحفظ بها الأسماع والأبصار والألسنة، فأكثروا من التقرب إلى ربكم بالنوافل، ولا سيما في أيام الفرص، ولا سيما في أيام الخيرات وأسباب الرحمات، ولا سيما في الأمكنة الفاضلة عند هذا البيت الكريم، فإن الصلاة في هذا الحرم المبارك تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه(٢)! إنها والله لفرص عظيمة لا يفرط فيها ألا من تراكمت الذنوب على قلبه، فغشت بصيرته، وطمست نوره، نعوذ بالله منه عمى البصيرة وانطفاء النور.

ثم لنعلم -يا عباد الله- أن من أهم الأعمال البدنية التي يؤديها الناس

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«فَضْلُ الصَّلاةِ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ عَلَى غَيْرِهِ مِائةُ أَلْفِ صَلاة، وَفِي مَسْجِدِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفُ صَلاة، وَفِي مَسْجِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ بِخَمْسِمِائة صَلاة»**، أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٢١٢) برقم (٤٢٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٨٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧): «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام، وهو حديث حسن».
ويشهد له حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هذا أَفْضَلُ من أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إلا المَسْجِدَ الحَرَامَ»**. أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

الصلوات الخمس، وقد مضى شيء من الحديث عنها في الليلة البارحة، فالصلوات الخمس فرضها الله على عباده من فوق سبع سموات، وفرضها أول ما فرضها خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم خفَّف عنَّا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنه يعلم ضعفنا، وقِصَر هممنا، وعدم احتمالنا، فيسَّر علينا وهو صاحب الفضل والإحسان؛ خففها إلى أن صارت خمس صلوات في اليوم والليلة، ولكنه كتبها عنده خمسين صلاة[1]، أرباحًا وأضعافًا مضاعفه، فضلًا من صاحب الفضل والإحسان.

لكن المطلوب أن نؤديها في أوقاتها بإقبال عليها ورغبة في أدائها، فإن الإنسان الذي تحن نفسه إلى العبادة وإذا حضر وقتها اشتد اهتمامه بها كان من الموفقين لأسباب رحمة الله جَلَّ وَعَلَا، وقد جاء في الحديث "الصحيح" أن من الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: **«رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ»**[2]؛ القلب الذي يملك الجوارح، وإذا صلح **«صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ»**[3]؛ كأنه معلق بالمسجد لا يبرح، وإنْ صُدَّ عنه أو زل حنَّ إليه واشتاقت نفسه إليه، فهذا القلب متعلق ميولًا ومحبة بالمساجد، يظله الله جَلَّ وَعَلَا صاحبه يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلَّا ظله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

إن رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واسعة، **«إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ**

---

(١) كما في حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ»[(١)]، ولكن لمن هذه الرحمة يا عباد الله؟! ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]، إن رحمة الله سبحانه معدة للذين يخافون الله ويرجون ثوابه، إن أساؤوا ندموا فاستغفروا، وإن أحسنوا حمدوا الله جَلَّ وَعَلَا على التوفيق فشكروا، وإن أصيبوا بمصيبة علموا أنها بذنوب حدثت وبسيئات اقترفوها، فندموا على هذا الذنب، وصبروا على آلامها، واحتسبوا ما يصيبهم عند الله، واستغفروه وشكروه على النعم.

إن عنوان السعادة أن يصبر المرء إذا أصيب، وأن يشكر إذا جاءته نعمة، وأن يستغفر ربه إذا أذنب، وإن ذنوبنا لا حصر لها ولا عدَّ، لا نستطيع إحصاءها، ولكننا نجهل كثيرًا منها، فيحسن أن نستغفر الله سبحانه مما نعلم من الذنوب ومما لا نعلم؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم ما لا نعلم.

وإن الصلاة -يا عباد الله- تنهى عن الفحشاء والمنكر، وإنه يستعان بها على التغلب على متاعب الحياة ومشاكلها؛ ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥]، إن الصلاة -يا عباد الله- عون للمرء على متاعب دنياه، وبها يذلل المصاعب التي تعترضه في هذه الحياة، وبها يفرِّج الله عنه الكربات، ويزيح عنه المصائب، ويذلل أمامه العقبات.

فاستعينوا بالله -يا عباد الله- استعينوا بالصلاة التي تؤدونها إلى ربكم على تذليل عقبات الدنيا، إننا في طريقنا تعترضنا متاعب ومصائب، وتعترضنا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥٤) واللفظ له، ومسلم (٣١٩٤) مختصرًا، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صعوبات وعقبات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، فلنستعن بالله، ولنستعن بالصلوات الخمس على تذليلها ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥].

إن الصلاة -يا عباد الله- هي عمود ديننا[١]، وإنَّ أوَّل ما يُحاسب المرء على عمله يوم القيامة الصلاة، فإن وُجِد له صلاة يُحاسب عليها وتُحسب من عمله نُظِر في بقية عمله، وإن وُجِد مضيِّعًا للصلاة، ساهيًا مع الساهين، غافلًا مع الغافلين، لم يُنظر له في عمل[٢]، إن الذين يصلون سقر يوم القيامة إنما يقولون إذا سُئلوا عن أحوالهم: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٤٣].

فالصلاة لها شأن عظيم، لابد لك -أخي المسلم- أن تعطيها حقها، وأن تستعين بأدائها على متاعب دنياك.

وقد كان المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ورفع له ذكره- إذا حَزَبه أمرٌ فزع إلى الصلاة[٣]، ويقول:

---

(١) كما في الحديث عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»**، أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١)، والترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢١٤)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

(٢) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ»**. أخرجه الترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥)، وفي رواية عند الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٤٠) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»**.

(٣) أخرجه أبو داود (١٣١٩)، وأحمد (٣٨/ ٣٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٥١٦) من =

«يَا بِلالُ، أَقِمْ الصَّلاةَ، أَرِحْنَا بِهَا»(١). ترتاح نفسه وتلذ وتقر عينه بالصلاة، ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ»**(٢). مُتَع الحياة الدنيا يعجبه منها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النساء والطيب، وأما التي فيها تقر العين، وترتاح النفس، وتتعلق بها الجوارح فهي الصلاة، التي هي الصلة الواصلة للعباد بربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما روت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- يجلس مع أهله يمازحهم ويحادثهم، فإذا أتى وقت الصلاة أو حضر إقامة الصلاة انصرف كأنه لا يعرفهم ولا يعرفونه(٣)؛ لأنه قد حضر ما ينبغي أن يشغله عن كل شاغل، وأن ينشغل به عن كل شيء؛ لأن الصلاة هي أهم أعمال الدين.

ولذلك فإن أهم وصاياه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سكرات موته أنه أوصى أمَّته بالصلاة، في سكرات الموت -صلوات الله وسلامه عليه- يوصي الناس بالصلوات، ويوصيهم بالنساء(٤)؛ لعلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن النساء يغلبن

=

حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٥) من حديث رجل من خزاعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٦٤) من حديث رجل من أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٦٢١٥) من حديث سالم بن خالد الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١٩/ ٣٠٧)، والنسائي (٣٩٣٩) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري (٦٧٦).

(٤) كما في حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كَانَ آخِرُ كَلامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الصَّلاةَ الصَّلاةَ، اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»**، أخرجه أبو داود (٥١٥٦)، وأحمد (٢/ ٢٤)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٩).

العقلاء، فيجمعن بهم، فيوردونهم الموارد الصعبة في أمور يعلمها أكثر الناس؛ ولذلك أوصى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصلاة والنساء خيرًا.

فاهتموا -يا عباد الله- بصلواتكم الخمس، وأكثروا من النوافل، وإن من أفضل النوافل الرواتب التي ذكرها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولها فضل عظيم: أربع ركعات قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتا الفجر، هذه الركعات الثنتي عشرة ركعة كما في "الصحيح"(١) أو عشر ركعات كما في حديث آخر حين لم يعد سوى ركعتين قبل الظهر(٢)، من حافظ عليها بني الله له بيتًا في جنته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى(٣).

وقد جاء في الحديث "الصحيح": **«يَقُولُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ -وَهُوَ أَعْلَمُ-: انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالَ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، قَالَ: أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ»**(٤).

فاجتهدوا -يا عباد الله- وأن من النوافل المهمة صلاة التهجد صلاة الليل، وقد قال النبي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»**(٥). وقال

---

(١) كما في حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أخرجه مسلم (٧٣٠).

(٢) كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري (١١٨٠)، ومسلم (٧٢٩).

(٣) كما في حديث أم حبيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أخرجه مسلم (٧٢٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥)، وابن ماجه (١٤٢٥)، وأحمد (١٥/٢٩٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٤٧٢)، ومسلم (٧٤٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللهِ صَلاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ»**[(١)]، كان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ينام نصف الليل، ثم يقوم ثلثه يصلي، ثم ينام الثلث الأخير، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يصوم يومًا ويفطر يومًا؛ ولذلك لَمَّا أراد عبد الله عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن يصوم الدهر، وتحدث هو وأناس من الصحابة، فجاءوا إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد غَفَرَ اللهُ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قال أَحَدُهُمْ: أَمَّا أنا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وقال آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وقال آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **«أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا! أَمَا والله إني لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»**[(٢)].

وقال لعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«يَا عَبْدَ اللهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟»**، قال: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَلا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ»، قال عبد الله: فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: **«فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ»**، قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ؟ قَالَ: **«نِصْفَ الدَّهْرِ»**، فَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

والقصد أن النوافل تُرَقِّع الفرائض وكل ما يحصل فيها من خلل، فينبغي لك -أخي المسلم- أن تكثر من النوافل، وصلاة التهجد مع الإمام حتى ينصرف من الصلاة يُكتب لمن صلَّى معه بنية الصلاة الكاملة كأنما تهجد الليل كله، ولا تكون الصلاة مع إمام واحد في المسجد الذي يصلي فيه إمامان أو أكثر بمثابة من صلَّى الليل كله، لابد أن تصلي الصلاة التي يحضرها الناس بأجمعها، فإذا صلاها الإنسان كاملة صار كأنما تهجد الليل كله(٢)، وهذا فضل من الله لعباده وإحسان منه عليهم جَلَّ وَعَلَا، وهو صاحب الفضل والإحسان.

فأكثروا -أيها المسلمون- من الصلوات، لا سيما عند هذا البيت العتيق في مكة المكرمة التي تضاعف عندها الحسنات، واحرصوا على تجنب المعاصي والسيئات، فإن المعاصي في الحرم عظيمة، وقد قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥]، وقد ذكر العلماء أن السيئة في الحرم تضاعف، وأن الإجرام فيه عظيم، وأن من أجرم في الحرم ليس كمن أجرم خارج الحرم، ولا شك أن جرمًا في مكان فاضل وفي زمن فاضل ليس كجرم في غير الزمان والمكان، وأن حرمة المكان وحرمة الشهر وحرمة الليالي النيرة الفاضلة ينبغي أن تصان عمَّا حرَّم الله، وينبغي أن تُستغل في أسباب رضوان

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) كما في حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»**. أخرجه أبو داود (١٧٣٥)، والترمذي (٨٠٦)، والنسائي (١٣٦٤)، وابن ماجه (١٣٢٧)، وأحمد (٣٥/ ٣٣١).

الله؛ لعل الله أن ينظر إلينا نظرة رحمة، فينزل علينا رحمته، ويشملنا بعفوه، وينزل علينا ستره، فيغنينا عن خلقه أجمع، وهو سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ صاحب الفضل والجود.

فيا عباد الله .. اتقوا ربكم، وأحسنوا إلى أنفسكم باستعمالها في طاعة الله، وجنبوها المعاصي والنظرات المريبة، وأكثروا من العبادة حول هذا البيت العتيق؛ عسى الله جَلَّ وَعَلَا أن يكتب لكم ثواب العاملين، وأن يجازيكم بالحسنات إحسانًا، ونحن معكم أجمعين.

ثُمَّ جِدُّوا -يا عباد الله- فإن الأزمنة السالفة لنا قد امتلأت بالمعاصي والذنوب، ولكن قلوبنا لمرضها وانشغالها بمطالب الدنيا وحرصها على أسباب عزها في الدنيا عن أسباب عزة الآخرة تخفى عليها كثير من المعاصي، وتعمى عن كثير من السيئات، وتتغافل عن كثير من الأعمال الصالحة، فبادروا بثقل القلوب بالإكثار من الاستغفار والتوبة، ومن الإكثار من الأعمال الصالحة، ومن الإكثار من الإحسان إلى الفقراء والمساكين.

واسألوا ربكم أن يتقبل منكم أعمالكم، كلما أديتم عملًا تضرعوا إليه أن يجعلوه مقبولًا عنده، وأن يدفع به عنكم كل مكروه، فإنه سبحانه يجيب دعوة الداعين، ويغفر ذنوب المستغفرين، ويتوب على التائبين، فإن نبي الهدى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يتوب في اليوم الواحد أكثر من مائة مرة[١]، وكان يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: **«واللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»**[٢].

ولكم في سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة، إذا كان المصطفى مع أن

(١) كما في حديث الأغر المزني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يتوب في اليوم الواحد أكثر من مائة مرة، فكيف بمن لا يدري هل غُفِر له ذنب واحد أم لا؟! ولا يعلم هل قُبِلت له حسنة؟ ولا يدري هل سلمت حسناته من الرياء؟!

إن كثيرًا من الناس -ونحن منهم- نعمل أعمالًا كثيرة لكن لا ندري هل سلمت لوجه الله، ولا ندري هل تبرَّأنا فيها من الحول والقوة، وهل أخلصنا لإلهنا العمل، وهل خفنا من عدم القبول وخشينا من التقصير؟! إننا نحتاج لأن نتبرَّأ من الحول والقوة، وأن نتوجه إلى الله جَلَّوَعَلَا خالقنا فزعين مبتهلين أن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه.

إن الصلاة -يا عباد الله- إذا نحن أتقناها وأديناها كما بلغتنا عن رسولنا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تنهانا عن الفحشاء والمنكر، ويكون لنا منها زاجر عن كل ذنب، ومنبه عن كل خطيئة، وموقظ لنا عن كل غفلة؛ ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥]، استعينوا بالإكثار منها والمحافظة على الفرائض في أوقاتها، والرغبة في أدائها مع الناس في المساجد، والحرص على إتقانها بخشوعها والطمأنينة وركوعها وسجودها، والتلهف إلى الله حال السجود بالإلحاح عليه سبحانه أن يوقظ قلوبنا، وأن يطهر نفوسنا، وأن يرحمنا برحمته الواسعة، فإن **«أَقْرَبَ ما يَكُونُ الْعَبْدُ من رَبِّهِ وهو سَاجِدٌ»**(١)، هكذا أخبرنا نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فإذا حصل لنا هذا القرب -يا عباد الله- فلنتذكر حوائجنا، ولنعرض مسائلنا، ولنرفع طلباتنا إلى من لا يخيب سائله، ولا يرد المتضرع إليه، ولا يُهان من اعتزَّ به والتجأ إليه، استعينوا به سبحانه على قضاء حوائجكم، وسلوه

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قضاءها، وتضرعوا إليه بأن يعزكم في دينكم ودنياكم، وأن يمنحكم التوفيق والتسديد، فإنه جَلَّوَعَلَا قد قال وهو أكرم الأكرمين: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، وقال -جل من قائل-: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم، يا واسع الفضل، يا من دعوتنا لدعائك وندبتنا لسؤالك، نسألك بأسمائك وصفاتك أن تهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن تغفر ذنوبنا أجمعين، وأن تجعلنا في ليلتنا هذه من المرحومين، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم، يا من لا يخيب سائله، يا من لا يذل من اعتزَّ به، يا من لا يُرد من التجأ إليه، نسألك بأسمائك وصفاتك أن توقظ ضمائرنا، وأن تحيي قلوبنا، وأن تطهر نفوسنا، وأن تزكيها أنت خير من طهرها وزكاها.

اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ امنن علينا يا ذا الجلال والإكرام بالإقبال عليك والتضرع والانطراح والانكسار بين يديك، والاعتزاز بك، والاستغناء بك عن خلقك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اجعل قلوبنا قلوبًا حيةً، ونفوسنا نفوسًا مطمئنة، واغننا بفضلك عمَّن سواك، واكفنا بحلالك عن حرامك يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ أعنا على طاعتك، وأعنا على الصبر على معاصيك، وامنن علينا في شهرنا هذا بالعفو والمغفرة والعتق من النار يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ إنا نسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، أنت الحي القيوم ذو الجلال

والإكـرام، أن تجمـع شـمل المـسلمين، وأن تؤلِّـف بـين قلـوبهم، وأن تـصلح أحـوالهم وتغفـر ذنـوبهم، وأن تقيـل عثـراتهم، وأن تجمـع شـملهم، وتعـزهم في دينهم ودنياهم، وأن تغنيهم يا حي يا قيوم عن أعدائهم، وأن تشبع جائعهم، وتعزَّ ذليلهم، وتنصر مظلومهم، وتشفي مريضهم في كل مكان من بلادهـم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ اجمع شملهم، وأصلح قادتهم، وأصلح ولاة أمرهم في كل مكان، اللَّهُـمَّ أصلح قـادتهم في كـل مكـان، وارزقهـم خوفـك ورجـاءك والفـزع إليك والاطمئنان بك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اهدِ قادتنا في كل مكان، اللَّهُـمَّ أصلح ولاة أمرنا في كل مكان، اللَّهُمَّ ارزقهم الإقبال عليك، وتحكيم شرعك، والدعوة إليك، اللَّهُمَّ وفقهم لشد أزر الدعاة إليك وإعانتهم يا حي يا قيوم.

اللَّهُـمَّ خُصَّ ولاة أمـر هـذا البلـد بمزيـد مـن التوفيـق والهدايـة والتـسديد والرشـاد، اللَّهُـمَّ أصـلحهم وأصـلح بهـم، واهـدهم واهـدِ بهـم، وانـصرهم ولا تنصر عليهم، واجعل خوفك ورجاءك والانتصار بك أحب الأشياء إليهم يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أرنا فيهم ومنهم ما تقر به عين كل مؤمن، ويفرح بـه قلـب كـل مؤمن يـا ذا الجـلال والإكـرام، اللَّهُـمَّ انـصرنا وإياهم، وأصـلحنا وإياهم، وهيئ لنا ولهم من أمرنا رشدًا.

اللَّهُـمَّ انـصر المجاهـدين في سبيلك، اللَّهُـمَّ انـصر المجاهـدين في سبيلك، اللَّهُمَّ عاجل المجاهدين في كل مكان بالنصر والتمكين، وأعزهم يا ذا الجلال والإكـرام، وأصـلحهم واهـدهم، وارزقهـم صـلاح النيـة وسـلامة العقيـدة، والتعاون على البر والتقوى، وعاجل أعداءنا وأعداءهم بـالهزائم المتلاحقـة، واجعل سلاحهم وقوتهم غنيمة للمسلمين، اللَّهُـمَّ أصلح القادة والمجاهدين، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في كل مكان من بلاد الله يا حي يا قيوم يا ذا الجلال

والإكرام.

اللَّهُمَّ اختم بالصالحات أعمالنا، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاك يا ذا الجلال والإكرام، وصلى الله وسلم وبارك على الهادي الأمين محمد، وعلى أصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التَّسَابُقُ إِلَى الخَيْرَاتِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى اللَّهُمَّ وسلم على سيد الخلق أجمعين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته، وبعد:

فلقد منَّ الله جَلَّوَعَلَا علينا معشر المسلمين بأن هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فله الفضل والمنة، وهو صاحب الفضل والإحسان، ولقد أكرمنا جَلَّوَعَلَا بما هيَّأه من مواسم كريمة تكون سببًا في تكفير الخطايا، ورفع الدرجات، والمسابقة إلى الطاعات، فضلًا منه جَلَّوَعَلَا وإحسانا بالعباد.

عَلِمَ كثرة تقصيرنا، وكثرة إساءتنا لأنفسنا، وجرأتنا على ما لم يأذن به سبحانه، فهيَّأ لنا أزمنة نتخلص فيها من جرائر الذنوب والخطايا، ونفزع إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيغسل بهذه الأزمنة والطاعات أجسادنا من المعاصي، رحمةً منه سبحانه وفضل، وهو أهل للرحمة والإحسان.

وإن من أجلِّ المواسم وأعلاها شأنًا، وأرفعها منزلة، وأوفاها في تكفير كل خطيئة: شهر رمضان المبارك الذي جعله الله جَلَّوَعَلَا ميدانًا للمتسابقين، ومجالًا لأهل الخير والإحسان، جعله وقتًا تتطلع له النفوس، وتشرئب له الأعناق، وتتهيأ لعبادة ربها، والندم على ما سلف من عهدها.

فيا له من موسم وما أَجَلَّه، ويا لها من أيام وما أكرمها، ويا لها من ليال وما أشرفها وأنورها، إلَّا مع المفرطين الضائعين، نسأل الله ألا نكون منهم أجمعين.

إن هذا الموسم العظيم -يا عباد الله- ولاسيما في رحاب هذا البيت الكريم موسم ينبغي أن يُجلَّ عن المعاصي، وأن يُحترم ويُبجَّل عن التفريط

واللهو والغفلة؛ ليرحل عنا يوم يرحل وقد محا الله به خطايانا، وكفَّر به سيئاتنا، وتجاوز عن تقصيرنا، فهو جَلَّوَعَلَا كريم عظيم التجاوز، واسع الفضل والإحسان، لا يفوته فضلٌ، ولا يحرم أحدًا من خيره، إلا من كان محرومًا بالمعاصي والجرائر العظيمة.

إن هذا الشهر الكريم -يا عباد الله- حل علينا وقد فاز من وُفِّق للعمل الصالح فيه، فإنه شهر جعله الله جَلَّوَعَلَا شهر خير وبركة وسعة في الرزق، وميدانا للإحسان لمن وفَّقهم الله؛ ولذلك فإن من يدركه شهر رمضان ثم يخرج بغير مغفرة لذنوبه فقد باء بالخسران والعياذ بالله[(١)]، وقد فرض ربنا جَلَّوَعَلَا علينا صيامه، وجعله أحد أركان الإسلام، وسن لنا نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قيامه وحضنا على ذلك، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو أصدق البشر وأكرمهم وأرفعهم منزلة عند الله: **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**[(٢)].

بل إن مَنْ وُفِّق لليلة في هذا الشهر الكريم، وصادفها تائبًا من الذنوب، مقبلًا على طاعة ربه، نادمًا على ما فرَّط له من سيئات، فأسهر ليله بالطاعة والإعراض عن معاصي الله، والجد والاجتهاد على اغتنام الفرصة، محتسبًا

---

(١) كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلاهُ الجَنَّةَ»**، أخرجه أحمد (١٢/ ٤٢١)، والترمذي (٣٥٤٥)، وابن حبان (٣/ ١٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٥٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

واثقًا بعفو الله وكرمه، تُكفَّر خطاياه، وهي ليلة القدر[1]، نسأل الله ألا يحرمنا أجمعين خيرها.

ثم لنعلم -يا عباد الله- أن الأعمال إنما تنفع إذا بُنِيت على أساس من العقيدة السليمة، وارتكزت على فطرة مستقيمة، وهذا لا يكون إلا بإخلاص العبادة لله، فقد ثبت في "الصحيح" عن الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«بُنِيَ الْإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»**[2]، هذه الأعمال الخمسة هي أركان ديننا، وهي التي يقوم عليها إسلامنا، فمن أضاع ركنًا منها وفرَّط فيه عالمًا بوجوبه فلا حظ له من الإسلام، وأول ذلك: شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لا ينفع عمل ولا تجزي طاعة ولا تنفع صدقة لمن لم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

والشهادة أن لا إله إلا الله هي أن نعتقد -ولا شك أننا بحمد الله نعتقد هذا الاعتقاد- أن الله سبحانه هو الخالق الرازق المعبود بحق، الذي لا يصح أن يُصْرَفْ شيءٌ من العمل من العبادة إلا له جَلَّ وَعَلَا، وأن من أشرك معه في العبادة شيئًا فإن الله غني عن شركه، يتركه للشركاء الذين لا ينفعونه،

---

(١) كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**، أخرجه البخاري (٣٥)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولا يدفعون عن أنفسهم حولًا ولا قوة، ولا يجلبون له نفعًا، ولا يدفعون عنه ضرًّا(١)، وإنما يضلُّ ويضيع من فرَّط في حياته واتَّبع هواه فعبدهم من دون الله.

وأكثر الناس في هذا الزمن -يا عباد الله- قد فرَّطوا بأمر الله، وأضاعوا شهادة أن لا إله إلا الله، فقالوها بألسنتهم، وحققوا معها شركاء متعددين؛ كما كان العرب يفعلون إذا لبُّوا فقالوا: «لبيك لا شريك لك»، يقولون: «إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك»(٢)، يشركون مع الله جَلَّ وَعَلَا في عبادته، فأخبر جَلَّ وَعَلَا أنهم من أهل النار إلا من شهد بالحق وعمل بذلك(٣).

فشهادة (أن لا اله إلا الله) أن نعلم أن الله جَلَّ وَعَلَا أتم لنا الدين وأكمله لنا، وأنه لا شيء نحتاج إليه في أمور عباداتنا إلا وقد بينه الله في كتابه وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن من ظن غير ذلك فقد ظن خطئًا واعتقد جورًا وبعدًا عن الصراط المستقيم، فإن الله جَلَّ وَعَلَا أكرمنا برسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاختاره لنا، وأكرمنا بأن اختارنا أمة له، ووصف هذه الأمة بأنها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فإن تخلَّت عن

---

(١) كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»**، أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (١١٨٥) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

هذه الصفات فقد فقدت الخيرية التي وصفها الله بها.

إن الشهادة (أن لا إله إلا الله) -يا عباد الله- يقولها مئات الآلاف بل ملايين من البشر، ولكن الذين يحققون هذه الشهادة قلة: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، وإنما المعصوم من عصمه الله، والموفَّق من وفقه الله، والمهدي من هداه الله؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا في الحديث القدسي: **«يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»**[1]. فلا مهدي إلا من هداه الله جَلَّ وَعَلَا.

إن شهادة (أن لا إله إلا الله) هو أن تخلص له في العبادة، وألا تتجرأ على عبادته إلا بما شرعه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن تعلم أن شريعته أكمل الشرائع، وأن فيها الوفاء والكمال والتمام لحل مشاكل البشر؛ خاصها وعامها؛ سياسيها واقتصاديها، وفي جميع الأمور، فالله جَلَّ وَعَلَا قال في كتابه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]، فلا شك أن دينًا قد كَمُل وتمَّت به النعمة لن يُبقي الناس محتاجين معه إلى شيء غيره.

وأما شهادة أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله، فإن عامَّة المسلمين يشهدونها، وإذا أردت أن تحقق تطبيقها فيما بينهم وجدت تخليطًا عند الكثير منهم جهلًا بمدلول هذه الشهادة، فالشهادة أن محمدًا رسول الله تعني طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكل ما أمر به؛ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فأمر الله جَلَّ وَعَلَا هو أمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجب التنفيذ، لا يحل لأحد أن يتردد في ذلك، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»**[1]، الميول الداخلية يجب أن تكون تابعة لما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلا لن يتحقق الإيمان.

شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أخبر، كل ما ثبت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخبر فهو صدق وحق لا يحل لنا أن نتردد فيه، ولا أن ننظر هل يوافق العلم الحديث وما قدره وقرره أهل العلوم العصرية من نظريات أو لا.

إن وجدنا في نفوسنا اختلاف بين ما ثبت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما قرره فيما يزعمون أهل العلم المعاصر، فإنما ذلك إما لقصور في تصورنا وإما قصور فيما قرره أولئك، أمَّا ما ثبت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خبر فلا يصح أن يتطرق إليه شك ولا نظر، فهو الصادق فيما يقول المصدوق فيما يخبر به من ربه جَلَّ وَعَلَا، هو أصدق الخلق على الإطلاق: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم:٣]، كلامه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣٨٧)، والبيهقي في المدخل إلى السنن (ص١٨٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٨)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٢) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأورده النووي في آخر الأربعين، وقال: «حديث صحيح، رُوِّيناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح». يُنظر تعليل الحافظ ابن رجب للحديث في جامع العلوم والحكم (ص٣٨٧، ٣٨٨).

فلا بد لك -أخي المسلم- إذا أردت أن تحقق هذه الشهادة -شهادة أن محمدًا رسول الله- أن تطيع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ طاعة مطلقة، وألا تتوقف في أوامره لتعرف حكمتها ولِمَ أمر بها، بل ما صح من أمر من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وجب علينا أن ننفذه على حسب الاستطاعة، أمَّا ما نهى عنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلا خيار لنا في تركه، فقد قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ»**(١)، ما قال: اجتنبوه إن استطعتم؛ لأن الترك لا يترتب عليه مشقة.

أما بقية معنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لماذا لا نعبد الله إلا بما شرع؟ لأن الله أتمَّ به الدين وأكمله لنا في حياته، فالدين ما شرعه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وما لم يشرعه لا حاجه لنا فيه، ولا حاجه لله جَلَّوَعَلَا أن نتعبده به؛ لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: **«تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»**(٢)، ويقول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**(٣)، وفي رواية: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا ما لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**(٤)،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٨/٣٦٧)، وابن ماجه (٤٣)، والطبراني في الكبير (٦١٩)، والحاكم (١/١٧٥) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وذكره البخاري معلقًا في كتاب البيوع، باب النجش (٣/٦٩)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (٩/١٠٧).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

فأي فائدة للمرء أن يعمل أعمالًا لم يأذن بها الله ولم يشرعها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليُضرب بها وجهه؟! هو في غُنْيَة ليتعبد لله بما شرعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إن من شرط قبول التعبد وصحته أن يكون خالصًا لوجه الله جَلَّ وَعَلَا، وأن يكون موافقًا لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يصح من الأعمال إلا ما كان خالصًا لله ثوابًا موافقًا لسنة رسول الله، وما عدا ذلك فهو عناء وتعب ومشقة ونصب، ليس للعباد منه حظ إلا ما ينالهم من العناء والمشقة؛ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية:٢، ٣]، ما هي النتيجة: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية:٤]، لم تحقق الإخلاص، ولم تحقق المتابعة. يقول الله جَلَّ وَعَلَا لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليبلغ الناس: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، لا مجال لمحبة الله ولا الحصول على رضاه إلا باتِّباع سيد الخلق محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيا عباد الله .. لنحرص على متابعة الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الإخلاص لله في العمل، وفي هذه الأيام المباركة وفي هذه الليالي المقبلة النيرة المشرقة ارجوا الله جَلَّ وَعَلَا جادين في الرغبة، وحريصين على ما عنده؛ طلبًا وتلهفًا لثوابه ومرضاته، فإنه جَلَّ وَعَلَا جواد كريم، واسع الفضل والعطاء، عظيم العفو والإحسان، ندبكم ودعاكم ليغفر ذنوبكم، فقال لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخاطبكم بالقرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر:٥٣]، إي والله نحن أجمعين من المسرفين على أنفسنا، وإنما تتفاوت درجاتنا في الإسراف، لكن ربنا أكرم الأكرمين: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ

أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣]، لكن لمن يغفر هذه الذنوب؟ يغفرها لمن قال في حقهم: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه:٨٢].

فتوبوا إلى الله -يا عباد الله- وأخلصوا لله العمل، واصدقوا في متابعة سيد الخلق أجمعين محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تفوزوا بمغفرة الله ورضوانه، ويزحزحكم عن النار؛ ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]، هذا هو الفوز العظيم، لا أن يكون لنا مطالب الدنيا، ولا أن ندرك ما لم يدركه الأولون من زخرفها وملذاتها، فقد أدركنا الشيء الكثير الذي لم تنله الأسلاف، نسأل الله ألَّا تكون هذه مُتَعًا استعجلناها، وألَّا يُقال لنا يوم القيامة: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأحقاف:٢٠]، نعوذ بالله أن نكون من أولئك.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه وصفاته أن يوفقنا في هذه الأيام والليالي المقبلة للعمل الصالح، والإكثار من التوبة، والاقتداء بسيد الخلق في ذلك، وأن يتجاوز عنَّا، وأن يتقبل أعمالنا، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، إنه جَلَّوَعَلَا واسع الفضل والعطاء، يجيب السائلين، ندبنا للسؤال وتعرض للإجابة فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]. إننا لنا من الحاجات ما الله به عليم، وإن علينا من الأمور ما لا يعلمه إلا هو جَلَّوَعَلَا، وإنه لا يقضي الحاجات العظيمة ولا يفرج الكربات ولا ينقص الهموم إلا المفرج؛ لذلك كله فلنفزع إليه في حال الرخاء وفي حال الشدة، ولنتعرض لنفحاته جَلَّوَعَلَا، فهو سبحانه يجيب السائلين؛ «**يَبْسُطُ يَدَهُ**

بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(١)، رحمة منه وإحسانًا بالعباد.

اللَّهُمَّ أغث قلوبنا بغيث الإيمان، اللَّهُمَّ أنزل عليها شآبيب(٢) الرحمة، اللَّهُمَّ املأ جوارحنا بالنور يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ حبب إلينا طاعتك وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا وأولادنا وأزواجنا وجميع المسلمين، اللَّهُمَّ أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين.

اللَّهُمَّ فرِّج كرب المكروبين، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم أشبع جائع المسلمين في كل مكان، واكْس عاريهم، وأعز ذليلهم، وانصر مظلومهم، وارفع عنهم كل ذل وهوان يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أعزَّهم بطاعتك ولا تذلهم بمعصيتك، واجعل هذا الشهر الكريم المبارك شهر عز ورحمة وخير ورغد لجميع المسلمين، وشهر ذلة ومهانة وكبت وإذلال على جميع أعدائنا أعداء الدين يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ اجمع شأن المسلمين وألِّف ذات بينهم، اللَّهُمَّ أصلح قادتهم، اللَّهُمَّ اهدهم ووفقهم، اللَّهُمَّ اهدهم سبل السلام، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمر هذا البلد، اللَّهُمَّ أصلحهم وتب عليهم ووفقهم يا ذا الجلال والإكرام لما تحبه وترضاه، اللَّهُمَّ اجعل طاعتك وطاعة رسولك أعزَّ الأشياء لديهم وأغلاها عندهم،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الشآبيب: جمع شُؤْبُوبٍ، وهو الدُّفْعةُ من المطر وغيره، قال الأصمعي: الشآبيبُ من المَطَر الدُّفَعَات. يُنظر: تهذيب اللغة (١١/ ٢٩٦)، ولسان العرب (١/ ٤٨٠).

اللَّهُمَّ وفقنا وإياهم وأصلحنا وإياهم وهيئ لنا وإياهم من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ اجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهك موافقة لسنة نبيك مقبولة عندك يا ذا الجلال والإكرام إنك جواد كريم.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ أعزهم وأذل أعداءهم، اللَّهُمَّ أصلح المجاهدين في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح قلوبهم واجمع كلمتهم، وارزقهم الإخلاص لك في جهادهم، وعاجلهم بالنصر والتمكين، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في كل مكان، اللَّهُمَّ اخذل أعداءنا أعداء الدين في كل مكان، اللَّهُمَّ أذل الملاحدة في كل مكان يا إله العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على الهادي الأمين محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فإن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ترك شيئًا ينفعنا إلا ودلَّنا عليه، فقد ثبت في "الصحيح" عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طريق بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: **«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ»**[1].

عباد الله، إنَّ مَنِ اتَّجر في تجارة فخسر جعل الناس يتوجعون له، ومَنِ اشترى وباع في غُبن فاحش أحسَّ الناس بأنه أصابته مصيبة، وأحلَّت به كارثة، هذا في أمور الدنيا، وأمَّا فيما يتعلق بغبن الآخرة فقليل جدًّا الذين يتنبهون لذلك. إنما يتنبه لهذا الغبن الذي يحل بأحد فيما يتعلق بتجارة الآخرة أهل الإيمان الصحيح؛ أهل التيقظ للمستقبل الحريصون على المنافحة، الذين يرغبون في المتاجرة مع الله جَلَّ وَعَلَا، تلك التجارة التي تنجي من عذاب أليم.

فالصحة -يا عباد الله- إذا لم يستعملها ابن آدم أو يستعمل بعضها فيما يرفع منزلته عند ربه، ويدنيه من رضوانه، ويسهِّل له طريق الجنة، استعملها فيما يسخط الله، وفيما يقربه إلى عذابه وناره، استعملها مطية للشيطان والعياذ بالله!

إن الصحة -أيها المسلم- نعمة عظيمة، وقد لا يعرف قدرها الأصحاء،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٢).

فلا يعرف فضلها من يتقلبون في ثوب العافية، وإنما يعرف قدر نعمة الصحة أولئك المرضى الذين يتقلبون على سُرر المرض، أولئك الذين أعيت أمراضهم الأطباء، وأصبح الغمُّ يساورهم، وتسلط اليأس مرافقهم، أولئك يعلمون شيئًا من قدر الصحة وما وزنها وقيمتها عند الناس.

فأما الصحيح المعافى فهو لا يشعر بقدر ذلك الثوب الذي يلبسه، ولا بهذه النعمة التي يتقلب فيها، فإذا مرض أحسَّ بما أصابه، لكن سرعان ما إذا زال مرضه أنه ينسى ما كان أصابه من بأس، وقليل جدًّا هم الذين إذا أنسوا وهم في صحة تذكروا نُزل المستشفيات الذين لا يقر لهم قرار، فحمدوا ربهم أن مَنَّ عليهم وألبسهم الصحة، وشملهم بعافيته في أبدانهم.

إن ابن أدم مطالب بأن يأخذ من صحته قبل مرضه، وأن يعمل في حال الصحة قبل أن يصل إلى حال المرض، وهذا من معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»**(١).

إن الغبن -يا عباد الله- في أمور مكاسب الآخرة هو الغبن الفاحش، إن الغبن الذي يظهر يوم تُوَفَّي الأنفس أعمالها هو الغبن الفاحش العظيم، ذلك يوم التغابن، أما الغبن الذي يصيبنا في الدنيا إذا أصاب أحد منَّا فهو غبن ينساه عندما تتجدد له نعمة تزيل ذلك الغبن، أو عندما يحُلُّ به أمر أفظع من ذلك الغبن؛ لأن مصائب الدنيا يُنسي بعضُها بعضًا، ونعم الدنيا ينسى المرء فيها ما أصابه من متاعب، فإن العريان إذا اكتسى نسي أنه كان في حاجة إلى اللباس،

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي (٢٥١٦)، والحاكم (٣/ ٦٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٧٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والجائع إذا شبع ينسى أوقات تضوره جوعًا، والمريض إذا عوفي واستمرت عافيته أنسته نعمة الصحة ما كان فيه من مرض، وإنما الغبن الفاحش -يا عباد الله- هو هذا الذي قال سيد الخلق فيه: **«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ»**.

أما الفراغ -يا عباد الله- فإن الإنسان قد يشغله شاغل عن العمل من مرض موجعٍ، أو غنى مطغٍ، أو فقر منسٍ، أو هرم معجز، أو الموت، أو غير ذلك[1]، هذه الأمور إذا أتت أذهبت قيمة الفراغ، فالذي لا يستغل أيام فراغه بالعمل الصالح، ولا يستغل أيام صحته بالعمل الصالح، أو أيام شبيبته بالمبادرة للأعمال؛ ليخفف الله عنه متاعب الكبر ومتاعب المرض ومتاعب الانشغال؛ ليسلم من أن يكون من المغبونين.

فإن المغبون حقًّا هو الذي إذا سُئل عن أيام شبابه فيما أبلاها لا يجد جوابًا يُرضي الله جَلَّوَعَلَا، وإذا سُئل عن عمره فيما أفناه لا يجد ما يجيب به عن السؤال، وإذا سُئل عن علمه كيف عمل به لم يجد ما يجيبه، نسأل الله السلامة للجميع، وإذا سُئل عن ماله من أين جمعه وكيف أنفقه يجده إنما جمعه من هنا وهناك وأن الحلال ما حلَّ بيده! وأن الصرف المناسب ما يحمي نفسه، وإن لم يكن على وفق ما شرعه الله جَلَّوَعَلَا.

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«مَا يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ إِلَّا غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ وَالدَّجَّالُ شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ»**، أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١١/٤٢١)، والدارقطني (٤/١٩٢)، والحاكم (٤/٣٥٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/١٤٨) من

فليغتنم المسلم -يا عباد الله- أوقات الصحة -لئلا يكون مع المغبونين- بالأعمال الصالحة، وليغتنم أوقات الفراغ قبل أن ينشغل بنفسه أو بذريته أو بأهل بيته أو في مجتمعه، فتحل به الكوارث، ويُصاب بالمصائب، فإن كثيرًا من الناس في الدنيا في شقاء مستمر، وعذاب أليم، وفي خوف وهلعٍ، فليحمد الله المسلم، ليحمد الله من وُقِي هذه الشرور، ليحمد الله من هو في صحة، لا يُكدِّره خوف، ولا يُزعجه مزعج، ولا تتخطفه زبانية السوء في الطرقات وفي منزله.

فإن كثيرًا من الناس -أيها المسلمون- في هلعٍ مستمر، تُصبِّحهم المخاوف وتمسِّيهم، فمن كان سالمًا من تلك المصائب وآمنًا من تلك المخاوف وفي صحة فليحمد ربه جَلَّوَعَلَا على هذا التوفيق، فإن هذا فضل الله ساقه إليك، فاعرف فضله عليك، وبادر بالأعمال الصالحة؛ لئلا تكون مع أهل الغبن يوم القيامة، فإن ذاك هو الغبن الفظيع، وفي ذلك الهول المفزع الذي من سلم من ألمه وعذابه فقد سلم من أمر العذاب والعياذ بالله.

أخي المسلم، استغل أيام شبابك وصحتك، وليعلم الواحد منَّا إذا أحس بصحته وأنه معافى أنها نعمة عظيمة تحتاج إلى شكر الله جَلَّوَعَلَا بالعمل بالطاعة؛ لأن الله إذا شكره المنعم عليه بنعمته تلك بارك الله له في النعمة، وزاده من كل خير؛ حيث قال جَلَّوَعَلَا في محكم التنزيل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧]، فإذا أحس الإنسان بصحته فإنما هي من الله، ولو شاء ربه لجعله مثل أولئك الذين يتنقلون من بلد إلى بلد وقد أعيت أمراضهم الأطباء في العالم، وأنت أيها المعافى

تتقلب في صحة من الله وعافيته جَلَّوَعَلَا، فاحمده على هذا التيسير والتسديد.

وأنت -يا أخي المسلم- الذي لا يشغلك همٌّ ولا خوف، ولا يلابسك لباس قلق ولا هلع، تصوَّر أولئك الذين يعيشون -بعضهم في مكان قريب منك- تصبِّحهم المخاوف، يُقتل قريبه لا يدري لما قتل! ويقتله قاتله لا يدري لما قتله! وأنت في خير وأمن وأمان، تعبد ربك، وتطوف حول بيته، لا تخاف إلا الله جَلَّوَعَلَا، فاحمد ربك على هذه النعم.

إن زمننا هذا زمن المخاوف، وإن عصرنا هذا عصر إراقة الدماء بحق وبدون حق، فمن كان آمنًا لا يخاف إلا الله فليحمد الله على فراره من الهموم والمخاوف، وليشكر ربه جَلَّوَعَلَا، ولاسيما في أيام تُضاعف فيها الحسنات، ويُبارك له فيها بالطاعات، وتتنزل فيها الرحمة من رب العباد، ويكثر العتقاء فيها من النار بِمَنِّ الله جَلَّوَعَلَا وفضله وجوده على العباد.

اغتنم هذه الفرص -أيها المسلم- اغتنم هذه الأزمان المباركة وأنت قوي قادر على العمل، فإن الإنسان إذا أُصيب بالمرض عرف الخسارة التي حلَّت به أيام الصحة، فتمنى أنه كان عاملًا لله بالطاعة، أمَّا إذا تصورت -أخي- أننا عرضة للمرض، وعرضة للانشغال، وعرضة لأنواع متعددة تعوق الإنسان عن العمل، فلنبادر بالأعمال الصالحة عسى الله جَلَّوَعَلَا أن يبارك لنا في أعمالنا، فيدفع عنا بها سبحانه مخاوف الدنيا، والمخاوف العظمى يوم العرض الأكبر على الله.

إن مخاوف الدنيا مؤلمة وأحزانها متعبة، ولكن مخاوف الآخرة لا تُقدَّر بقدر، ولكن متاعب الآخرة هي المتاعب الصعبة، فلتستعد لذلك اليوم ولتلك المتاعب بالعمل الصالح والتقرب إلى الله، وشغل وقت الصحة ووقت الفراغ

بالطاعة والاجتهاد في ذلك، مع طلب ما يغنيكم الله به من مطالب الدنيا، لا يطلب الله جَلَّ وَعَلَا من عباده أن يتركوا أسباب كسب الرزق، ولكنه جَلَّ وَعَلَا يطلب من عباده أن يكسبوا الرزق فيشكروه على الكسب، ويعملوا له جَلَّ وَعَلَا ويطيعوه على نعمه التي منَّ بها عليهم؛ ليسلموا من الغبن الذي أنذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه.

فإن كثيرًا من الناس هو المغبون، وهو الذي يُغبن صحته ويغبن فراغه، فلا يستغل الصحة بالطاعة، أو يستغل شيئًا منها في الطاعة، ولا يستغل الفراغ في عبادة الله، بل يستغل صحته بالفساد -والعياذ بالله- وشرب المحرَّمات، وغشيان والمنكرات، والوقوع فيما حرَّم الله عليه، ويستغل فراغه في الخوض فيما لا يرضى الله عنه ولا رسوله، فإذا مرض وأعجزه المرض أو خطه الهرم تذكر الأيام الخالية، فيتسلط عليه الشيطان فيقول له: الآن وقد كنت في عافية، استحِ من ربك فلا تطلب منه شيئًا.

فاحرص -أخي- أي الرجل الكبير يتوب إلى الله، والصغير يتوب إلى الله، والكل منا يوكل العزم على أن يتقي الله في صحته وفي فراغه.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يرزقنا أجمعين العافية في ديننا والعافية في دنيانا، وأن يوفقنا سبحانه ألا نُغبن في فراغنا، وألا نُغبن في صحتنا، وألا نصاب بالغبن يوم الغبن الأكبر.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يجعلنا أجمعين من أهل الربح في التجارة، والفوز بالجنة، والعافية في الدنيا والآخرة، أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا قلوبًا حية، ونفوسًا مطمئنة، وأن يزيدنا من كل خير، وأن يزودنا بالتقوى بمَنِّه وكرمه، اللَّهُمَّ استجب يا كريم، وتجاوز عنَّا يا رءوف يا رحيم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأشغل أوقات فراغنا بطاعتك وما يغنينا عن عبادك بمنِّك وكرمك، وارزقنا أن نشغل صحتنا في كسب ما يغنينا عن عبادك، واستغلال ما يرفع درجاتنا عندك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعذنا من الغبن كله، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا وتحتنا يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ احفظنا بحفظك، وارحمنا برحمتك، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

اللَّهُمَّ أصلح لنا ديننا ودنيانا، وحياتنا كلها وأخلاقنا، واحفظنا من كل شرٍّ يا رب العالمين، ربنا تب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وتجاوز عنا فإنك خير من تجاوز وعفا يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم هيئ لنا من أمرنا رشدًا، واغفر لنا ولوالدينا وأولادنا وأزواجنا ولأقاربنا وإخواننا المسلمين، اللَّهُمَّ أصلح المسلمين أجمعين، وتب علينا وعليهم يا رب العالمين، وارحمنا وإياهم برحمتك الواسعة، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، اللَّهُمَّ لا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا، اللَّهُمَّ اغفر لنا فإنك أنت الغفور الرحيم.

اللَّهُمَّ اجمع شمل المسلمين، وألِّف ذات بينهم، اللَّهُمَّ أصلح قادتهم، ووفقهم لطاعتك، وجنبهم أسباب سخطك، وارحمهم برحمتك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفِّق القادة في بلادنا الإسلامية للتعاون على البرِّ والتقوى والتناهي عن الإثم والعدوان يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم عبادك وبلادك، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ امنن عليهم بإقامة العدل في بلاد الإسلام بتحكيم شريعتك المطهرة يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أنت الله الذي لا إله إلا أنت أصلح الولاة في كل

مكان، وخُصَّ ولاة أمر هذه البلد بمزيد من التوفيق والتسديد والرشاد والهدى يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بطانتهم، ووفقهم يا حي يا قيوم للتعاون على البرِّ والتقوى، واجمع على أيديهم كلمة المسلمين، وحطَّ على أيديهم الحرب عن أمة الإسلام، واشغل المسلمين بما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم.

اللَّهُمَّ اجعلهم رعاة أمناء، وقادة ناصحين مخلصين لك، اللَّهُمَّ أعنهم على ما حملتهم، وسددهم فيما وليتهم، وارزقهم المحافظة على أمن هذه البلاد وتيسير السبل المؤدية إلى بيتك العتيق ومسجد رسولك الكريم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ سلط على أعدائنا اليهود والنصارى والملاحدة الباطنيين وسائر الكفرة من الشيوعيين والوثنيين اللَّهُمَّ سلط عليهم وأنزل بهم بأسك الذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللَّهُمَّ اشدد عليهم وطأتك، واقض مضاجعهم، وزلزل أقدامهم، واستبدلهم بمن يخافك ويرجوك يا حي يا قيوم، وانصر اللَّهُمَّ المجاهدين في سبيلك، وعاجلهم بنصرك وتأييدك، ومُنَّ عليهم يا حي يا قيوم بالفلاح والنجاح، إنك أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

حِمَايَةُ الإِسْلَامِ مِنَ الوُقُوعِ فِي الزِّنَا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين الذي بعثه الله جَلَّوَعَلَا رحمة للعالمين؛ بعثه ليكمل مكارم الأخلاق، بعثه هاديًا ومعلمًا ومرشدًا؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عباد الله، إن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إذا حرَّم عملًا حرَّم الأسباب المؤدية إليه والوسائل التي يُتوسل بها إليه؛ ليتم الانتهاء عمَّا نهى عنه، والانتفاء عمَّا حرَّم؛ لأن رحمته بعباده اقتضدت أن يحقق لهم ما فيه سعادتهم في دينهم ودنياهم.

وقد حرَّم الله الزنا، وشدَّد فيه، وبيَّن أن الزانية لا ينكحها ألا زانٍ أو مشرك، وبين أن المطهرين للمطهرات، وشدَّد في أمر رمي المحصنات الغافلات، وقال بعدما أوضح هذه الأحكام موجهًا عباده المؤمنين لمكارم الأخلاق والابتعاد عمَّا من شأنه أن يوقعهم فيما حرم عليهم، قال -جلَّ من قائل-: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠].

لا تخفى عليه أمورهم، ولا تنطوي عليه الحيل، ولا تخفى عليه خافية، وقد أمر نساء المؤمنين بما أمر به المؤمنين فقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣١]؛ ولأن النساء في أمرهن وحصول الخطر بالنظر إليهن أعظم قال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور:٣١]، ثم لما عدَّد مَنْ يجوز كشف الزينة الظاهرة له قال: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ

بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣١].

فالله جَلَّوَعَلَا أمر المؤمنين بغض الأبصار حفاظًا على الفروج، وأمرهم بحفظ الفروج؛ لأن ذلك أطهر لهم وأزكى، ولأن ذلك أسلم عاقبة لهم في الدنيا والآخرة، وحذَّرهم من الظهور بمظهر غضِّ البصر وهم في باطن الأمر يخونون، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم خائنة الأعين، حذرهم أن يتظاهروا بالعفة والأدب والحياء وهم يختلسون النظرات الخبيثة إلى ما حرم الله عليهم، أعلمهم أنه جَلَّوَعَلَا بصير بما يعملون، يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تكنه الصدور، فليحذر المسلم يا عباد الله.

وأمر المؤمنات بما أمر به المؤمنين، أمرهن بغضِّ البصر؛ لأن المرأة يؤثر في نفسها بالنسبة للرجل ما يؤثر على الرجل منها، فجعل في كلا الجنسين غريزة الميل إلى الآخر، وأمرهم أن يتقربوا إلى الله جَلَّوَعَلَا بصدِّ النفس، وغض البصر، وخوف العقوبة، ورجاء المثوبة؛ لأن من غض بصره اتقاء الله ورغبة في ثوابه أَوْرثه الله جَلَّوَعَلَا خشية في قلبه ونورًا في قلبه يتبين به الحق من الباطل، عندما تختلط الأهواء، وتمرض الأفئدة، وتتكاثر الخطايا والسيئات؛ لأن ثمرات الطاعة ونتائجها عظيمة.

والنساء كذلك مأمورات بغض البصر؛ لأن النظرة تلو النظرة تؤثر في قلب الرجل والمرأة؛ ولأن مسارقة النظر تؤدي بالتالي إلى مرض القلب وميله إلى الفاحشة ومحاولته لارتكابها والعياذ بالله.

والزمن الأخير هذا الزمن الذي قلَّ فيه الورع، وعظمت فيه المعاصي، وكثر المفسدون في الأرض، وتهيأت أسباب الفساد، وعظمت النعم على الناس، صار التمكن من ارتكاب المعاصي ميسَّر عند كثير من الناس، فالمُوفَّق

من الرجال والنساء من احتاط لأمره، وسعى للوقاية قبل أن يقع في الرذيلة؛ لأن من وقع في الرذيلة كأنما وقع في حمئة الفساد ومستنقعه الذي يصعب الخروج منه، ومن وقى نفسه وتدرأ وجعل بين نفسه وبين أسباب المعصية وقاية بغض البصر، وإحصان الفرج، واجتناب الأماكن التي يصعب على الإنسان أن يغض البصر فيها، فإنه بإذن الله يُوفَّق إلى التحصُّن بطاعة الله، والسلامة مما حرم الله.

والمرأة أخت الرجل يجب عليها ما يجب على الرجل؛ من غضِّ البصر، وإحصان الفرج، وحفظ الفرج، وأن تحفظ زينتها بأن لا تبدو، فإن المرأة إذا أبدت وجهها طمع فيها أهل الفساد ولو كانت في حقيقة أمرها عفيفة طاهرة، إذا أبدت محاسنها وبادرت الرجال النظرات ولو لم تكن مريبة في نظراتها فإنه يطمع الذي في قلبه مرض، فيسعى لمراودتها، فإذا راودها وحصلت المراودة ربما خضعت لطلبه، فوقعت هي وإياه في هوة الفساد، وقد يموتان على ذلك العمل فيُبعثان -والعياذ بالله- على خزي وعار، فإن الإنسان يُبعث يوم القيامة على ما مات عليه؛ من مات مرتكبًا للمعاصي بُعث يوم القيامة وعليه خزي المعاصي وعارها والعياذ بالله، ومن مات على عمل صالح وطاعة الله وممارسة العبادات بُعث على طاعته يوم القيامة؛ كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذي وقصته ناقته وهو في الحج: **«فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا»**(١).

فاحرص أخي المسلم، إن النساء -يا عباد الله- مأمورات بأمر الله جَلَّ وَعَلَا بغض البصر، وحفظ الفرج، وستر الزينة، وألا يبدين منها ما يؤثر على

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (١٢٠٦).

نفوس الرجال، إلا ما لم يتمكن من ستره؛ كمظاهر الثياب، فإن الله جَلَّوَعَلَا لا يُعقل أن ينهى المرأة أن تضرب برجلها ليُسمع صوت خلخالها ثم يأذن لها أن تبدي وجهها وكفها ومعصمها! لا يُعقل أن يأمر الله المرأة بأن تكف عن حركة رجليها لئلا يُسمع صوت حُلِيِّ الرِّجْلِ ثم يأذن لها بأن تبدي وجهها وما فيه من الفتنة والأغراء، ولذلك قال المحققون من أهل العلم: إن من قال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:٣١] أنه الوجه، أن ذلك غلط[١].

فليحذر المسلم، وإن النساء أعلم من الرجال في النظرات التي توجه إليهن من الذين في قلوبهم مرض، فإذا كان الله جَلَّوَعَلَا يقول للنساء المؤمنات: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢]، فإن المرأة مأمورة -إذا اضطرت للكلام مع الرجل الأجنبي منها لإعطائه متاع أو أخذه منه على حسب ما تدعو إليه الحاجات- ألا تخضع بالقول، أي: لا ترقق كلامها وتحسن للكلام معه، فهي منهية عن ذلك؛ لئلا يطمع الذي في

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٧١): «أمر الله سبحانه الرجال والنساء بالغض من البصر وحفظ الفرج، كما أمرهم جميعًا بالتوبة، وأمر النساء خصوصًا بالاستتار، وأن لا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ومن استثناه الله تعالى في الآية، فما ظهر من الزينة هو الثياب الظاهرة فهذا لا جناح عليها في إبدائها إذا لم يكن في ذلك محذور آخر، فإن هذه لا بد من إبدائها، وهذا قول ابن مسعود وغيره، وهو المشهور عن أحمد. وقال ابن عباس: الوجه واليدان من الزينة الظاهرة. وهي الرواية الثانية عن أحمد، وهو قول طائفة من العلماء؛ كالشافعي وغيره. وأمر سبحانه النساء بإرخاء الجلابيب؛ لئلا يُعرفن ولا يؤذين، وهذا دليل على القول الأول».

قلبه مرض، فكيف إذا بادرت بالنظرات، ونظر إليها ونظرت إليه، ولا سيما في مثل هذه الأماكن.

فليحرص المسلم -يا عباد الله- والمسلمة على طاعة الله، وعلى تجنيب الناس أسباب الفساد، ولتحرص المرأة المسلمة على أن تكفي الناس شرَّها، فإنه ثبت في "الصحيح" عن سيد الخلق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ»**(١)، ففتنة النساء أمرها عظيم، ينزلق المرء فيها فيصعب عليه الخلاص، وقد يموت مصرًّا على المعصية فيكون من أهل جهنم والعياذ بالله، فليتقي اللهَ المسلمُ.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وأن على الرجال أن يكونوا رعاة أمناء على نسائهم، فلا يترك المرأة تخرج إلى المساجد إلا وقد التزمت بالستر والعفاف، وتقيَّدت بالحجاب الشرعي، الذي منه ستر الوجه وتجنب الطيب. بعض النساء تأتي إلى المسجد متطيبة متعطرة مبدية وجهها، فلا ندري أترجع بالوزر أم بالأجر؟ بل إنها ترجع بالوزر والعياذ بالله؛ لأن المرأة إذا خرجت تفتن الرجال **«اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»**(٢)، ومعنى "استشرفها" أي: صار كأنه على أعلى مكان من رأسها، يدعو الناس إليها؛ انظروا إلى هذه الفتنة، انظروا إلى هذه المناظر فتوجهوا، ثم يوقع في قلوب الرجال والنساء محبة الفواحش والرغبة في الفساد، فإذا وقعت محبة الفساد في القلوب فإن كثيرًا من الناس قد لا يتيسر له

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه الترمذي (١١٧٣)، وابن حبان (١٢/٤١٢)، والطبراني في الكبير (٩٤٨١).

أن يرجع عن محبة الفساد، فيتطلع إليه إلى أن يقع فيه، والشيطان يركض على الناس بخيله ورجله.

فلنتقي الله يا عباد الله، ولنصن أنفسنا، ولتتقي الله نساؤنا، وليحافظن على زينتهن ولا يبدينها لأحد من الرجال الأجانب، وليرحمن الناس الطائفين، وليرحمن المصلين في هذا الحرم الشريف، وليتجنبن الإغراء والإغواء، وليتقين الله جَلَّوَعَلَا، فإنهن مسئولات عن نعمة الله عليهن، فمن أبدت محاسنها ونظر الرجال إليها فإنها تكون معينة للشيطان على الفواحش، ومساعدة له على نشر الفساد، فليتقى الله كل واحد منَّا؛ من رجال ونساء، من شباب وشيوخ، ولنأتمر بالمعروف ونتهي عن المنكر، ولنتقي الله في أنفسنا في ظاهر الأمر وباطنه، فإن من يتقي يجعل له مخرجا، ويدفع عنه جَلَّوَعَلَا وبفضله وإحسانه كل ما يكره.

أسأل الله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يمنعنا أجمعين من الفساد، وأن يتوب علينا أجمعين، وأن يرزقنا غض البصر وإحصان الفرج والتوبة إليه من كل ذنب، أسأله جَلَّوَعَلَا أن يهدي رجالنا ونساءنا، وبنينا وبناتنا، ويهدينا أجمعين، وأن يرزقنا خوفه جَلَّوَعَلَا ورجاءه، وإخلاص العمل له.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يوفِّق النساء المسلمات للحشمة والأدب والحياء والحجاب، وأن يرزقهن خوفه جَلَّوَعَلَا، وأن يحفظ عليهن جمالهن إذا استترن، وأن يعاقب المستهترات بما يعاقب به الظالمين، إنه جَلَّوَعَلَا جواد كريم.

أسأله سبحانه أن يصلح فساد قلوبنا، وأن يطهر نفوسنا ويؤتيها تقواها، وأن يزكيها فأنه خير من طهرها وزكاها، أسأله جَلَّوَعَلَا أن يتوب علينا، فإن للنساء بنات يُخشى إذا استهترت الأم أن يخرجن بناتها مستهترات، وإذا استهتر

الرجل فنظر إلى النساء وأغواهن وغوى معهن أن تغوى بناته، فليتقِ الله المسلمُ، وليخف على ذريته وليخشى على نفسه وأهل بيته، فإن من تطلع للفساد ربما عاقبه الله بالفساد في بيته والعياذ بالله، فلنخف الله في أنفسنا.

أسال الله أن يتوب علينا، وأن يصلح منا الظواهر والبواطن، وأن يغفر لنا ذنوبنا كلها، وأن يرحم والدينا، وأن يغفر لهم بمنِّه وكرمه، وأن يصلح أمة محمد وأن يرزقها في هذه الأيام المباركة التوبة والمغفرة والرحمة، وأن ينوِّر على أهل القبور قبورهم، وأن ينزل عليهم رحمته، وأن يغفر لهم ذنوبهم أجمعين، وأن يجعل قبورهم روضات من روضات الجنات، وأن يلحقنا بهم إذا ألحقنا ونحن وإياهم في منازل السعداء، اللَّهُمَّ أغفر لأمواتنا أجمعين، ونوِّر عليهم قبورهم يا رب العالمين، وارحمنا معهم برحمتك الواسعة إنك أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين، غير خزايا ولا مفتونين يا ذا الجلال والإكرام اللَّهُمَّ تب علينا إنك أنت التواب الرحيم، اللَّهُمَّ وفِّقنا في ليلتنا هذه بالعمل فيما يرضيك، والجد في طاعتك وعبادتك، وارفع أعمالنا وعبادتنا الصالحة إليك، وتجاوز عنَّا واجعلنا ممن تتجاوز عن أسوأ ما عملوا، يا إلهنا اللَّهُمَّ اغفر لنا أجمعين.

اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّ المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلحهم واجمع شمل الأمة، وأصلح قادتها، ووفقهم لما تحبه وترضاه، اللَّهُمَّ أصلح قادة المسلمين، وارزقهم التعاون على البر والتقوى وتحكيم شريعتك المطهرة يا إله العالمين، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمرنا في بلادنا هذه، اللَّهُمَّ أصلحهم واهدهم، اللَّهُمَّ اهدِ بهم وانصر الإسلام بهم، اللَّهُمَّ وفقهم لصالح العمل، اللَّهُمَّ أصلح بطانتهم، اللَّهُمَّ ارزقهم التعاون فيما بينهم، اللَّهُمَّ حبِّب إليهم طاعتك وطاعة رسولك،

وكرِّه إليهم معصيتك ومعصية رسولك، اللَّهُمَّ وفقهم لجمع كلمة المسلمين، اللَّهُمَّ ارزقهم لتأليف كلمة المسلمين، ووفقهم لتيسير أمر المجاهدين يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ حط عن المسلمين الحرب على أيديهم، وأصلح فساد الأمة على أيديهم، وكافئهم بذلك في العز في طاعتك والعلو تحت راية الإسلام يا ذا الجلال والإكرام، وأصلحنا وإياهم، وكافئنا في الدنيا بالتوفيق والتسديد والسلامة من الفتن، وفي الآخرة بالعفو والمغفرة والرضوان.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، وعاجلهم بالنصر والتمكين، وارزقهم يا حي يا قيوم اجتماع الكلمة، واستلاب ما في أيدي أعدائهم، واستعادة أوطانهم يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفقهم في كل مكان.

اللَّهُمَّ عليك باليهود والنصارى والشيوعيين والملاحدة الباطنيين وسائر الكفرة يا رب العالمين، اللَّهُمَّ أرنا في أعدائنا أعداء الدين عجائب قدرتك، اللَّهُمَّ أنزل عليهم بأسك الذي لا يُرد، اللَّهُمَّ اشدد عليهم وطأتك، اللَّهُمَّ زلزل أقدامهم، واقض مضاجعهم، وسلط عليهم من يريهم يا حي يا قيوم المثلات في أنفسهم إنك جواد كريم، اللَّهُمَّ استبدلهم بمن يخافك ويرجوك ويرحم عبادك يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحَلَالُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد الخلق أجمعين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ثبت في "الصحيح" عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**الحَلالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»[١].

عباد الله، إن الحلال ما أحلَّه الله ورسوله، وإن الحرام ما حرَّمه الله ورسوله، وأن الله جَلَّ وَعَلَا جعل فيما أحلَّ من المطاعم والمشارب والملابس والمنازل والمناكح وسائر الشهوات، جعل فيما أحلَّ غنية وكفاية عمَّا حرَّم، وإن الله جَلَّ وَعَلَا إذا حرَّم شيئًا عاقب على التعدي عليه، وعقوبات الله جَلَّ وَعَلَا ليست كعقوبات أهل الدنيا، فإن عقاب أهل الدنيا عقاب محدود القدر والزمن، وعقاب الله جَلَّ وَعَلَا لا حد لنهايته، هذه النار التي في الدنيا وقد خُفِّفت تخفيفًا كبيرًا لو قيل لأحد: ضع فيها أصبعك فترة من الزمن، وخذ كذا وكذا من ملايين الدراهم. لقال: لا. ولكنه يعمل أعمالًا كثيرة تسبب له دخول نار جهنم، التي -والعياذ بالله- أهلها كلما نضجت جلودهم تبدلت لهم جلود

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أخرى؛ كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء:٥٦]، وعذابها ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٥]، والعياذ بالله.

فالحلال والاستغناء به سبب للنجاة من عذاب النار، والوقوع في الحرام سبب في دخول النار والعياذ بالله، ومن أراد السلامة والنجاة والعافية تجنب المشتبهات، فإن الحلال بيِّن يعرفه عامَّة الناس، والحرام يعرفه عامة الناس، وتبقى أمور تحتاج إلى نظر وتدقيق، فمن اكتفى بالحلال الواضح، واستغنى بالمباح الجلي، واستكفى بما يسر الله جَلَّ وَعَلَا من حلال المكاسب، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن تساهل في الشبهات زلَّت قدمه وانزلق إلى ما حرَّم عليه ربه، ووقع في المحظور، فتعرض للعقاب.

وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»**[1]، فإذا استربت بأمر وشككت فيه فإن فيما لا شك فيه غنية عن ذلك المشكوك فيه، اكتفي بما لا تشك فيه لتسلم وتنجو من الحساب، فإن من نوقش الحساب يوم القيامة هلك[2]، وقد مثَّل النبي -عليه أفضل الصلاة والتسليم- للناس بمثال محسوس حيث قال: **«وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»**، فالذي يعرف المواشي ورعيها، ويعرف حمى الناس في مزارعهم

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٥٢)، والترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧١١)، والدارمي (٢٥٧٤)، وابن حبان (٢/ ٤٩٨) من حديث الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) كما في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦).

وما يمتلكون، إذا دنا من حدود الحمى انفلتت عليه المواشي، فوقع في المحظور، فتعرض للعقاب، وإذا ابتعد عن الحمى، وترك بينه وبين الممنوع حرمًا لا يصل بسببه إليه، نجا وأنجى نفسه ومن معه، وكذلك من دنا مما حرَّم الله وإن ظن أنه يحتاط لنفسه فلا يقع، وإن فكَّر أنه لا تنزلق قدمه ولا تزلُّ نفسه، فإن النفس تعمى عليها كثير من الأمور، لا سيما إذا طغت عليها محبة الشهوة وتراكمت عليها الشبهات، عند ذلك يقع الإنسان فيما حُرِّم عليه.

فالراعي الذي يرعى حول الحمى إذا كان حاذقًا حريصًا على مصلحته خائفًا من عقوبة صاحب الحمى ابتعد واستكفى بما ينأى عن الأخطار، مع أن صاحب الحمى قد يأتيه ما يمنع عنه العقاب.

أما حمى الله جَلَّ وَعَلَا فإنه لا رادَّ لأمره؛ لأن الله سبحانه لا أحد يؤثر عليه، وإنما إذا أراد إكرام أحد أذن له بالشفاعة فيُكرم بشفاعته من شاء من خلقه، أما أن يؤثر عليه بواسطة أو إلحاح أو إلزام فهو جَلَّ وَعَلَا أعلى وأعلى من أن يتأثر أو يؤثر عليه أحد؛ لأنه سبحانه الفعَّال لما يريد، ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

«كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى»، ملوك الدنيا يحمونها ويمنعون الناس منها، وربما قتلوه، لكن عقاب الدنيا كله يزول بلحظات ثم ينتهي أثره، أما حمى الله وانتهاك محارمه جَلَّ وَعَلَا فلها عقوبات -والعياذ بالله- دائمة لا تنقضي، خلود في العذاب لمن شاء الله أن يعذبه، والإنسان لو مرَّ على النار يومًا واحدًا ماذا يتصور في عذابها؟! أفران الدنيا ونيرانها لا يتوقع الإنسان ولو ملك الدنيا بأسرها أنه يبخل على بذلها

لينجو من عذاب نار الدنيا، وهي لحظات ثم تخرج الروح من الجسد فيصبح الجسد لا يتأثر بنار الدنيا، وأما عذاب الآخرة وما فيه من المكالب والعذاب الأليم فهو لا يفتر والعياذ بالله.

إذن -أيها المسلم- علينا أن نحرص على الاكتفاء بما أحلَّ الله، وبما هو واضح من الحلال في المكاسب، فإن كثيرًا من الناس يخلط في مكاسبه، ويغش في بيعه وشرائه وعمله، ويأتي لبيته بمكاسب مخلوطة، فيتربى هو وأهل بيته على الأكل من مكاسب مشبوهة، فتَظْلَمُّ القلوب، وتغشى النفوس كثيرٌ من المصائب والمتاعب، فتثقل النفوس عن الطاعة، وتقدم على المعصية، وتتعرض لأسباب سخط الله بسبب أكل الطعام والشراب المشبوه من مكاسبه.

إن المكاسب -يا عباد الله- إذا أحسن الناس انتقاءها، وتورعوا عن الكسب الحرام، وتجنبوا المشتبهات من المكاسب، هيَّؤوا لأنفسهم وأهليهم وذراريهم مكاسب طيبة ومطاعم سليمة، فتغذَّت القلوب بأغذية مباحة طيبة، فأنارت بالخير واستنارت بالإيمان.

جاء سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد العشرة الذين شهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم في الجنة، فسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو الله أن يجعله مستجاب الدعوة، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَا سَعْدُ، أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ»**[1]. فهل إطابة المأكل -يا عباد الله- أن يأكل الإنسان مما لذَّ وحلا، ومما نعم وطاب، ومما غلا ثمنه وعظمت الرغبة فيه، هل إطابة المأكل بذلك؟! كلا .. وإنما إطابة المأكل ألا يأكل إلا من كسب حلال، وألا يأكل أيَّ

---

(١) أخرجه الطبراني الأوسط (٦/ ٣١١).

شيء ما لم يكن حلالًا؛ لأن الطعام الطيب سبب في إجابة وارتفاع الدعاء إلى السماء، ولذلك جاء في الحديث الصحيح أنَّ «**الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»(١). هكذا يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع أنه جاء في الحديث: «**إِنَّ اللهَ حي كَرِيمٌ يستحي إذا رَفَعَ الرَّجُلُ إليه يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»(٢).

لكن لَمَّا كان هذا الداعي مخلطًا في أكله ومشاربه من مكاسب محرمة، وقد تغذَّى عليها، حُرم الإجابة، مع أن السفر مظنة الإجابة، وعدم الظهور بمظهر الترف والنعيم من مظنَّات الإجابة، لكن لَمَّا وُجِد المانع والحجاب والحائل من ارتفاع الدعاء لم يُستجب لذلك الداعي.

فليحرص المسلم -يا عباد الله- فإن زمننا هذا زمن تخلطت فيه المكاسب، وتكاثرت المكاسب عند بعض الناس، والمال حلوة خضرة، من أخذه بحقه وصرفه بحقه نجا من حسابه، وصار عونًا له للذهاب لجنة الله التي أعدها للطائعين، ومن أخذه بغير حقه؛ بأن كسب المكاسب من كذب، أو غش في صناعة أو أداء عمل أو بيع وشراء، أو غير ذلك، فإنه يكسب كسبًا محرَّمًا(٣)، ويكون ذلك الكسب سببًا في عدم استجابة الله لدعائه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وأحمد (٣٩/١١٩) من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ هَذَا**
=

إننا -يا عباد الله- ندعو وندعو، ونرى أن دعاءنا لا يحصل منه الأثر الذي نتوقع، ونجهل أن نفتش في أحوالنا وننظر في مكاسبنا ومطاعمنا وننظر إلى قدر طاعة ربنا في نفوسنا! إن العاقل إذا جرَّب دواء فلم يشفي ذلك الدواء مرضه بحث عن الأسباب التي لم تجعل ذلك الدواء شافيًا، إما أن الدواء لم يكن لذلك الداء، أو أن الداء يحتاج مع الدواء أن يحتمى المريض من مسببات المرض، فالذي يُصاب بداء السكر يحتاج لدواء السكر وأن يحتمي من المواد التي تساعد على زيادة ذلك المرض، أما أن يستعمل دواء مكافحة السكر ثم يعمد إلى السكريات فيلتهمها، فإنه يستعمل دواءً لا يشفي.

وكذلك من يدعو ويبارز الله جَلَّوَعَلَا بالمعاصي، ومن يدعو ويبارز الله عَزَّوَجَلَّ بالمكاسب الخبيثة، إنما هو في الحقيقة يغالط نفسه، يعصي ربَّه ويصرُّ على المعصية ثم يسأل ربَّه! أما يستحي أن يبارز الله بالمعاصي ويصرُّ عليها ثم يقول: كيف لم يستجب لي؟! أطب مأكلك تستجب دعوتك، احرص على تجنب ما حرَّم الله.

ثم يقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»**، إن هذا القلب -يا عباد الله- إذا فسد أظلمت البصيرة، وانطلقت الجوارح، وانفلتت النفس من عقالها، ورتعت في مراتع الحرام، واستحلت ما حرَّم الله عليها،

=

الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»، أخرجه البخاري (٦٤٢٧)، ومسلم (١٠٥٢).

واستلذَّت ما فحش عند الله؛ لأن القلب الموجه والنور الذي يسطع والمهيمن على الأعضاء قد أصبح فاسدًا لا صلاح فيه، فبم نعالج قلوبنا؟!

إن القلوب مرضى، وإنما يختلف المرض من مرض عاتٍ مستشرٍ، ومرض أقل خفة، ومرض خفيف، والنادر أو يكاد أن ينعدم من قلبه لا مرض فيه، بم نعالج أمراض قلوبنا؟

إن أدواء الأبدان تحتاج إلى أموال طائلة في بعض الأحيان، وربما إلى أسفار وبُعْدٍ عن الأهل والأوطان إلى أمكنة بعيدة، وقد يدرك الإنسان علاج بدنه وقد لا يدرك، أمَّا علاج الأنفس والأرواح، أمَّا علاج القلوب فهو متيسر لا يحتاج إلى سفر طويل، ولا إلى بذل كثير، ولا إلى عناء ومشقة وهجر للأوطان والأهل والأقارب، وإنما يحتاج إلى إقبال على الله، وتوبة بين يديه وتخلٍّ عن المعاصي، وابتعاد عن كل ما حرم الله، واقتناع بما أحل الله جَلَّوَعَلَا وفيما أحل جَلَّوَعَلَا غُنْية عمَّا حرَّم.

إن التوبة الصادقة، والإقبال على طاعة المولى جَلَّوَعَلَا، والندم على المعاصي كلها، والفزع إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بصدق وإخلاص، كفيل بشفاء القلوب، وسلامتها من أدوائها، واستيقاظها من ثوابتها، وانتعاشها وحياتها بعد موتها، فإن موت القلوب هو الموت الصعب، وإن مرض القلوب هو المرض العظيم الذي أثره يمتد إلى ما بعد الحياة الدنيا، أما مرض الأبدان فينتهي أثره بشفاء الإنسان منه أو بوفاته وانتقاله من هذه الدنيا.

فاجتهدوا -يا عباد الله- لنلتمس علاج قلوبنا بالفزع إلى ربنا، والابتهال بين يديه، لا سيما إذا وضعنا جباهنا على الأرض وتضرعنا إليه، إن «**أَقْرَبَ ما**

يَكُونُ الْعَبْدُ من رَبِّهِ وهو سَاجِدٌ»[١]، فإذا قربت من ربك يا أخي فسأله، اسأله جَلَّ وَعَلَا أن يحبب إليك الإيمان، وأن يكره إليك الفسوق والمعاصي، وأن يُقَنِّعَك ويُرضيك بما أحلَّ، وألا تتطلع عينك إلى ما حرَّم عليك.

اسأله جَلَّ وَعَلَا أن يهيئ لك من أمرك رشدًا، تضرع إليه إذا سجدت ولا سيما إذا كنت في وضع تطمع أن تكون بعيدًا من الرياء، فتضرع إليه وابتهل فإنه جَلَّ وَعَلَا قريب مجيب أقرب إلى أحدنا من حبل الوريد، أقرب إلى أحدنا من عنق راحلته[٢] لو كان معه راحلة، يعلم وساوس أنفسنا وما تكنه ضمائرنا، وما نتحدث به في إخفات، وهواجسنا التي في داخل الصدور، فاسأله لعله جَلَّ وَعَلَا أن يستجيب دعاءنا، لا سيما في هذا الشهر المبارك العظيم، ولا سيما عند طعام الإفطار، فإن **«لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ»**[٣]، فاغتنموا الفرصة، وإن جوف الليل من أعظم أسباب استجابة الدعاء، وفي وقت السحر إذا ابتهلت إلى الله بقراءة شيء من كتابه، ثم توجهت إلى القبلة، وسألت مولاك، ورفعت يديك بابتهال وافتقار وتضرع؛ لعله جَلَّ وَعَلَا أن يكتبك في هذا الشهر العظيم في سجل التائبين المقبولين؛ ليغنيك بما أحلَّ عليك، وأن يكفيك شرَّ ما حرَّم عليك.

أسأله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يمنحنا أجمعين قلوبًا متيقظة، قلوبًا حيَّة

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه مسلم (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣)، والطبراني في الدعاء (٩١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٧/٥) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سليمة، وأن يغنينا بما أحلَّ لنا عمَّا حرَّم علينا، أن يكفينا بما أحلَّ عمَّا حرَّم، وأن يغنينا بفضله عن خلقه، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، أن يطب مكاسبنا، وأن يطب مآكلنا ومشاربنا، وأن يصدنا عمَّا حرَّم علينا، أن يبارك لنا في أوقاتنا وأعمالنا وأعمارنا وأهلينا ومكاسبنا.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يغفر لنا في ليلتنا هذه أجمعين، وأن يهيأ لنا من أمرنا رشدًا، وأن ينزِّل علينا رحمته، وأن يغشينا بسكينته، وأن يتوب علينا إنه هو التواب الرحيم، أسأله جَلَّوَعَلَا أن يغفر لنا في هذا المكان أجمعين، وأن يغفر لوالدينا وأولادنا وأزواجنا وأقاربنا وسائر إخواننا المسلمين، أسأله بأسمائه وصفاته أن يجعل هذه الليلة ليلة مباركة علينا وعلى سائر المسلمين بمنِّه وكرمه وجوده، أسأله سبحانه أن يتقبل دعاءنا، وأن يغفر ذنوبنا، وأن يتجاوز عن خطايانا، وأن يعاملنا بما هو أهله من العفو والإحسان والكرم والجود.

اللَّهُمَّ اهدنا بالهدى، وقنا بالتُّقى، واغفر لنا في الآخرة والأولى، اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ اشفِ مريضهم، اللَّهُمَّ أغنِ جائعهم، اللَّهُمَّ أعزَّ ذليلهم، اللَّهُمَّ انصر مظلومهم، اللَّهُمَّ املأ قلوبهم أجمعين بالتقوى، اللَّهُمَّ أبعدهم عن الخرافات والبدع وارزقهم الرجوع إلى دينك واتباع سنة نبيك يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ وفق ولاة أمر المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، اللَّهُمَّ اهدهم واهدِ بهم، اللَّهُمَّ انصرهم وانصر الإسلام بهم، اللَّهُمَّ سددهم لكل توفيق واهدهم يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم وفق ولاة أمر هذا البلد وزدهم من التوفيق والتسديد، وأصلحهم وأصلح بهم، وهيئ لهم من أمرهم رشدًا، وحبب إليهم يا حي يا قيوم نصرة الحق والدعوة إليه

والدفاع عنه يا إله العالمين، اللَّهُمَّ وفقهم يا حي يا قيوم، وأعنهم على ما حملتهم وسدد خطاهم، ووفقهم لتأمين سبل هذه البلاد والمحافظة على أمنها وتيسير السبل المؤدية إلى بيتك العتيق ومسجد رسولك الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللَّهُمَّ أَمِّنَّا وإياهم مما نخاف، وقنا وإياهم شرَّ كل ذي شرٍّ، وخوِّف أعداءنا يا حي يا قيوم الشرور، واجعل كيدهم في نحورهم.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ سددهم وهيئهم وهيئ لهم من أمرهم رشدًا، اللَّهُمَّ أصلحهم واجمع كلمتهم، وباعد بينهم وبين البدع والخرافات، واجعل تطبيق السنة أحب الأشياء إليهم، وعاجلهم بنصرك وتأييدك يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ وفِّق الدعاة إليك، وانشر دعوتهم، وافتح القلوب لها، واجعلها خالصة لوجهك، وسهِّل طريقهم، وأكثر من أنصارهم يا رب العالمين، واجعلنا يا إله العالمين ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللَّهُمَّ صلِّ على سيد الخلق أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلوات الله وسلامه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد الأولين والآخرين سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته، وبعد:

فقد ثبت في "الصحيحين" من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»**(١).

عباد الله، إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صوَّر لنا صورة واحدة من مظاهر يوم القيامة، ومظاهر يوم القيامة مظاهر أهوال وإفزاع، مظاهر خوف وقلق وهلع، الأنبياء رسل الرحمن كلٌّ منهم يقول: اللَّهُمَّ سلِّم سلِّم، كلٌّ مشغول بنفسه، إذا كلَّم الإنسان ربه جَلَّ وَعَلَا ليس بينهما ترجمان، والإنسان في حال الفزع والخوف يتلفت يمنه ويسرة، وينظر أمامه، فإذا التفت لا يجد إلا العمل الذي قدَّمه في الدنيا يمينًا وشمالًا، فإن كان من أهل الأعمال الصالحة والتجارات الرابحة فيا للفوز والسلامة، وإن كان من أهل الإضاعة والقعود عن العمل وإتْبَاع النفس هواها فذاك وما ينتظره، فإذا التفت يمينًا لا يجد إلا العمل الذي قدَّمه في الدنيا، وإذا التفت يسارًا فلا يجد إلا العمل الذي قدَّم في الدنيا، وإذا نظر

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦).

أمامه وإذا جهنم والعياذ بالله.

فيقول نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«فَاتَّقُوا النَّارَ»**، أي: اعملوا أعمالًا تقيكم حرَّها ودخولها، لا تحتقروا عملًا تقدمونه في مرضاة الله، ولا تستصغروا بذلًا تبذلونه في ابتغاء ثواب الله، ولو أن يبذل أحدكم نصف تمرة، لا يحتقر الإنسان البذل والمعروف، ولا يحتقر الإنسان التصدق ولو بالقليل، فقد جاء في الحديث الصحيح: **«سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ»**، قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: **«كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا»**[١].

فالإنسان إذا بذل مما يملك ومما يستطيع وعلى قدر استطاعته؛ طلبًا للثواب من الله، ورغبةً فيما عنده، وخوفًا من أحوال المفرِّطين الذين يبخلون بما آتاهم الله؛ ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:١١، ١٢]، جنة عدن نعيمًا لا ينفد ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]، تصور أخي كأنك في ذلك الموقف، وجهنم يحطم بعضها بعضًا، لها زفير -والعياذ بالله- ولا نجاة منها إلا بما تقدمه في هذه الحياة الدنيا، تصور وضعها وقودها الناس والحجارة، يصف الله أحوال أهل النار: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان:١٢].

فلنتقِ شرَّها ونارها وحرها بالأعمال في هذه الدنيا، ونبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه النسائي (٢٥٢٧) واللفظ له، وأحمد (١٤/٤٩٧)، وابن حبان (٨/١٣٥)، والحاكم (١/٥٧٦)، والبيهقي في الكبرى (٤/٣٠٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ما ترك أمرًا يباعدنا من نار جهنم إلَّا وأوضحه وأرشدنا إليه، فقال: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ**»، الإنسان لو لم يجد إلا تمرة واحدة هو مضطر لأكلها أو يقسمها بين اثنين يبتغي بذلك ما عند الله، صارت سببًا في وقايته من نار جهنم. لو تصورنا حقَّ التصور أهوال يوم القيامة، وما فيه من الفزع الأكبر وفظائع الأهوال؛ لحملنا ذلك على البذل في سبيل الله، والإكثار من طاعة الله وهجران الراحة، ولكن الله جَلَّ وَعَلَا جعل الكثيرين منَّا لا يتفكرون تفكر العقلاء في مصائرهم، وقد أمرضت الذنوب قلوبهم، وغطت على بصائر قلوبهم، فلا يبصرون مستقبلهم، وإلَّا فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»[1]؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم ما لا نعلم، أطلعه الله جَلَّ وَعَلَا من نعيم الآخرة ما لم يطلع عليه أحدًا من خلقه، وأطلعه على عذاب النار بما لم يطلع عليه أحدًا من خلقه، فقد ذكر -وهو يصلي صلاة الكسوف- أنه رأى النار، فلم ير منظرًا أفظع من منظرها[2].

فاحرص أخي المسلم، احرص على البذل في سبيل الله، والجد والاجتهاد في طاعته، والتقرب إليه جَلَّ وَعَلَا بالإكثار من العبادة، والتصدق بما تجود به يدك، ولا تحتقر من البذل شيئًا وإن قل؛ «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ**»، صاحب المائة ألف يبذل ذلك البذل دون أن يحس بأنه بذل؛ لكثرة ما عنده! هذا إذا أحسنا الظن به، وصاحب الدرهم الواحد بذل ما عنده كله اعتمادًا على

---

(١) أخرجه أحمد (٥/١٧٣)، والترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٩٧)، ومسلم (٩٠٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الله جَلَّ وَعَلَا وثقة به، ولا شك أن الإنسان إذا بذل ما يحبه وما هو محتاج إليه ثقة بالله وتوكلًا عليه منحه الله جَلَّ وَعَلَا من خير ما يمنح عباده المؤمنين.

ولذلك يقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»**، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»**، قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا[١].

ولذلك لـمَّا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»**، أي: الذين يتطوعون بالصوم يدعون من باب الريان، وآهل الصلاة الذين يكثرون من التطوع بالصلاة يدعون من باب الصلاة، وأهل الصدقة يدعون من باب الصدقة، وهكذا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: **«نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»**[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والدارمي في سننه (١٧٠١)، والحاكم (١/٥٧٤)، والبيهقي في الكبرى (٤/٣٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فاحرصوا أيها المسلمون، احرصوا على ما يقربكم إلى الله، واجتهدوا في البذل في سبيله، واغتنموا أيامكم ولياليكم هذه القليلة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، واتقوا النار فإن النار أمرها عظيم وهولها لا يتصور، فإن الله جعل في الآخرة من النعيم «**مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»[1]، وفي النار من الأهوال وفظائع العذاب ما لا يتصوره متصور، فإن عذاب الدنيا كله لو جُمع لا يساوى لحظة من لحظات عذاب الآخرة، نسأل الله النجاة من عذابها.

فاجتهدوا -يا عباد الله- وأخلصوا لربكم، واجأروا له بالدعاء، وتضرعوا إليه صادقين وألحوا عليه؛ عسى أن يقبل دعاءكم، ويرحم ضعفكم، ويجيركم من عذابه؛ ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩].

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يرزقنا جميعًا تقواه، وأن يجنبنا أسباب سخطه، وأن يغفر لنا زلاتنا، وأن يكفِّر عنَّا ذنوبنا، أسأله بأسمائه وصفاته أن يرحمنا ويغفر لنا في هذا المكان أجمعين، وأن يتوب علينا وأن يرزقنا كثرة الاستغفار، وكثرة الإنابة إليه، وكثرة التوبة إليه بمنِّه وكرمه، وأن يتقبل توبتنا، ويجيرنا من مضلات الفتن، ويرزقنا العافية في ديننا ودنيانا.

اللَّهُمَّ يا كريم يا جواد، يا من إليه الأمر كله، يا من إليه الفزع، يا من لا ملجأ ولا منجى ولا ملتجأ منه إلا إليه، نسألك أن تجيرنا من عذابك،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وألَّا تخزنا يوم تبعث عبادك، وألَّا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا ولا يخافك يا أكرم الأكرمين.

إلهنا ومولانا، اجبر كسرنا، وارحم ضعفنا، واغننا ولا تذلنا يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ إنك أنت الله الحي القيوم، أنت مجيب السائلين، وأنت الجواد الكريم، نسألك أن نتعرض لجودك، ونسألك من عظيم فضلك، ونستغفرك ونتوب إليك، فاغفر لنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

اللَّهُمَّ إهدنا في هذا المكان أجمعين، واغفر لنا بمنِّك وكرمك يا ذا الجلال والإكرام، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا ولوالدينا وأولادنا ووالديهم وجميع أقاربنا يا أرحم الراحمين إنك جواد كريم.

اللَّهُمَّ اجمع كلمة المسلمين، اللَّهُمَّ ألِّف ذات بينهم، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّهم يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اهدِ قادة المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ اجعلهم هداة مهتدين، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم المسلمين، واهدهم واهدِ بهم عبادك المؤمنين، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اجمع كلمتهم على الحق اللَّهُمَّ، وفقهم لمرضاتك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ ارزقهم في هذا الشهر الكريم التوبة إليك والإنابة يا حي يا قيوم، واجعلهم من عبادك الصالحين، ومن سبق في علمك يا رب العالمين أنه غير صالح فاستبدله بمن يخافك ويرجوك ويرحم أمة محمد يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ أصلح قادة المسلمين، واجمع كلمتهم، وألِّف ذات بينهم، وخُصَّ ولاة أمر هذا البلد الأمين بمزيد من التوفيق والتسديد، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهدِ بهم، وجنبهم نزغات الشيطان، وَأَعِذْهم من

الشيطان ووساوسه، وباعد بينهم وبين المعاصي، ونحن وإياهم أجمعين يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ حبب إليهم طاعتك وطاعة رسولك، وحبب إليهم القيام بأمرك وتنفيذ شريعتك على عبادك، يا إلهنا ويا مولانا.

اللَّهُمَّ اجمع كلمتهم، وألف ذات بينهم، ولا تسلط عليهم عدونا وعدوهم يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ أعنهم على ما وليتهم، وسددهم فيما وليتهم، واهدهم يا حي يا قيوم سبل السلام، وارزقهم يا ربنا يا مولانا السعي لجمع كلمة المسلمين، واجمع كلمة المسلمين على أيديهم، وأصلح ما بينهم على أيديهم، وحط بهم عن المسلمين الكروب، اللَّهُمَّ وفقهم لتأمين هذا البلد الآمن، ونشر الرفاهية عليه، ووفقهم لتيسير السبل المؤدية إلى بيتك العتيق وإلى مسجد رسولك الكريم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك يا حي يا قيوم يا رب هذا البيت أن تعتق رقابنا من النار، وأن تخزي أعداءنا اليهود والنصارى والملاحدة الباطنيين والشيوعيين الكافرين وسائر أهل الكفر والعناد يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أرنا فيهم عجائب قدرتك، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يُردُّ، وسلِّط عليهم جندًا من جندك يا حي يا قيوم، وانصر المجاهدين في سبيلك، وعاجلهم يا إلهنا بالنصر والتمكين وإقامة شرعك المطهر، واجعل بقية أيامنا هذه خاتمة لقتالهم مع أعدائهم، وحقق لهم فيها النصر والتمكين وإبعاد أعداء المسلمين عن أوطان المسلمين يا حي يا قيوم يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلم على الهادي الأمين محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

اغْتِنَــامِ الأَوْقَــاتِ[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد الأولين والآخرين سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته، وبعد:

عباد الله، إن الأعمال كُثُر، وإنما على العبد المؤمن أن يخلص النية لله رب العالمين، إن الناس كلهم يعملون، فأحد يعمل ونيته أن يفوز برضي الله جَلَّوَعَلَا وأن يفوز بهدايته جَلَّوَعَلَا وعطاياه، وآخر إنما همُّه أن يُتبع نفسه رغباتها، وأن يوصلها إلى ما تشتهيه، وأن يركب لذلك الصعب والذلول، ولا يفكر بحساب ولا عقاب، ولا يتذكر كثرة المنتقلين من جيران وأحباب وأصدقاء وزملاء، كانوا بالأمس يزاحمونه في المسالك، ويجالسونه في النُّزَه، ويحادثونه في العمل، فطوتهم الأرض في طياتها، ولو أنهم استطاعوا أن يسدونه نصيحة لقالوا: إياك إياك والتفريط، اغتنم ساعات الليل والنهار، واملأها بما ترى أنه يُعرض عليك يوم القيامة فتسعد بعرضه وتفرح بالنظر إليه، وتكون بذلك ممن يُؤتَون كتابهم بأيمانهم.

وهذا إنما يكون لأهل النيَّات السليمة والفطر المستقيمة، الراغبين في ثواب الله جَلَّوَعَلَا، المحبين للخير وأهله، الساعين بكل جدٍّ وإخلاص ونشاط لأن يكون عملهم خالصًا لوجه رب الأرباب جَلَّوَعَلَا.

إن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علم ضعف عباده، وكثرة تفريطهم، وكثرة عثراتهم، فهيئ لهم أوقاتًا يفزعون فيها إليه، ويتذكرون عرضهم عليه جَلَّوَعَلَا، ويرون

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/٥هـ.

كثرة المشمرين عن سواعد الجد الراغبين في الثواب من الله جَلَّ وَعَلَا، فينبههم ذلك العمل، وتستحثهم تلك الخُطى على أن يتوجهوا إلى أكرم الأكرمين، يسألونه جل المطالب وأعظمها أن يرزقهم الصدق والإخلاص في العمل.

وقد قال جَلَّ وَعَلَا وهو أصدق القائلين: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦] بل ندبنا لدعائه وحضنا على ذلك ووجهنا إليه بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، فإلهنا جَلَّ وَعَلَا من كرمه وإحسانه وحبه لتعرضنا لنعمته يدعونا إلى أن نسأله، ويبشرنا بالإجابة، فلا يهلك بعد ذلك على الله إلا هالك(١).

إن هذا الشهر الكريم -يا عباد الله- شهر المواساة، شهر الإحسان، فمن أراد من الله أن يحسن إليه فليحسن إلى نفسه بالاستقامة، وحملها على الطاعة، وتجنيبها المعاصي، وليحسن إلى إخوانه المسلمين بإرشادهم وإعانتهم والعطف عليهم وحسن البر بهم، وقد قال إلهنا في محكم التنزيل: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠].

فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جواد كريم نفقاته مستمرة، وخزائنه ملأى لا تغيضها نفقه سحاء الليل والنهار(٢)، وإنما يُحرم الرزق بعض العباد بسوء

---

(١) كما في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه مسلم (١٣١).

(٢) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَدُ الله مَلأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**». أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والسَّحاء: الدائمة الصَّبِّ، يُقال: سحابة سحوح، أي: كثيرة الصَّبِّ. وفرس مسح، أي: سريعة شديدة العدو، تشبه =

عملهم وسوء قصدهم وعدم ثقتهم بالله جَلَّوَعَلَا، أما لو أحسن الناس التوكل عليه والإنابة إليه جَلَّوَعَلَا وحسن المعاملة معه؛ لأعطاهم جَلَّوَعَلَا عطاء جزيلًا؛ لأنه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لا تنقصه نفقه لو أعطي كل سائل ما طلب، بل لو اجتمع الخلائق كلهم فسألوه بقدر ما تفسحهم مسائلهم، ثم أعطاهم فوق ما طلبوا، ما نقص ذلك من ملكه شيئًا(١).

إننا -أيها المسلمون- في بداية الشهر، فلم تمض منه إلا ليالٍ، وحريٌّ بالمسلم أن يفرح بهذا الفضل العظيم وهذا الميدان الفسيح لأهل المسابقة، وأن يعمر أحدنا ما استطاع وقته بطاعة الله، يعمر صيامه بالنهار بغض البصر وكف اللسان وصوم السمع وسائر الجوارح؛ ليحكم صيامه، فإن الصوم لله جَلَّوَعَلَا من بين سائر الأعمال؛ كما ثبت في "الصحيح" من قول المصطفي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه جَلَّوَعَلَا؛ إذ يقول: **«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَة ضِعْفٍ، إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»**(٢).

وجاء في حديث أن الصوم نصف الصبر(٣)، والله يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]، هذا -يا عباد الله- لمن عرف

=

بانصباب المطر. يُنظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥١١).

(١) كما في الحديث عن أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٣٠/ ٢١٩)، والترمذي (٣٥١٩)، والدارمي (٦٨٠)، والطبراني في الدعاء (١٧٣٤) من حديث رجل من بني سليم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قدر الصوم فصام، إن نازعه أحد وحمله على السباب تذكر أنه صائم، فقال لمن يسابه: إني صائم(١).

ومن شأن الصائم أن يصون لسانه، ومن شأن الصائم أن يعرف أثر الصوم عليه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣]، فإذا جاء الليل وجدته ينتظر هذا الوقت الذي تتراص فيه المناكب وتتوالي الأقدام صفوفًا خلف إمام واحد في تقرب من الله وتهجد، وقد جاء في حديث جيد عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: **«إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»**(٢)؛ ولذلك كان الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ يأخذ بهذا الحديث ويحاسب على الصلاة مع الإمام في التراويح حتى ينصرف مكتفيًا بذلك، ويرى أنه قيام ليل كامل؛ لخبر المصطفي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن المعلوم أن صلاة التهجد لا حدَّ لها ولا عدد، وإنما الشأن في المتهجد أن يصلى صلاةً فيها خشوع وخضوع وطمأنينة، بإقبال على الله جَلَّوَعَلَا، بإطالة القيام إذا استطاع إلى ذلك، فقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»**(٣).

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ»**. أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) أخرجه أبو داود (١٧٣٥)، والترمذي (٨٠٦)، والنسائي (١٣٦٤)، وابن ماجه (١٣٢٧)، وأحمد (٣٥/ ٣٣١) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢)، ومسلم (٧٤٩) من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

فاحرص يا أخي في هذه الأيام المقبلة على أن تواظب على أداء هذه الصلاة، لاشك أن أعظم الواجبات أداء الفرائض مع الجماعة، فإن العبد لا يتقرب إلى الله بشيء أحب إلى الله جَلَّوَعَلَا مما افترضه عليه[1]، لكن مع ذلك لا يزال العبد يتقرب إلى الله جَلَّوَعَلَا بالنوافل حتى يحفظه من جميع جوانبه ويصونه من جميع جهاته، فلا يتحرك ولا يتصرف إلا بما يرضي الله جَلَّوَعَلَا.

ولا أحب الإطالة عليكم ولا على نفسي في هذه الليلة، وإنما أسأل الله الجليل الكريم أن يجعلنا أجمعين ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وممن إذا أذنبوا استغفروا، وإذا أعطوا نعمة شكروا، وإذا أصابتهم مصيبة علموا أنها بقضاء الله وقدره فصبروا، فيحوزون بذلك السعادة في الدنيا والآخرة.

كما أسأله جَلَّوَعَلَا أن يصلح قلوبنا وأن يطهرها، وأن يؤتي نفوسنا تقواها فإنه خير من طهرها وزكاها، كما أسأله أن يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء، وأن يعاملنا بما هو أهله من العفو والإحسان واللطف والرحمة والغفران، وألا يؤاخذنا بتقصيرنا، وألا يسلط علينا بذنوبنا من لا يخافه فينا ولا يرحمنا بمنه وكرمه.

كما أسأله جَلَّوَعَلَا أن يجمع شمل المسلمين، وأن يؤلف ذات بينهم، وأن يوفقهم لصالح العمل، وأن يصلح لهم الحال والمآل، وأن يطهر قلوبهم ونفوسهم وبيوتهم، وأن يصلح ذرياتهم وأزواجهم، وأن يهيئ لهم في كل مكان من أمرهم رشدًا.

كما أسأله أن يجمع شمل الأمة، ويصلح قادتها، ويوفق القادة إلى طاعته

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أخرجه البخاري (٣٠٢٩).

جَلَّوَعَلَا، والعمل بما يرضيه، والأخذ على يد السفيه وحمله على الصراط المستقيم، وأن يكافيء من فعل ذلك بالتثبيت والعز في الدنيا والسعادة يوم يقوم الأشهاد، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩].

كما أسأله جَلَّوَعَلَا أن يخص هذا البلد ومن تولى أمره بمزيد من السعادة والأمن والأمان، وأن يصلح قادة هذا البلد ويهديهم وينفع بهم البلاد والعباد، ويحفظ بهم الأمن والمحارم، ويعز بهم بلاده، ويحفظ بهم مقدساته، ويذل بهم أعداء الإسلام إنه جَلَّوَعَلَا جواد كريم.

أسأله أن يؤمِّن مَنْ أمَّن هذا البيت أو أمن مسجد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يؤمنه من كل خوف، وأن يؤمن عباده في هذه البلاد وفي جميع بلاد الإسلام، وأن يبدل خوف المسلمين أمنًا، وذلتهم عزة، وفرقتهم اجتماعًا، ومهانتهم علوًّا على أعداء الله، إنه سبحانه جواد كريم.

كما أسأله أن ينصر المجاهدين في سبيله، وأن يشد أزرهم، ويسدد سهامهم، ويذل أعدائهم، ويجمع كلمتهم على الحق، إنه جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الخلق أجمعين محمد وعلى آله وصحابته ومن اتبع سنته إلى يوم الدين.

حُسْنُ القَصْدِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ثبت في "الصحيحين" أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»**(١). هذا الحديث الصحيح المخرج في "الصحيحين" وغيرهما أصل عظيم من أصول الإسلام، فيه بيان أن جميع الأعمال التي يُتقرب بها إلى الله يجب أن تكون خالصة لله جَلَّ وَعَلَا.

فلا بد من إخلاص النية في كل عمل يعمله الإنسان؛ حتى في تعامله مع الناس، فالإنسان الذي يقترض وهو لا ينوي السداد إذا لم يوفِّ الدَّيْن أُلْزِم بوفائه، وأجبرته السلطة، فأدى راضيًا أو كارهًا، فإذا قضي الدَّيْنَ احتِسابًا ورجاء ثواب الله جَلَّ وَعَلَا وخوفًا من التفريط في حقوق الآخرين، أحسن الله إليه وشكره، وأثابه الثواب الجزيل، إلى غير ذلك مما لا يأتي عليه العدُّ والحصر.

فكل تقلباتنا في هذه الحياة إما أن تكون جالبة للثواب رافعة لدرجاتنا عند ربنا جَلَّ وَعَلَا، وإما أن تكون ضائعة لا ثمرة من ورائها.

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»، سبب هذا الحديث أن

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

رجلًا هاجر إلى المدينة يريد أن يتزوج امرأة تدعى أم قيس، فسمِّي مهاجر أم قيس[١]، وما كان قصده في مبدأ أمره أن يهاجر إلى الله ورسوله، فتحدث الناس إنما هاجر ذلك الإنسان من أجل المرأة، فجاء البيان على لسان سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليجعل الناس على أمر واضح، وليتركهم على المحجة البيضاء، ليهلك من هلك عن بينة، ويحي من حي عن بينة.

فأبان المصطفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن العبرة بالمقاصد، فلو أراد الإنسان مع قصده الحسن أن ينال شيئًا من حظوظ الدنيا فلا حرج ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨]، لكن لابد أن يكون القصد الأساس طاعة الله جَلَّ وَعَلَا وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإن شهرنا هذا -يا عباد الله- شهر اختبار وامتحان، وميدان عمل ومتاجرة، ومجال سعي ومرابحة، فأين الراغبون في الأرباح، وأين الطالبون للعطايا الجزيلة؟! ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى يتعرض لنا في كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول جَلَّ وَعَلَا: **«مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»**[٢]. كريم جواد يطلب منَّا أن نسأله.

وبين لنا سعة رحمته وواسع فضله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]، كريم

---

(١) أخرج الطبراني في الكبير (٨٥٤٠) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «هَاجَرَ رَجُلٌ لِيَتَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لها أُمُّ قَيْسٍ، وكان يُسَمَّى مُهَاجِرَ أُمِّ قَيْسٍ».

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جَلَّ وَعَلَا جواد، لا يتبرم لكثرة المسائل وتوسيع الطلبات وإعظام المطالب، بل حض رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السائلين على تعظيم المسألة؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا ما تعاظم شيء أعطاه؛ لعظيم فضله، وسعة جوده، وواسع كرمه، وجميل لطفه.

فتعرضوا له -أيها المسلمون- في هذه الليالي المباركة، ولاسيما عند هذا البيت العتيق هذا المكان المفضل المشرف هذه البقعة المباركة أقدس بقاع الله جَلَّ وَعَلَا، فالصلاة في هذا المسجد بل في مكة كلها بمائه ألف صلاة فيما سواه؛ كما جاء ذلك على لسان سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

فليحرص المسلم على اغتنام الفرص، فإن العاقل اللبيب الناصح لنفسه الراغب في الثواب إذا وافته الفرصة، وتهيأت له المكاسب لا يضيع الوقت، ولا يهجر الفرص، وإنما هوعاقل فطن حازم متيقظ، يتعرض للمرابح، ويتهيأ ويستعد في أيام المواسم؛ لعلمه أن الفرص قد لا تتكرر، وأن إجابة الدعاء قد لا تتحقق في كل لحظة وساعة، مع أن الله جَلَّ وَعَلَا له **«فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ**

---

(١) كما في حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«فَضْلُ الصَّلاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى غَيْرِهِ مِائَةُ أَلْفِ صَلاة، وَفِي مَسْجِد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفُ صَلاة، وَفِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِخَمْسِمائة صَلاة»**، أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٢١٢) برقم (٤٢٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٨٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧): «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام، وهو حديث حسن».

ويشهد له حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هذا أَفْضَلُ من أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إلا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»**. أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

لَيْلَةٍ»[(١)]، وإنَّما يتخلف المتخلِّف منَّا إمَّا لعدم صدق الرغبة، أو للتفريط في الاحتراز والجد والاجتهاد والمصادقة في تلك الساعة، أو للاشتمال على أعمال مانعة من ارتفاع الدعاء، فإن الإنسان قد يدعو ويدعو فلا يرتفع دعاؤه إلى السماء.

ومن موانع الدعاء: الأكل مما حرَّم الله جَلَّ وَعَلَا؛ كما جاء في الحديث "الصحيح" حديث المسافر الأشعث الأغبر، الذي يلح ويطلب، ولكن قد يكون مانعًا ما درى عنه منعه من إجابة الدعاء؛ أكل من الحرام، فتغذي بما لا يحله الله جَلَّ وَعَلَا، فصار دعاؤه لا يتجاوز إلى أبواب الإجابة[(٢)].

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، لابد لنا -أيها المسلم- أن نحسن القصد والتوجه إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وأن نبعد عن أنفسنا كل ما من شأنه أن يخدش النية أو يضعف مقامها، أو يدخل عيها أمورًا تعيق العمل عن ارتفاعه إلى الله جَلَّ وَعَلَا، والنفس محتاجه للمحاسبة محتاجه للمراقبة؛ لأن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، والعاقل الناصح هو الذي يتفقدها في كل وقت؛ يتفقدها خشية أن يتسلط عليها العجب، أو يتفقدها خشية أن يتسلط عليها الرياء، يتفقدها خشية أن تجعل طلبها بالعمل الصالح ملذَّات الدنيا ومطالبها، فهو المتفقد اليقظ، كلما وجد منها غفلة نبهها، وكلما وجد منها انحرافًا قوَّمها، وكلما وجد منها تثاقلًا أقامها، فهو حازم في كل أموره متفقد لأحوالها، علم بأن الله جَلَّ وَعَلَا لا يخيب عمل الصادق في العمل.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٥٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه مسلم (١٠١٥).

إننا -يا عباد الله- في هذه الأيام والليالي في أمسِّ الحاجة لأن نصدق مع الله في الدعاء وفي التوجه، فإن أوضاع الأمة الإسلامية أوضاع تستدعي يقظة صادقة، وإقبالًا على الله جَلَّوَعَلَا برغبة واطمئنان وثقة بإجابة الله الدعاء، فإن الله يستجيب دعاء عبده المنيب إليه، الراغب فيما عنده، الصادق في التوجه إليه، ومن كان في دعائه أو في مواقفه التي في ظاهرها أنها قربة لله يقصد بذلك غير الله فإنه لا يدرك إلا ما قصد؛ كما أشرنا إلى شيء من ذلك في ليلة مضت.

إن الإشارة في الحديث "الصحيح" الذي فيه بيان أن أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة ثلاثة، كل هؤلاء الثلاثة أعمالهم في ظاهر أمرها أعمال صالحة، لكن لـمَّا افتقدت تلك الأعمال النية الصادقة ما أثمرت لأصحابها إلا ما قصدوا؛ عالم يُعلِّم الناس العلم، ويشيع بينهم النور، يعظهم ويرشدهم -نسأل الله السلامة من سوء القصد- وقصده أن يُقال: عالم، متكلم، بليغ، فصيح! وقد قال الناس ذلك، فليس له من عمله إلا ما جني. وآخر صاحب ثروة يضع هنا وهناك ليتحدث الناس بسخائه وجوده، فتحدثوا، فليس من عمله إلا ما تحدث الناس به. ورجل أرخص مهجته فأريق دمه في القتال، ولم يرد وجه الله في ذلك، وإنما أراد أن يقول الناس: شجاع، وقد قال الناس: إنه شجاع، فأدرك ثواب الدنيا[1].

فهؤلاء الثلاثة أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة: عالمٌ، وجوادٌ بالمال،

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: **«إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ...»** الحديث، وفي رواية: **«فَهَؤُلَاءِ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.
أخرجه الترمذي (٢٣٨٢)، والنسائي في الكبرى (١٠/٣٩٥)، وابن حبان (٢/١٣٥).

وشجاعٌ بالنفس، لكن لـمَّا لم تكن النية لله جَلَّوَعَلَا ما نفعهم ذلك في الآخرة شيئًا، وإنما عاد عليهم خزيًا ووبالًا وإعلانًا بفضيحة من لم يكن قصده وجه الله جَلَّوَعَلَا والدار الآخرة، نسأل الله أن يصحِّح منَّا أجمعين القصد.

فليحرص المسلم- يا عباد الله- **«فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أَحَدِكُمْ مَجْرَى الدَّمِ»**(١)، ويعد الناس ويمنيهم ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:١٢٠]، يخادعنا ويركض علينا بخيله ورجله، وقد أفلح في كثير من المواقف، وجرَّ منَّا كثيرًا في حظيرته؛ ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]، فالمعصوم من عصمه الله، والمَهْدِيُّ من هداه الله؛ كما قال الله جَلَّوَعَلَا في الحديث القدسي: **«يا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»**(٢).

فليحرص المسلم -يا عباد الله- في هذه الأيام؛ أيام مباركة، أيام يضاعف الله فيها الحسنات، أيام تتهيأ لك يا صاحب العمل الأسباب الحاملة لك على العمل، إن أردت صدقات فما أكثر المحتاجين، وإن أردت مسابقة في الأعمال الصالحة فانظر إلى ثواب المسجد، ما أكثر من يترنمون بكتاب الله أو يتضرعون إلى الله رُكَّعًا وسُجَّدًا! هؤلاء هم الذين ينبغي لنا أن نتسابق وإياهم ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، إذا رأيت مشمِّرًا للعبادة فحاول أن تسبقه، فإن عجزت فحاول أن تجاريه، إذا رأيت مشمِّرًا

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٩)، ومسلم (٢١٧٥) من حديث صفية رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

للبذل فحاول أن تفعل مثل فعله، فإن لم تستطع فانظر هل يبقى المعروف في محله؟! اسأل الله أن يوفقك أن تعمل ما يعمل، فإنك وإياه في الأجر سواء، فإن الإنسان إذا نوي الخير وقصد ولم يقعده إلا قلة ذات يده أو عجزه عن العمل مع تلهفه، ففي عينه دمع حزنًا ألا يجد ما ينفق، هذا يثيبه الله جَلَّوَعَلَا ثواب العاملين؛ لأن النية لها مجال واسع في الثواب والأجر من الله جَلَّوَعَلَا؛ لأن الله جواد ماجد غني كريم، واسع الفضل والعطاء، إذا هم العبد بالحسنة فأقعده عنها مانع أمر أن تكتب لعبده حسنة تامة(١)، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة:٤]

أسأل الله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يمنحنا جميعا التوفيق والتسديد والإخلاص لوجهه الكريم، والقيام بأمره، والتقرب إليه بما يحب، وأن يجنبنا أجمعين أسباب الخزي والخزلان بمنّه جَلَّوَعَلَا وكرمه، أسأله سبحانه أن يرحم ضعفنا، وأن يقيل عثراتنا، وأن يغفر زلَّاتنا، وأن يتوب علينا، وأن يعاملنا بما هو أهله من الإحسان والجود والكرم، وألا يكلنا إلى أنفسنا أو إلى أحد من خلقه.

نسأله جَلَّوَعَلَا أن يعزَّ الإسلام والمسلمين، وأن يذل الشرك والمشركين، وأن يدمر أعداء الدين من اليهود والنصاري والشيوعيين والباطنيين والملاحدة في كل مكان، إنه جواد كريم، نسأله بأسمائه وصفاته أن يجمع شمل الأمة الإسلامية، وأن يؤلِّف ذات بينها، وأن يصلح قادتها، وأن يهديهم سبل السلام، وأن يوفقهم للقيام بأمره، وتحكيم شرعه، وقلع المفسدين عن الفساد،

(١) كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

ونصرة أهل الخير والرشاد، نسأله جَلَّ وَعَلَا أن يستبدل من سبق في علمه ألا يستقيم أن يستبدله بمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطيع الله ورسوله.

نسأله جَلَّ وَعَلَا أن يقيم علم الجهاد، وأن ينصر المجاهدين في كل مكان، وأن يرينا في أعدائنا أعداء الدين عجائب قدرته وإرين[1] بطشه، وأن ينزل عليهم عذابه الذي لا يُرد عن القوم المجرمين.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يزيد أهل هذا البلد من الخير والإقبال عليه والاستقامة على شرعه، وأن يصلح قادتهم ويهديهم ويوفقهم لأسباب السعادة، ويعينهم على ما ولَّاهم، ويشد أزرهم، ويوفقهم لحماية هذه الرحاب وسائر أنحاء هذه البلاد، وصيانتها عن أيد العابثين وعمل المفسدين، وأن يشد أزرهم ويقوي عزائمهم، ويسلطهم على أعداء الدين بمنِّه جَلَّ وَعَلَا وكرمه، وأن يكافئهم وإيَّانا التوفيق والتسديد للعمل الصالح، والرضا والقبول بمنه جَلَّ وَعَلَا وكرمه.

اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح ذرياتنا أجمعين، واغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا وجميع المسلمين يا ذا الجلال والإكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

---

(١) الإرَةُ: موضع النار، وأصله إرْيٌ، والهاء عوض من الياء، والجمع: إرون، وإرات، وإرين، يُنظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٢٢٢)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٦٧)، ولسان العرب (١٤/ ٣٠).

التِّجَارَةُ الرَّابِحَةُ وَالعَزِيمَةُ الصَّادِقَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

إن هذه الأيام -أيها المسلمون- وهذه الليالي التي نعيشها أيام مرابحة ومتاجرة مع الله، وعد الله جَلَّ وَعَلَا فيها العاملين المخلصين بالرحمة والمغفرة، فمن فاتته أيام العتق ولم يدرك ذلك كله، فقد خاب وباء بالخسران والعياذ بالله، هذا الشهر الكريم يعتق الله جَلَّ وَعَلَا في كل ليلة منه ستين ألف نسمة من النار كلهم استوجبها، فإذا كان آخر ليلة أعتق الله جَلَّ وَعَلَا بقدر ما أعتق في كل ليالي الشهر الماضية[١].

وفي رواية: «**وَيُزَيِّنُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ الْمَئُونَةَ وَالْأَذَى، وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ، وَيُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، فَلا يَخْلُصُوا فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ قَالَ: «**لَا، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ**»[٢]. هذا فضل من الله يؤتيه من يشاء.

---

(١) كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٢٢)، وأخرجه في فضائل الأوقات (ص١٦٦ - ١٧١) من طرقٍ، وقال عقبه: «والمراد بالعدد المذكور في مثل هذا عند علمائنا: الكثرة دون أعيان العدد المذكور في الخبر، وكل ذلك -والله أعلم- فيمن عرف حدود هذا الشهر وحفظ حقوقه».

(٢) أخرجه أحمد (١٣/ ٢٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أمَّا ليلة القدر فلها فضل عظيم وشرف عالٍ على سواها؛ لأن الله وصفها بأنها خير من ألف شهر.

إذن علينا -أيها المسلمون- أن نتهيأ في كل ليلة لأن نتعرض لنفحات الله، وتكون نيَّاتنا صادقة في طلب الثواب من الله، مستعينين به جَلَّ وَعَلَا، متوكلين عليه، راغبين فيما عنده، عالمين أن ما عنده هو الباقي، وأن ما بأيدينا فإنه قد يمر ولا ينفعنا، فإن ما بأيدي الناس من متع الحياة الدنيا فتنة، والسعيد من اجتاز الدنيا سالمًا، والشقي من صرعته الفتن فصار فريسة الهوى والشهوات والمطالب الرذيلة -نسأل الله العافية- وما أكثر الذين يكونون فريسة لهذه المطالب! والمعصوم من عصم الله، والـمَهْدِيُّ من هدى الله، والمغفور من وفقه الله للتعرض لأسباب المغفرة، نسأل الله أن نكون أجمعين ممن يتعرضون لأسباب مغفرة الله ورحمته.

عباد الله، إنَّ «**الصَّوْمَ جُنَّةٌ**»[1]، وسترة ودرع يتدرع به المسلم من المصائب والمتاعب، ويتقي به الويلات والنكبات، يجعله وقاية من آثار غضب الله وعذابه، ولكن هذه الجُنَّة وهذا الدرع المتين يتعرض لأمور خفية وأمور لا يلتفت لها إلا أهل القلوب الحيَّة السليمة، سهام نافذة تتسلط على هذه الجُنَّة المنيعة فتخرقها، وتفتح فيها ثغرات للسهام الطائشة والنصائب والمتاعب، ما لم يتوقع العبد ذلك كله، وأن يتهيأ له بنيَّه سليمة قوية، من حين يدخل في هذه العبادة وهو مصطحب تلك النية إلى أن يتناول طعام إفطاره، فيدعو عند

(١) أخرجه البخاري (٧٤٩٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الإفطار، فإن «**لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ**»[١]، ما لم يفسد هذه العبادة بالمفسدات.

«**الصَّوْمُ جُنَّةٌ**»، وماذا يخرق هذه الجنة، وبِمَ نخربها ونفسدها على أنفسنا؟ بالغيبة والوقيعة في أعراض الناس، بالنميمة والقيل والقال للإفساد فيما بين الناس، إن الغيبة والنميمة أعظم الأشياء فتكًا بالأعمال الصالحة، فقد سمَّى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النميمة بالحالقة، وقال: «**لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»[٢]، فليست تحلق الشعر وتزيله لينبت، ولكنها تحلق الأعمال، والأعمال إذا حُلِقت لا تنبت، وإنما الموفَّق يستعيض بأعمال أخرى، والمفرِّط الضائع هو الذي لا يشعر بأن أعماله تلفت، ولا أن حسناته فنيت، ولا أنه أمسى صفر اليدين من الأعمال الصالحة لما؛ لأن القلوب قد عميت ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

إلا أن شفاء القلوب من عماها وعلاجها متيسر، وإنما يُوفَّق لذلك من كان راغبًا فيما عند الله جَلَّ وَعَلَا، لا تحتاج في علاج بصر قلبك لأدوية بأثمان باهظة، ولا إلى رحلات للأطباء النابهين الذين ضربوا أقصى قصب السبق[٣] في

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣)، والطبراني في الدعاء (٩١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/٤٠٧) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٤٣)، والترمذي (٢٥١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١/١٨٢) من حديث الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) يُقال للسابق: أحرز القصب؛ لأن الغاية التي يسبق إليها تُذرع بالقصب، وتُركز تلك القصبة عند منتهى الغاية، فمن سبق إليها حازها، ويقال: حاز قصب السبق، واستولى على الأمد. يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٦٧)، ولسان العرب (١/٦٧٧).

علاجهم، وإنما عليك أن تتوجه إلى الله وتذكره وتصدق في ذلك؛ ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، وأن تعزم عزيمة صادقة على أن تقبل على مولاك إقبال الراغب في العلاج، أو المتطلع إلى الشفاء، والشفاء بيد الله؛ كما قال الخليل -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم-: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]، شفاؤه هو الذي لا يغادر سقمًا.

فتتوجه إليه جَلَّ وَعَلَا، ولاسيما إذا ارتاح كل محبٍّ للراحة إلى فراشه، وأوى أصحاب الدنيا والملذات إلى فُرشهم وراحتهم، وأخلدوا إلى منازلهم وفي فُرشهم الوثيرة[1]، وأنت تتوجه إلى الله صادقًا تتقلب بين يديه، مجتهدًا متضرعًا، فزعًا من ذنوبك، معلقًا أملك بعفوه جَلَّ وَعَلَا وأهداب لطفه، عند ذلك ثق بإجابة الدعاء، فإنه جَلَّ وَعَلَا لا يَخِيب عنده سائل، ولا يُرَدُّ عن حاجته طالب، ما لم يكن هو بنفسه قد وقع حاجزًا بين ارتفاع دعائه إلى الله، ألا وهو أكل الحرام، والغفلة عن المنقلب، والاغترار بهذه الدنيا، وما أكثر من اغتروا بها! ولكن نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا قلوبًا حيَّة متذكرة، كلما غفلنا تذكرنا فتبنا إليه، إن **«فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»**[2]، لو قيل -يا أخي- لواحد منَّا: أنت إذا أنت سهرت من غروب الشمس إلى طلوعها بعمل وعناء وحراسة، ما يغمض لك جفن، ولا يلتفت لك وجه، ولا تنفلت بخاطر في

---

(١) الفراش الوثير: الوطيء اللين. يُنظر: العين للخليل (٨/ ٢٣٤)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٨٤)، والصحاح للجوهري (٢/ ٨٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ليلة واحدة، إنك إذا فعلت أدركت كذا وكذا من مطالب الدنيا؛ مطلبًا ثريًّا. أترى واحد منَّا يغفل عن ذلك؟! لو قيل: إن منزلًا مفروشًا جمالًا لمن فعل هذا الفعل ولم ينصرف بفكره، لوجدت كل واحد منَّا في غاية عالية من الانتباه، والشيطان لا يحاول أن يشغلنا؛ لأن ذلك لا يضايقه ولا يؤثر على مطالبه ومراصده لنا.

وعند الله فضل عظيم، وبيده خير لا حدَّ له ولا حصر، يستجيب للداعي إذا دعاه ووافى ساعة الإجابة، فهل من مشمر يختار ليلة من الليالي فيسهر إلا في تناول حاجة، أو قضاء حاجه من حوائج الدنيا أو مما يستعد به لعبادته؟! لو فعلنا صادقين متجهين إلى الله لأعطانا الله جَلَّ وَعَلَا عطاءً جزيلًا؛ ذلك لأن النفقة منه سبحانه لا تؤثر على خزائنه؛ إذ أن خزائنه ملأى وإن كانت نفقته سحاء الليل والنهار[1]، لكن هذه الخزائن لا تغيض ولا تنقص من ذلك؛ كما ورد في الحديث القدسي: **«يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»**[2]. ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، سبحانه ما أعظمه!

---

(١) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَدُ الله مَلأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»**. أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والسَّحاء: الدائمة الصَّبِّ، يُقال: سحابة سحوح، أي: كثيرة الصَّبِّ. وفرس مسح، أي: سريعة شديدة العدو، تشبه بانصباب المطر. يُنظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥١١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخي المسلم، إن علينا أحمالًا كثيرة، وسيئات عظيمة، لا يحس بثقلها إلَّا من سلم قلبه من الشلل، عند ذلك يحس بثقل الحمل ووطأة ما عليه من أثقال، فبادر بذكر الله جَلَّ وَعَلَا، والتأمل في كتابه وتدبر معانيه والتطلع، كلما وجدت آية رحمة تدعو الله أن يشملك بمدلولها، وكلما مررت بآية عذاب سألت الله أن ينجيك مما تدل عليه، هيئ نفسك -يا أخي- في هذه الأيام فهي أيام قليلة، إن أحدنا إذا أخذ نزهة أو أجازه شهرًا كاملاً، قد ينقضي الشهر كله دون أن يدري أنه انقضى، فإذا كان في آخر يوم قال: يا للعجب! انقضت إجازتي دون أن أحس بلذة الإجازة! وإنك في موسم عظيم، فإياك أن ينفرط منك دون أن تستفيد منه، بأن تحصل على المطالب العالية فيه، فإن ربك جَلَّ وَعَلَا كريم أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، وخير الغافرين.

فيا من أسرف على نفسه بالسيئات دونك مولاك يقول: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، ويا من تراكمت عليه الخطايا وأثقلته السيئات والذنوب دونك ربك يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢]، فتب إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وأخلص في ذلك صادقًا، يكفِّر الله عنك ذنوبك، ويمحو عنك خطاياك، ويبدل سيئاتك حسنات، يا سبحان الله! السيئات إذا عظمت والذنوب إذا تراكمت فصدق العبد في الالتجاء إلى الله وتاب إليه انقلبت تلك الأحمال أرباحًا عظيمة، وحسنات كريمة! فيا للفوز، ويا لخسارة المفرِّطين.

أخي المسلم، لا تغرنَّك نفسك الأمارة بالسوء، ولا قرينك الذي

يصارعك ليل نهار، وأقبل على الله، أسأل الله أن يثبتنا أجمعين بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وأن يمنحنا قلوبًا حيَّة، ونفوسًا مطمئنة، وأن يرزقنا أجمعين صدق القول والعمل وإخلاص النية لله رب العالمين.

اللَّهُمَّ يا واسع الفضل والجود، يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين، يا من قلت وقولك الحق: ادعوني استجب لكم، نسألك بأسمائك وصفاتك ألَّا تردنا خائبين، وألَّا تجعلنا في هذا الشهر المبارك من المهمومين يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ متعنا بأسماعنا وأبصارنا، وارزقنا استعمالها فيما يرضيك، وصدَّنا عمَّا يشين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح ذرايتنا وأزواجنا وأقاربنا، واغفر لنا ولوالدينا ولأحبابنا ولجميع المسمين يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمر المسلمين، اللَّهُمَّ اهدهم صراطك المستقيم، اللَّهُمَّ مُنَّ عليهم بالتوفيق والتسديد، اللَّهُمَّ اجعل أحب الأشياء إليهم طاعتك وطاعة رسولك، وأبغض الأشياء إليهم معصيتك ومعصية رسولك، اللَّهُمَّ هيئ لنا ولهم من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ سددنا يا ذا الجلال والإكرام.

إلهنا ومولانا، لا تجعلنا في هذا الشهر من المغمومين، اللَّهُمَّ اجعلنا من المرحومين المغفور لهم الذين تعتقهم من النار، اللَّهُمَّ اجعلنا في هذه الليلة من عتقائك الذين تعتقهم كل ليلة كما أخبر بذلك رسولك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أعتق رقابنا ورقاب أبنائنا وبناتنا وأزواجنا ووالدينا وجميع أقاربنا يا ذا الجلال والإكرام. اللَّهُمَّ أصلح فساد قلوبنا، وآت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من طهرها وزكاها، أنت ربها ومولاها، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم طهر قلوبنا وأصلح فسادها، وطهر بيوتنا ونجها يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اجعل بيوتنا

عامرة بذكرك وتلاوة كتابك، وامنعها يا حي يا قيوم من الفساد والفجور والإلحاد، اللَّهُمَّ حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، واجعلنا يا حي يا قيوم من الذين إذا ذكروا أصحاب نبيك ترضوا عنهم ودعوا لهم، وسألوا الله أن يحشرهم معهم يا حي يا قيوم. اللَّهُمَّ أصلح القادة في كل مكان، وارفع عن المسلمين الذلة والمهانة، واملأ بلادهم بالعزِّ والاطمئنان والقيام بأمرك، اللَّهُمَّ اجعل ليالي الصوم ليالي نيرة مشرقة على عبادك في كل مكان يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أنزل بطشك وأرنا عقابك على الملاحدة المفسدين والظلمة المجرمين الذين يشعلون نار الحرب على المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ اشدد عليهم وطأتك، واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أرنا في أنفسهم عجائب قدرتك، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يُردُّ يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ وفق ولاة أمر هذا البلد، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهدِ بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، واجعلهم قادة أمناء، ورعاة نصحاء، وعبادًا صالحين يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ احمِ بهم حَوْزة هذه البلاد، وصن بهم ربوعها وأمنها، وأمِّن بهم ما يخاف العباد، ووفقهم لحماية هذه الأماكن وتأمين السبل المؤدية إليها يا إله العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

صِدْقُ المَحَبَّةِ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

لابد لأي عمل من شرطين أساسيين: أن يكون خالصًا لله وحدة، وأن يكون موافقًا لسنة سيد الخلق محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبذلك يصلح العمل، وبدونه لا يستقيم؛ لهذا قال -عليه أفضل الصلاة والتسليم-: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا ما لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**[1]، لا يقبل الله جَلَّ وَعَلَا من محدث صرفًا ولا عدلًا[2]، ولا يقيم له وزنًا، إلا إن تاب إلى الله واقتفى أثر المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إن شهادة "أن محمدًا رسول الله" أن تعلم أن الكمال والسعادة والسلامة والنجاة باتباعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن تحبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم من محبة أيِّ مخلوق كان، أن تعلم أن طاعته شرف في الدنيا والآخرة، وأن متابعته عزٌّ لك في الدنيا والآخرة، وبدون ذلك لا شرف ولا عزٌّ ولا نجاة ولا أمنٌ يوم يقوم الأشهاد؛ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩].

إن شهادة "أن محمدًا رسول الله" تقتضي منَّا أن نحبه أحبَّ من البنين

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) كما في حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠).

والآباء والناس أجمعين، قال الخليفة الراشد الملهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، واللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ»**، قَالَ عُمَرُ: واللهِ فَلَأَنْتَ الْآنَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْآنَ يَا عُمَرُ»**(١).

فلا يكمل إيمان أحدنا إلَّا إذا أحبَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبًّا لا يحبه لأحدٍ من المخلوقين، إن الإنسان قد يقول ذلك بلسانه، قد يقول أحدنا: إني أحب رسول الله أحبَّ من أيِّ مخلوق. لكن أين الدليل على ذلك؟! إن الدعاوى كثيرة، والإنسان يستطيع أن يدعي دعوة عريضة طويلة بعيدة المدى، لكنها لا وزن لها إذا لم يكن عليها دليل يؤكد صدقها ويبين سلامتها من الأضداد. إذا أردنا أن نعرف صدق محبتنا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلننظر مدى متابعتنا له، وكيف نقدم ما ورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أهواء أنفسنا ورغباتها ومطالب زوجاتنا وأولادنا وأسرنا وأصدقائنا، إذا كان استماعنا لحديثة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحبَّ إلينا من استماع أيِّ حديث، وإذا كان تقديم أمره مقدَّمًا على أمر أيِّ أحد من المخلوقين، إذا كانت عواطفنا وميولنا تابعة لما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عند ذلك نعلم أن المحبة قد تحققت، وأن الدعوة قد سلمت مما يضادها.

إنك -يا أخي- إذا قلت قولًا تحتاج لأن تقيم عليه الدليل، فإن لم تقم عليه الدليل فهي دعوة تصدق وتكذب، إن صدقت فالفوز والنجاة والسلامة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

والنجاح، وإن كانت الأخرى فما أكثر الدعاوى الباطلة الفارغة!

إن الناس في هذا الزمن يكثرون من دعوة محبة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن إذا أردت أن تطبق ذلك على أفعالنا وأقوالنا وما نأخذه وما ندعه وجدت فرقًا وبونًا شاسعًا بين الدعوة والحقيقة وبين القول والعمل، فتجد التثاقل عن متابعة السنة، والإقدام على إقامة البدعة، وصدًّا عن دعوة سيد الخلق، وبطئًا عن الاستجابة لدعوته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إن شهادة "أن محمدًا رسول الله" تقتضي منَّا أن نجعل أمره مقدَّمًا على أمر الوالد والولد، والزوجة، والقريب والصديق، والوالي والرئيس وكل أحد؛ لأن طاعته هي المنجية، ومعصيته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي المردية، يقول -عليه أفضل الصلاة والتسليم- فيما ثبت في "الصحيح": **«كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: **«مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»**[١].

أترى -يا أخي- أن الجنة التي فيها **«مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»**[٢] يرفض عاقل أن يدخلها؟! لا شك أنه لا يُعقل أن تُفتح له أبواب الجنة لإنسان عاقل؛ هلمَّ! ثم يرفض دخولها، لكن دونك الجواب من أصدق الخلق وأكملهم وأبرِّهم وأنصحهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»**، ولذلك يقول المولى جَلَّ وَعَلَا في محكم الكتاب: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

إن الكلام عن الشهادتين -شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله- واسع الأرجاء، مترامي الأطراف، ولنجتزئ من ذلك لِمَا مضى، وقبل أن نأتي إلى الركن الثاني من أركان الإسلام ينبغي أن نعلم أنه بدون الركن الأول لا يمكن أن يدخل الإنسان في الإسلام؛ لأن مدخل الإسلام والبوابة التي لا طريق إلا منها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وبدون ذلك لا إسلام ولو عمل الإنسان أيَّ عمل، فإن أناسًا كثيرون يجتهدون في العمل، ويبذلون الأموال، ويكدحون ليل نهار، ومآلهم نار تلظَّى؛ لأنهم لم يحكموا معنى الشهادتين، ولم يصدقوا في إقامتها، وإنما يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وكانوا كما قال الله عن أمثالهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢، ٣].

والركن الثاني -أيها المسلمون- من أركان هذا الدين العظيم؛ دين الإسلام الذي قال الله بحقه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، والذي قال الله بحقه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، هذا الدين الذي بُني على أركان خمسة لا يقوم إلا بها؛ ركنه الثاني: إقامة الصلاة، هذه العبادة التي فرضها الله علينا من فوق سبع سموات، وجاءت الآيات الكثيرة المتكررة تأمرنا وتدعونا لإقامة الصلاة، وقال بحقها سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا**

فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»(١).

هذه الصلاة هي الصلة التي تصل العبد بربة، وهي المحجَّة، وهي المطهرة من أدران الذنوب والمعاصي، وهي النور والنجاة والبرهان لمن حفظها وحافظ عليها، وهي العهد الوثيق والبرهان الجلي، العهد الذي يكون للعبد عند الله أن يد خلة به الجنة إذا أحكمها وأدَّاها كما بلغها رسول الخلق صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للأمة، فإقامة الصلاة ليس مجرد أدائها، وإنما أن تقيمها كما تقيم الأمر لا اعوجاج به ولا ميل فيه؛ «**صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(٢)، هكذا قال سيد الخلق صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وسماها الله جَلَّوَعَلَا إيمانًا حينما حُوِّلت القبلة فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [البقرة:١٤٣].

فهذه العبادة -يا عباد الله- أهم الأعمال البد نية، وهي التي يُبدأ بها في الحساب يوم القيامة من أعمال الأبدان، فإن وُجِد للعبد صلاة نُظر في بقية أعماله، وإن لم يوجد له صلاة لم يُنظر له في عمل، و يتوجه إلى نار جهنم والعياذ بالله(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ**». أخرجه الترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥)، وفي رواية عند الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٤٠) من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ**
=

إن هذه الصلاة العظيمة هي العمود العظيم للإسلام[١]، هي التي تتكرر في اليوم خمس مرات، فرضها الله على عباده في أول ما فرض خمسين صلاة، ثم مازال سبحانه يخفف عن عباده حتى استقرت خمس صلوات في العمل وخمسين صلاة في الكتاب[٢]، يقول سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما جاء في "الصحيح" عنه-: **«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟»**، قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: **«فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»**[٣]؛ لأن في واقع أذهانهم وحالهم أن من اغتسل في اليوم خمس مرات بماء عذب جارٍ لا يبقى على بدنه درن، يعني: من حفظها وحافظ عليها غسلته من الذنوب والسيئات فلم يبق عليه ذنب إذا أتقنها؛ لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، تنهاه عن ارتكاب المعاصي، تزجره عن الإقدام على ما حرَّم الله، تحمله على المثابرة في الطاعة تجعل العبادة حلوة لذيذة في مذاقه، تجعل النَّصَب والكدَّ في أداء العبادات أمرًا خفيفًا يسيرًا على البدن.

هذه الصلاة -يا عباد الله- أعطاها الله جَلَّ وَعَلَا من العناية والترتيب

=

فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ».

(١) كما في الحديث عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»**، أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١)، والترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢١٤)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

(٢) كما في حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والاجتماع ما تثمر الثمرات العظيمة الجلية إذا حافظ الناس عليها، جعلها تؤدَّى للرجال في الأماكن المعدَّة لها ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور:٣٦، ٣٧]، همهم إرضاء ربهم وإقامة أمره وإعلاء شرعه وهداية خلقه، هؤلاء أعدَّ الله لهم من النعيم **«مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»**[١]؛ ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧].

نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن نكون منهم وإن لم نعمل عملهم، فإن حب الصالحين، والحرص على الاقتداء بهم، والجد والاجتهاد في التمسك بسنة سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من أعظم أسباب السعادة والنجاح.

فاحرص -يا أخي المسلم- احرص على تنقية الشهادة والصدق في المتابعة، واغمر قلبك بحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودلِّل على ذلك بالرغبة في إقصاء ما يعلق بشرعة من الطفيليات والخرافات، واكتفى بما مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو قائم، فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»**[٢]، تركنا على السنة الواضحة الجليَّة، عبادات واضحة، ورسوم بيِّنة، وأعلام جليَّة،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٨/٣٦٧)، وابن ماجه (٤٣)، والطبراني في الكبير (٦١٩)، والحاكم (١/١٧٥) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يراها البصير بنور الإيمان من بُعْدٍ.

فاحرص على إقامة الصلاة، واعلم أن الله سنَّ على لسان نبي الهدى سنن الهدى، وأن من سنن الهدى إقامة الصلاة في المساجد؛ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[النور:٣٦]، إن الله جَلَّوَعَلَا حكيم عليم، وقد بعث لنا رسولًا كريمًا ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، فسنَّ لنا ما ينفعنا، وحذَّرنا مما يضرنا، وأقام لنا شعائر الدين، ومات يوم ما مات وقد أبان لنا الطريق، فأصبح طريقًا عليه من الله نور وبرهان، يحتاج منَّا فقط إلى أن نتوجه متبعين سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلى هنا أقف فيما يتعلق بأمر هذه العبادة، وإلى الحديث القادم إن شاء الله.

أسأل الله الكريم الجواد الغفور الرحيم أن يجعلنا في هذا المكان المبارك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يرزقنا الصدق في القول والعمل والإخلاص والمتابعة الحقة لسيد الخلق، وأن يملأ قلوبنا بالإيمان وبمحبة سيد الخلق محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يرزقنا المتابعة الحقة والإخلاص لوجه رب العالمين.

أسأله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يجعل ليالي هذا الشهر المبارك وأيامه أيام عز وليالي خير وبركة لنا في هذا المكان وللأمة الإسلامية في كل مكان، وأن ينزل الله على أمة الإسلام التثبيت والتأييد، وأن يهديها صراطه المستقيم، وأن يصلحها في حاضرها ومستقبلها، وأن ينصرها على عدوها في كل مكان.

أسأله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يتقبل دعاءنا، وأن يرحم ضعفنا، وأن يقيل عثراتنا، وأن يبارك لنا فيما أعطانا، وأن يرزقنا ملء صحائفنا بما يسَّر من

الأعمال الصالحة، وأن يجنبنا المخازي والفتن بمنِّه جَلَّوَعَلَا وكرمه، أسأله جَلَّوَعَلَا وهو خير مسؤول أن يجمع شمل الأمة الإسلامية على الحق، وأن يؤلف بينها، ويشد عزائمها، وأن ينصرها على أعدائها، وأن يشبع جائعها، ويكسو عاريها، وينصر مظلومها، ويُعلي شأنها أجمعين بمنه جَلَّوَعَلَا وكرمه.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يصلح القادة، وأن يهديهم، وأن يمنحهم الإقبال عليه، والقيام بأمره، وتحكيم شريعته فيما دقَّ وجلَّ، في الخاص والعام، في الداخل والخارج، أسأله جَلَّوَعَلَا أن يصلح قادة المسلمين في كل مكان، وأن يحبب إليهم طاعته ويجنبهم معاصيه، ويرزقهم الإقدام على دين الإسلام والدعوة إليه وشد أزر الدعاة إلى الله.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يحمى هذه البلاد المقدسة ويصونها عن المكاره، وأن يذل أعداءها في كل مكان، وأن يرينا في الملاحدة المجرمين عجائب قدرته، وأن ينزل بهم بأسه الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يصلح ولاة أمر هذه البلاد، ويهديهم، وينصرهم بالحق وينصر الحق بهم، ويجعلهم رعاة أمناء، وقادة نصحاء، ودعاة فضيلة، وأنصار حق، وأن يحمى بهم حِمَى هذه البلاد، وأن يوطد بهم الأمن، ويصون بهم المقدسات، ويجعل عملهم كله وعملنا جميعًا خالصًا لوجهه الكريم مقبولًا عنده، إنه جواد كريم، أسأله جَلَّوَعَلَا أن يعينهم على ما ولَّاهم، وأن يوفقهم لتأمين السبل المؤدية إلى هذا البيت العتيق وإلى مسجد الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وأن يوفقهم للأخذ على أيدي السفهاء ومن يحاولون العبث بهذه الأماكن بقوة وحزم.

وأسأله جَلَّوَعَلَا بأسمائه أن ينصر المجاهدين في سبيله في كل مكان، وأن

يعاجلهم بالنصر والتأييد، وأن يشد أزرهم، ويثبت أقدامهم، ويسدد سهامهم، وأن يذل اليهود والنصارى والمجوس وسائر الملاحدة في كل مكان إنه جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على الهادي الأمين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أَهَمِّيَّةُ الصَّـلَاةِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

عباد الله، لقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرض موته الذي مات فيه يوصي بالصلاة ويقول: **«الصَّلاةَ الصَّلاةَ، اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»**[(١)].

فأوصى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصلاة؛ لأن الصلاة عمود هذا الدين وركنه المتين[(٢)]، فلا ينبغي أن تكون أهمية الدنيا أعظم في نفوسنا من أهمية هذه العبادة، التي أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها أوَّل عمل يُنظر فيه يوم القيامة من أعمال العبد، فإن وُجِد لأحد صلاة نُظر في صيامه، في زكاته، في حجِّه، في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، في حسن علاقاته بالآخرين، في برِّه بذوي القربى والأرحام، وإن لم يوجد له صلاة فإنما جميع حسناته الأخرى كحسنات الكفار، يستمتعون بثمراتها في الدنيا، والنار مثوى لهم[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨)، وأحمد (٢/ ٢٤) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في الحديث عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«رَأْسُ الأَمْرِ الْإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»**، أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١)، والترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢١٤)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

(٣) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ»**. أخرجه الترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥)، وفي رواية عند الطبراني في الأوسط =

الصلاة -أيها المسلمون- غفل كثير من المسلمين عنها، بل ربما تجد في البيت الزوج لا يصلي وزوجته تصلي، وربما تجد الزوجة لا تصلي والزوج يصلي، فما يغير ذلك عند الزوج شيئًا، ولا يغير هذا عند الزوجة أيضًا! والسبب في ذلك أن أمر الله هان على النفوس، وأن عذاب الله لم يوقن العباد بوقوعه وأنه آتٍ لا محالة، وإلا فإنه لا يحل لمن أصرَّ على ترك الصلاة أن تبقى المرأة في عصمته، ولا يحل للرجل الذي تصر امرأته ألا تصلي أن يبقيها في عصمته؛ لأن الكفر يفرِّق بين الرجل والمرأة، وترك الصلاة عمدًا كُفْرٌ، فإن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يرون ترك الصلاة عمدًا كُفْرًا يخرج من الملة[1]، كيف وقد ثبت في "الصحيح" عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ»**[2]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»**[3]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ تَرَكَ صَلاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ»**[4]، وفي رواية: **«مَنْ تَرَكَ**

=

(٢/ ٢٤٠) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»**.

(١) كما في الأثر عن عبد الله بن شقيق العقيلي، قال: «كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاةِ»، أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٣٨/ ٢٠) من حديث بريدة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد (٣٦/ ٣٩٢) من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه ابن ماجه (٤٠٣٤)،

=

صَلاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»[(١)].

ومعلوم أن العمل إنما يحبط بالخروج من الإسلام، أما المعاصي فإنها تعلو معها أحمال الذنوب وأثقالها، لكن يبقى أصل الإسلام مع المرء؛ ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يتعلق بمن فاتته صلاة العصر وهو ينوى أن يصليها، ولم يتعمد تركها -كما ثبت في "الصحيح"-: **«مَنْ فَاتَتْهُ صَلاةُ الْعَصْرِ، فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»**[(٢)].

أرأيتم لو أن رجلًا يملك من صنوف المال مختلف الأموال؛ مِنْ مُتَحرِّك وثابت، وبساتين وأشجار، وقصور وأثاث، وأنواع الأموال من ذهب وفضه ونفط، وله أسرة كبيرة من بنين وبنات وأهل وأحفاد وإخوان، ثم جاءهم أمر الله في لحظه من اللحظات، فمسح ذلك عن آخره، فبقي وحيدًا فريدًا لا أهل له ولا مال ولا شيء، فما هي حسرة ذلك الإنسان، وما مقدار خسارته؟ إن من يسمع عنه ينعصر قلبه أسى ورحمة له، ويرى أنه خسر خسارة عظمى، إن من تفوته صلاة العصر مرة واحدة وهو لا ينوى تركها حتى يخرج وقتها يُصاب من الخسارة بمثل ما أصيب به ذاك، ولكننا نسمع أن فلانًا أهملها الوقت تلو الوقت، وآخر نعلمه تركها، فلا نشعر أنَّه حلَّت به قارعة، ولا أنه أصيب بنكبة، ولا أنه وقعت عليه خسارة كبرى!

ما السبب أيها المسلمون؟ إن السبب ضعف الإيمان في القلوب، وتمكن

=

والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٨٤) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣) من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الشلل في أعصاب القلوب، وحصول الرَّان على بصائر القلوب، فأصبح كثيرٌ منَّا لا يرى ذلك الظل الكثيف الذي يغطى بصائر القلوب، ولا يحسُّ بتلك الصدمات، ولا يشعر بتلك القوارع والنكبات، لكنه لو أن الله جَلَّ وَعَلَا يسَّر له سبيل التوبة لتاب إلى الله، وأخلص له العمل، واسترجع واستعان به، وطلب الشفاء لقلبه المريض، وذهب لمعالجة بصيرته بوسائل الإبصار ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، بالعمل الصالح، والإقبال على الله؛ لتفتحت بصيرة قلبه، واستيقظ قلبه فأحس بكل ما يؤلم، ورأى كل ما يضر، وتجنب كل ما هو مسبب للإنسان الخسارة في الدنيا والآخرة.

إن كثيرًا منَّا -أيها المسلمون- يرى في أهل بيته التقصير؛ في البنين والبنات، في الزوجات، في الإخوة والأخوات، في الجيران، يرى تساهلًا بأمر الصلاة، فلا يبعث ذلك في قلبه الغضب لله، والغيرة على محارمه، والاستنكار على المفرِّط! ولقد قصَّ الله علينا في كتابه الكريم آثار مثل هذه الغفلة وما جرت على الغافلين؛ ذكر لنا قصة بنى إسرائيل الذين كانوا يعتدون في السبت، وكان منهم قوم ينهونهم عن ذلك، ومع كثرة النهى واستمرار الظالمين على ظلمهم يأتي قوم آخرون لم يرتكبوا المنكر، لكن يأسوا، فقالوا للآمرين بالمعروف: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤]، ماذا حدث بعد ذلك ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٥].

فانظر -يا أخي المسلم- النجاة لأهل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،

المحافظين على حدود الله، القائمين بشرعه، هؤلاء هم الذين تحصل لهم النجاة بإذن الله جَلَّ وَعَلَا والإنسان لا يكون آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر حتى يصلح اعوجاج نفسه، ويقيم ميلها، ويحملها على الجادة المستقيمة، ويغلب هواه، فإن الشيطان والنفس الأمارة بالسوء يسعيان علينا ليل نهار؛ ليضلانا عن ديننا، ويدخل كل واحد منَّا في نار جهنم والعياذ بالله، ولكن من اتقى الله واستعان به وتوكل عليه وصبر وصابر فإن العاقبة للمتقين.

علينا -أخي المسلم- أن نهتم بهذا الركن العظيم من أركان ديننا الذي أضاعه أكثر الناس في كثير من بلاد الإسلام، فترى الرجل قد تزوج وأنجب وهو لا يعرف الصلاة ولا عدد ركعاتها، وترى المرأة الكهله تسوِّف وتنوي أن تتوب إلى الله إذا أَسَنَّت! وهل مع هذا أو هذه عهد من الله ألا يوافيها الأجل أو يوافيه إلا بعد تجديد توبة، وقيام بالعمل، وتبديل للأحوال؟!

هانحن في كل صلاة نودع راحلًا من الراحلين، وقلَّ من يعتبر، بل إن أقرب الناس للراحل سرعان ما ينسون رحلته، ويغفلون عن مشاركته إياهم في أحوالهم وعاداتهم وعباداتهم، إلا من عصمه الله، ولاشك أن الموت إذا أحسن الإنسان تصوره نغَّص عليه ملذات الدنيا وذكره بالآخرة؛ ولذلك كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا أن نكثر من ذكر الموت[١]؛ لما في ذلك من الاتعاظ،

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أَكْثِرُوا من ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ»**، أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (١٨٢٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، وأحمد (١٣/ ٣٠١)، وفي رواية فيها زيادة: **«... مِنْ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ الـمَوْتِ»**، أخرجه ابن حبان (٧/ ٢٥٩)، والحاكم (٤/ ٣٥٧).

وحمل النفس على التقلل من شهوات الدنيا ورغباتها.

على المسلم -يا عباد الله- أن يحافظ على هذه العبادة، وأن يؤديها في أوقاتها أداء المقبل على الله، الراغب في ثوابه، المتطلع إلى أن يدفع الله عنه بهذه الصلاة مكاره الدنيا ومصائبها، فإن الصلاة من أعظم ما يُستعان به على دفع مكروهات الدنيا؛ ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥]، فلابد للإنسان أن يعرف أن الله إنما يدافع دفاعًا حقًّا عن الذين آمنوا، وهل عند من فرَّط في الصلاة إيمان كامل؟ وهل من ترك الصلاة عنده إيمان؟! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨].

فلتحرص -يا أخي المسلم- على أداء هذه الصلاة، ولتعلم أن الصلاة تحتاج إلى استعداد بطهارتين: طهارة القلب، وإبعاد الغش والخديعة والحقد وإرادة السوء للمسلمين، وطهارة البدن تلك الطهارة المعروفة التي هي شرط للصلاة لا تصح إلا بها[1]، وقد سمَّى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطهور بأنه شطر الإيمان[2]؛ كأن الإيمان شطران: شطر طهور، وشطر هذه الصلاة.

فاحرص -يا أخي- على تحقيق ذلك باستعمال الطهارتين؛ طهارة القلب وطهارة البدن، وأقبل على صلاتك إقبال الراغب في ثوابها، العارف بأن الله يجازى المحسنين بالإحسان، وأن الله جَلَّ وَعَلَا قد يُملي للمفرِّط فيبسط له الأمل ويدر عليه الرزق؛ حتى إذا أخذه أخذه أخذ عزيزي مقتدر، إلى هنا نقف فيما

---

(١) كما في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا يَقْبَلُ اللهُ صَلاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ»**، أخرجه مسلم (٢٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يتعلق ببعض أحكام الصلاة إلى درس إن شاء الله قادم.

وأسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يرزقنا حب الصلاة وحسن أدائها، والمثابرة على ذلك، والرغبة في ثوابها، والحرص على معرفة كيف كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصلي لنُصلي كما كان يصلي، وأن يرزقنا حب أدائها مع الناس في المساجد، وأن يرزقنا الأسى والحزن إن فاتنا وقت من أوقاتها مما نؤديه مع الجماعة، كما أسأل الله أن يثبتنا على ذلك التوفيق والتسديد والهداية، والأمن من المكارة في الدنيا والآخرة، كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يصلح ذريتنا وأزواجنا، أن يصلحنا أجمعين، وأن يصلح ذريتنا وأقاربنا، وأن يهدينا جميعًا صراطه المستقيم، وأن يمنحنا بصيرة في ديننا ورضًى بما قضى لنا، واعتمادًا عليه وتوكلًا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، إنه هو الجواد الكريم.

كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يجمع شمل المسلمين، وأن يؤلف بينهم، وأن يصلحهم ويهديهم، وأن يظل بلادهم بظل الأمن والأمان ورغد العيش والاستقامة، أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يشبع جائعهم، وأن يكسو عاريهم، وأن ينصر مظلومهم، وأن يهدي ضالَّهم، وأن يعينهم على ما تحملوا من متاعب دنياهم.

وأسأله أن يصلح القادة في كل مكان، وأن يهديهم سبل السلام، وأن ينفع بهم البلاد والعباد، وأن يدفع بهم الشرور والآثام، أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يوفق ولاة أمر المسلمين في كل مكان للتعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، والتآمر بالمعروف، إنه جَلَّ وَعَلَا جواد كريم، أسأله أن يوفقهم لتحكيم شريعته، والدعوة إليه، ونصرة عباده الموحدين الداعين إليه على بصيرة، وأن يوفقهم لقمع أهل الفساد والفجور والإلحاد، والأخذ على أيدي السفهاء بشدة وحزم.

كما أسأله جَلَّ وَعَلَا لهذه البلاد أن يديم عليها أمنها ورغد عيشها ورخاءها، وأن يصلح قادتها ويوفقهم ويعينهم على ما ولاهم، وينصر بهم الحق وينصر الحق بهم، وأن يهديهم سبل السلام، وأن يرزقهم اليقظة في كل أمورهم، والاعتصام بحبل الله المتين، والأخذ على أيدي كل سفيه، وأن يرزقهم التوفيق والتسديد، وأن يجعل أحب الأشياء إليهم طاعته وطاعة رسوله، وأبغض الأشياء إليهم معصيته ومعصية رسوله، وأن يؤمِّن بهم ربوع هذا البيت ومسجد رسول الله، وأن يسهل بهم السبل المؤدية إلى ذلك، وأن يصون بهم الحمى ويحمي بهم الحوذة، ويُعلي بهم شأن هذه البلاد، ويقمع بهم كل ذي شر من الملاحده الفجرة الطغاة من الملاحدة والشيوعيين وسائر الكفرة الملحدين.

كما نسأله بأسمائه وصفاته أن ينصر المجاهدين في سبيله، وأن يثبت أقدامهم، وأن يسدد سهامهم، وأن يجمع كلمتهم، وأن يشد أزرهم، وأن يعاجلهم بالنصر والتمكين والتأييد، وأن يسلطهم على رقاب أعدائهم، وأن يرزقهم الاستيلاء على ما بأيدي الأعداء، وأن يقيموا عاجلًا غير عاجل في بلادهم أمر الله وأمر رسوله، وأن يذل أعداءنا أعداء الدين في كل مكان، اللَّهُمَّ دمر اليهود والنصارى والشيوعيين والملاحدة والباطنيين في كل مكان يا ذا الجلال والإكرام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد الخلق أجمعين نبينا محمد، وعلى آله وصحبة أجمعين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

حِفْظُ الجَوَارِحِ[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

عباد الله، إن المؤمن صادق الإيمان إذا تكلم تكلم بخير، وإن تلفظ فبما يحبه الله، وإن أحب أن يستمع فإنما يستمع لتلاوة كتاب الله أو لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو لتسبيح وتهليل وإرشاد ومعاونة للآخرين، فهو في طاعة الله يتقلب، حفظ نفسه عمَّا حرَّم الله، وتقرب إلى الله بالنوافل فحفظ الله عليه سائر جوارحه، وما ذلك على الناس بعسير، وإنما هو يسير على من يسَّره الله جَلَّ وَعَلَا عليه.

ما عليك -يا أخي- إلا أن تتوجه إلى ربك صادقًا، وأن تقبل عليه راغبًا فيما عنده، وأن تهجر معاصي الله، وأن تسابق أهل الطاعات بالطاعات، تحزن إن سبقك سابق لا حسدًا له ولكن أسى ألا تكون مع السابقين، لقد منَّ الله علينا جَلَّ وَعَلَا بأن أكثر من أسباب المغفرة، ويسَّر وسائل الرحمة، وحبانا من الأسباب ما لا نستطيع له إيجادًا، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء.

لا يتوضأ عبدٌ من العباد، فيحسن الوضوء، ثم يقوم فيؤدي ركعتين لله رب العالمين لا يحدث فيهما نفسه بشيء من أمور الدنيا، إلا غفر الله له[٢]؛

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٠/٩/١٤٠٨هـ.

(٢) كما في حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (١٥٩)، ومسلم (٢٢٦).

يصلي ركعتين في الضحى رغبة في ثوابهما، وأملًا في أن يقضي الله ما عليه من واجبات، إلا ويجعل الله هاتين الركعتين عن ثلاثمائه وستين صدقة، لا نصبح في يوم من الأيام إلا وقد وجب علينا أداء هذه الصلاة، وقد ثبت في "الصحيح" أن العبد إذا أصبح يصبح عليه ثلاثمائه وستون صدقة؛ لأن جسده مكون من ثلاثمائه وستين سلامى، يعني: مفصلًا، قال أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي الله عنهم وأرضاهم: ومن يجد كل يوم ثلاثمائه وستين صدقة؟! فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عن الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ»**، ثم يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **« وَيُجْزِئُ من ذلك رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا من الضُّحَى»**[1]، فإذا ركع أحدنا ركعتي الضحى يرجو ثوابهما، ويأمل أن يقضي الله بهما ما عليه، كفَّر هاتان الركعتان ما وجب عليه من ثلاثمائة وستين صدقة.

يا للفضل العظيم من الرب الكريم! ولكن يا للغفلة المتناهية عند كثير من عباد الله! ما أكثر غفلتنا؟ ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حلمه وجميل عفوه وستره يغطي كثيرًا مما نقع فيه أو نغفل عنه، وهو أرحم الراحمين.

إن العبد الذي يقوم في الليل هاجرًا فراشه، فيتقرب إلى الله بركعتين في جوف الليل، ينور الله بهما عليه قبره، ولقد أثنى الله جَلَّ وَعَلَا على قوم من عباده يهجرون فروشهم الوفيرة، يتملقون ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويتضرعون بين يديه، الذين قال عنهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[السجدة:١٦]، فالإنسان إذا جاء في الليل متعبًا ارتاحت نفسه للفراش، وقرت عينه بالراحة وهجر

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٠) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

التعب، إلا أن أهل الله وعباده المتقين الذين عرفوا ما عنده وعرفوا ثمن ما عنده ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[السجدة:١٦]، وتجافيها لعدم أنسها بالاضطجاع، مع علمها بفضل الله وكمال عطائه لمن يقومون في تلك الساعات، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦]، خوفًا من عذابه وطمعًا في ثوابه، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣]، لا يكتفون بذلك، بل أتعبوا أبدانهم في العبادة، وبذلوا بأيديهم مما أعطاهم الله، والله جَلَّوَعَلَا عنده الخلف وإليه جَلَّوَعَلَا الرزق، وهو سبحانه أكرم الأكرمين؛ ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [التغابن:١٧]، فيقول الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]، مهما بلغ بك الخيال وجودة التصوير وسعة الاطلاع على نعيم الجنة فلن تستطيع أن تتصور ما يتفضل الله به على المؤمنين الذين ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[السجدة:١٦]؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]

فعليك -أخي- أن تحرص على هذا الفوز، وأن تكثر من التقرب إلى الله مع الفرائض، أيُّ عبادة إذا جلس الإنسان ينتظرها فكأنه يمارسها؛ **«وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ»**(١)، فإذا جلست في المسجد على طهارة تنتظر الصلاة فأنت طوال ما أنت جالس بهذا الانتظار في صلاة، فلو صليت الفجر -مثلًا- وجلست تذكر الله وتسبحه تنتظر شروق الشمس وأداء ركعتين،

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أو تنتظر إلى الظهر في ذلك المكان، لا يشغل بالك إلا أن تنتظر الصلاة، إن ذلك هو الرباط العظيم، وأنت في صلاة ما دمت في انتظار الصلاة، ما لم يحدث المرء أو يغفل هذه العبادة العظيمة. حتى السير إليها لا ترفع قدمًا إلا ويرفع الله لك بها درجة، ولا تخطو خطوة إلا ويحط الله عنك بها خطيئة(١)، طال الطريق أو قصر.

أيُّ فضل يدركه العبد يوازى هذا الفضل؟! إلا أننا نغفل، وربما سار الإنسان مسارًا طويلًا في نزهه وتفرج وفى شم الهواء الطلق، فلا يحس بتعب، فإن كان المسجد نائيًا خمسمائة ذراع -مثلًا- قال: إن الذهاب إلى المسجد مرهق، وفى ذلك مشقة، وربما يترخَّص ليصلي الفريضة في بيته لبعد المسجد! ولقد جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن أم مكتوم -رجل أعمى- والمدينة لم تكن طرقها معبَّدة، بل كان فيها جداول يجرى معها الماء، وحفر وأخشاب، وربما حشرات سامة وغير ذلك، فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ، فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى، دَعَاهُ، فَقَالَ: **«هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاةِ؟»**، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **«فَأَجِبْ»**(٢).

فانظر -يا أخى المسلم- إلى أمر الصلاة وشدة العناية بها، وإلى فضلها ومدى ما يدركه العبد بالاعتناء بها فرائضها ونوافلها.

فاحرص -يا أخى- ثم أعلم أن المحافظة عليها والإكثار من النوافل

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٦٥٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والتهجد في الليل من أعظم ما يُستدفع به البلاء، بل إن صلاة التهجد سبب لدفع البلاء وسلامتك من المتاعب، فإن **«مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ»**(١)، أي: في كفالته يحوطه، فإذا جمع بين ذلك وبين العشاء بتهجد فيما بين ذلك فقد حمى نفسه وصانها وأعظم الكفالة لها، ولقد أبان سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن صلاة الليل -أي: النوافل- من أفضل الصلاة بعد الفرائض، بل **«أَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ»**(٢)، يعني: أن أداءك وعملك وقت غفلة الناس عنك وانشغالهم أو إخلادهم إلى راحتهم دليل على شدة تعلقك بفضل الله، ورغبتك في التقرب إليه، ومناجاته عند غفلة الآخرين. وهذا هو الفوز والسعادة.

وقد بيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر الليل وفضله، وأخبر الله جَلَّ وَعَلَا عن فضل الليل فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل:٦]، وقال نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»**(٣). ولم يحددها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدد، فقوله: **«مَثْنَى مَثْنَى»** دليل على التكرار المتكرر مادمت تحس بنشاط للعمل، وإذا أحسست بالملل فاطلب الراحة، فلم يقيد الصلاة بعشر ركعات ولا بثلاث عشرة ولا بخمس عشرة ولا بأكثر من ذلك

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٧) جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال المناوي في فيض القدير (٦/١٦٥): «وخصَّ الصبح؛ لأن فيها كلفة لا يواظبها إلا خالص الإيمان، فيستحق الأمان».

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢)، ومسلم (٧٤٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولا بأقل، أما هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً»[١]، وفي حديث آخر في "الصحيحين" تقول: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً»[٢]. لعلك تريد أن تعرف كيف كان يصلي؟ كان يطيل الصلاة إطالة تامة، كان ربما صلى في ركعة واحدة فقرأ بسورة "البقرة" كلها، ثم أتبعها بسورة "النساء"، ثم اتبعها بسورة "آل عمران"، كل ذلك في ركعة واحدة[٣]!

فمن يستطيع ذلك؟! إن كثيرًا منَّا يقول: لا نكتفي بإحدى عشرة ركعة. يريد أن يكتفي بالعدد دون الكيفية والحالة، إذا أردت أن تقلل الركعات فأطل القراءة إطالة صحيحة، وإذا أردت أن تقصر القراءة فأطل الركعات، فأكثر الركعات بدون إخلال في واجبات الصلاة وأركانها وسننها، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما يقول أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ انْتَصَبَ قَائِمًا، حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ: قَدْ نَسِيَ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السَّجْدَةِ مَكَثَ،

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٠)، ومسلم (٧٣٧).

(٣) كما في حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ»، أخرجه مسلم (٧٧٢).

حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ قَدْ نَسِيَ»(١)، فكان يطيل الركوع والسجود، والقيام بعد الركوع، والجلوس بين السجدتين.

ولـمَّا وصف حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طول صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ»(٢).

الباعث على هذه الكلمة أن أحد السائلين في الليلة البارحة سألني وقال: كم كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي في التهجد؟

هو يصلي ثلاث عشرة ركعة؛ يصلي أربعًا بعد الفريضة، ثم يصلي في الليل ثلاث عشرة ركعة، وربما إحدى عشرة ركعة، وربما صلَّى تسع ركعات بسلام واحد، وربما صلى سبع ركعات بسلام واحد، لكن مَنْ منَّا يقدر على ما قدر عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ما أندر من يستطيع ذلك!

إذن سددوا وقاربوا، واعملوا بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى»**، ولم يقل: إذا صليتم عشرًا أو أكثر أو كذا تصلون ركعة، بل قال: **«فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»**(٣).

هذا المجمل بعض ما يتعلق بأحكام الفرائض والنوافل وفضلها، ولا يستطيع إنسان أن يأتي على إحصاء فضل هذه العبادة التي هي عمود هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٨٢١)، ومسلم (٤٧٢).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) تقدم قريبًا.

الدين[1] وأبرز شعائره الظاهرة، وهي التي يفرق فيها بأدنى نظر بين المسلم والكافر، بين الصادق في إسلامه والكاذب، فمن لا يصلي لا دين له، ومن يحافظ على الصلاة يُحكم بإسلامه فيما بين العباد، وأما السرائر فإلى رب العباد جَلَّ وَعَلَا.

أسأل الله بأسمائه وصفاته أن يرزقنا صدق المحافظة على فرائض ديننا، وأن يوفقنا رجالًا لأدائها في المساجد، وأن يرزقنا أجمعين المحافظة عليها في أوقاتها، والمحافظة على النوافل والإكثار منها، وأن يحفظنا بذلك ويرحمنا برحمته، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يصلحنا جَلَّ وَعَلَا بفضله ومنِّه وجوده، وأن يصلح أزواجنا وذريتنا وأقاربنا، وأن يرحمنا ويرحم والدينا وجميع أقاربنا وجميع إخواننا المسلمين.

اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام املأ قلوبنا بالإيمان، وآتي نفوسنا تقواها، وزكها يا حي يا قيوم، أنت خير من طهرها وزكاها، اللَّهُمَّ اجعلنا من عبادك المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللَّهُمَّ اجعل ليلتنا هذه ليلة مباركة علينا في هذا المكان، ومباركة على أمة الإسلام في كل مكان يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح بنا، واهدنا واهدِ بنا، واجعلنا هداة مهتدين، وأصلح فساد المسلمين، و اهدِ ضالهم في كل مكان، وأشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وانصر مظلومهم يا أكرم الأكرمين،

---

(١) كما في الحديث عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«رَأْسُ الأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»**، أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١)، والترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢١٤)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

واخذل الظالمين في كل مكان يا أكرم الأكرمين ويا مجيب السائلين.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الذي قلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، نسألك أن تصلحنا وتصلح لنا ذريتنا، وتهدى أمتنا وتجمع شملها، وتصلح قادتها، وتوفق القادة لتحكيم كتابك وسنة نبيك، وتعينهم على ما وليتهم عليه، وأن تجعل أهم الأشياء إليهم إرضاءك وإرضاء رسولك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباع سنته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن توفقهم للقيام بأمرك وحمل الناس على صراطك المستقيم، وأن تجازي من يفعل ذلك بالعزم والتمكين في هذه الحياة الدنيا، والسعادة والنجاة يوم يقوم الأشهاد ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩].

كما أسألك يا رب العالمين أن تصلح أهل هذه البلاد، وأن تصلح قادتها، وأن توفق ولاة أمرنا، وأن تمنحهم البصيرة في الدين والهداية والرشاد، وأن تسددهم يا إلهنا وتعينهم على ما وليتهم، وترزقهم الصدق معك والإخلاص لك، والقيام بأمرك، وحماية مقدساتك، وصيانة بلاد الإسلام، وتهيئة السبل المؤدية إلى هذا البيت العتيق وإلى مسجد رسولك محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن تكافئهم الهداية والسعادة، والأمن من المكاره.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك بأسمائك وصفاتك أن تنصرنا على أعدائنا، وأن ترينا يا ربنا في أعدائنا أعداء الدين عجائب قدرتك، وأن تفرق جمعهم، وتخل شوكتهم، وتذل سلطانهم، وتجعلهم عبرة للمعتبرين يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ أسمعنا عنهم ما يسرنا، وأسمعهم عن أنفسهم ما يسؤهم يا إله العالمين، اللَّهُمَّ

عاجلهم بعذابك، وصب عليهم العذاب صبًّا، واهدنا صراطك المستقيم، اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى والمجوس وسائر الملا حدة الوثنيين في كل مكان يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ سدد سهامهم، وثبت أقدامهم، واجمع كلمتهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عاجلهم بالنصر والتمكين، ووفقهم للقيام بأمرك، واجمع كلمتهم على الحق يا ذا الجلال والأكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على الهادي الأمين سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اتبعهم إلى يوم الدين.

وُجُوبُ الزَّكَاةِ[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدي بهديهم واتبع سنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

الحديث في هذه الليلة تابع لما يتعلق بحديث أركان الإسلام التي هي: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت العتيق.

وقد مضى الكلام على ما يتعلق بالشهادتين، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأنه لا ينفع أيُّ عمل إلا بهاتين الشهادتين، فلابد من تحقيق معنى الشهادتين؛ لو صلَّى الإنسان وصام وتصدق وقاتل الكفار ولم يحقق معنى الشهادة: شهادة أن لا إله إلا الله؛ بأن كان مخلصًا لله في العمل، ولم يحقق معنى شهادة أن محمدًا رسول الله؛ بأن يكون صادق المتابعة لسيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم ينفعه عمل.

والكلام على الزكاة، فالزكاة ما أعظم ما ذكرها الله جَلَّ وَعَلَا في القرآن الكريم! هي قرينة الصلاة، قلَّما تقرأ آية من القرآن تتحدث عن الصلاة إلا وترى الزكاة تليها؛ لما فيها من تربية نفسية، وإشعار للمسلم بوجوب تعاونه مع إخوانه، وحرصٍ على البذل مما أعطاه الله جَلَّ وَعَلَا من المال، وقد قال سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»**[2]، الصلاة والزكاة بعد

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١١/٩/١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الشهادتين هما اللتان يُقَاتَلُ الناسُ حتى يلتزموا بها، فإذا التزموا بالصلاة والزكاة وُكِلَت باقي الأمور إلى العلَّام العليم جَلَّوَعَلَا، فهو الذي يحاسب، فإن الإنسان قد يقول إنه صائم، لكنه قد يتناول ما يشتهيه في خلوته، وأما الصلاة فلا يمكن أن يقول إنه مصلٍّ إلا ويُرى، والزكاة لا يُمكن أن يقول إنه يدفعها إلا إذا تحقق وصولها إلى مستحقيها، فالزكاة قرينة الصلاة.

ولذلك لـمَّا امتنع أناس من الأعراب عن بذل الزكاة بعد وفاة النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أجمع الصحابة رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ على قتالهم، وقال صِدِّيق الأمة الخليفة الراشد أبو بكر رَضِيَاللَّهُعَنْهُ: «واللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا»(١)، فأجمع أصحاب رسول الله على قتال من لم يؤدِّ الزكاة. وقد توعد الله جَلَّوَعَلَا الذين يبخلون بالمال ولا يؤدون زكاته بأقصى العذاب: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]، إلى آخر الآيات، وبيَّنها نبي الهدى صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقوله: **«مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»**.

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْإِبِلُ؟ قَالَ: **«وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، أَوْفَرَ**

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠).

مَا كَانَتْ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلَا جَلْحَاءُ، وَلَا عَضْبَاءُ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْخَيْلُ؟ قَالَ: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٌ، وَلَا تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ..»[١]، إلى آخر الحديث.

هذا الحديث يبيِّن أن عذاب مانع الزكاة في الموقف بهذه الحالة، وأما بعد

---

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ذلك فإن عذاب ما بعد الموقف أقصى وأشد، نسأل الله السلامة؛ ولذلك بيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضعية جباية الزكاة لإيصالها إلى ما بيَّنه الرب جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم، وكان -عليه أفضل الصلاة والتسليم- يرسل الجباة الذين يجبون الزكاة في كل سنة على رأس الحول، يجمعون زكاة الإبل والبقر والغنم وزكاة الزروع والثمار، فيقبضون زكاتهم، وصارت سنة بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، ومن مَلَك مالًا زكويًّا بأن مَلَكَ خمسةً من الإبل ترعى واستمرت في ملكه حولًا كاملًا، أو ملك ثلاثين من البقر حولًا كاملًا ، أو ملك أربعين شاة من الغنم حولًا كاملًا، وجب عليه إذا حال الحول وهي في ملكه أن يدفع زكاتها، وكذلك من ملك نصابًا من الذهب والفضة، وبقي في ملكه حولًا كاملًا، وجب عليه إذا حال عليه الحول أن يدفع زكاته.

وقد خفَّف الله جَلَّ وَعَلَا عن العباد ويسَّر، فلم يوجب الزكاة إلا في السنة مرة واحدة، ولم يوجبها بقدر كبير من المال، بل جعلها في قسط يسير قليل في الذهب والفضة، وعروض التجارة البضائع التي في الدكاكين والمتاجر، والأراضين التي للبيع والشراء، والأسهم التي للبيع والشراء، كل هذه عروض تجارة فيها ربع العشر، وأمَّا ما يتعلق بالمواشي فلها أعداد، كُلَّما بلغت حدًّا وصار فيه مقدار معين من الزكاة أوجب ربنا جَلَّ وَعَلَا علينا أن ندفع القليل القليل؛ ليبارك لنا.

وقد قال نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ»**[(١)]، فالمال

---

(١) أخرجه أحمد (١٢/ ١٣٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٤١٢) من حديث أبي هريرة =

لا ينقص من الصدقة، بل الصدقة تزكيه، وسميت زكاة لأن الزكاء هو النماء والزيادة؛ كأنك ببذلك القليل من هذا المال إنما تسعى لتنميته وحصول البركة فيه.

فمن رحمته جَلَّ وَعَلَا بنا أنه لم يوجب علينا خُمس المال، ولا خُمس الأرباح، فلا يجب على المسلم أن يدفع خُمس ما يربح أو خُمس ما يكسب من المال، وإنما يجب عليه رُبع العشر فيما يتعلق بالتجارات والذهب والفضة، وأما المحاصيل الزراعية فما كان يُروى من المطر أو العيون الجارية والسيل فإنما فيه العشر، وما كان يحتاج إلى استنباط الماء بالآلات أو على النواضح فهذا فيه نصف العشر، وهذا من لطف الله بعباده وإحسانه إليهم ورحمته بهم جَلَّ وَعَلَا، إنما يأمرهم أن يدفعوا قليلًا ليعطيهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أضعافًا مضاعفة.

فالزكاة -يا عباد الله- حق للفقراء والمساكين، أوجبها الله جَلَّ وَعَلَا في أموال الأغنياء؛ ولذلك لمَّا بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابي الجليل معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن قال له: **«إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»**[1]، وهذا دليل قوي لمن قال: إن الزكاة لا تحل إلا لفقراء المسلمين،

=

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، والطبراني في الكبير (٨٥٥) من حديث أبي كبشة الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

وأن الزكاة إنما هي حق للفقراء في مال الأغنياء؛ ولذلك لا يحل للغني أن يتحكم في زكاة ماله وأن يبرَّ بها أناسًا مع علمه بأن هناك من هو أحوج منهم، هذا حق الفقراء جعله الله تحت يد الأغنياء، فليحتاطوا لبراءة ذممهم، وليوصلوه إلى أهله بدون محاباة ولا مراوغة ولا احتيال على الزكاة، بل يجب على أهل الأموال أن يحتاطوا لأموالهم، وأن يوصلوا زكاتهم إلى مستحقيها، فإن الإنسان ذا المال يكون له يوم القيامة غرماء عديدون، فهو لا يدرى كيف يكون ما لم يتقِّ الله جَلَّوَعَلَا بزكاة ماله، ويجتهد لإيصالها لأهلها، فإذا اتقى الله جَلَّوَعَلَا وتحرَّى فإن الله لا يكلفه ما لا يطيق إذا اجتهد وأعطاها من يظنه أهلها، فإن لم يكن من أهلها برئت ذمته؛ لأنه ليس عليه إلا أن يجتهد؛ كما جاء في الحديث الصحيح: **«قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ»**. كأنه أسف؛ لأنه كان يريد أن يجعلها في يد فقير، **«لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ»**، كأنه استقلَّ عمله وخاف أنه لا يُقبل، **«فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشاهد: أن المزكي إذا اجتهد في بذل زكاته وتحرَّى أهلها، ولم يجعل للعاطفة مجالًا في إيصال الزكاة إلى أهلها، فإن ذمته تبرأ ولو لم تقع زكاته في يد مستحقيها حقيقة في علم الله؛ لأن الذي للعباد إنما هو الاجتهاد والعمل بالظاهر، لكن على صاحب المال أن يتحرَّى، فإن بعض الفقراء كما وصفهم الله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣]، لكن صاحب الفراسة النبيهة يعرف المستحقين بسيماهم، تظهر علامات الفقر على وجوه أهل الفاقة، تظهر علامات البؤس على وجوه المفتقرين وإن كانوا يتصنعون إنهم ليسوا من أهل الحاجة، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢]، ومن يتَّقِ الله في طلب المستحقين يسَّر الله جَلَّوَعَلَا له الأسباب الموصلة إلى مراده.

المهم -يا أخي- أن تحرص على براءة ذمتك، فإن الإنسان سوف يقف موقفًا يُسْأل عن مُتَع الدنيا وملذَّاتها وأحواله فيها؛ « **لا تَزُولُ قَدِمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ عن أَرْبَعِ خِصَالٍ** »، وورقة الامتحان ليست بطويلة ولكنها ورقة ثقيلة إلا على من وفقه الله الاحتساب والاستعداد، «**لا تَزُولُ قَدِمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ عن أَرْبَعِ خِصَالٍ: عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ**»، هل أفناه في اللهو والطرب، وفي اقتناص الملذات والإعراض عن الطاعات، في الجري المتواصل وراء المشتهيات، في الغفلة عن ذكر الله وعن الصلاة؟ أو شَغَل وقته في طاعة مولاه، والنصح لعباده، وتوقي المحرمات، والاحتياط عن الوقوع في الشبهات؟

«**وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ**»، هل كان في شبابه نشطًا وراء ملذاته، وفي ليالي

سهره ولهوه وغفلته في عربدة وحمق، وفي رذيلة وفواحش؟ أم كان شابًّا نشأ في طاعة الله، فيعجب رب العزة جَلَّوَعَلَا منه، فإن **«اللهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»**(١)، ويظله الله جَلَّوَعَلَا في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ كما ثبت في ذلك الخبر عن سيد البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

يُسْأَل عن هذه الأشياء أين أضاعها وفيما أنفقها، **«وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ»**، هل جمعه مما حلَّ وحَرُم، أو جمعه مما أحلَّه الله؟ وهل أنفقه على طاعة الله، أو أنفقه في المعاصي، أو أعان به أهل الفجور والإلحاد وجعل ماله كمسجد ضرار؟ يُسأل عن ذلك، والسائل لا تخفى عليه خافية، يعلم السر وأخفى، أحاط بكل شيء علمًا، هو يعلم كل شيء ومع ذلك عنده كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، عندما يعرض ذلك الكتاب يقول المفرط: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩]، فلينظر العاقل لنفسه قبل أن يندم ولات ساعة مندم(٣)، قبل أن يقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون:٩٩، ١٠٠]، كلا لا رجوع، إنما العمل في هذا الوقت، فمن انتهى وقته بدون عمل

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٦٠٠)، والطبراني في الكبير (٨٥٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤١٧) من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال المناوي في فيض القدير (٢/ ٢٦٣): «"ليست له صبوة" أي: ميل إلى الهوى بحسن اعتياده للخير وقوة عزيمته في البعد عن الشر».

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) عجز بيت أورده ابن الأنباري في الأضداد (ص١٦٨) بغير نسبة، وتمامه:

فَلَتَعْرِفَنَّ خَلائِقًا مَشْمُولَةً ... وَلَتَنْدَمَنَّ وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمِ

فهيهات أن يرجع للعمل.

ويُسأل «**عَنْ عَلِمِهِ مَاذَا عَمِلَ فيه**»[(١)]، من علم علمًا كثيرًا أو قليلًا لابد أن يُسأل عن علمه، من عرف كيف يصلي فلم يصلِّ فالعقاب أعظم وأقصى ممن لا يصلي وكان يجهل، من عرف وجوب الزكاة ولم يؤدها لأهلها فإن عذابه أعظم من عذاب من جحدها ولم يؤدها وكان جاهلًا، وإن كان على الطرفين من الله عذاب لكن الدركات في العذاب تختلف؛ نازل وأنزل، ولذلك ذكر الله جَلَّ وَعَلَا المنافقين بأنهم: ﴿فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]، فالنار دركات، وكل درك أسفل من درك يكون العذاب فيه أمرَّ والعقوبة أشدَّ، نسأل الله العافية والسلامة من عذاب الله.

فلابد لك -يا أخي المسلم- أن تفكر في هذه المسائل الأربع، وأن تعد لها جوابها قبل أن يندم النادم منَّا، قبل أن ينفرط الحبل من اليد، ويُختم على الكتاب ويُقفل الباب، فلا عمل وإنما هو حساب وجزاء، من أحسن فله الإحسان، ومن أساء فعليه، نسأل الله العافية.

إن كثيرًا من الناس -يا عباد الله- لهم أموال، ولكن قد يحتالون على المال، وهَبْ أن الحيلة التبست وخفي أمرها على الناس، فهل تخفى على الله خافية؟! فمن من كانت هذه حاله يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٥٥٦)، والطبراني في الكبير (١١١)، والديلمي في الفردوس (٥/٧٤) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبنحوه الترمذي (٢٤١٦، ٢٤١٧) من حديث ابن مسعود وأبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٤٦): «رجال الطبراني رجال الصحيح، غير صامت بن معاذ، وعدي بن عدي الكندي، وهما ثقتان».

وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١٠٨].

إن كثيرًا من الناس -يا عباد الله- يملك أموالًا كثيرة، فيأتي بالحيل ليتقي الزكاة بذلك، فيشتري عقارات كبيرة جدًّا من أراضٍ ونحوها، ثم يؤجرها بأجر طفيف ويقول: أنا أستغل هذا العقار، والزكاة إنما تجب على الغلة. وهل كانت نيته عندما اقتنى هذه الأموال أنه يستغلها بهذه الصفة؟ لا أظن ذلك، وإنما يتربص بها ارتفاع الأسعار وكثرة الطالبين؛ ليبيع بما يشتهيه على وفق ما يريد، والله جَلَّ وَعَلَا لا تمشي عليه الحيل.

ولذلك جاء في الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللهِ بِأَدْنَى الْحِيَلِ»**[1]، فلابد للمسلم أن يتصور عِلْم الله جَلَّ وَعَلَا في جميع أحواله وتقلباته ومقاصد قلبه، ثم عليه أن يستعد بما يرجو به النجاة من عذاب الله وحسابه، فليحرص المسلم -يا عباد الله- على براءة ذمته.

ثم إن هذا الشهر الكريم شهر تتغير فيه أسباب البراءة من الواجبات

---

(١) أخرجه ابن بطة في إبطال الحيل (ص٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن القيم في إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١٣١): «وإنما ذكر أدنى الحيل» لأن المُطَلِّق ثلاثًا -مثلًا- من أسهل الحيل عليه أن يعطي بعض التيوس المستعارة عشرة دراهم ويستعيره لينزو على امرأته نزوة وقد طيبها له، بخلاف الطريق الشرعي التي هي نكاح الرغبة، فإنها يصعب معها عودها إلى الأول جدًّا، وكذلك من أراد أن يقرض ألفًا بألف وخمسمائة، فمن أدنى الحيل أن يعطيه ألفًا إلا درهمًا باسم القرض، ويبيعه خرقة تساوي درهمًا بخمسمائة، ولو أراد ذلك بالطريق الشرعي لتعذر عليه، وكذلك حيلة اليهود بنصب الشباك يوم الجمعة، وأخذ ما وقع فيها يوم السبت من أسهل الحيل».

المالية؛ لكثرة ما يتعرضون من الفقراء ومن يفدون إلى الناس في أماكنهم، فلا عذر لأحد بأن يقول: لا أجد فقيرًا. فإن الناس في هذه الأوقات يتعرضون لذوي المال، لكن إياك يا صاحب المال أن تتبرم، فإن الذي أعطاك المال وأفقر أخاك قادر على كل شيء، وقد قال جَلَّ وَعَلَا في محكم التنزيل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧]، فالإنسان إذا كان ذا نعمة عليه أن يحمد الله عليها ويشكره، ومن شكر الله جَلَّ وَعَلَا أن يتخلص من الحق الواجب، وأن يزيد بعد ذلك من نوافل العبادات، فإن العبد لا يزال يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحفظ عليه جميع جوارحه وجميع حواسه، ويصونه من حيث لا يدرى، والله جَلَّ وَعَلَا هو الفعال لما يريد، فليحرص المسلم وليتوجس.

ثم انظر -يا أخي- فكم فقير بالأمس أصبح اليوم غنيًّا، وكم غني بالأمس أصبح اليوم فقيرًا، فإن الله جَلَّ وَعَلَا يتصرف في كونه ويقلب أرزاقه بين أيدي عباده، يعزُّ قومًا ويذلُّ آخرين، ويغني قومًا ويفقر آخرين، يخفض ويرفع، وهو الفعال لما يريد، فاحرص -يا أخي- فإن غني اليوم يوشك أن يكون فقير الغد، وإن فقير اليوم يوشك أن يكون غني الغد، فاعرف حق الله فيما أعطاك، وإذا كنت فقيرًا فانتظر من الله الفرج، فإن الله جَلَّ وَعَلَا بيده مفاتيح الفرج.

احرص -يا أخي- في هذه الأيام المباركة على البذل في سبيل الله، والتقرب بمواطن العبادات والصدقات؛ رجاء أن يدفع الله عنك البلاء، وأن يرزقك من حيث لا تحتسب، فإن الإنسان إذا أقرض الله جَلَّ وَعَلَا صدقة على

عباده ضاعف الله جَلَّوَعَلَا له المثوبة والعطاء: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ [التغابن:١٧]، ومضاعفة الله لا حدَّ لها ولا حصر، يُعطي على الحسنة عشر حسنات إلى مائة حسنة إلى سبعمائة حسنة، فيا له من فضل! درهم واحد يبذله العبد من العباد لفقير محتاج فيوافي مكانه، ويرفع الفقير دعوته: اللَّهُمَّ اخلف عليه. فيخلف الله عليه سبعمائة، أيُّ تجارة هذه؟! إن التجارات يندر إن لم يكن يتعذر تعذرًا كاملاً أن تأتي في أوقات يسيرة سبعمائة ضعف في ربح التجارة، مع ما في ذلك من احتمال ألا يجنى التاجر ثمرات أرباح تجارته، أما التجارة مع الله جَلَّوَعَلَا فإنها مضمونة، لا لص يتسلط عليها، ولا خطر عليها أن تضيع، لا احتراق ولا غرق، وإنما هي محفوظة عند الله، يتلقى الله جَلَّوَعَلَا صدقة عبده المؤمن بيمينه سبحانه فيربيها له كما يربى أحد الناس فلوه -أي: ولد فرسه- حتى تعلو تلك الصدقة، حتى تصير مثل الجبل(١)، فضلٌ من الله جَلَّوَعَلَا وإحسانًا بعباده.

فاغتنم -أخي المسلم- الفرصة، فرصة الشهر المبارك، فرصة الشهر الكريم، فرصة المتعرضين للعطاء والمتسولين الذين يسألون، وتحرَّى مع ذلك من تعرف من حالهم أنهم في حاجة أكثر وافتقار أشد، فإذا تحريت فثق بأن الله سوف يوفقك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بألفاظ متقاربة، ولفظ مسلم: **«مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ»**.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يرزقنا أجمعين البراءة من حقوقه جَلَّ وَعَلَا وحقوق عباده، وأن يُخلص لنا النية، وأن يصلح لنا العمل، وأن يتقبل منَّا أجمعين، أسأله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يمنحنا التوفيق والتسديد، والهداية والرشاد، والصلاح والاستقامة. أن يصلحنا أجمعين، وأن يصلح ذريتنا وأزواجنا وأقاربنا وجميع إخواننا بمنه جَلَّ وَعَلَا وكرمه.

أسأله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يجعل ليلتنا هذه ليلة مباركه علينا في هذا المكان أجمعين، وعلى أمتنا في كل مكان، وأن ينزل علينا رحمته، وأن يحفَّنا بفضله، وأن يحفَّنا بسخيمته، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يتقبل منَّا العمل، وأن يتجاوز عن التقصير، وأن ينفعنا بما نسمع ونقول، وأن يحسن لنا في الدنيا والآخرة إنه جواد كريم.

اللَّهُمَّ يا واسع الفضل والعطاء ارزقنا من حيث لا نحتسب، وبارك لنا فيما أعطيتنا، وأصلح منا الأقوال والأعمال، وهَبْ لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللَّهُمَّ أصلح أمتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ اهدِ ضالها، اللَّهُمَّ أشبع جائعها، واكسوا عاريها، وانصر مظلومها، وأعز ذليلها يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أصلح قادتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح القادة ووفقهم، وخذ بأيديهم إلى ما تحبه وترضاه، وارزقهم يا ذا الجلال والإكرام التحاكم إلى كتابك الكريم وإلى سنة نبيك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ وفقهم يا حي يا قيوم، وخذ بأيديهم وارزقهم القيام بأمرك والعمل بطاعتك، والأخذ على أيدي السفهاء، وإقامة الحدود على من ارتكب موجبها يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، وارحم عبادك أجمعين يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ خُصَّ هذا البلد بمزيد من التوفيق والتسديد والصلاح

والاستقامة، ورغد العيش، والأمن والأمان، وأصلح قادته ووفقهم، وخذ بأيديهم يا إله العالمين، اللَّهُمَّ حبب إلينا وإليهم الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا وإليهم الكفر والفسوق والعصيان يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أعنهم على ما وليتهم، ووفقهم في المحافظة على أمن هذه البلاد وتأمين السبل المؤدية إلى بيتك العتيق وإلى مسجد رسولك المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ قَوِ عزائمهم، وشُدَّ أزرهم، وانصرهم على أعدائك أعداء الدين.

اللَّهُمَّ اخذل من أراد هذه البلاد المقدسة بشر، وسلِّط عليه، وأرنا فيه عجائب قدرتك، وأنزل عليه بأسك الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين، اللَّهُمَّ افضحه في بلاده، وافضحه على رؤوس الأشهاد يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ ثبت أقدامهم، وسدد سهامهم، واجمع شملهم، وألِّف ذات بينهم، وارزقهم الاستقامة يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ عاجلهم بالنصر والتمكين، وسلطهم على أعدائك أعداء الدين، وارزقهم يا حي يا قيوم إقامة العدل وتحكيم الشرع في بلادهم.

اللَّهُمَّ اخذل اليهود والنصارى والشيوعيين والملاحدة والباطنيين الفجرة وسائر أهل الكفر يا ذا الجلال والإكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

تَفْرِيجُ الكُرَبِ[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدي بهديهم واتبع سنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

أخي المسلم، إذا كنت في ضيق وحَزَنٍ فلتحمد الله على أنك على ظهر البسيطة، وأنه بإمكانك أن تعمل ما تستطيع به أن توسع منزلك، إن أحدنا لو أراد أن يرحل رحلة ليست بالطويلة لاعتنى بالملابس، واعتنى بالحوائج، وضم ما يحتاج إليه، وسأل عن طريقه هل الحاجات متوفرة، وهل مشتهيات الأنفس متواجدة، وهل هناك أسواق في ذلك المكان يستطيع أن يقضي حوائجه، ومع ذلك يأخذ احتياطًا ما يحتاج إليه عادة في ضرورة، مع أن الرحلة قصيرة قد لا تستغرق أيامًا، أما هذه الرحلة التي نحن مقدمون عليها فإنَّا لا ندري متى تنتهي، هل بمئات الأعوام، أم بآلاف الأعوام؟ الله أعلم ما مداها، إلا أن الإنسان إذا انتقل إلى ذلك المنزل لا هو حي يعمل، ولا هو ميت لا يحس بما قدمه من أعمال سيئة أو صالحة.

فاحرص -يا أخي المسلم- قبل أن تنتقل إلى ذلك المنزل، تزوَّد وقد قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧]، اتق الله في نفسك، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [الأنفال:٢٨]، فاستعذ بالله من شرِّ هذه الفتنة، واستعن بالله على أن تنال خيرًا مما أعطاك الله

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٢/٩/١٤٠٨هـ.

جَلَّ وَعَلَا، اتق الله في نفسك، إذا أعطاك ربُّك مالًا فاعرف حقَّ الله فيه، ابذل في إعانة الفقراء، وفي تفريج كرب أصحاب الكرب، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ الله عنه كُرْبَةً من كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**(١)، وكرب يوم القيامة ليست بالهينة، كرب الدنيا قد يكون الواحد منَّا في ضائقة في المساء وفي ضنك وضيق وهمٍّ قد بلغ مداه، ثم تُفرَّج هذه الكربة وتنحل، فينسى كل ما مضى، مضى ما مضى من حلو عيش ومرِّه كأن لم يكن إلا كأضغاث أحلام(٢).

فسعادة الدنيا إذا مضت إنما هي كالأحلام، وشقاء الدنيا إذا مضى إنما هو كالأحلام، أما شقاء الآخرة، أما كرب يوم القيامة، أما هم يوم القيامة، فهم ثقيل وكرب شديد، ومصائب صعب تجاوزها، إلا من استعد في هذه الدنيا بأن فرَّج كربة عن مسلم، ونفَّس على مسلم، ويسَّر على مسلم، فإن من يسَّر على مسلم أو فرَّج كربه يبتغي بذلك وجه الله فرَّج الله عنه من كرب يوم القيامة، ونفَّس عنه من هموم يوم القيامة، ويسَّر عنه من عسير يوم القيامة، والله جَلَّ وَعَلَا فعال لما يريد.

فاستعد -أخي المسلم- ما دمت في صحتك، فخذ من صحتك لمرضك،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أضغاث أحلام: ما لا يستقيم تأويله؛ لدخول بعض ما رأى في بعض؛ كأضغاث من بيوت مختلفة يختلط بعضها ببعض، يُقال للحالم: قد أضغث الرؤيا: إذا التبس بعضها ببعض فلا تتميز مخارجها ولا يستقيم تأويلها. يُنظر: تهذيب اللغة (٨/٤٩)، والصحاح للجوهري (١/٢٨٥)، ولسان العرب (٢/١٦٣).

ومن شبابك لهرمك، ومن حياتك لموتك، ومن غناك لفقرك[(١)]، فإننا في هذه الدنيا كلٌ إلا من شاء الله يستطيع أن ييسر ولو ببعض القليل، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: **«سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ»**، قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: **«كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا»**[(٢)].

فلا تحتقر من المعروف شيئًا ولو بأيسر القليل تستطيع أن تفرج به كربة مكروب، أو تساعد محتاجًا، أو تنفِّس همَّ مهموم ترجو بذلك ما عند الله جَلَّ وَعَلَا والدار الآخرة، إذا فعلت ذلك فأبشر، فإن الله جَلَّ وَعَلَا لا يخيب عنده عمل عامل، ولا يضيع عنده إحسان محسن، ولا يبخس على إنسان بذل بذله في هذه الدنيا، فتبرع يا مسلم مما أعطاك الله، وأنفق مما أعطاك الله، وقد سمعت وتسمع في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا الشيء الكثير مما يتعلق بفضل العطاء والبذل في سبيل الله جَلَّ وَعَلَا.

أسأل الله بأسمائه وصفاته أن يوفقنا أجمعين للعمل الصالح، وأن يحبب إلينا البذل في سبيله، وأن يتقبل منا ما نبذله، وأن يحسن إلينا أجرنا، وأن يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء، اللَّهُمَّ يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام أنزل علينا في هذا المكان المبارك رحمتك، وبارك لنا يا حي يا قيوم في الأعمال والأقوال، وهيئ لنا يا إلهانا من أمرنا رشدًا، إنك

---

(١) كما في الأثر عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٢) أخرجه النسائي (٢٥٢٧) واللفظ له، وأحمد (١٤/٤٩٧)، وابن حبان (٨/١٣٥)، والحاكم (١/٥٧٦)، والبيهقي في الكبرى (٤/٣٠٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

جواد كريم، اللَّهُمَّ يا ذا المنِّ والعطاء يا حي يا قيوم يا من لا تتعاظم المسائل عنده نسألك أن لا تردنا خائبين، وأن تجيب دعاءنا يا أكرم الأكرمين كما وعدتنا بمنَّك وكرمك.

اللَّهُمَّ أصلحنا، اللَّهُمَّ أصلح ذريتنا، اللَّهُمَّ أصلح أزواجنا وأقاربنا، وارحم أمواتنا يا أكرم الأكرمين، واجمعنا معهم في منازل الشهداء بمنَّك وكرمك وإحسانك إنك مجيب الدعاء، اللَّهُمَّ أصلح فساد القلوب، وطهر النفوس وآتها تقواها، وزكها أنت خير من طهرها وزكاها.

اللَّهُمَّ أصلح الأمة الإسلامية في كل مكان، اللَّهُمَّ أعزها بطاعتك، اللَّهُمَّ أشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وأعز ذليلهم، وانصر مظلومهم يا إله العالمين، اللَّهُمَّ اجمع كلماتهم، وألِّف ذات بينهم، وحبب إليهم طاعتك وطاعة رسولك، وانفعهم بذلك يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ أصلح القادة في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح قادة المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم بالحق وانصر الحق بهم، وأعز بهم دينك يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تمنحهم التقوى في السر والعلانية، والرجوع إليك، وحمل عبادك على طاعتك يا رب العالمين، اللَّهُمَّ وفقهم لتحكيم كتابك وسنة نبيك، وامنحهم يا حي يا قيوم جزاء ذلك النصر والتمكين في هذه الدنيا والسعادة، ونحن معهم يوم يقوم الأشهاد: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩].

اللَّهُمَّ أعزَّ بلاد المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ ارفع عنها الفتن والمصائب والكروب والآثام، وأحلَّ محلَّ ذلك كله الأمن والرخاء والرغد، والقيام

بأمرك، وخُصَّ هذا البلاد بمزيد من الأمن والأمان، وأحفظه يا حي يا قيوم، ووفق ولاة أمره، وأصلحهم وأصلح بهم، وانصر بهم الحق وانصر الحق بهم يا إله العالمين، اللَّهُمَّ وفقهم في إعلاء أمرك، ونصرة دينك، وإعانة كل داعٍ إليك بحق يا ذا الإجلال والإكرام، وأمِّن بهم ربوع هذه البلاد والسبل المؤدية إلى هذا البيت يا أكرم الأكرمين، والسبل المؤدية إلى مسجد رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واحفظ بهم أمن هذه البلاد، وأمن حجاج بيتك، وزوار مسجد رسولك، وارزقهم اليقظة والقيام بأمرك، وانصرهم على القوم المجرمين يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى والشيوعيين والباطنيين الملاحدة وسائر أهل الكفر والفجور، اللَّهُمَّ أرنا في الفجرة الكفرة الذين يحاولون أن يفسدوا في هذه البلاد أرنا فيهم عجائب قدرتك، وصبَّ عليهم العذاب صبًّا، واجعلهم عبرة للمعتبرين، اللَّهُمَّ سلِّط عليهم سنين كسنين يوسف، اللَّهُمَّ بالقحط يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصرهم وسددهم وثبت أقدامهم وسدد سهامهم، واجمع كلمتهم على الحق، وحبب إليهم يا حي يا قيوم القيام بأمرك في كل شيء، وعاجلهم بالنصر والتمكين، وارفع على أيديهم في بلادهم راية التوحيد، يا حي يا قيوم، يا أكرم الأكرمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللَّهُمَّ على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى صحابته ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

❊ ❊ ❊

فَضْلُ الصَّوْمِ وَفَوَائِدُهُ[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدي بهديهم واتبع سنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

أخي المسلم، إن الصيام تزكو به النفوس، ويروض الصائم به نفسه ويعودها على الصبر، وحسن الانقياد لأمر الله، وحين يشعر بشيء من الظمأ والجوع يعرف قدر نعمة الله عليه جَلَّ وَعَلَا، فالصيام الذي هو أحد أركان الإسلام فيه من الفوائد النفسية: تربية النفس، وكبح جماحها، ولتشعر بحاجتها إلى ما ييسره الله لها، وليشعر ذو الغنى أنه في تلك اللحظة متساوٍ مع من ليسوا من ذوي الغنى، فإن أغنى الناس وأفقرهم يمتنعون طوال يوم الصوم عن الطعام والشراب وسائر الملذات الممنوعة في الصوم.

ثم إن للصائم بعد هذا الصبر الطويل والانقياد لأمر الله **«عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ»**[2]، إذا وُفِّق لاستحضار هيبة ذلك الموقف وفضل الله عليه جَلَّ وَعَلَا، وتصوره لعظم حاجته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن الإنسان كلما دعا وهو يشعر بعظم فقره وشدة حاجته، وأنه لا منقذ له إلا الله، ولا دافع عنه البلوى ولا جالب للنعم إلا هو سبحانه، كلما كان على قدر أكبر للتصور والشعور بالحاجة والافتقار إلى الله والاستغناء به جَلَّ وَعَلَا، مع تجنب المحرمات والغفلة

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٣/٩/١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣)، والطبراني في الدعاء (٩١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/٤٠٧) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عن طاعة الله، كلما كان كذلك؛ كان حريٌّ أن يُستجاب دعاؤه وتُقضى حاجته وتُفرَّج كربته، فإن الأمر كله لله جَلَّ وَعَلَا.

ثم إن في هذا الصوم من الفضائل العظيمة أن ثوابه سرٌّ بين العبد وبين الله، لا يُعلم مقداره، ولا يعلمه إلا الله، ذلك أن الصوم من الأعمال التي اختصها الله، جاء في الحديث القدسي: **«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَة ضِعْفٍ، إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»**[1]؛ لأن الإنسان يمكن أن يدَّعي أنه صائم فلا يُعلم، ويمكن أن ينفي أنه صائم ويتظاهر للناس بأنه غير صائم، بما يظهر على نفسه من الحيوية ورطوبة الشفتين، وهو في الحقيقة صائم، وكان بعض السلف -رحمة الله عليهم- يفعلون ذلك مبالغة في أن يكون العمل سرًّا بينهم وبين الله جَلَّ وَعَلَا، آملًا أن يجازيهم الله جَلَّ وَعَلَا بهذا الإسرار في الدنيا بإظهار الفضل وعظيم العطاء يوم القيامة.

فهذا الركن العظيم من أركان الإسلام له آداب، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ من رِيحِ الْمِسْكِ»**[2]؛ كما أن الشهيد الذي يُقتل في سبيل الله -وقد كان قاتل لتكون كلمة الله هي العليا- يأتي يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا، لونه لون الدم، ورائحته رائحة المسك[3]، حتى يعلم من رآه أنه مات شهيدًا في سبيل الله.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تتمة حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق بلفظ مسلم.

(٣) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ**
=

والصوم -يا عباد الله- فيه جُلُّ أعمال الصبر، بل هو نصف الصبر[١]، والله يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]، ولكن الصوم محتاج لأن نحفظه، فإن للصوم حقوقًا يجب على العبد أن يتعاهدها: يتجنب إطلاق اللسان بالبذاءة وسيئ الكلام، ويصون لسانه عن الغيبة، والغيبة هي: الوقوع في أعراض الناس بحق أو بباطل، فإذا كانت بحق فهم يكرهونها، أي: تذكر عيوبهم التي ينفرون منها، فهذه هي الغيبة، وقد نهى الله جَلَّ وَعَلَا عن الاغتياب وشدَّد في ذلك، وشبَّه هذا الأمر بمن يأكل لحم أخيه ميتًا[٢]. كلُّ إنسان يستبشع أن يرى شخصًا جالسًا على لحم ميت يأكل كأنما يأكل من ذبيحة مشوية، ولكن أقل القليل هو الذي يستبشع إذا سمع الغيبة من ذلك العمل.

سُئل سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الغيبة ما هي؟ فقال: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إن كان في أَخِي ما أَقُولُ؟ قال: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لم يَكُنْ فيه فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[٣]، فالأمر أعظم، والجرم أكبر، افتريت على الله ورميته بما هو منه بريء، هذا ما يتعلق بالغيبة.

=

بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ». أخرجه البخاري (٢٣٧، ٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦).

(١) أخرجه أحمد (٣٠/٢١٩)، والترمذي (٣٥١٩)، والدارمي (٦٨٠)، والطبراني في الدعاء (١٧٣٤) من حديث رجل من بني سليم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢].

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وجاء في حديث جيِّد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى إليه رجل في رمضان فقال: إِنَّ هَاهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا، وَإِنَّهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ أَوْ سَكَتَ، ثُمَّ عَادَ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّهُمَا واللهِ قَدْ مَاتَتَا أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا، قَالَ: **«ادْعُهُمَا»**، فَجَاءَتَا، فَجِيءَ بِقَدَحٍ أَوْ عُسٍّ فَقَالَ لِإِحْدَاهُمَا: **«قِيئِي»**، فَقَاءَتْ قَيْحًا أَوْ دَمًا وَصَدِيدًا وَلَحْمًا؛ حَتَّى قَاءَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ، ثُمَّ قَالَ لِلأُخْرَى: **«قِيئِي»**، فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ وَصَدِيدٍ وَلَحْمٍ عَبِيطٍ وَغَيْرِهِ؛ حَتَّى مَلأَتِ الْقَدَحَ، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللهُ لَهُمَا، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمَا، جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى، فَجَعَلَتَا يَأْكُلَانِ لُحُومَ النَّاسِ»**[1].

هذا الحديث -وإن كان في سنده بعض الشيء- لكن الله جَلَّ وَعَلَا على كل شيء قدير، قادر على أن يحدث هذا؛ ليعتبر أهل العقول، ويتذكر أهل القلوب، ويخشى مغبة الوقيعة في الأعراض من يرجو لنفسه السعادة، فإن الله الذي ينطق الدواب والأشجار والأحجار وأعضاء الناس قادر على أن ينطق وأن يوجد من الكلام هذا القدر مما تنفر منه النفوس، وتأبى تصوره الطباع السليمة.

تكلم رجلان بعد إقامة حدٍّ من الحدود على مرتكب الحدِّ، فقالا: «انْظُرُوا إِلَى هَذَا الَّذِي سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ فَلَمْ تَدَعْهُ نَفْسُهُ حَتَّى رُجِمَ رَجْمَ الْكَلْبِ»، فكره هذه الكلمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمَا، فَمَرَّ بِجِيفَةِ حِمَارٍ شَائِلٍ بِرِجْلِهِ، فَقَالَ: **«أَيْنَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ؟»**، فَقَالا: نَحْنُ ذَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ لَهُمَا: **«انْزِلَا فَكُلَا مِنْ جِيفَةِ هَذَا الْحِمَارِ»**، فَقَالا: يَا رَسُولَ

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ٦٠) من حديث عبيد مولى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللهِ، غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، مَنْ يَأْكُلُ مِنْ هَذَا؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا نِلْتُمَا مِنْ عِرْضِ هَذَا الرَّجُلِ آنِفًا أَشَدُّ مِنْ أَكْلِ هَذِهِ الْجِيفَةِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ الآنَ فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ»**[(١)]، فأكل الجيفة ذنب، ولكنه ليس كأكل أعراض الناس.

ولمَّا قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَسْبُكَ من صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا»، تَعْنِي: قَصِيرَةً، فقال: **«لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لو مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»**[(٢)]، ونحن نتكلم بفظائع الكلام، ونستطيل بأعراض الناس، ولا نشعر بوخز ضمير، ولا بألم نفس، ولا بقلق، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث: **«الرِّبَا سَبْعُونَ حَوْبًا، أَيْسَرُهَا نِكَاحُ الرَّجُلِ أُمَّهُ، وَأَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ»**[(٣)]، فظلَّ الناس يتذكرون ويجتنبون ذلك.

ولقد تضمنت آيات القرآن الكريم أبلغ العظات: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢]، عبَّر بالإخوَّة المقتضية كمال الرحمة، ثم ذكر أكل لحمه والعياذ بالله، والكثير من الناس يقع في ذلك في حال صومه، و**«الصَّوْمُ جُنَّةٌ»**[(٤)]، أي: درعٌ، فإذا وقع

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٤٢٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٤١٥)، وابن حبان (١٠/٢٤٤)، والدارقطني (٤/٢٦٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والصحابي الذي أقيم عليه الحدُّ هو ماعز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود واللفظ له (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/٤٤٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٣٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه عبد الرزاق (٨/٣١٤)، والحاكم (٢/٣٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٧/١٥٨) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٩٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الواحد منَّا في أعراض الناس، وقد تحدث بها وجعلها فاكهة المجالس، وملذات الحديث، وسبب الأنس والتقرب إلى الآخرين، فقد كاد أن يفسد صومه، وأن يذهب بركته.

أما النميمة فإن وضعها أطم وأعظم، وسماها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحالقة، وقال: «**لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»(١)، أي: التي تأتي على الأعمال الصالحة فتستأصلها من أصولها حتى لا يبقى لها أثر نافع، فنقل الكلام على سبيل الإفساد من أخبث الأعمال وأشنعها، ومن اتصف بها فقد اتصف بأخبث الصفات وأقبحها في غير حال الصوم، فكيف إذا كان في عملٍ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصائم: «**فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أو قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إني امْرُؤٌ صَائِمٌ**»(٢)، أي: إني متصف بوضع وعمل يقتضي منِّي ألَّا أجاري السفهاء، وألَّا أسترسل مع المضيعين الخائضين بألسنتهم فيما حرَّم الله.

فاللسان -يا عباد الله- له أثره، له آثار دنيوية، فكم من دماء سُفكت بسبب اللسان، وكم من رؤوس قُطعت بسبب الكلام في دين أو دنيا؛ في الدين كأن يقول كلمة الزندقة -والعياذ بالله- والكفر، ويصرُّ على الكلمة فيُقتل مرتدًا، وأما قتله في أمور الدنيا فكثير أيضًا. ولمَّا سأل معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدله على الأعمال التي تقربه إلى الجنة، انتهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن قال له: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»،

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٤٣)، والترمذي (٢٥١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١/١٨٢) من حديث الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطرف لسانه، فقال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقال: **«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»**[1].

فلابد للإنسان أن يحاول بقدر استطاعته كف لسانه؛ ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»**[2]، يعني: مع الإتيان بأركان الإسلام، فإذا ضمن لسانه فلا يستعمله إلا فيما يرضي الله، وضمن فرجه فلم يستعمله إلا فيما أذن الله، وأتى بأركان الإسلام فقد ضمن له الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجنة.

إن الإنسان عندما يقرع سمعه مثل هذا الكلام يقول: إن ذلك ليسير! ولو كان معه جهاز مسجل قد ربطه في عنقه، وفتحه ليسجل كل كلمة ينطق بها تُسجل عليه لا له، ثم أراد أن يستعيد شريط المسجل إذا أراد أن ينام في الليل، وكان عنده من البصيرة ما يميز به بين الحق والباطل، لَعَلم أيَّ جرم وقع فيه، وأيَّ أثقال يحملها، وأيَّ وقيعة اقترفها بهذا اللسان، صدق المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَهَلْ يَكُبُّ الناس في النَّارِ على وُجُوهِهِمْ أو على مَنَاخِرِهِمْ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»**، لقد كان العرب في الجاهلية يرون أن من كان عاجزًا عن حفظ لسانه عاجزًا على أن يحفظ ما سواه؛ إذ يقول قائلهم:

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦/٣٤٤)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في الكبرى (١٠/٢١٤) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِذَا الـمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْـهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ[1]

ثـم جـاء الإسـلام بـالقرآن الكـريم وأحاديـث المـصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأفاض في ذلك أيما إفاضة.

فاحرص -يا أخي- على صيانة هذا الركن العظيم من أركان الإسلام بالتقيد بآداب الصوم، وتجنب ما يخدش أثر الصوم وبركته، وواظب على ذلك، واستعد له في الصباح والمساء، واستعن بالله جَلَّ وَعَلَا وذكره، إذا استقبلت صباحك وإذا استقبلك مساءك عند الإفطار، حاول أن تواظب على ذلك مستعينًا به جَلَّ وَعَلَا، وانتظر الإعانة منه، فإن الله معين من يستعين به، ناصر من يستنصر به، يغني من يستغني به، كافي من يتوكل عليه، اجتهد في ذلك يا أخي، وألح على الله أن يجعل صومك صومًا محفوظًا نافعًا، تظهر بركته في الدنيا والآخرة، فإنه لا حول لنا ولا قوة إلا بربنا، ولا نجاة لنا ولا نجاح إلا بالاستعانة به، ولا عزَّ لنا ولا أمن إلا بالذلة بين يديه جَلَّ وَعَلَا.

ثم احرص -يا أخي- على تحرِّي قبول العمل بتفقد حالك، والنظر فيما تعمله من أعمال صالحة أو طالحة، ولا تتركه لأمور مستقبلة، فتأسف عمَّا يفوتك من خير، وتندم على ما ارتكبته من شر، وبادر بالتوبة إليه، واعزم على استدارك ما فاتك من الصالحات.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يمحنا جميعًا التوفيق والتسديد، وأن يرزقنا إخلاص العمل لوجهه، وصدق القصد له، والإكثار من الاستغفار والتوبة بين يديه، أسأله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا،

---

(١) البيت لأمرئ القيس، يُنظر: ديوانه (ص١٦٠).

وأن يرزقنا في هذا المكان المبارك رحمة ومغفرة وعفوًا منه جَلَّوَعَلَا، اللَّهُمَّ إنا نسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، أنت مجيب الدعاء، أن ترحمنا برحمتك الواسعة، وأن تغفر لنا مغفرة من عندك، وأن تجيرنا من مجريات الفتن، يا إله العالمين، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم اغفر لنا في ليلتنا هذه أجمعين، ووفقنا لصالح العمل يا كريم، وجنبنا يا ذا الجلال والإكرام المواقف الرذيلة والأعمال الرذيلة، وأصلح لنا الأقوال والأعمال إنك مجيب الدعاء.

اللَّهُمَّ اهدنا صراطك المستقيم، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا ولوالديهم ولأزواجنا وأولادنا وسائر قرابتنا وجميع إخواننا المسلمين، اللَّهُمَّ أصلح المسلمين وأصلح حالهم، اللَّهُمَّ اغنهم عن غيرهم، اللَّهُمَّ شد أزرهم، اللَّهُمَّ ارزقهم القوة بالحق، والاستعداد لأعداء الدين، والأخذ بأسباب العزة والنجاة والنجاح.

اللَّهُمَّ أصلح قادتهم في كل مكان، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم وفقهم واجمع كلمتهم، وارزقهم التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، اللَّهُمَّ أصلح نسلَ المسلمين، واهدِ ضالهم، وأشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وانصر مظلومهم، وأعزَّ ذليلهم يا إله العالمين، اللَّهُمَّ خُصَّ هذا البلد وأهله بمزيد من التسديد والتوفيق، اللَّهُمَّ وفق ولاة أمر هذا البلد واهدهم يا حي يا قيوم، وأصلحهم وأصلح بهم، وادفع عنهم وادفع بهم كل بلاء، يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ ارزقهم خوفك في السر والعلانية، والقيام بأمرك، والجد في نصرة دينك، وإعانة الدعاة إليك يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أمِّن هذه البلاد، ويسِّر السبل المؤدية إلى هذا البيت، وإلى مسجد رسولك صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ وفقهم على المحافظة على أمر الحجاج والزوار

والمعتمرين، وشد أزرهم، وانصرهم على القوم المجرمين، اللَّهُمَّ وفقهم يا حي يا قيوم وإيانا، وأصلحهم وإيانا، وعاملنا وإياهم بعفوك وكرمك وجودك.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصرهم وشد أزرهم، اللَّهُمَّ سدد سهامهم وثبت أقدامهم، اللَّهُمَّ اجمع كلمتهم على الحق، اللَّهُمَّ ارزقهم إخلاص العمل لوجهك، والرجوع الصحيح السليم إلى سنتك سنة نبيك، اللَّهُمَّ عاجلهم بالنصر، وأقم في بلادهم دولة إسلامية ناصعة البياض، يا ذا الإجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ اخذل اليهود والنصارى والشيوعيين الملاحدة والباطنيين والمجوس وسائر الكفرة الملحدة، يا إله العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى اللَّهُمَّ على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم اللَّهُمَّ تسليمًا كثيرًا.

فَضْلُ الأَذْكَارِ(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدي بهديهم واتبع سنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

لقد ثبت في "الصحيح" أن رسول الله قال: **«مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»**(٢).

هذه الكلمات -يا عباد الله-: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، وكلمة التوحيد التي من قالها، وحقَّق معناها، وعرف مدلولها حق المعرفة، نجا من أهوال يوم القيامة؛ لأن من لازم معرفة مدلولها وأخذ النفس بمقتضاها أن يتجنب المعاصي كلها، وأن يأخذ بما يستطيعه من أعمال الطاعة، وأن يأخذ القسط الأكبر من الأذكار؛ امتثالًا لأمر الله، إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

هذه الأذكار -يا عباد الله- عندما ينزه العبد ربه بقوله: (سبحان الله)، ويكرر ذلك، يَطْهُر هذا اللسان، فيتنزه عن القبائح، ويُصان عن الرذائل،

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٣/٩/١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه مسلم (٥٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويُصبح الكلم الطيب عادته، وعندما يقول: (الحمد لله)، ويحسن الثناء الأتمّ الأكمل لربه جَلَّ وَعَلَا صاحب الحمد والجود، فيُمَجِّد ربه بما يستحقه جَلَّ وَعَلَا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب أهل الحمد ويكافئهم ويجازيهم، وعندما يقول: (الله أكبر)، تصغر في عينه كل العوارض الكبار من مسائل هذه الدنيا ومشاكلها؛ لأنها صغيرة ذليلة أمام قوة القاهر الكبير المتعال.

فإذا ذكر ذلك وأتمَّ تمام المائة كلمة الإخلاص: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، ثم قال مؤكدًا: (له الملك) فكل ما في الوجود له، (وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)، إذا واظب على هذا خمس مرات في اليوم والليلة، أيُّ فضل هذا؟ خمسمائة كلمة يضاعفها الكريم الأكرم إلى مائة ضعف إلى سبعمائة ضعف[1]، فأين المتفوقون في الحساب ليعلموا مدى ما حباهم الله جَلَّ وَعَلَا به من هذا الفضل العظيم؟!.

وقد قال سيد الخلق: **«فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ»**[2].

فهذه الكلمات خمسمائة كلمة في اليوم، تُضاعف إلى سبعمائة مرة، ما هي الصدقات التي حاذها الموفَّق الذي يستطيع أن لا يخرم هذه القاعدة مرة واحدة؟! كيف لا تزول ذنوبه وتُغفر ولو كانت أمثال زبد البحار كلها؟!

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله قال: **«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ...»** الحديث، أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٢٠) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إن الأذكار -يا عباد الله- معينة على أعمال الدنيا، وقد ثبت في "الصحيح": أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ابنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثَّرَ فِي يَدِهَا، وَاسْتَقَتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَ فِي نَحْرِهَا، وَكَنَسَتِ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا، فَسَمِعَتْ أَنَّ سَبْيًا جِيءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زوجها وابن عم أبيها: لَوْ أَتَيْتِ أَبَاكِ فَسَأَلْتِيهِ خَادِمًا!

فذهبت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولم تَجِدْهُ، فرجعت، فلما جاء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالليل أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فذهب يستجلي الخبر الذي جاءت من أجله، فدخل وهي وعلي نائمان تحت غطاء فراشهما، يقول عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَذَهَبْتُ لأَقُومَ، فقال: **«على مَكَانِكُمَا»**، أي: ابقيا على حالكما، فجلس بينهما، يقول علي: حتى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ على صَدْرِي، فقال: **«ما الذي جاء بك يا بنية؟»**، فلم تقل شيئًا، فقص عليه عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القصة، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟»**، يعني: يكون أنفع لكما من خادم، وتكون به الإعانة أجلَّ وأعظم، **«إذا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا: تُكَبِّرَانِ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَانِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَانِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ،** وَتَقُولَانِ **تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا من خَادِمٍ»**(١)، ولمّا حدَّث عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا الحديث وهو في العراق، قال: «فَوَ اللهِ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْكَوَّاءِ -رجل من أهل العراق-: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ فَقَالَ: «قَاتَلَكُمُ اللهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ،

---

(١) أخرجه بألفاظ متقاربة: البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧)، وأبو داود (٢٩٨٨) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نَعَمْ، وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ»(١).

فلا غرابة أن يشهد له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولعدد من أصحابه بأنهم من أهل الجنة؛ إذا سمعوا الذكر ورأوا ثمراته أخذوا به، فلم يثنهم عنه ثانٍ، ولم يصدهم عنه صادٌّ، وبتلك العزائم، وبتلك الرغبات والحرص على فضل الله نالوا ما نالوه من الأجر، والله أعلم حيث يجعل رسالته، اختارهم لصحبة نبيه؛ لأنهم أزكى الخليقة وأبَرُّها وأرغبها في كل خير، وللمسلمين فيهم أُسْوَة.

فاحرص -أيها المسلم- على الإكثار من الأذكار؛ ولذلك لـمَّا سأل رجل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عمل يقربه إلى الجنة، قال: **«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا من ذِكْرِ اللهِ»**(٢)، إن الإنسان إذا سكت ولم ينبس بكلمة يبس اللسان؛ لأن تردد النفس على اللسان وهو ساكن يجعله يابسًا، فإذا كان هذا اللسان يتقلب بذكر الله، استمرت هذه الرطوبة الكريمة عليه، وصار ذلك سببًا في حصوله على المنازل العالية عند ربه جَلَّ وَعَلَا.

هذه الأذكار العظيمة إذا قالها الإنسان يكون كأنما بذل أنْفَسَ الأموال، كيف لا! و**«كُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ»**؟ كيف وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ، كَانَ**

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٠٢)، وأصله في البخاري (٥٣٦٢)، ومسلم (٨٠) مختصرًا.
(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وأحمد (٢٩/٢٢٦)، وابن حبان (٨١٤)، والحاكم (١/٤٩٥)، والطبراني في الأوسط (٢/١١٨) من حديث عبد الله بن بسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

كَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»(١).

إن الموفَّق يستطيع أن يعتق في كل يوم رقابا بهذه الأذكار، ولكن هل يدع الشيطان فرائسه تهب من جراحها؟! لأنه يستعين بأمور كثير: بالأهل والمال والولد والأصدقاء، يركض على الناس بخيله ورجله، وإنما يسلم منه أهل الحزم والبصيرة والدروع المنيعة، الذين يتدرعون بالأذكار، ويستعينون بربنا جَلَّوَعَلَا الملك القهار سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا يفترون في التضرع بين يديه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والتعلق بأهداب عفوه، وحفاف دينه، يعتصمون بها، والله جَلَّوَعَلَا معين من يستعين به، كافٍ من توكل عليه، ناصر من استنصره، مجيب دعاء من دعاه إذا صدق في دعوته وواظب على ذلك.

ثم إننا -أيها المسلمون- في هذه الأيام في أيام كريمة، هي أحرى لإجابة الدعاء، وتكفير الخطايا، وحطِّ الذنوب والسيئات، ولاسيما من فازوا بالدنو من هذا البيت العتيق، والقرب من هذا المكان المقدس الطاهر، إذا حموا أنفسهم عن اللقطات المريبة والنظرات المريضة والخواطر السيئة، وتعاهدوا أنفسهم، وكلما أذنبوا استغفروا، وكلما تجددت لهم نعمة شكروا المنعم بها، وكلما تعرَّت لهم آلام ومصيبة عرفوا أنها بسبب الذنوب والمعاصي، وذلك علامة الفلاح وعنوان السعادة، فإن من علامة سعادة العبد أنه إذا أذنب استغفر، وإذا أصيب صبر، وإذا أُعطي من الله نعمة شكر، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

لا أحب أن أطيل عليكم ولا عن نفسي، ولكني أكفي بهذا الكلام،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣) من حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

وأسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن ينفعنا أجمعين بما نسمع ونقول، وأن يجعل قلوبنا تربة صالحة طيبة، تتلقى الذكر والموعظة فتثمر الأعمال الجميلة، أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يجعلها من أفضل القلوب وأوعاها بكل خير، وأحرصها على كل فائدة.

اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، وارحمنا برحمتك الواسعة، وباعد بيننا وبين الخطايا كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، اللَّهُمَّ ارزقنا الإنابة إليك، والاعتصام بك، والتوكل عليك، وانفعنا يا ذا الإجلال والإكرام بما يسرته لنا من زمن وعمل ورزق وصحة يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح ذريتنا وأزواجنا وأقاربنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، اللَّهُمَّ امنحنا في هذا الصباح التوفيق والسداد، واهدنا لأحب الأشياء إليك، واعصمنا من الزلل يا أرحم الراحمين، واهدِ ضالَّ المسلمين في كل مكان، وأصلح قادتهم ووفقهم لما تحبه وترضاه، وانصر بهم الحق وانصر الحق بهم، واجعلهم عبادًا أتقياء، وقادة أمناء، ورعاة نصحاء يا إله العالمين، اللَّهُمَّ وفقهم للحق بما أنزلت، وإقامة حدودك، والزجر عن معاصيك، ووفقهم يا حي يا قيوم للقيام بالدعوة إليك وشد أزر الدعاة الصادقين في دعوتهم، وقمع أهل الباطل وخذلهم يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أصلح قادتنا وأصلحنا وأصلح بنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

اللَّهُمَّ آمن أوطان المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ خُصَّ هذه البلاد بمزيد من التسديد والسداد ورغد العيش والأمن، ووفق ولاة أمرنا، واهدهم سبل السلام، وانفع بهم البلاد والعباد، وأصلحهم وأصلح بطانتهم، وارزقهم التذكر والعمل بما يرضيك، ووفقهم للمحافظة على أمن هذه الربوع وتيسير

السبل المؤدية إلى هذه البقاع وإلى مسجد رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وارزقهم يا حي يا قيوم اليقظة والحزم والبصيرة في الدين، وقمع أهل الباطل، وخذلان أهل الشر، وسلطهم على أعدائك أعداء الدين.

اللَّهُمَّ أذل أعداءنا في كل مكان، وأرنا فيهم يا إلهنا عجائب قدرتك، اللَّهُمَّ أنزل بهم بأسك الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين، اللَّهُمَّ أرنا في مجوس هذه الأمة الخزي والعار، وأحل بهم النكبات، اللَّهُمَّ أصلح الأمة الإسلامية واجمع شملها، وأذل اليهود والنصارى والمجوس والشيوعيين والملاحدة الباطنيين، وسائر أهل الكفر والإلحاد، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ وفقهم للقيام بأمرك، واجمع كلمتهم على التوحيد، وارزقهم يا حي يا قيوم التعاون على البر والتقوى، واجتماع الكلمة، وعاجلهم بالنصر والتأييد والتمكين، إنك جواد كريم، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ على سيد الخلق أجمعين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

فَضْـلُ الأَذْكَـارِ[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وتمسك بسنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

هناك من متاعب الدنيا ما يُدفع بالله ثم بالأذكار، فإن بني آدم لهم أعداء من بني جنسهم، وأعداء آخرون، فإذا استعانوا بالله جَلَّ وَعَلَا ثم بذكره على دفعهم وقاهم الله من شرهم.

فقد ثبت في "الصحيح" من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: وَكَّلَنِي رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو من الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: والله لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: إني مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قال: فَخَلَّيْتُ عنه فَأَصْبَحْتُ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أَبَا هُرَيْرَةَ، ما فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟**»، علم أبو هريرة أن الوحي نزل على سيد الخلق، وإلَّا فلم يطلع أحد على ذلك الأسير، قال: يا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قال: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ**»، قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنه سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو من الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فقلت: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: دَعْنِي، فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ لا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فقال لي رسول اللهِ

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤/٩/١٤٠٨هـ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا أَبَا هُرَيْرَةَ، ما فَعَلَ أَسِيرُكَ؟»**، قلت: يا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قال: **«أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»**، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو من الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فقلت: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسول اللهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قال: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥] حتى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ من اللهِ حَافِظٌ ولا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حتى تُصْبِحَ.

قال: فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فقال لي رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟»**، قلت: يا رَسُولَ اللهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بها، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قال: **«مَا هِيَ؟»**، قلت: قال لي: إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ من أَوَّلِهَا حتى تَخْتِمَ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، وقال لي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ من اللهِ حَافِظٌ ولا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حتى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ على الْخَيْرِ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ من تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يا أَبَا هُرَيْرَةَ؟»**، قال: لا، قال: **«ذَاكَ شَيْطَانٌ»**[1]. فقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قَدْ صَدَقَكَ»**، يعني: أن من قرأ آية الكرسي عند منامه إذا أوى إلى فراشه مؤمنًا بها، معتقدًا صحة ما فيها من صفات الكمال لربنا جَلَّ وَعَلَا، غير مؤول لما فيها من المعاني، أن الله ينفعه بها، فلا يزال عليه من الله حارس يحرسه، ولا يقربه في منامه شيطان، وهذا شيء من فضل الأذكار.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣١١).

إن للأذكار -يا عباد الله- منافع جليلة، فمن أعظم ما تُدفع به الشياطين ويرد به كيدها الاستعاذة بالله، وبكلمات كآية الكرسي، لينام المرء يوم ينام وقد ختم هذه الآية وتدرع بها واتخذها حارسًا بإذن الله عليه، وهذا هو الذي ورد في الخبر الصحيح.

ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إذا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ ما رَزَقْتَنَا، فإنه إن يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ في ذلك لم يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»**(١)، إن الناس يغفلون عن ذكر الله جَلَّ وَعَلَا، ويغفلون عن الاستعانة به، وذلك من كيد الشيطان ووساوسه، فأنت تجرب في منامك إذا أنت أردت النوم قد حالمك الأرق، فإذا ذهبت تقرأ أذكار النوم لم تتمكن من إتمامها، بل يغلبك النعاس قبل أن تستكملها، فإن كنت في غير ذلك تقلبت وقتًا طويلًا دون أن تسعد بالنوم؛ وذلك لما لهذه الأذكار من أثر عظيم، ومنفعة جليلة تعود على العبد، فيأتي الشيطان يُغَلِّب للإنسان النوم.

ولذا ينبغي للمسلم المواظبة على الأذكار، فهي تربية للعقيدة، وتنمية للإيمان، وتغذية لشجرته في القلب، وهي أيضًا سور على القلب عن تسلط الشيطان عليه، فإن الشيطان يسعى لقلوب بني آم، يرتكنها حتى يشغلها بالوساوس والأفكار المقاصد الخبيثة، فإذا حرص العبد المسلم على إيجاد سور منيع من الأذكار الصحيحة مما جاء به القرآن الكريم، أو بلغت به السنة النبوية المطهرة، حفظ نفسه وصانها، ولذا فإن الإنسان إذا دخل منزله فذكر الله فقد

(١) أخرجه البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

حرم الشيطان من دخول المنزل(١)، وإذا ذكر الله على طعامه وشرابه فقد حرم الشيطان من ذلك كله(٢)؛ ولذلك «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**»(٣).

أمَّا إذا حفظ الإنسان منزله بالذكر وحفظ طعامه بذكر اسم الله تعالى عليه، فإن الله يحفظه، ورد عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا إذا حَضَرْنَا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا لم نَضَعْ أَيْدِيَنَا حتى يَبْدَأَ رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا معه مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا في الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهَا، ثُمَّ جاء أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بيده، فقال رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عليه، وَإِنَّهُ جاء بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بها فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا،**

---

(١) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا خَرَجَ الرَّجُلُ من بَيْتِهِ فقال: بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ على اللهِ لا حَوْلَ ولاقوة إلا باللهِ يُقَالُ حِينَئِذٍ هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ فَتَتَنَحَّى له الشَّيَاطِينُ فيقول له شَيْطَانٌ آخَرُ كَيْفَ لك بِرَجُلٍ قد هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ**»، أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٦٢٧) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبنحوه ابن ماجه (٣٨٨٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في حديث مُعَاذِ بن أَنَسٍ الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أَكَلَ طَعَامًا، ثُمَّ قال: الْحَمْدُ للهِ الذي أَطْعَمَنِي هذا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ من غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي ولا قُوَّةٍ، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ**»، أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، وأحمد (٢٤/٣٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠١٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَجَاءَ بهذا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بيده، وَالَّذِي نَفْسِي بيده إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مع يَدِهَا»(١)، وكان رسول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يَأْكُلُ فلم يُسَمِّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إلا لُقْمَةٌ، فلما رَفَعَهَا إلى فيه قال: بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَضَحِكَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قال: **«مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ اسْتَقَاءَ ما في بَطْنِهِ»**(٢).

إن كثيرين منَّا يغفلون عند دخول المنازل، وعند تقديم الطعام أو الشراب، وعند التقدم لشيء من ملذاتهم عن ذكر الله جَلَّ وَعَلَا، فيحصل لهم من جرَّاء ذلك أضرار بدنية، أو شرٌّ في المنازل، أو مشاركة في الذرية، ولو حفظوا اسم الله جَلَّ وَعَلَا بذكره لحفظهم الله جَلَّ وَعَلَا، وهو خير الحافظين.

إن الأذكار تُمنع بها مصائب البدن، كما أنها من أعظم أسباب العلاج البدني، فإن الله جَلَّ وَعَلَا جعل في أسمائه شفاء من أدواء القلوب والأبدان، وسلامة من كثير من المصائب والمتاعب، إلا أن الأمر -كما ذكرت- أنه يتسلط على المرء قرينه، فيشغله عن ذكر الله؛ لحرصه على شغله بما يضره عما ينفعه، والموفَّق من يحرص على التذكر، وإذا تذكر جهر باسم الله، فهذه الأذكار مطردة للشياطين.

ولذلك جاء في "الصحيح": **«إِذَا أُذِّنَ بِالصَّلاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٦٨)، والنسائي في الكبرى (٤/ ١٧٤)، وأحمد (٣١/ ٢٩٦)، والطبراني في الكبير (٨٥٤) من حديث أمية بن مخشي من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حَتَّى لا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوِّبَ»، أي: أقيمت الصلاة **«أَدْبَرَ فَإِذَا سَكَتَ أَقْبَلَ»**(١)، يُلَبِّس على المصلي صلاته حتى لا يدري كم صلَّى، وهذا أمر نحسه بأنفسنا، وقَلَّ من يسلم منه، قلَّ من يسلم من أثر الشيطان في صلاته، وإلا لو سَلمت لنا صلاتُنا موفورة غير منقوصة، وأديناها كاملة لم يدخلها انصراف قلب؛ لكانت لها من الثمرات ما أثمرت الصلاة لأسلافنا، وإنما يصلي المصلي منَّا لا يدرك إلا نصف صلاته، ربعها، خمسها، سدسها، إلى العشر(٢)! وقد يصلي بعض المصلين ولا صلاة له، وإن كان أداها في الركوع والسجود والقيام، ولكنه غافل عن كل ما فيها من معان يستطيع أن يحفظ نفسه بها.

إذن على المسلم -يا عباد الله- أن يحرص غاية الحرص على أمر الأذكار، وسيكون لذلك -إن شاء الله- مزيد بحث ونظر.

نسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يجعلنا أجمعين من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، وأن ينفعنا بذكره، وأن يحفظنا به، وأن يصوننا في متاعب دنيانا، وأن يسهل لنا أسباب الراحة في أخرانا.

نسأله جَلَّ وَعَلَا أن يجعل قلوبنا مطمئنة لذكره، آلفة لذلك، محافظة عليه، وأن يشغل ألسنتنا بذكره عن ذكر خلقه ومعايبهم، كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يجعل

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٢٢)، ومسلم (٣٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي وَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا عُشْرُهَا، أَوْ تُسْعُهَا، أَوْ ثُمْنُهَا، أَوْ سُبْعُهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِ الْعَدَدِ»**، أخرجه أبو داود (٧٩٦)، والنسائي في الكبرى (١/٣١٦)، وأحمد (٣١/١٨٩) من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يومنا هذا يومًا مباركًا في هذا المكان المبارك، وعلى أمتنا الإسلامية في كل مكان، وأن يسمعنا في هذا اليوم وفيما بعده عزًّا للإسلام وللمسلمين وكبتًا لأعداء الإسلام في كل مكان، وأن ييسر لأمة الإسلام ما يجمع الله به شملها، ويؤلف به وحدتها، ويعلي به شأنها.

نسأله جَلَّوَعَلَا أن يصلح أمة الإسلام، وأن يهدي ضالها، وأن يشبع جائعها، ويغني فقيرها، وأن يكسو عاريها، وينصر مظلومها، ويعزَّ ذليلها بمنِّه جَلَّوَعَلَا وكرمه.

كما أسأله أن يهدي القادة -قادة الأمة الإسلامية- ويصلحهم، ويرزقهم خوفه ورجاءه، وتصور عرضهم عليه جَلَّوَعَلَا، فإن من خاف الله وتصور عرضه عليه اتقاه فيما يأخذ ويدع، وما يعمل وما يترك، كما نسأله جَلَّوَعَلَا أن يوفقهم لاجتماع الكلمة، وتوحيد الصف، والعمل على ما يُعلي شأن هذه الأمة، وأن يَخصَّ ولاة أمر هذا البيت بمزيد من الهبات والتسديد والصلاح والاستقامة، وأن ينصرهم بالحق وينصر الحق بهم، وأن يعينهم، ويذل أعداءنا أعداء الدين في كل مكان، وأن يمنَّ عليهم بالبصيرة في الدين، والسعي المتواصل لما يرضي الله جَلَّوَعَلَا، وأن يؤمِّن بهم ربوع هذه البلاد، ويوطد بهم الأمن فيها، ويسهل بهم السبل المؤدية إلى هذا البيت العتيق، وأن يحفظ بهم أمنه وأمن مسجد رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يسلطهم على أهل الانحراف والزيغ والضلال.

كما نسأله أن يوفق المجاهدين في سبيل الله لاجتماع الكلمة، وتوحيد الصف، وأن يعاجلهم بالنصر والتمكين، وأن يمن عليهم بإعلاء كلمتهم على أعدائهم، وأن يمكن لهم من رقاب الأعداء وأموالهم، وأن يسمعنا عنهم في

القريب العاجل إقامة دولتهم، وإقصاء الشر عن بلادهم بلاد الإسلام، وأن يذل أعداءنا من اليهود، والنصارى، والشيوعيين الملاحدة، والباطنيين الفجرة، وسائر الوثنيين والكفرة في كل مكان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسَانِ[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم واتبع بسنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

يقول ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، وقد ورد في "الصحيح" أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»**[٢]، وثبت أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»**[٣].

والأحاديث في الأذكار وفوائدها كثيرة جدًّا، منها: ما ثبت في الصحيح أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من قال: لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ، في يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كانت له عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ له مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عنه مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ له حِرْزًا من الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذلك حتى يُمْسِيَ، ولم يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جاء بِهِ، إلا أَحَدٌ عَمِلَ**

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/١٥هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أَكْثَرَ مِن ذلك»(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إلا الله، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ، كان كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ من وَلَدِ إسماعيل»**(٢).

كل ذلك ثبت في "الصحيح" عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وثبت أنه قال لأبي موسى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **«ألا أَدُلُّكَ على كَنْزٍ من كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟»**، فقلت: بَلَى، فقال: **«لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ»**(٣)، وثبت أنه قال: **«أَيَعْجِزُ أحدكم أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟»**، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ من جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قال: **«يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ له أَلْفُ حَسَنَةٍ، أو يُحَطُّ عنه أَلْفُ خَطِيئَةٍ»**(٤).

إن الله جَلَّ وَعَلَا تفضل علينا، وتكرم وأنعم، ويسَّر لنا أسباب الحسنات وهيأها، ومن ذلك: لمَّا عدَّ جَلَّ وَعَلَا أهل الأعمال الفاضلة قال في آخرها: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥]، فالذِّكرُ لا يكلِّف الإنسان عملاً مرهقًا، ولا يشق عليه أو يعطله عن عمل يقوم به من أمور دنياه، ومع ذلك فإنه يتحرَّز به من الشيطان، ويستدبر به البلاء، ويعظم لنفسه -بإذن الله- الأجر والثواب، ويكنز ما شاء الله من كنوز الجنة، وما على الإنسان إلا أن يكون صادقًا راغبًا عظيم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٣) من حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٨) من حديث سعد بن وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الاستعداد، قوي العزيمة، مغالبًا لعدوه وشيطانه في استعمال الأذكار، كلامٌ يقوله بلسانه يثقل الله به ميزانه، ويرفع درجته، ويحفظه من المكاره، ويعظم له من المثوبة، لا يخسر بذلك مالًا، ولا يصرف وقتًا هو محتاج إليه، يذكر الله نائمًا مضطجعًا، جالسًا، أو متكئًا، سائرًا في مكان، أو يؤدي عملًا من أعمال دنياه، فلا يعوقه الذكر، مع ما في ذلك من الأجر العظيم، والله جَلَّ وَعَلَا يقول في الحديث القدسي عن عبده المؤمن: **«إن ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي في مَلإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ منهم»**(١).

ولِمَا للأذكار من الفضائل والأجر العظيم والحرز القوي المتين جَدَّ العدو من الشيطان الرجيم وأعوانه ليحولوا بين العباد وبين الإكثار من ذكر الله؛ لأنهم لا يَصِلُون مع عباد الله إلى أغراضهم إلا إذا غفل العباد عن ذكر الله، وقد شرع الله جَلَّ وَعَلَا أذكارًا عديدة لأنواع كثيرة من الأمراض، وللحفظ من ذوي الشرور، فإذا أراد الإنسان أن ينزل منزلًا وبادر بذكر الله لم يضره في ذلك المنزل شيء، فإذا نزل منزلًا وقال: **«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»**، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حتى يَرْتَحِلَ من مَنْزِلِهِ ذلك»**(٢)، وورد أنه جاء رجل وقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رَسُولَ اللهِ ما لَقِيتُ من عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قال: **«أَمَا لو قُلْتَ حين أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ، لم تَضُرَّكَ»**(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت حكيم السلمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإذا استعان العبد بالله جَلَّ وَعَلَا، واستعان بذكره عند دخوله المنزل، أو عندما يأوي إلى فراشه، يحفظه الله بذلك الذكر من أذى كل ذي أذى، ولكننا نغفل عن ذلك كثيرًا، ولكن الحريص على الذكر المجتهد في المواظبة عليه تعتريه أحوال فينسى ذكر الله جَلَّ وَعَلَا من زيغ الشيطان، سنة درج عليها -والعياذ بالله- العدو اللدود، يُنسي الناس أشياء كثيرة، ويذكرهم إذا كان في تذكيرهم إضرار لهم في أمور دنياهم، فأنت تريد أن تفطن لأمر هام فلا تستطيع، فإذا وقفت تناجي ربك جَلَّ وَعَلَا ذكرت ما لم تكن تذكر، وذلك من الشيطان ووساوسه، يخبرك حين يحسن بك أن تنشغل بطاعة الله، وينسيك حينما ترغب أن تذكر ما تحرص عليه.

كان أبان ابن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحدِّث وهو من علماء الحديث من علماء التابعين، وكان يروي عن أبيه عُثْمَانَ بن عَفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ»**.

فَأَصَابَ أَبَانَ بن عُثْمَانَ الْفَالِجُ[1]، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ، وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا

(١) الفالج: شلل يصيب أحد شقي الجسم طولًا. يُنظر: تهذيب اللغة (١١/ ٦١)، والصحاح (١/ ٣٣٥)، ولسان العرب (٢/ ٣٤٦).

أَصَابَنِي غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا[١].

وإلا فمن اعتصم بالله وذكر واجتهد في الذكر حفظه الله؛ ولذلك في الحديث الصحيح: «إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ من اللَّهِ حَافِظٌ ولا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حتى تُصْبِحَ»[٢]، كل ذلك ببركة هذا الذكر العظيم.

فينبغي لك -يا أخي- أن تعتني بحفظ شيء من الأذكار، وورد في الحديث الصحيح أن الإنسان إذا آلمه مكان في جسده فنفخ في يده، وقال: **«أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»**[٣]، إذا قال ذلك مطمئنًا واثقًا بما وعد به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نفعه ذلك أيّما نفعٌ.

فليحرص المسلم على الاعتناء بالأذكار وحفظ شيء منها، يقوله في الصباح والمساء، وبعد أداء فرائض الصلاة، وعند الدخول إلى المنزل والخروج منه، وعندما يأوي إلى فراشه أو يستيقظ، اقتداء بسيد الخلق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان يواظب على الأذكار أيّما مواظبة، مع أن الله جَلَّ وَعَلَا قال له: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧]، فهو محفوظ بحفظ الله له، ومع ذلك كان يحافظ على الأذكار، وكان إذا استيقظ من نومه كثيرًا ما يقرأ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨) واللفظ له، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص١٤٢)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، وابن حبان (٣/ ١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٧٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٢) من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١][(١)]، الغاية: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، هكذا يفعل المشمرون والراغبون في ثواب الله، والخائفون من عذابه، يعلمون علمًا يقينًا أن الله جَلَّوَعَلَا هو المصرِّف والحافظ والمجير، الذي من التجأ إليه التجأ إلى حمى قوي متين، ومن اعتمد عليه اعتمد على من لا يُهان جاره، فيستجيرون به ويكررون ذلك.

فاحرص -يا أخي- على تدبر الأذكار وما فيها من الفضائل، وقد كان المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ»[(٢)]. ولك في رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة، فاحرص على ذلك لعل الله أن ينفعك، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيده النفع، وإليه جَلَّوَعَلَا مصير الأشياء كلها، ما عليك -يا أخي- إلَّا أن تستجير به، وأن

---

(١) أخرج البخاري (١١٩٨)، ومسلم (٧٦٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ خَالَتُهُ، قَالَ: «فَاضْطَجَعْتُ عَلَى عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ فَمَسَحَ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ آيَاتٍ خَوَاتِيمَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي».

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٧) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

تكثر من ذكره؛ ليطمئن قلبك، وترتاح نفسك، ويحفظك خير الحافظين جَلَّ وَعَلَا.

واحرص على تجنب ما يُسمَّى بالأذكار الفلانية، فإن الله أغنانا بالأذكار النبوية عن أذكار سائر الناس، فإن أحدًا لم يؤتَ جوامع الكلم كما أوتيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطاه الله جوامع الكلم[1]، يقول الكلمات القليلة وفيها من المعاني التي لو أراد الإنسان أن يتكلم ويأتي عليه الساعات الطويلة ربما لا يأتي على المعاني التي جمعها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ألفاظ قليلة، فالأذكار الواردة عنه هي الخير والفلاح والنجاح.

أما الأذكار التي يتلوها كثير من مشائخ الطرق إذكار إن كان فيها خير ففيما ثبت عن سيد الخلق أضعاف ذلك، ولو لم يكن فيها إلا الصد عن الأذكار الصحيحة الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكان على العاقل الابتعاد عنها والنفور منها.

فاحرص -يا أخي- إذا جاءك ذكر أن تسأل من روى هذا الذكر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي أي كتاب، فقد يسَّر الله لنا وهيَّأ الأسباب التي تزرع الثقة في نفوسنا بما نجده من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن شريعتنا حُفظت، فقد حفظ الله القرآن الكريم بحفظه جَلَّ وَعَلَا، ويسَّر لسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجالًا أمناء، وعلماء حفَّاظًا، نقلوها وأبعدوا عنها كل شيء يمكن أن يعلق بها، فجاءت السنة الصحيحة بيضاء نقية يشعر الإنسان بنضارتها، وعلى الإنسان أن يقرأ الكتب المؤلفة في هذه الأذكار، وهي بحمد

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه مسلم (٥٢٣).

الله متيسرة.

أسأل الله القدير العليم أن يمنحنا أجمعين ألسنة ذاكرة، وقلوبًا حيَّة مستغفرة، ونفوسًا مطمئنة، وأن يهيئ لنا من أسباب الرحمة ووسائل المغفرة ما لا نستطيع له جلبًا، أسأله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يغفر لنا في هذا المكان أجمعين، وأن يتوب علينا بمنِّه وكرمه، فإنه التواب الرحيم.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يختم لنا شهرنا هذا بخير ما يختم لعباده الصالحين، وأن يرزقنا استدراك ما فات، والمثابرة لما بقي، والجد والاجتهاد، وأن يجعلنا في سجل أهل الرحمة والمغفرة والعتق من النار، بمنه جَلَّوَعَلَا وكرمه، ونسأله بأسمائه وصفاته أن يرحمنا، ويرحم والدينا وآباءنا، ومن له صلى بنا، وإخواننا، وجميع أقاربنا، وجميع إخواننا المسلمين.

نسأله بأسمائه وصفاته أن ينشر على أمة الإسلام ظل الأمن والأمان، والرفاهية ورغد العيش وصلاح الحال، وأن يقيها الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يصلح لنا العمل، وأن يهديها صراطه المستقيم، ونسأله جَلَّوَعَلَا أن يشبع جائع المسلمين في كل مكان، ويكسو عاريهم، وينصر مظلومهم، ويعز ذليلهم، ويقهر ظالمهم، إنه جواد كريم قوي متين، اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح ذريتنا وأزواجنا، وتب علينا، وأصلح قادتنا في كل مكان، واهدهم الصراط المستقيم، وثبتهم بالحق وثبت الحق بهم يا كريم، وارزقهم القيام بأمرك، ونصرة دينك، والدعوة إليك، وإعزاز الدعاة إلى سبيلك، يا إله العالمين، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، واجمع كلمتهم وارزقهم التعاون على البر والتقوى، والتشاور فيما بينهم بما يُعلي شأن هذه الأمة يا جواد يا كريم، وخص اللَّهُمَّ بمنك وكرمك وجودك ولاة أمر هذا

البلد بمزيد من التوفيق والتسديد، والهداية والرشاد، والصلاح والاستقامة، واجعلهم من خير عبادك المتقين ذوي القيادة يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ أصلح بلادنا ووفق ولاة أمرنا للتعاون مع سائر إخوانهم على البِرِّ والتقوى، وامنحهم القوة في الحق، والصرامة فيه، وكبح جماح الباطل، يا إله العالمين، اللَّهُمَّ أمِّن بهم ربوع هذه البلاد، واحفظ بهم أمنها، ويسِّر بهم السبل المؤدية إلى هذه الأماكن يا أكرم الأكرمين، وجازهم وكافئهم على ذلك ونحن معهم بخير ما تكافئ به عبادك الصالحين.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصرهم وثبتهم، اللَّهُمَّ عاجلهم بالنصر والتمكين، اللَّهُمَّ أحل بأعدائهم أعداء الدين الهزيمة المتتابعة، اللَّهُمَّ امنح للمسلمين رقاب الكفرة وأموالهم، وسلط عبادك الموحدين على أعدائك الكافرين يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ أذل اليهود وسائر طوائف الكفر والإلحاد والباطنيين في كل مكان من الشيوعيين والملاحدة، يا إله العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

بَابُ الرَّيَّانِ[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم واتبع سنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

نتكلم في بعض أركان الإسلام التي عليها تدور أحكام الدين، وبها يكمل للمرء الإسلام، بتحريها وأدائها والمحافظة عليها يفوز بدخول جنة الرب جَلَّ وَعَلَا، فتلك فيما يتعلق بالصيام، وقد خصَّ الله جَلَّ وَعَلَا بابًا في الجنة لا يدخله إلا الصائمون، تكريمًا لعباده الصائمين الذين يتركون ملذاتهم ومشتهيات أنفسهم طاعة لله جَلَّ وَعَلَا، وتقربًا إليه، وامتثالًا لأمره، ذلك الباب يُسمَّى باب الريان، لا يدخل منه إلا أهل الصيام، فإذا استكملوا أغلق ذلك الباب.

وكما أن كل من كان له اختصاص كثير بالأعمال في الإسلام ربما يُدعى من عدد من الأبواب، فقد كان المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسًا مع أصحابه فقال: **«مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»**، أي: الذين يتطوعون بالصوم يدعون من باب الريان، وأهل الصلاة الذين يكثرون من التطوع بالصلاة يدعون من باب

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٥/٩/١٤٠٨هـ.

الصلاة، وأهل الصدقة يدعون من باب الصدقة، وهكذا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: **«نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»**(١).

فإذا ضرب المسلم في كل مجال من مجالات الإحسان والعمل الصالح بسهم وافر، رُجي أن يكون من الفائزين بالدعوة عند أبواب الجنة.

يا عبد الله: هَلُمَّ، فمن أكثر من النوافل في الصلوات، ومن النوافل في الصدقات، وأكثر من النوافل في الصيام، ومن سائر العبادات، فهو حريٌّ بأن يُنادى من سائر أبواب الجنة، نسأل الله ألَّا يحرمنا دخولها.

المسلم عليه أن يعتني بأركان دينه، وأن يجتهد في التقرب إلى ربه بنوافل العبادات، حتى تكون هذه النوافل سندًا له وعونًا -بإذن الله جَلَّوَعَلَا- عند انعقاد المشاكل، وتأزم المشاكل، وتصعد الأمر، فإن الإنسان إذا ضاقت عليه الأمور، واشتدت عليه الخطوب، وضاقت عليه المسالك من كل جهة، جاءه الفرج من الكريم الأكرم بسبب صلاحه واستقامته، فهيأ الله جَلَّوَعَلَا له النجاة من المآزق؛ كما جاء في الحديث الصحيح في قول المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لابن عمه عبد الله ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا حينما أوصاه فقال: **«يَا غُلامُ، إني أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ**

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[١]، وفي لفظ: **«تَعَرَّفْ إليه في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ»**[٢].

وهذا موطن الشاهد أن تعرف الله في حال صحتك فتبادر إلى الأعمال الصالحة، وأن تحرص في حال غناك فتسعى للإحسان على عباد الله، وأن تسعى في حال شبابك وقوتك وتغتنم هذه الفرصة، فإن الفرص قد تكون مواتية في وقت وغير مواتية في وقت، فاغتنم فرصة الأمان والاطمئنان وارتياح النفس وسلامتها من الهموم، فتفزع إلى المولى جَلَّ وَعَلَا متقربًا متضرعًا مبتهلًا بين يديه؛ لعلمك أن ساعات الرخاء تنقلب في وقت آخر إلى ساعات شدائد، وساعات التمكن تتحول في أوقات إلى استحالة، والقدرة تتحول إلى عجز، وهكذا سنة الله في عباده، فاللبيب العاقل هو المغتنم للفرص، العامل كلما سنحت له أسباب عبادة وعمل فرح بها، وبادر إليها، كما أمر بذلك سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ يقول: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ»**[٣].

فالإنسان لابد أن يعتني بذلك، ولابد أن تأتيه العوائق: شباب يزول ويتحول إلى هرم، وصحة تتحول إلى مرض، وغنى يتحول إلى فقر، وحياة إلى موت، وفتن متلاحقة مصبحة ممسية، تجعل الحليم الرزين رابط الجأش ثابت القلب قلقًا متزعزعًا، يدرك ذلك كل من عاش في الفتن، ورأى المصائب

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٩)، والترمذي (٢٥١٦)، والحاكم (٣/ ٦٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٧٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٩).

(٣) أخرجه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

والمحن في كثير من البلاد، حينما يتعرض عباد الله للامتحان والبلاء والفتن.

إنَّ كثيرًا من النعم يجهلها كثير من العباد؛ لعدم معايشتهم ضدها، فالصحيح الذي طول عمره في صحة لا يُقدِّر قَدْرَ المرض، والغنيُّ الذي نشأ في طفولته في بيت غِنى لا يعرف قَدْرَ الفقر والفاقة والحاجة، والذي نبت في الأمن وتربى في ربوعه، وأظلته أفنانه الوافرة، لا يعرف أيام الهلع والقلق، ولباس الجوع والخوف، تُصبِّح الإنسان المصائب وتمسيه المتاعب، وتطارده الويلات والنكبات، لا يعرف كثير من عباد الله كثيرًا من نعم الله.

فالمسلم ينبغي له أن يحمد الله جَلَّ وَعَلَا، إن بعض الناس يعبدون الله على خوف وقلق، يخافون أن يشاغلوا وهم يمارسون الطاعة، وإذا أقاموا سنة وجدتهم يترقبون أعداء الله أن يبيتوهم أو يمسوهم، فالإنسان ينبغي له أن يأخذ من هذه الأيام والحالات التي هو فيها قادر على العمل استعدادًا لأيام الشدائد، **«تَعَرَّفْ إليه في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ»**.

إن كثيرًا من عباد الله -يا عباد الله- تمسيهم المتاعب وتصبحهم، وينتظر أحدهم الموت صباح مساء، يلقاهم الموت في الشارع، يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت، فأنت إذا عشت سعيدًا معافًى آمنًا في رغد عيش، فإن ذلك كله من الله جَلَّ وَعَلَا، ولو أنك وُكِلت إلى حولك وقوتك لكنت أذل من الذين أصبحوا كما يُقال: ريشًا في مهب الرياح، تعصف بهم رياح الفتنة من هنا وهناك، نسأل الله الأمن والأمان.

فعليك -يا أخي المسلم- أن تغتنم أيام هذا الشهر المبارك وليالي هذا الشهر المبارك بالمتاجرة مع الله، وإحسان الصلة بالله، والاستعداد للمستقبل قبل أن يقول القائل منَّا: لقد فَرُطَتْ منَّا أيام الراحة والأمل، وقد تسربت منَّا

ساعات التمكن والقدرة، ولكن عند ذلك لا ينفع الإنسان تسويف ولا ندم، فليتق اللهَ العبدُ المسلم، وليراقب نفسه، فإن النفس أمارة بالسوء تحتاج إلى رقيب حاذق، بصير بالمخالفات، عارف بكل مخالفة، يحاسب نفسه كلما ارتكبت مخالفة، ويحمد الله كلما استقامت وأدت عملًا من أعمال الطاعة.

إن العاقل اللبيب يأخذ من أعمال التجار الناجين قدوة وأسوة، فإنهم إذا أمسوا راجعوا حساباتهم، وتفقدوا أنواع بضائعهم، فما كان مرغوبًا في الأسواق مطلوبًا للناس استكثروا منه، وما كان مهملًا تجنبوه، وإذا وجدوا أسباب خسارة في مكان ما لم يعودوا إليه مرة أخرى؛ لأنهم إنما يسعون لأرباحهم، ويجتهدون في ترويج بضائعهم، وكذلك ينبغي أن تكون أيها المسلم، كلما أحسست من فتور في مكان تحولت إلى آخر، وكلما رأيت من صحبة سوء التمست أصحابًا يعينوك على طاعة الله، وكلما ابْتُليت بذنب ومحنة وفتنة علمت أن هذا بسبب تفريطك فيما مضى، فأكثرت من التوبة والاستغفار والابتهال بين يدي الملك الغفار، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا علم بصدقنا بالتوبة، وإقبالنا عليه، وندمنا على ما مضى، بدل سيئاتنا حسنات، فهو الغني الحميد، وهو الكريم الجواد.

احرص -يا أخي- لقد بدأنا في ليالي وأصبح شهرنا يتحول بسرعة، ولياليه في تسرب، وأيامه في رحيل مستمر، فاملأ خزائنه بما تحب أن يسرك، فإن الليل والنهار خزانتان للعبد يملأهما أهل الحزم واليقظة والاجتهاد، يملؤون الليالي والأيام بالأعمال الصالحة، وأما أهل التفريط فيغتنمون لياليه بالعبث والفجور والغفلة عنه، فيسيحون في الأرض ويعيثون فسادًا، وإذا

جاءهم النهار فرُّوا إلى فرشهم نائمين، لا يقومون لصلاة، ولا يهتمون بتلاوة كتاب، وإنما هم أشبه ما يكونون بالبهائم التي ليلها سهر وعمل ولهو ونهارها نوم، أشبه ما يكونون بالكلاب، إلا أن الكلاب لا حساب عليها ولا عقاب.

فينبغي للمسلم أن يدرأ بنفسه عن كل خصلة رديئة، وعن كل عمل وبيل، وأن يتقرب إلى الله جَلَّوَعَلَا بالعمل الصالح الذي يرجو ثوابه عند ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

أخي المسلم، اجتهد في الطاعة، وسابق الناس، واحرص على أداء الصلوات مع الجماعة، واحرص على أداء التهجد مع الإمام في المساجد، وإياك وترك شيئًا من التهجد مع الإمام؛ لأنك إذا تركت شيئًا في ليلة انجرت لك العدوى في ليالٍ أُخر، وإذا وطَّنت نفسك على الصبر والثبات والصلاة مع الإمام إلى أن ينصرف أعانك الله، وكتب لك كأنما سهرت ليلك كله فضلاً من الله جَلَّوَعَلَا وإحسانًا[1]، فاغتنم -أيها المسلم- فضل الله وإحسانه.

أسأل الله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يمنحنا جميعًا الصبر والثبات على الحق، والتمسك بحبله المتين، والعض على ديننا بالنواجذ، وأن يعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وألَّا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يأخذ بأيدينا إلى ما يحبه ويرضاه، أسأله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته ألا يفرق اجتماعنا هذا إلا وقد غفر ذنوبنا، ورحم ضعفنا، وكفَّر سيئاتنا، وتاب علينا، وغفر لوالدينا،

(١) قال صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إِنَّ الرَّجُلَ إذا صَلَى مَع الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ له قِيَامُ لَيْلَةٍ»**. أخرجه أبو داود (١٣٧٥)، والترمذي (٨٠٦)، والنسائي (١٣٦٤)، وابن ماجه (١٣٢٧) من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وأصلحنا وأصلح ذريتنا وأزواجنا، بمنِّه جَلَّوَعَلَا وكرمه، فهو صاحب الكرم والجود والإحسان.

اللَّهُمَّ يا إله العالمين، يا من تعرضت لعبادك وندبتهم لدعائك وقلت وقولك الحق: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]، اللَّهُمَّ إنا ندعوك فأجب دعاءنا، اللَّهُمَّ إنا نسألك فأعطنا، ها نحن نستغفرك فاغفر لنا ذنوبنا، اللَّهُمَّ اغفر لنا ذنوبنا، وكفِّر عنَّا سيئاتنا، وتولَّنا يا ذا الجلال والإكرام، وأعزَّنا بدينك، ولا تذلنا بالمعاصي، إنك أكرم الأكرمين يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ أصلح المسلمين في كل مكان، واجمع شملهم على الحق، وأصلح ذات بينهم، واكفهم شرور أهل الشر يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلحهم، واهدِ ضالهم، وأشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وانصر مظلومهم، وأعز نبيهم، ووفق دعاتهم للحق، وافتح القلوب لدعوة الحق يا ذا الجلال والإكرام، وانصر المجاهدين في كل مكان، وعاجلهم بالنصر والتمكين، وسلطهم على أعدائك أعداء الدين، يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ أصلح قادة المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ وفقهم للتعاون على البرِّ والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، اللَّهُمَّ شد أزرهم، واجمع كلمتهم، واجعل قولهم وعملهم خالصًا لوجهك، اللَّهُمَّ أصلح بهم قلوب العباد والبلاد، اللَّهُمَّ انصر بهم الحق وانصرهم بالحق يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ خُصَّ ولاة هذا البلد بمزيد من التسديد والهداية، والصلاح والرشاد، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بطانتهم، وأكثر من أعوانهم على الحق يا ذا الجلال

والإكرام، اللَّهُمَّ قوي عزائمهم، اللَّهُمَّ امنحهم خوفك ورجاءك والإنابة إليك في السر والعلانية، اللَّهُمَّ أصلح منهم الأقوال والأعمال، ووفقهم يا حي يا قيوم للمحافظة على أمن هذه البلاد، وتأمين السبل المؤدية إلى بيتك العتيق ومسجد رسولك الكريم يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ كافئهم في الدنيا بالعزِّ والتمكين، والنصر على الأعداء، وفتك كل من يريد أن يناوئهم يا ذا الجلال والإكرام، وكافئهم ونحن معهم في الدنيا والآخرة بالحسنة والإحسان والفوز بالرضوان، ودخول جنتك يا أكرم الأكرمين يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى، اللَّهُمَّ أذل الشيوعيين والملاحدة، اللَّهُمَّ أذل الباطنين والمجوس في كل مكان يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أرنا بمن أراد الإسلام والمسلمين بسوء عجائب قدرتك، وسلط عليه من هو أقوى منه، واجعله عبرة للمعتبرين يا ذا الجلال والإكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على الهادي الأمين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

❁ ❁ ❁

ثَمَرَاتُ الاسْتِغْفَارِ[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديهم، وتمسك بسنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

سبق التحدث عن الذكر وأهميته وفائدته للإنسان في دينه ودنياه، وفائدته في حفظ الإنسان من متاعب الدنيا والآخرة، وإن من الذكر الاستغفار، وقد أمر الله جَلَّوَعَلَا به في كتابه الكريم على ألسنة رسله، وبيَّن أن الاستغفار سبب لرغد العيش وتكاثر الخيرات، واندفاع البلايا والمصائب، يقول الله جَلَّوَعَلَا على لسان نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]، والآيات في ذكر الاستغفار كثيرة؛ ولذلك أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُختم المجلس بالاستغفار، فإن كان مجلس خير وذكر وطاعة لله جَلَّوَعَلَا كان الاستغفار طابعًا لذلك وخاتمًا عليه، وإن كان مجلسًا مخلطًا ومختلطًا باللغو وسائر الكلام، كان الاستغفار ماحيًا لذلك أو لما في ذلك المجلس من الذنوب[٢].

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٦/٩/١٤٠٨هـ.

(٢) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسِ خَيْرٍ وَمَجْلِسِ ذِكْرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»، أخرجه أبو داود (٤٨٥٧)، وابن حبان (٢/٣٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومما جاء في الأحاديث من أمر الاستغفار ما ثبت في "الصحيح" أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»**، يقول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»**[١].

كلمات محدودة بألفاظ معدودة يقولها العبد موقنًا بأن محتواها حق من الله، معتمدًا على الله، متوكلًا عليه، يفوز بدخول الجنة إن وافته منيته قبل صبيحة تلك الليلة التي تُقال فيها، أو قبل مساء اليوم الذي تُقال فيه، فأيُّ غنيمة أعظم، وأيُّ فائدة أجلُّ؟! يضمن الإنسان بكلمات يقولهن مع ثقته بالله وبما أخبر به رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لفضل عظيم! النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[٢]، ومع ذلك كان يستغفر في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة، وكان يأمر بالتوبة ويقول: **«إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»**[٣]، هذا موقفه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أن الله

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٦) من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) قال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) من حديث الأغر المزني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قوله: **«لَيُغَانُ على قَلْبِي»**، قال النووي في شرحه على مسلم (١٧/ ٢٣): «والمراد هنا ما يتغشى القلب، قال القاضي: قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذى كان شأنه الدوام عليه، فاذا فتر عنه أو غفل
=

جَلَّ وَعَلَا ضمن له مغفرة الذنوب كلها سالفها وقادمها، فهل يليق بالعبد الذي لا يدري هل قُبل له عمل، وهل استجيب له دعاء، وهل صدق في توبة يتوبها أن يغفل عن هذا الذكر؟!

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انصرف من صلاته يبادر بأن يقول: استغفر الله، ثلاثًا[١]، وهذا فيه اعتراف وإعلان بأن العبد مهما عمل من طاعة الله جَلَّ وَعَلَا فهو مقصر، يحتاج لأن يستغفر الله من تقصيره، مع أن هذه اللفظ -الاستغفار- سبب لحط الذنوب ومحو السيئات، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»**[٢]. والشاهد هنا قوله: **«فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ»**، أمَّا من أذنب فغفل وأساء فأعرض، وعصى الله فلم يشعر بالمعصية، فهذا مع الخاسرين، إلا إن تداركته عناية الله جَلَّ وَعَلَا، وأدركه لطفه، فتاب إليه صادقًا، فإن الله يبدل للتائبين سيئاتهم حسنات.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر في أحاديث كثيرة عن أثر الاستغفار، بل جاء في حديث صحيح عن الله تعالى أنه قال: **«أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ**

=

عدَّ ذلك ذنبًا واستغفر منه...».

(١) عن ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انْصَرَفَ من صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاَثًا، وقال: **اللَّهُمَّ أنت السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالْإِكْرَامِ**» أخرجه مسلم (٥٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ» فتكرر ذلك من العبد، والله جَلَّ وَعَلَا أكثر تكريرًا للرحمة، ثم قال: **«اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»**(١)، يعني: إذا كان يصدق في التوبة ويندم سريعًا، ليس كحالنا -إِلَّا مَنْ لَطَفَ الله به- يذنب أحدنا الذنوب الكثيرة ولا يشعر أنه أذنب وأنه بحاجة إلى الاستغفار، فالاستغفار المتكرر يمحو الله به جَلَّ وَعَلَا السيئات والخطايا.

فليحرص المسلم -يا عباد الله- على الإكثار من التوبة وتكرارها؛ اقتداءً بسيد الأولين والآخرين الذي كان يستغفر في المجلس الواحد مائة مرة؛ كما ثبت في الحديث الصحيح عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: **«رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»**(٢)، ففي المجلس الواحد يكرر الاستغفار أكثر من مائة مرة، مع ما حباه الله جَلَّ وَعَلَا وأكرمه به من مغفرة الذنوب، وربما أتى على أحدنا اليوم والأيام ما تذكر ليستغفر الله، وإن استغفر بلسانه فالقلب معرض غافل!

اغتنم -أخي المسلم- هذه الساعات، هذه الأيام القليلة والليالي الكريمة الشريفة، واملأها بالاستغفار والتوبة، وكرِّر ذلك، فقد علمت أن الاستغفار سبب لسعة الرزق، ونزول الغيث، وكثرة الخيرات، وحصول البنين والبنات، والجنات والأنهار؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا فيما حكى عن نبيه نوح وغيره في آيات

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، والنسائي في الكبرى (٩/ ١٧٢).

القرآن الكريم.

فاستغفار الله جَلَّوَعَلَا من جوالب الرزق، ودوافع البلاء، ومكفِّرات الخطايا والسيئات، ورافعات الدرجات للعبد، وكما سبق ذكره عن سيد الاستغفار، فلابد من الإيقان بأن الله جَلَّوَعَلَا هو ربنا وخالقنا، وأنه هو الذي لا إله إلا هو، وأننا نقر بنعمه، فمعنى (إني أتوب إليك) أعترف وأقر وأشهد أن ما بي من نعمة فمنك، كما أعترف وأقر بالذنوب التي أعلم بعضها ولا أعلم البعض الآخر، فإن الإنسان لا يدري بذنوبه كلها؛ لضعف الإيمان، وتعطل الميزان في قلبه، فإن الإيمان لو كان قويًّا لكانت باصرة القلب نافذة، وبصيرته كاشفة كل السيئات، لكن لكثرة الذنوب والخطايا والرين[1] على كثير من القلوب، لا يدري العبد بما ارتكبه من سوء، أو أجرم فيما بينه وبين ربه جَلَّوَعَلَا، بل ربما يمارس ذنوبًا كثيرة ما شعر أنه أذنب، وإنما تختلف أحوال الناس، فكلما كان القلب أكثر غفلة وأشد شأنًا كلما كانت عظائم الأمور لا يحس بها أي إحساس، وكلما كانت الحياة في القلب أقوى والبصيرة أنفذ كلما كان القلب أعرف بما يرتكبه العبد من الخطايا، وكان القلب محتاجًا دائمًا إلى معالجة ليتنبه مستقبلًا، ويكثر من الاستغفار والتوبة إلى ربه جَلَّوَعَلَا.

وذلك يكون بمعاودته بآيات القرآن الكريم والذكر الحكيم، وكثرة

---

(١) الرَّيْنُ: الطَّبْع على القلب. رَانَ يَرِينُ على قَلبه، أي: طُبِع، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]، قال الحَسَن: الذّنب على الذّنب حتّى يَسْوَدَّ القلب. وقال أبو عبيد: كل ما غلبك فقد ران بك، ورانك، وران عليك. يُنظر: العين للخليل (٨/ ٢٧٧)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٦٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٩١).

الاستغفار والتوبة، والأكل مما أحلَّ الله، وتجنب ما حرَّم الله جَلَّ وَعَلَا من سائر المكاسب، إذا حصل ذلك للعبد أنارت بصيرته، وأشرق قلبه وامتلأ من نور الإيمان، فأصبح مذكرًا مصرِّفًا لهذه الجوانب، فإن القلب -يا عباد الله- في البدن كالملك والرئيس والمسؤول الأول في الحياة، كما قال سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»**[1].

هذا القلب في أمس الحاجة لأن تتعاهده بالمقويات والمنبهات؛ حتى لا ينام نومة الغافلين، وحتى لا يُصاب بمرض لا شفاء له منه، فإن المرض القاتل مرض الاعتقاد، ولكن المعاصي أمراض تأتي وتزول إذا يسَّر الله للعبد أن يتناول مزيلتها، وإذا فرَّط وأهمل تمادت ظلماتها حتى ينقلب القلب والعياذ بالله ويغفل عن الاستغفار والتوبة، ويعرض عن الطاعة والإنابة، ويصبح قلبًا فاسدًا، لا يصرف الأعضاء والجوارح والحواس إلا فيما يغضب الله جَلَّ وَعَلَا، ويسبب عقابه وغضبه، والموفق من وفقه الله، والمعصوم من عصمه الله.

فاجتهد -أيها المسلم- وأكثر من الاستغفار والتوبة، وكرِّر ذلك في كل مجلس من مجالسك، سواء كانت هذه المجالس مجالس خير وذكر وطاعة لله جَلَّ وَعَلَا، أو كانت سوى ذلك، فإن كانت مجالس خير كان ذلك قفلًا عليها بأن لا يُعتدى عليها، وإن كانت مجالس سوء كان ذلك الاستغفار ماسحًا لها ومزيلًا، وهذا من نعم الله علينا ورحمته بنا أن يسر لنا أمورًا سهلة خفيفة يسيرة على ألسنتنا، لا ترهق أجسادنا، ولا ترهق أموالنا، ولا تستغرق أوقاتنا، بل هي

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تأتي في أيسر ما يكون، ومع ذلك لها من الأفعال والآثار الحميدة ما لا يعلمه إلا الله، فاحمدوا ربكم على هذا التوفيق، واشكروه شكر العارفين بنعمه، الراجين ثوابه، الخائفين من عقابه.

إن هذه الأيام -يا عباد الله- أيام متجارة، وأيام غنائم، وأيام أرباح جليلة للرجال والنساء، ويحتاج الإنسان لأن يُقبل على الله جَلَّ وَعَلَا، ويحرص غاية الحرص لأن يفوز بعطايا ربنا سبحانه ومنحه، ومِنْ أَجَلِّ المنح: أن يهدي قلوبنا، وأن يصلح لنا الأعمال والأقوال، وأن يصرفنا عن كل سوء، وأن يصرف عنا كل سوء، وهذا متيسر إذا صدق العباد فأقبلوا على الله، وأنابوا إليه واستغفروه، يهديهم جَلَّ وَعَلَا، ويصلح لهم قلوبهم وأعمالهم، ويتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم.

أسأل الله الكريم الجواد، مجيب السائلين، غافر ذنوب المذنبين أن يغفر لنا في هذا المكان أجمعين، وأن يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء، اللَّهُمَّ يا من إليه المرتجى، اللَّهُمَّ يا من لا يعوقه عائق، يا قاضي الحاجات، اقضِ حاجة كل مسلم، واغفر ذلَّة كل مسلم، وارحم ضعف كل مسلم من عبادك المسلمين الصادقين، اللَّهُمَّ تب على التائبين، واغفر ذنوب المذنبين، واقضِ الدين عن المدينين، وفرِّج هم المهمومين، وفرِّج كرب المكروبين يا إله العالمين من عبادك المسلمين.

اللَّهُمَّ أنت الله الذي لا إله إلا أنت املأ قلوبنا بالإيمان، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وارزقنا كثرة الاستغفار، وكثرة التوبة، وكثرة الإنابة إليك، والحرص على الأعمال الصالحة يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّ المسلمين، وأشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وانصر مظلومهم، وأعزَّ ذليلهم

يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أصلح قادتنا، اللَّهُمَّ أصلح قادة أمتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ ارزقهم خوفك ورجاءك والإنابة إليك، اللَّهُمَّ حبب إليهم الطاعة، وكرِّه إليهم المعصية، وارزقهم الحكم بما أنزلت، والرجوع إلى كتابك وسنة نبيك يا ذا الجلال والإكرام، واجمع كلمتهم، ووحد صفهم، وسدد خطاهم، وانصرهم على أعدائك أعداء الدين، يا إله العالمين، اللَّهُمَّ أصلح بهم البلاد والعباد، واملأ بلدنا في كل مكان من نور التقى، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ أظل أمتنا بظل الأمن الوافر، وظل رغد العيش، والاستغناء بك وبما تجلب لعبادك عن خلقك يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ خُصَّ ولاة هذا البلد بمزيد من التوفيق والتسديد والهداية والرشاد والصلاح والاستقامة، اللَّهُمَّ حبب إليهم طاعتك، وارزقهم خوفك في السر والعلانية، والعمل لما يرضيك، اللَّهُمَّ أصلح بهم العباد والبلاد، وادفع بهم عنَّا كل شر يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ انصرهم بالحق وانصر الحق بهم، وارزقهم القيام بأمرك، وشدِّ أزر أهل الخير في كل مكان، ومعاونة الدعاة إليك والمجاهدين في سبيلك في كل مكان، يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ أمن بهم هذه البلاد، وأمن بهم السبل المؤدية إلى هذا البيت، وإلى مسجد رسولك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ احفظ بهم أمن كل قادم لهذه البلاد ومقيم ووافد إليها، وارزقهم يا إلهنا اليقظة والبصيرة والعزيمة الصادقة، وأكثر لهم من أسباب السعادة والفلاح، وانصرهم على القوم المجرمين يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ اخذل اليهود والمجوس والنصارى والشيوعيين والملاحدة وسائر الكفرة في كل مكان، وانصر المجاهدين في سبيلك المجاهدين عن حمى أوطان

المسلمين يا رب العالمين، اللَّهُمَّ عاجلهم بالنصر والتمكين، وسددهم وسدد سهامهم وثبت أقدامهم، وانصرهم على القوم الكافرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الحَجُّ إلى بَيْتِ اللهِ[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديهم، وتمسك بسنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

آخر أركان الإسلام أداء الحج، والله جَلَّ وَعَلَا برحمته الواسعة يسَّر على عباده، فجعل الحج إنما يجب في العمر مرة واحدة لطفًا بالعباد وتيسيرًا عليهم وتسهيلًا لهم؛ لأنه جَلَّ وَعَلَا ما جعل على الناس في الدين من حرج؛ ولأن الحج يجتمع فيه بذل المال والنَّصَب والتَّعب عَظُمَ ثواب من أخلص فيه لله العمل، وتجنب المحرمات والمكروهات، وبرَّ في حجه، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ حَجَّ هذا الْبَيْتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَعَ كيوم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**[(٢)]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لـمَّا ذكر فضائل الأعمال: **«وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ ليس له جَزَاءٌ إلا الْجَنَّةُ»**[(٣)].

وللحج مواقيت زمانية جعلها الله، ومواقيت مكانية بينها وحددها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولابد من الحج في الوقت الزماني، ولابد لمن جاء من مكان ما من الدخول في النسك في التوقيت المكاني؛ ليأتي وقد تخلَّى عن كثير من مظاهر الدنيا، وأتى متجردًا من ملابسه المعتادة متفائلًا بذلك من التجرد من سائر المعاصي والسيئات، ويشعر سائر الناس حال الإحرام بالسواسية فيما

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/١٦هـ.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢١، ١٨١٩)، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بينهم، فكلهم لآدم وآدم من تراب[١]، وإنما أكرم العباد عند الله أتقاهم، كما قال جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

فليس الكرم بعلو المنزلة في الدنيا بالمال، أو بالجاه، أو الوظيفة، أو قوة البدن، أو غير ذلك من صفات الدنيا، وإنما الكرامة عند الله لأهل التقوى الذين يخافون الله جَلَّ وَعَلَا في السر والعلانية، الذين إذا ذُكرت آيات الله زادتهم إيمانًا، وإذا ذكر الله وجلت قلوبهم -أي: اهتزت- إعظامًا لله جَلَّ وَعَلَا[٢]، وشعورًا بالهيبة، واستشعارًا لعظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وشدة حاجة العباد إليه.

إذا عرفنا هذه الأركان في ديننا فإن الإيمان الذي هو أساس كل عمل والذي يقول عنه الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، يزيد بالإكثار من الطاعات، ويضمحل ويتناقص بالإكثار من المعاصي، فإذا رأيت إنسانًا أكثر خشية لله وأعظم تركًا للمحرمات، وأكثر رغبة في أداء الطاعات، فاعلم أن إيمانه قوي، وأن قلبه مشبع بالإيمان، وإذا رأيت متكاسلًا عن الواجبات، ومضيعًا لفرائض الدين، مهملًا ما أمر الله به، جريئًا على ما حرَّم الله، فاعلم أنه كاد أن ينسلخ من الإسلام.

---

(١) قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ من تُرَابٍ**» أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي واللفظ له (٣٩٥٦)، وأحمد (١٤/ ٣٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

ولذلك فإن العبادات من الإيمان، فالصلاة من الإيمان، والزكاة من الإيمان، والصوم من الإيمان، والحج من الإيمان، وكل الأعمال التي يتقرب العباد بها إلى الله جَلَّ وَعَلَا من الإيمان، وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أعلاها: قَوْلُ لَا إِلَهَ إلا الله»**، هذه قمة شُعب الإيمان، وهي الأساس لكل عمل، وبها الفوز والنجاة من عذاب الله، **«وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عن الطَّرِيقِ»**، تمر في طريق المسلمين وترى حجرًا ولو صغيرًا يوشك أن يعثر به إنسان أو تطأه عربة نقل فيؤثر عليها أو ينزلق عليه أحد فيصيبه، فتزيل ذلك تقربًا إلى الله جَلَّ وَعَلَا، أو تجد غصنًا في الطريق يتأذى به المارة فتزيله، ونحو ذلك، هذه من شُعب الإيمان، **«وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الْإِيمَانِ»**[1]، ومن استوفى شعب الإيمان كلها عاملًا بها آملًا ثوابها راجيًا من الله التوفيق لها حاز كمال الإيمان.

«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أعلاها: قَوْلُ لَا إِلَهَ إلا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عن الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الْإِيمَانِ»، فمن وُفِّق لمعرفة هذه الشعب، والعمل على أدائها، والتبرؤ مما ينقصها أو يؤثر عليها، فهو حريٌّ بأن يكون استكمل الإيمان، إلَّا أن كمال الإيمان مطلب صعب، ومنزلة عالية، وإنما هو درجات؛ ولذلك لمَّا قال قوم في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آمنا، قال الله لهم: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، والإنسان إذا ارتكب معصية من المعاصي سيئة خرج من الإيمان منه؛ ولذلك قال سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي**

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[(١)].

الإيمان لا يجتمع مع المعاصي اجتماعًا تامًّا، فإذا ارتكب الإنسان معصية كبيرة والذنب العظيم تخلَّى عنه الإيمان، فإذا أقلع عن الذنب أو تجاوزه عاد إليه إيمانه، فإمَّا أن يعود قويًّا **قد** اقترن بالتوبة والاستغفار والندم على ما سلف، والعزيمة ألا يعود إلى الذنب، فيعود إيمانه قويًّا متينًا، وإن أقلع عن المعصية وهو مفكر في عودته إليها فالإيمان يعود ضعيفًا، وقد تتراكم هذه الخطايا وتتضافر فيما بينها حتى يُطبع على القلب والعياذ بالله، فيصبح القلب قلبًا مطبوعًا عليه لا يعي خيرًا، ولا يطمح إلى هدى، ولا يوجه إلى بِرٍّ ولا طاعة لله رب العالمين.

إن الإنسان يحتاج لأن يقوي إيمانه بكثرة الطاعة والاستغفار، وكثرة التوبة والأعمال الصالحة، وإذا رأى قومًا يعملون عملًا صالحًا فلتحدثه نفسه أن يكون مثلهم، وليحاول مجاراتهم في ذلك أو سبقهم، فإن الإنسان إذا اتجهت نفسه هذا الاتجاه وأخذ يعالجها لتعمل عملًا صالحًا لا تمضي فترة إلا وقد تمكَّن من قيادها وأمسك بزمامها، فقادها إلى ما ينفعه دنيا وأخرى، أما إذا أتبعها هواها وترك لها حبلها على غاربها فإن انقياده لها كعدو يقودها إلى المخازي، ويصرفها إلى ما لا تُحمد عاقبته، ويجرها إلى عار وشنار[(٢)]، نسأل الله السلامة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم واللفظ له (٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الشنار: أقبح العيب والعار، فهو الأمر المشهور بالقبح والشنعة. يُنظر: العين للخليل =

لنا جميعًا.

إن الإنسان إذا وُفِّق فأدى أركان الإسلام فعليه أن يحافظ على ترميم هذه الأركان وصيانتها على أن تتهدم أسوارها، أو يختل بناؤها، أو تُصاب بأمر يزعزع قواعدها، ولاشك أن المعاصي، ومصاحبة أهل الفساد، والرضى بالسمر معهم والأنس بهم، من أعظم ما يزعزع كيان الإيمان من القلب ويهز قواعده، وربما يأتي عليه من أساسه.

فليكن المسلم حذرًا من هذه الأمور؛ ولذلك قال الله جَلَّوَعَلَا في كتابه الكريم: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢]، فإذا كانت موادة الإنسان لأبيه المحاد لله ولرسوله تتنافى مع الإيمان الحق فكيف بموادة من لا تربطك به صلة قرابة ولا عمل، وإنما تجمع بين الاثنين معصية الله جَلَّوَعَلَا، ويؤلف بينهم ارتكاب ما حرم الله؟! إن هذا لهو الخسران المبين.

إن المسلم ينبغي له أن يكون دائمًا متوجسًا، فإن هذه الحياة حياة المحن والابتلاء، وحياة الاختبار، فقد يرتكب الإنسان معصية تجره إلى الهواية، وقد يرتكب طاعة بإقبال عليها ورغبة في موعودها وخوفًا من عذاب الله حال التفريط يكتب الله له بسببها التوفيق والسداد، ويحفظه من بين يديه ومن خلفه، ويهيئ له من أمره رشدًا.

وإن هذه الأيام -أيها المسلمون- وإن هذه الليالي ليالي كريمة، وأيامنا أيام

=

(٦/ ٢٥١)، وغريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ٤٢٩)، وتهذيب اللغة (١١/ ٢٣٣).

جليلة، ضاق على الشيطان فيها المسلك، وانتصرت النفس المسلمة في غالب المجالات عليه، فليتخذ المسلم من هذا الانتصار سلامة في المستقبل، وثباتًا على الحق، وتجنبًا لما يريده الشيطان؛ بأن يداوم على الطاعة، وأن يكثر من التوبة والاستغفار، وأن يزعم ألا يعود إلى ما كان عليه قبل هذا الشهر.

إن كثيرًا من الناس لمَّا دخل شهر رمضان اهتزت في نفوسهم رياح الخير، واستيقظت جنودهم لعمل الطاعة، فالواجب عليهم وقد تاب الله عليهم وهيئ لهم -إذا كان تحققت التوبة- أن يعضوا على هذا الأمر والعمل بالنواجذ، وأن يفرحوا فإنه بفضل الله تفرح القلوب المؤمنة، وتشرق النفوس المسلمة، ويرتاح للخير أهل الخير والتقوى.

فعلى المسلم أن يوطِّن عزمه، ويجتهد في ذلك غاية الاجتهاد، ويكثر من القرب ومن التقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بالإحسان إلى نفسه قبل كل شيء، وذلك بأن يجتهد في طاعة الله، وأن يواظب على فرائض الدين، وأن يجتهد على أداء النوافل، وأن يحرص في ذلك غاية الحرص، وألَّا يحتقر من المعروف شيئًا ولو أن يلقى أخاه المسلم بوجه طلق؛ كما أمر سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]، فإن المعروف متعدد الأطراف والنواحي، ومنه: أن تلقى أخاك المسلم بوجه طلق، ومنه: أن تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، ومنه: أن تشعره بفرحك أن اهتدى، وبغمِّك إذا صُدَّ عن الخير، وحزنك إذا فرَّط في أمر من أمور الله؛ لأن

---

(١) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَحْقِرَنَّ من الْمَعْرُوفِ شيئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»**، أخرجه مسلم (٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ ولا يَحْقِرُهُ»(١)، ولأن أحدنا **«لا يُؤْمِنُ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**(٢)، فكل واحد عاقل يحب لنفسه أن تسلم من المصائب، ويحب لها أن تكون مهتدية، ويحب أن يبقى له عند الله جزاء المحسنين، ويحب أن يكون يوم القيامة ممن يُقال له: خذ كتابك بيمينك، ليفرح بذلك، فأحب لإخوانك ما تحب لنفسك، وكن من خير الناس، فإن الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فلابد لك -أخي- أن توطن نفسك على التقرب إلى الله بكل ما تستطيع، وألَّا تحقر من ذلك أمرًا من الأمور، على الرَّجُلِ أن يفعل ذلك، وعلى المرأة أن تفعل ذلك، عليه إذا رأى في أخيه نقيصة أن ينبهه لها، وأن ينصحه بتجنبها، وعلى المرأة أن تفعل ذلك مع أخواتها المسلمات، على المسلم أن يشعر بأنه في هذا الوجود من عبيد الله الناصحين، وأحب عباد الله أنفعهم لعباد الله من الرجال والنساء، وأعظم النفع -يا أخي- أن يهتدي أحد على يديك، وأن يتوب أحد على يديك، وأن يترك الغواية والفساد أحد بسببك، فقد قال سيد الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأحد الخلفاء الراشدين ابن عمه علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما أرسله لقتال اليهود: **«فَوَاللَّهِ؛ لأن يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»**(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري(١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٤٨)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فهداية إنسان على يديك أفضل لك من نفائس الأموال وكرائمها من أن تحوز قدرًا من المال، إلا أننا نغفل عن ذلك، فأحدنا يفرح إن نابته فائدة دنيوية، أو أدرك مطلبًا من مطالبها، وإذا هو استفيد منه في كلمة عابرة وتنبيه غافل وإيقاظ نائم عن الخير، إذا فعل ذلك لم يشعر بأنه عمل عملًا يفرح به، والإنسان ينبغي له أن يفرح بطاعة الله، وأن يأسى ويحزن على معصية الله، فإن **«مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ»**[1]، ذلك هو المؤمن بحقٍّ، الذي يسر بالحسنات، ويحزن ويستاء للسيئات، إنما ذلك لأنه مؤمن.

فإذا حصل لك ذلك -يا أخي المسلم- أو بعضه فاعلم أن ذلك من فضل الله، فاحرص على الاستكمال، وإن حصل لك كله فاحرص على الثبات، وتعاهده بالتفقد والعناية خشية أن ينفلت منك الأمر في حال غفلة، فإن كثيرًا من الناس يكونون على خير، ثم ما بين عشية وضحاها يغفلون عن العناية بأمر الله والحرص على تفقد أحوالهم، فيجد عدوهم الشيطان ثغرة يلج منها إليهم، فيفسد عليهم حياتهم وآخرتهم، نسأل الله الحفظ والسلامة من كل سوء.

اللَّهُمَّ يا واسع الفضل والجود، اللَّهُمَّ يا أكرم الأكرمين اغفر لنا في هذا المكان أجمعين، اللَّهُمَّ ارحمنا برحمتك واكتبنا في هذه الليلة المباركة من عتقائك من النار يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اغفر لنا واغفر لوالدينا، وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، وأصلحنا وأصلح ذريتنا وأزواجنا وإخواننا وسائر أقاربنا والمسلمين أجمعين، اللَّهُمَّ أنت الله الذي لا إله إلا أنت، أنت جمعتنا في

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في الكبرى (٨/ ٢٨٤)، وأحمد (١/ ٢٦٨)، وابن حبان (١٥/ ١٢٢)، والحاكم (١/ ١٩٧) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا المكان، وأنت العلام بما في قلوبنا، وأنت الموفِّق للموفقين نسألك أن توفقنا لما تحبه وترضاه، وأن تمنحنا بمنِّك وفضلك وكرمك وإحسانك قلوبًا واعية، وألسنة ذاكرة، وأن تجعل عملنا زاكيًا خالصًا لوجهك الكريم موافقًا لسنة نبيك المصطفى صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللَّهُمَّ احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، اللَّهُمَّ نوِّر قلوبنا وزكِ نفوسنا، وارحمنا برحمتك الواسعة وشدَّ أزرنا، وحبِّب إلينا الطاعة، وكرِّه إلينا المعصية يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أصلح المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ اهدِ ضالهم، اللَّهُمَّ وفقهم لطاعتك، وجنبهم أسباب معاصيك، اللَّهُمَّ اجعل ليالي هذا الشهر ليالي مباركة عليهم، ومُنَّ عليهم بالتوبة النصوح، وشد قلوبهم ووجه قلوبهم وجه الخير يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ أصلح ضالهم واهده، وأشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وانصر ذليلهم وأعز وانصر مظلومهم يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ أظل على أمة الإسلام ظل الأمن والأمان ورغد العيش يا أكرم الأكرمين، وارزقنا، واجعل ذلك سببًا في شكرنا النعم، والرجوع إليك وتوبتنا يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أصلح أمة الإسلام، اللَّهُمَّ أيقظها من سَنَةِ الغفلة، ونبهها من نوم الغافلين، واجعلها أمة قائمة بأمرك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أصلح قادتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ اهدهم وتب عليهم، اللَّهُمَّ مُنَّ عليهم بالاستقامة، اللَّهُمَّ أصلح بهم البلاد والعباد، اللَّهُمَّ انصر بهم عبادك المؤمنين، اللَّهُمَّ هيئ لهم من أمرهم رشدًا، وارزقهم يا ذا الجلال والإكرام خوفك ورجاءك وتحكيم كتابك وسنة نبيك، اللَّهُمَّ من عطَّل شيئًا من ذلك فأزله عن الوجود، واستبدله بمن يخافك ويرجوك يا رب العالمين، اللَّهُمَّ إن

نبيك قال وهو أصدق الخلق أجمعين: «**اللَّهُمَّ من وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتِي شيئا فَشَقَّ عليهم فَاشْقُقْ عليه، وَمَنْ وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتِي شيئا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**»[١]، اللَّهُمَّ أجب دعوة نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا ذا الجلال والإكرام فيمن يرفق بأمته، وفيمن يشق بأمته، وأذق من يشق عليهم أليم العذاب، واجعلهم عبرة لمن يعتبر يا إلهنا ويا مولانا.

اللَّهُمَّ وفِّق ولاة أمر بلدنا هذا، اللَّهُمَّ وفقهم وسددهم وأصلح بهم، اللَّهُمَّ انصرهم بالحق وانصر الحق بهم، اللَّهُمَّ أعز بهم دينك، وانصر بهم كتابك وسنة نبيك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ احم بهم حَوْزَة هذه البلاد، وارْعَ بهم شؤونها، واحفظ بها أمنها يا إله العالمين، اللَّهُمَّ مكِّنهم من كل أمر يقرب إلى طاعتك، وجنبهم كل أمر يقرب إلى معصيتك، اللَّهُمَّ ارزقهم الصدق معك والإخلاص لك، والقيام بأمرك، والأخذ على أيدي السفهاء يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ انصرهم على الظالمين من عبادك، وأرنا في الفجرة الفاسقين من عبادك عجائب قدرتك، وانصرنا على القوم المجرمين في كل مكان.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ شد أزرهم، اللَّهُمَّ سدد سهامهم، وثبت أقدامهم، وألِّف ذات بينهم، وانصرهم على أعدائك المجرمين، اللَّهُمَّ أقم بهم دولة إسلامية يا حي يا قيوم تحكم كتابك وسنة نبيك، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في كل مكان، اللَّهُمَّ وفِّق الدعاة إلى سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ ارزقهم صدق الدعوة، وافتح لدعوتهم القلوب والأذان يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى والمجوس والشيوعيين والملاحدة الباطنيين، اللَّهُمَّ أرنا في هؤلاء ما تسر به أمة الإسلام، وتقر به أعين المؤمنين يا إله العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللَّهُمَّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

التَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديهم، وتمسك بسنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

حديثنا اليوم عن التوبة، فقد ثبت في "الصحيحين" من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»**، قال قَتَادَةُ: «فقال الحَسَنُ: ذُكِرَ لنا أَنَّهُ لَـمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ»[٢]،

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٧/٩/١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم واللفظ له (٢٧٦٦).

أي: حاول أن يدنو من الأرض الطيبة.

هذا فيمن كان قبلنا، أمَّا في أمة الإسلام فإن الإنسان إذا تاب إلى الله صادقًا لا يحتاج لكي تُقبل توبته إلى الانتقال، بل تُقبل في الحال، وليس عليه أن يسعى من بلد الكفر إلى بلد الإسلام.

ففي هذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما في قصة هذا الرجل الذي قتل مائة نفس عبر وفوائد، منها:

أن الإنسان لا ينبغي له أن يقنط من رحمة الله، وأن يسعى جاهدًا لتخليص نفسه، وأن يسأل أهل الذكر عمَّا أشكل عليه، وإذا لم يجد ما يشفي غليله ويروي ظمأه يسأل آخر، فإن هذا الرجل الذي أسرف على نفسه في القتل لمَّا سأل ذلك الشخص الذي لا علم عنده، وإنما كان عابدًا فقال له تلك المقالة، وأراد أن يقنطه من رحمة الله، صدمت تلك المقالة هذه السائل، فانبعثت نفسه الشريرة فقتله، ولكن المرء القلق الخائف لم يقنع بما وصل إليه فسأل، ورحمة الله جَلَّ وَعَلَا واسعة، ولطفه عظيم، وهذا يدل عليه قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

أمَّا أمة الإسلام فإن الإنسان إذا تاب توبة صادقة، فإن جميع ما بينه وبين الله من السيئات والذنوب يمحوها الله جَلَّ وَعَلَا؛ لما ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن التوبة تجب ما قبلها، أي: من السيئات، كما أن الإسلام -وهو أعظم التوبات- يجب ما قبله من الذنوب التي أعظمها الشرك بالله

جَلَّ وَعَلَا[١].

ومن فوائد هذا الحديث: أن فيه الأثر السيئ للأشخاص والأوطان، فالبلد الذي تكثر فيه الفواحش، وتختلط فيه العقائد، ويعم الشرُّ فيه ويقل الخير، تكون دار سوء، مفقودة الإعانة، قليلة الفائدة، حريٌّ بالمؤمن أن يطلب سواها، والأصحاب الذين هم عون على كل معصية، وأدلاء لكل فاحشة، ويثبطون عن كل خير وفلاح، جديرون بأن يُتركوا ويُفارقوا، وأن يُطلب سواهم ممن رؤيتهم تُذَكِّر بالآخرة، وصحبتهم تُدني من السعادة، وهم أعوان لأصحابهم في الخير والبرِّ، يتعاونون على البرِّ والتقوى، ويتناهون عن الإثم والعدوان.

وفيه أن الإنسان لا تعظم الذنوب في عينه إذا أقبل على الله صادقًا، فإن الإنسان مهما بلغت ذنوبه ولو بلغت عنان السماء إذا عافاه الله من الشرك، وتاب إلى الله جَلَّ وَعَلَا، يقابله الله بأعظم من هذه الذنوب مغفرة[٢]، ولاسيما

---

(١) أخرج مسلم (١٢١) من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: لَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: **«مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟»**، قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: **«تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟»**، قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: **«أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟»**. وأخرج ابن ماجه (٤٢٥٠)، والطبراني في الكبير (١٠٢٨١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»**.

(٢) كما في الحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ**
=

إذا وُفِّق للتوبة في مواسمها، وأقبل على الله في أيام الهبات والعطايا، وتحرَّى من ربه جَلَّ وَعَلَا ساعات الإجابة، ومنع الناس من شره، واجتهد لإيصال الخير إلى عباد الله، وصار مهتمًّا بأمور عباد الله وصلاحهم، فهذا حريٌّ إذا اشتملت توبته على ذلك أن يوفق إلى سبيل الرشاد.

والله جَلَّ وَعَلَا حكيم عليم، قد هيَّأ لنا معشر المسلمين عِبرًا كثيرة، منها ما قصَّه علينا جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم، ومنها ما نقله لنا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبلغنا عنه بالأسانيد الصحاح؛ وذلك لتقوم الحجة، وليعرف الطريق من وُفِّق لسلوكها، وليستأنس من استوحش، فإن الإنسان مهما بعد عن طاعة الله ما عليه إلا أن يتوب إلى الله، ومهما أثقلته الذنوب والخطايا والسيئات فما بينه وبين التخلي منها والانسلاخ عنها إلا أن يتوجه إلى أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين تائبًا إليه منيبًا، راجيًا مغفرته ورحمته وعفوه، وهو جَلَّ وَعَلَا عند ظن عبده به[1]، فليظن العبد بربه جَلَّ وَعَلَا ما يشاء، إن الله من كرمه وإحسانه عند ظن العبد به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولذلك قال سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ باللهِ الظَّنَّ**»[2].

ودخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على شاب وهو في مرض الموت، فقال:

=

وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»، أخرجه الترمذي (٣٥٤٠).

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«كَيْفَ تَجِدُكَ؟»، قَالَ: واللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَرْجُو اللهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»**(١)، إذا كان يرجو عفو الله ويخاف عقابه فعند آخر الرحيل يستحسن ويسن أن يرجح التوبة، أي: يرجح الرجاء وعظيم الأمل بالله جَلَّ وَعَلَا، وفي حال الصحة ينبغي أن يرجح الخوف؛ ليبعثه على العمل والتوبة والاستغفار، فإذا وُفِّق الواحد في حال الصحة أن يكون خوفه وهمه من ذنوبه أعظم من رجائه فهذا من علامات السعادة والتوفيق؛ لأن الخوف والقلق من الذنوب وخطرها يبعث المرء على التوبة إلى ربه، والانطراح بين يديه، والإكثار من الاستغفار، وتذكر نعم الله على العباد، ورحمته بالذين يتعرضون للرحمة، وأليم عقابه وعظيم بطشه للذين يتمادون على غيِّهم ويعرضون عن طاعة ربهم جَلَّ وَعَلَا.

فينبغي لك -يا أخي المسلم- أن تكون كثير الاتعاظ والاعتبار بما ترى من حوادث هذه الدنيا وما تسمع من أخبارها، فتتخذ ممَّا فيه سعادة وصلاح لك عبرة في سلوك سبيل السعادة، وما فيه عبرة وتذكير في سلوك الردى والهلاك تتخذ منه عبرة ورشاد؛ لتتجنب ما من شأنه أن يوقعك في الدرك والشرك، وكثير ما يقع الغافلون، وكثير ما ينجو المتقون المتيقظون، فكن من هؤلاء، وإياك وطريق أولئك الغافلين.

إن الله جَلَّ وَعَلَا برحمته إيَّانا وإحسانه علينا وجميع لطفه بنا هيَّأ لنا المواسم،

---

(١) أخرجه الترمذي (٩٨٣)، وابن ماجه (٤٢٦١)، والنسائي في الكبرى (٩/ ٣٩٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣١٥) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

كأمثال هذه الأيام، أيام كريمة يتجلى رب العباد برحمته للعباد، ويتوب عليهم عند إفطارهم، إلا من أبى أن يتعرض لرحمة الله، يعفو المولى جَلَّوَعَلَا لكل متعرض لأسباب العفو والمغفرة، فتهيأ لذلك أخي المسلم، ووطِّن نفسك له؛ حتى إذا صادفت ساعة الإفطار تذكرت ما أسلفت من ذنوب، وما أثقل كاهلك من خطايا، فسألت ربك جَلَّوَعَلَا عند فطرك أن يمحو ما سبق من الذنوب، وأن يستعملك في طاعته وأسباب مرضاته.

وإذا كنت في جوف الليل وانشغلت بشيء من طاعة الله، وغفل الخلق عنك وغفلت عنهم، فتذكر اطلاع الله جَلَّوَعَلَا عليك، ومراقبته إياك، وعلمه بمكانك وحالك، فاسأله سؤال الوَجِل من ذنوبه، الخائف من نتائجها، الراجي عفو الله جَلَّوَعَلَا، فإننا إذا فعلنا ذلك فإنا حريُّون -بإذن الله- أن نفوز بما نسعد به في دنيانا وآخرتنا، **«وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ»**[1]، فقد هيَّأ السبل، ويسَّر الطريق، وأنعم علينا بنعم لا نحصي لها عدًّا، وإنما يضيع الإنسان ويضل لعدم تيقظه وانتباهه، وعدم اهتمامه بمستقبله ومصلحته، وإن زعم وزعم أنه ساع في مصالحه.

اللَّهُمَّ يا واسع الفضل والجود والعطاء، يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين، ويا مجيب السائلين، ويا خير الغافرين، اغفر لنا في هذا المكان أجمعين، وتولنا يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ أنت الله الذي لا إله إلا أنت، أنت أرحم الراحمين، نعوذ بك أن نبعد عن رحمتك، ونعوذ بك أن تَحُولَ سيئاتُنا بيننا وبين عفوك، اللَّهُمَّ عاملنا بعفوك، واستعملنا بطاعتك، فإنك أنت العفو

---

(١) أخرجه مسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

الكريم، وقد قال رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما سألته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إن وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ما أَدْعُو؟ قال: «**تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»(١)، اللَّهُمَّ اعفو عنا بمنِّك وكرمك، وارحمنا وأيقظ قلوبنا، واشغلنا يا حي يا قيوم بما ينفعنا، ولا تشغلنا بما يضرنا.

اللَّهُمَّ أصلح أمَّتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ اهدنا صراطك المستقيم، اللَّهُمَّ سددها وقارب بين أعمالها فيمت يرضيك، اللَّهُمَّ لا حول ولا قوة إلا بك، اللَّهُمَّ إنه لا حول لنا ولا قوة إلا بك فأعنا واحفظنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، اللَّهُمَّ أصلح أمَّة الإسلام، اللَّهُمَّ أصلحها واهدِ ضالها، وأعزَّ ذليلها، وانصر مظلومها.

اللَّهُمَّ أهلك أعداءنا أعداء الدين، واكبتهم يا رب العالمين، وأرنا فيهم يا حي يا قيوم عجائب قدرتك.

اللَّهُمَّ أصلح قادة أمتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلحهم ووفقهم لطاعتك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ استعملهم فيما يرضيك، اللَّهُمَّ انصرهم بالحق وانصر الحق بهم، اللَّهُمَّ اجعل أحب الأشياء إليهم طاعتك وطاعة رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ من سبق في علمك أنه لا يستقيم فاستبدله بمن يخافك ويرجوك ويحكم في عبادك كتابك وسنة نبيك، اللَّهُمَّ زد أهل هذا البلد من الخير والبركة، اللَّهُمَّ زد ولاة أمرنا من كل خير، وباعد عنهم كل شر، واستعملهم فيما يرضيك يا رب العالمين، اللَّهُمَّ مُنَّ عليهم بالتوفيق والتسديد،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، والنسائي في الكبرى (١٤٦/٧)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وأحمد (٢٣٦/٤٢).

اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهد بهم، وانصر الحق بهم وانصرهم به يا رب العالمين، اللَّهُمَّ وفقهم للمحافظة على أمن هذه البلاد، وتأمين سلامتها من كل معتدٍ، اللَّهُمَّ شدَّ أزرهم، وارزقهم اليقظة والصلابة في الحق، والأخذ على أيدي السفهاء يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ اكبت أعداءهم، اللَّهُمَّ أذل أعداءهم، اللَّهُمَّ سلطهم على الملاحدة المجرمين يا رب العالمين، اللَّهُمَّ احفظ بهم ربوع هذا البيت وسائر هذه البلاد، وأمِّن بهم السبل المؤدية إلى بيتك العتيق ومسجد نبيك محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ وفقهم لتوفير الراحة والسعادة ورغد العيش لكل قاطن في هذه البلاد أو وافد إليها، وكافئهم على ذلك بعزِّ الدنيا في ظل الإسلام، وعزِّ الآخرة بالفوز برضاك يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ أذل أعداءك من اليهود والنصارى والمجوس والشيوعيين والباطنيين الملاحدة، وسائر الكفرة، اللَّهُمَّ أرنا في أعدائنا أعداء الدين عجائب قدرتك، وانصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ عاجلهم بالنصر والتمكين، وسلطهم على أعداء الإسلام والمسلمين، وأقم لهم دولة الإسلام يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

ثَمَرَاتُ الاسْتِقَامَةِ[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديهم واتبع سنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

يقول الله جَلَّ وَعَلَا في محكم الكتاب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٣ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

عباد الله، هذا الفضل وهذه المنزلة وهذا الوعد العظيم للذين آمنوا بالله جَلَّ وَعَلَا؛ لأنهم عرفوا أن الله جَلَّ وَعَلَا ربهم ومربيهم المتكفل بأرزاقهم، الذي إليه المنتهى، وبيده تصريف الأمور، علموا ذلك فاستقاموا على الصراط السوي، لم تضل بهم الأهواء، ولم تصرفهم العواطف، ولم تتلاعب بهم الأغواء، وإنما حملهم علمهم بأن الله جَلَّ وَعَلَا هو رب هذا الكون وإلهه، والمتكفل بأرزاق عباده على الاستقامة على الصراط المستقيم، لم تخطف من أنظارهم الأمور الجذابة من خدع هذه الدنيا، وإنما طمحت رؤوسهم وتعلقت هممهم بإرضاء الله جَلَّ وَعَلَا، والعمل الصالح، هؤلاء تتنزل عليهم الملائكة تبشرهم بما هو أمامهم، وتخبرهم بفضل الله جَلَّ وَعَلَا، لا حزن عليهم ولا خوف عليهم ما داموا على هذا الصراط السوي.

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٧/٩/١٤٠٨هـ.

وفي الحديث الصحيح عن سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ. يريد كلمةً جامعة في الإسلام يستغني بها عن أن يسأل غيره، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قُلْ: آمَنْتُ باللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»**(١).

فالاستقامة تعني أداء الواجبات، وترك المحرمات، والتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بالطاعات، والتنزه عن المكروهات، بل يتنزه عن بعض المباح خشية أن يقع فيما ليس بالمباح.

الاستقامة هي الاعتدال في العمل، وأخذ الطريق السوي الذي وصفه الله جَلَّ وَعَلَا بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣]، هؤلاء هم الذين ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠]، يُبَشَّرون بولاية الله لهم، وإذا كان الله جَلَّ وَعَلَا قد تولى عبدًا من عباده، فما ظنكم بمن كان الله وليَّه، هل يُستطاع أن يُذَلَّ أو أن يُقهر، أو أن تكدر حياته عليه؟! كلا، فإن من كان الله جَلَّ وَعَلَا وليَّه فهو حافظه وحاميه، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَالِئُه وموفِّقه، وبذلك يستحق هذه البشارة من الله جَلَّ وَعَلَا على ألسنة ملائكته الذين يقولون لهم: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾.

فيا أخي المسلم، انظر إلى هذا الفضل العظيم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ لا رب لنا سواه، لا مفزع لنا إلى غيره، لا منجى لنا ولا ملتجأ إلا منه وإليه جَلَّ وَعَلَا، هو كاشف الضر، وهو مفرج الهم، وهو قاضي الحاجات

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨)، وفيه: **«فَاسْتَقِمْ»**، وأخرجه أحمد (١٤١/٢٤) واللفظ له.

جَلَّوَعَلَا، وهو الذي من استعان به فقد استعان بقوي منيع، وهو الذي من التجأ إليه فقد التجأ إلى قاهرٍ لا يُغلب، هو الذي من توكَّل عليه أوْكَلَه جَلَّوَعَلَا إلى قوةٍ وخيرٍ وفلاح.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، فانظر -يا أخي- إلى هذه الاستقامة، أكثر الناس ليسوا على استقامة، وإلَّا لو كنَّا على الاستقامة حقًّا لَـمّا أصابنا همٌّ، ولما تسلَّط علينا عدو، ولما شككنا في أمور حياتنا، ولكن نرجو الله جَلَّوَعَلَا أن يوقظنا من غفلتنا المتناهية حتى نعلم علم اليقين أن الله جَلَّوَعَلَا هو ربنا، ثم نستقيم على الصراط السوي عند ذلك يأتينا وعد الله جَلَّوَعَلَا.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ﴾ مَنِ الذي بُشِّر بأن لا خوف عليه؟ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، ولذلك جاء في الحديث الصحيح الذي يرويه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه جَلَّوَعَلَا أنه يقول: **«مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»**[1]، من هو ولي الله؟ هو هذا الذي وصفه الله في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت:٣٠].

فيا أخي المسلم، انظر ما الاستقامة؟ ما العمل الذي يوصل أحدنا إلى أن يكون على الطريق المستقيم والصراط السوي؟ هو أن تقوم بما أوجب الله عليك من فرائض الدين، وأن تكف عمَّا حرم الله جَلَّوَعَلَا عليك من سائر المحرمات، وأن تتقرب إلى ربك جَلَّوَعَلَا بنوافل الطاعات، وأن تبتعد عن المكروهات، أن تدع ما لا بأس به خشية أن تقع فيما فيه بأس، أن تأخذ بقوله

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»**[١]، فإن ربك جَلَّ وَعَلَا وسَّع علينا وهيَّأ لنا الطيبات، إن كان في مطلب رزق فإن فيما أحل الله جَلَّ وَعَلَا من المطاعم والمشارب والمكاسب غُنيةً عمَّا فيه شبهة، **«دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»**، وإن كان فيما سوى ذلك فإن فيما أحلَّه الله جَلَّ وَعَلَا غُنيةً وفسحةً وكفايةً عن أن يدنو الإنسان فيما فيه شبهةً أو ما فيه تحريم.

إن الإنسان يحتاج إلى أن يعالج نفسه لتقوم على الصراط السوي؛ لتسلك طريق الاستقامة فتفوز بالبشارة العظمى، وتنزل ملائكة الرحمن جَلَّ وَعَلَا، وتبشيرهم إياه بأنه لا خوفٌ عليه ولا حزن، وأنه وليٌّ لله جَلَّ وَعَلَا، وأنه حائزٌ رضا الله جَلَّ وَعَلَا بما تُدرك ولاية الله، فإن ولاية الله جَلَّ وَعَلَا لا تُدرك بالدعاوى والطقوس الكاذبة، ووضعها حول شخص بعينه بمزاعم ما أنزل الله بها من سلطان، وإنما تُنال بالمحافظة على فرائض الدين، والجد المتواصل في تكميل الفرائض بالنوافل، فإن أكْمَلَ الخلق ولايةً لله وأصدقهم لهجة وأبرهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان كثير العمل بالنوافل، كان يتهجد من الليل ما لا يتهجد أحدٌ سواه، كان يصوم -كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من النوافل- حتى نقول: لا يفطر[٢]، هكذا كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضعه، ولذلك فهو سيد الأولياء، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين صلوات الله وسلامه عليه.

ليست دعوى الولاية أن يدَّعي الإنسان دعوى فيخدع بها من حَوْله،

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٢٥٢)، والترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧١١)، والدارمي (٢٥٧٤)، وابن حبان (٢/٤٩٨) من حديث الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦).

ويزعم لنفسه مزاعم ما كان يدركها أفضل هذه الأمة بعد نبيها صحابة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنما الاستقامة -يا أخي- ما قاله سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الثقفي حينما سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول له كلمةً جامعة وقولًا فصلًا يحدد فيه المصلحة بجميع أطرافها، فقال: **«قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»**، عربيٌ هو يعلم ماذا يعني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، علم أنه يعني الاستقامة؛ ألَّا يحيد عن الصراط السوي، وألَّا يميل عن طاعة الله، وألَّا يقارف شيئًا من الذنوب مهما استطاع، أن يفعل كل ما من شأنه أن يدنيه من مرضات الله جَلَّ وَعَلَا، هذه هي الاستقامة، وهذه هي أسباب الفوز بالبشارة من الله جَلَّ وَعَلَا.

فاحرص -يا أخي- ولاسيما في هذه الأيام التي تكثر فيها الإعانة، ويحصل للإنسان فيها من التعاون من الإخوان على البر والتقوى، ما يشد أزره ويشحذ عزيمته، ويقوي همته لسلوك الصراط السوي والاستقامة.

إن هذه الأيام أيام اختبارٍ وامتحان لمن أراد أن يجرب من نفسه القدرة على العمل، والصبر على العمل، والمثابرة على الطاعة، والاجتهاد في التقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن الإنسان إذا استطاع أن يغلب نفسه في هذه الأيام، فذلك دليلٌ على أنه قادر لو أراد مغالبته في ظل هذه الأيام، فاحرص -يا أخي- أن توطن العزم على أن تكون مطيعًا لربك فيما يأتي كما أنت في هذه الأيام مستقيمًا على طاعة الله جَلَّ وَعَلَا.

إن هذه الأيام تُبيِّن وتُبْرز للعبد أنه إذا أراد أن يفعل شيئًا من أعمال الطاعة قَدَر على ذلك، ولكنه يحتاج إلى العزيمة، يحتاج إلى أن يقول قولة الصادقين: آمنت بالله. ثم يستقيم استقامة الراغبين في ثواب الله، الحريصين على

الاستغناء بالاستقامة عن الحاجة إلى أحدٍ من العباد.

فيا أخي المسلم، انظر إلى قول ربك جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠]، وانظر إلى قول سيد الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عندما سُئل كلمةً جامعة تجمع الخير كله، فقال للسائل: «**قُلْ: آمَنْتُ باللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**»، ووطن نفسك -يا أخي- على ما دلت عليه هذه الآية، وما دل عليه هذا الحديث الصحيح، واعمل جاهدًا لأن تغلب نفسك، فإنك إذا غالبتها وأنت حريصٌ على أن تغلبها في ذلك، وأن تجعلها طائعةً منقادة لطاعة ربها، فإنك وشيكٌ أن تفلح، وأنك حريٌّ أن تنال مرادك، وأنك بإذن الله سوف توفق، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢]، ومن يسبق في اتجاهه إلى ربه جَلَّوَعَلَا يهيئ له ربه جَلَّوَعَلَا سبيل السلامة، وطريق الأمن والأمان، فيصل بإذن الله جَلَّوَعَلَا إلى الغاية والمكان الآمن، إلى رحمة الله وجنته ورضوانه.

فيا عباد الله، إن لياليكم هذه ليالٍ مجيدة، وإنها كما ترون تتصرم وتترحل بسرعة، وإن الحازم اليقظ الناصح لنفسه هو الذي كلما مرت ليلة تذكر، وإذا هو أدى فيها قربٌ كثيرة، وطاعاتٍ جليلة، وعمل بطاعة الله، فليحفظ الله وليشكره على هذا التوجيه، وإذا وجد ذنبًا -وما أكثر ما نجد من الذنوب- فليبادر إلى التوبة إلى الله جَلَّوَعَلَا بصدقٍ ورغبةٍ في قبولها، وليستغفر الله استغفار الخائفين من جرائر الذنوب، الواثقين بعفو الله ومقدرته ورحمته، وليكرر ذلك كلما أحس من نفسه، ولو أنك رُزقت التوفيق، ولو أننا أجمعين رُزقنا التوفيق للتفقه فيما نقع فيه من أخطاءٍ وسيئاتٍ في هذا الحرم وفي كل مكان، وكانت لدينا قدرةٌ على تسجيل ذلك؛ لوجدنا قوائم طويلة قد تمتلئ

بالسيئات والخطايا، وقد هيأ الله جَلَّوَعَلَا بمنِّه ورحمته وكرمه وجوده أسباب محو هذه القوائم الطويلة العريضة، ما علينا -يا أخي- إلا أن نتوب صادقين، وأن نستغفر ربنا جَلَّوَعَلَا منيبين، وأن نشعر أنفسنا بالندم، عند ذلك يعفو الله جَلَّوَعَلَا؛ لأنه العفو الكريم الغفور الرحيم.

فشمروا عن سواعدكم يا عباد الله، واغتنموا فرص هذه الليالي القليلة والأيام، وتقربوا إلى ربكم واسألوه حوائجكم، فإن لنا حوائج كثيرة، ولنا مطالب عظيمة، ونغفو عن كثيرٍ منها، والفرص قد سنحت. إنه إذا قيل -مثلًا-: إن جوادًا ثريًا واسع الثراء يُعطي من أتاه ما يقضي به دينه، فلن يتخلف عن ذلك الموقف مدينٌ ولا محتاج إلَّا ورتَّب ما يستطيع من الوسائل! فها أنتم بين يدي أكرم الأكرمين، وأغنى الأغنياء، وأجود الأجودين، الذي ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فتعرضوا لفضله، ولكن قبل أن تسألوا حوائجكم توبوا إليه وأنيبوا، وأخلصوا له صادقين، ثم سلوه جَلَّوَعَلَا حوائجكم، فإنه كريمٌ جواد، ومن كرمه أن قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، ومن كرمه جَلَّوَعَلَا قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِىٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠].

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم، يا واسع الفضل والعطاء، يا جزيل الهبات، نسألك أن تغفر لنا في هذا المكان أجمعين، أن ترحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، نسألك ألا تردنا خائبين، وألَّا تفرق جمعنا هذا إلا بمغفرة الذنوب، والتجاوز عن الخطايا يا خير من تجاوز وعفا.

اللَّهُمَّ أنت ربنا، أنت خلقتنا ورزقتنا، أنت الفعال لما تريد، نسألك ألا تكلنا إلى أنفسنا، وألا تكلنا إلى أحدٍ من خلقك، وأن تجيرنا من مزلّات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن تمنحنا يا إلهنا التوفيق والتسديد والإقبال عليك والتوبة إليك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا، ولأولادنا وأزواجنا، وأقاربنا وسائر الأخوة المسلمين، اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ اهدِ المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح شأنهم، وقوي عزائمهم على الطاعة، وجنبهم المعاصي يا رب العالمين، اللَّهُمَّ طهر قلوبهم من كل حقدٍ وغلٍ ونكد وأملأها بالإيمان، اللَّهُمَّ أشبع جائعهم واكسُ عاريهم، وأعز ذليلهم، وانصر مظلومهم، واقهر ظالمهم في كل مكان.

اللَّهُمَّ أصلح قادة المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم البلاد والعباد، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، وارزقهم خوفك ورجاءك، وتحكيم كتابك وسنة نبيك، اللَّهُمَّ من سبق في علمك أنه مفرِّط في الكتاب والسنة، اللهم فاستبدله بمن يخافك ويرجوك ويحكم شريعتك يا رب العالمين يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ يا إلهنا ويا مولانا وفِّق ولاة أمر بلدنا هذا لما تحبه وترضاه، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، وأعز بهم دينك، وانصر بهم كتابك وسنة نبيك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفقهم لما تحبه وترضاه، اللَّهُمَّ أمِّن بهم ربوع هذه البلاد، واحفظ بهم سبل هذا البيت، وسبل مسجد رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ وفقهم للمحافظة على أمر الزوار

والمعتمرين والحجاج والقاطنين في هذه البلاد، وكافئهم يا إلهنا بالعز والتمكين في الدنيا، والفوز برضاك يوم يقوم الأشهاد، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩] ، واجعلنا بمنِّك وفضلك وجودك معهم في ذلك كله يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ اخزِ اليهود، اللَّهُمَّ اخزِ المجوس، اللَّهُمَّ اخزِ الباطنيين الملاحد، اللَّهُمَّ اخزِ الوثنيين في كل مكان، اللَّهُمَّ أذل أهل الكفر والفجور والعناد يا رب العباد، وانصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ عاجلهم بالتوجيه والتثبيت، والتمكين والانتصار على أعدائك، وسلطهم على أعدائهم أعداء الدين، ومكنهم يا حي يا قيوم من إقامة دولةٍ قائمةٍ على الحق، وحكم في الشريعة الإسلامية يا أكرم الأكرمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ وسلِّم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحابته، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

حَقِيقَةُ التَّقْوَى وَعَاقِبَتُهَا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وتمسك بسنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

يقول إلهنا جَلَّوَعَلَا في محكم التنزيل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:١٨-٢١].

عباد الله، إن الكريم الأكرم الجواد الأعظم خالق الخلق الغني عن كل شيء يدعوكم بهذا النداء الكريم لتقواه؛ لأن تتقوه جَلَّوَعَلَا وتنظروا في مستقبلكم وما اعددتموه لمنازلكم، التي النزول فيها طويل، والرحلة إليها وشيكة، آلا إنها رحلة غير معلومة، قد توافي الإنسان على غرة دون استعداد للرحيل، فيخسر يوم يفوز المستعدون.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾، بِمَ يتقي الناسُ الله؟ التقوى: هي فعل الواجبات وترك المحرمات والتقرب إلى الله جَلَّوَعَلَا بنوافل الطاعات، والابتعاد عن المكروهات، التقوى أن تجعل بينك وبين عذاب الله جَلَّوَعَلَا وغضبه وقاية وحاجزًا يحول بينك وبين الوقوع فيه، تلك هي وصية الله للأولين والآخرين، وإنما خاطب عباده المؤمنين بهذا الخطاب الكريم،

ودعاهم بهذا الوصف الجليل؛ لتتنبه ضمائرهم، وتستجيش نفوسهم وتقبل على نداء الكريم الأكرم، فتأخذ بحظٍّ وافر من أسباب التقوى، يذكركم ربكم جَلَّوَعَلَا بأن يوم الرحيل قريب آتٍ، وأنه بمنزلة اليوم القادم الذي ليس دونه إلا الليلة، مهما طال عمر الإنسان وامتد به الأجل فإنما هي أشبه بلمحة عين وحلمٌ خاطف، والعاقل من يستعد، فكيف إذا ناداك الله جَلَّوَعَلَا باسم الإيمان، ومقتضى هذه التسمية ولازمها أن يؤثر عليك هذا الإيمان.

والإيمان: هو التصديق الكامل بما عند الله جَلَّوَعَلَا، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر بما فيه من خيرٍ لأهل التقوى والصلاح والاستقامة، ونكالٍ وآلام وقهر -نسأل الله السلامة- لأهل التفريط والغواية.

إن مقتضى الإيمان: أن الإنسان المتسمي بهذا الاسم ينصرف عن كل ما يكره الله جَلَّوَعَلَا ورسوله، ويقبل إقبال الراغبين على كل ما يحبه الله جَلَّوَعَلَا ورسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، هذا بدون ما يُنادى وبدون دعوة من الكريم الأكرم، فكيف إذا ناداك ربك الذي لا تستغني عنه طرفة عين، وهو الغني الدائم الغنى، ثم هو يناديك بهذا النداء اللطيف الكريم وهذا الوصف المحبب لكل نفس صادقة.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾، اتقوه واتخذوا من صحتكم زادًا للمرض، اتخذوا من شبابكم زادًا للشيخوخة والهرم، اتخذوا من حياتكم زادًا لموتكم، اتخذوا من هذه الدار الفانية ما تحتاجون إليه في الدار الباقية، تلك الدار التي إما أن تكون ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ﴾ [الرعد: ٣٥]، وإما أن تكون دارًا لا يخفف عنهم من عذابها من شيء، ولا يمتون

كُلَّما نضجت جلودهم بُدِّلوا جلودًا أخرى، نسأل الله العافية والسلامة.

فيا أخي المسلم، أجب نداء الله ودعوته، واتَّقِ الله في سرِّك وعلانيتك، واتخذ من لياليك وأيامك زادًا ليوم الرحيل الذي أنت لا تدري متى هو، فرُبَّ مؤملٍ برحيل بعد أعوامٍ وأعوامٍ قد طُويت صحيفته في هذه الليلة، ورُبَّ مؤملٍ آملًا كثيرة ومستعدٍ لأعمالٍ كبيرة لا يدري وهو في سجل الموتى، فليكن الرجل منَّا حذِرًا، ونعوذ بالله أن نكون من الذين يقولون بألسنتهم ما لا تصدقه أعمالهم، وما أكثر ما نسمع ذلك نسأل الله العفو والعافية!

أخي المسلم أن أيام وليالي هذا الشهر الكريم قد تفلتت، فلم يبق منه سوى ليلتك هذه والتي تليها، فانظر ماذا عملت فيما مضى، وماذا ستعمل في هذه الليلة وما يليها؟! فعليك بتقوى الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩] يعطيكم جَلَّ وَعَلَا نورًا مبينًا تكتشفون به الضار من النافع، وطريق الهدى من طريق الردى، وسبيل السعادة من سبيل الهلاك والضلال، نسأل الله العافية، ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾، الفرقان الذي تفرقون به بين الحق والباطل، بين الطاعة والمعصية، بين ما يحبه الله جَلَّ وَعَلَا وبين ما يكره الله جَلَّ وَعَلَا، فتعملون بما يحبه الله، وتتجنبون ما يبغض الله جَلَّ وَعَلَا.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، بربك -يا أخي- هل نحن كلما أمسينا نظرنا فيما طوت صحائفنا وما عملنه لغدنا؟ هل نستعد ونفكر في أعمالنا السابقة وأعمال يومنا هذا الذي نعده ليوم غد؟ فليس دون غدٍ إلا الليلة، يقرب الله جَلَّ وَعَلَا الآجال، ويبين دنوها؛ لأننا لا ندري

متى هي، فقد طوى الله جَلَّ وَعَلَا علم الآجال عن الأحياء، كما طوى جَلَّ وَعَلَا ما يحس به الأموات عن الأحياء، فإن الناس في قبورهم إما في روضة من رياض الجنة أو في عذاب ونكال، وقد بيَّن ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **«فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»**(١)، إن الإنسان إذا دخل قبره وانضم عليه القبر وصرخ صرخةً من هول ما رأى تسمعه الدواب والبهائم، وتنفر البهائم في بعض الأحوال من القبور من هول العذاب الذي فيها، لكن الله جَلَّ وَعَلَا من نعمة على هذا الكون لا يُسمعنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من عذاب الآخرة؛ لأن القبر أول منزلةٍ من منازل الآخرة، وأول مرحلةٍ من مراحل يوم غد(٢)، فاستعدوا دونه -أيها المسلمون- بالأعمال الصالحة.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر: ١٨]، كل نفسٍ راحلةٍ ليوم غد، وكل نفسٍ موافيةٍ لما أعدته لذلك اليوم، فمن أعد الصلاة والزكاة والصوم والحج، والصدقات والإحسان إلى الفقراء، والرفق بعباد الله واللطف بهم، والدنو من كل خير، والابتعاد من كل شر، فقد أفلح إن شاء الله، ووجد في منازله منزلةً فأخرى مما يسر الناظرين وتقر له أعين المؤمنين، وإن كان من أهل الضلال والغواية؛ ليلُهُ معمورٌ بالعربدة والسهر والفواحش

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤٦) من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»**. أخرجه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وأحمد (١/ ٥٠٣)، والحاكم (١/ ٥٢٦)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٩٢).

والمنكرات، ونهارُهُ في معاصي الله جَلَّوَعَلَا، فهذا إنما يجني على نفسه، والله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لا يظلم العباد شيئًا؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

عباد الله ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، إن كنت متنبهًا -أيها العبد- لهذا النداء أو تريد أن تغالط الرب جَلَّوَعَلَا، فاعلم أن الله خبيرٌ بما تعملون، لا تخفى عليه خافيه، يعلم العاملين الصادقين في عملهم وما يريدون، ويعلم المنافقين المخادعين في أعمالهم ومن يخادعون ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩]، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]، فساروا -والعياذ بالله- مع الفاسقين.

فكن -أخي المسلم- حذرًا أن تلاقي يوم غدك بدون زادٍ ولا راحلة، ولا لحافٍ ولا فرش، وإنما فراش من فرَّط من عذاب جهنم، ولحافه منها -والعياذ بالله- يوم العرض عليها، «**إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ**»(١)، فرياض الجنة إنما تكون لأهل التقوى الناظرين ما أعدوه ليوم غدٍ، المستعدين لما يحبون أن يروه يوم القيامة، هؤلاء في روضةٍ من رياض الجنة، يُفتح لهم من روحها ونعيمها. أمَّا من كان من أهل الضلال والغواية فهو في حفرةٍ من حفر جهنم والعياذ بالله، والله سبحانه إنما يجازي أهل الأعمال بإعمالهم؛ كما قال جَلَّوَعَلَا في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ**

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والطبراني في الأوسط (٢٧٣/٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (ص٥٥) من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١).

فنفسك لم ولا تلم المطايا(٢) ....

هذه آيات محكمة، فليس لك اعتذار، دعاك ربك للخير فلم تستجب، وأنظرك بالشيب فلم ترعوي(٣)، وأراك مصارع الظالمين، وأراك كثرة الراحلين، وأراك من يتقلبون على بساط الخوف، ويلتحفون لحاف الخوف، ويصبحهم الموت ويمسيهم، وبعضهم إذا مرَّ بالقبر تمنى أنه في مكان ذلك القبر، من عظم الفتن التي يتعرضون لها والمصائب التي تواجههم -والعياذ بالله- لا يجدون منها سلامةً ولا مخرجًا!

فيا من أمن في وطنه، ويا من في رغد العيش يتنعم، ويا من في صحةٍ في بدنه يتقلب احمد الله على هذه النعم، وانظر ما قدمته ليوم غدك، فإن الجزاء والحساب قريب، والصحائف التي أعدها الله جَلَّوَعَلَا لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا تحصيها؛ كما قال جَلَّوَعَلَا على لسان حال المفرط الضائع عندما يفجأه كتابه وما فيه من المخازي: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) صدر بيت أورده ابن الجوزي في المدهش (ص٢٩٣) ضمن أبيات بغير نسبة، وتمامه:

فَنَفْسَكَ لُمْ ولَا تَلُمِ المَطَايَا ومُتْ كَمَدًا فَلَيسَ لَكَ اعْتِذَارُ

(٣) ترعوي: أي ترجع عما أنت فيه وتنزجر، من رَعَا يَرْعُو إذا كفَّ عن الأمور، وقد ارْعَوَى عن القبيح يرعوي ارعواء، والاسم: الرُّعيا بالفتح والضم، وقيل الارْعِوَاء: الندم على الشيء والانصراف عنه وتركه. يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٣٦)، ولسان العرب (١٤/٣٢٨).

وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩]. هذه حال المفرطين، وهذه حال المفلسين، إذا جاء وقت الثمار وحصاد الزروع أو تقاسم الأرباح والغنائم وإذاهم يضربون أكفَّ الندم، ويقرعون أسنان الندم، ولتندمن ولات ساعة مندم(١).

أما أنت -يا أخي المسلم- يا من هو في هذه الساحة المباركة، يا من يعيش في مثل هذه الأماكن الكريمة الطيبة التي حماها الله جَلَّوَعَلَا وصانها وضاعف فيها الحسنات، اغتنم الفرص وتقرب إلى الله جَلَّوَعَلَا بالأعمال الصالحة، واستعد للرحيل كما رحل من قبلك، فإنك كما ترى لا يزول وقتٌ من أوقات هذه الفرائض إلا ونودع أخًا أو أختًا أو قريبًا أو صديقًا من إخواننا المسلمين، وراحلين إلى منازل لا عمل لهم فيها ولا صلة لهم فيها بأحد، ولو استطاع أحدهم أن يخاطبنا في هذا المكان لقال: أيها الناس، لقد وجدنا في منازلنا أهوالًا وأهوالًا، وإنكم تستطيعون أن تتقوها، فحذاري أن تقدموا إليها بغير عمل، وحذاري أن تأتوا إليها بغير زادٍ ولا استعداد!

أما أنت -يا أخي- يا من هو في هذه الحياة، يا من هو يسمع قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨]، استعد واحمد الله أنك في وقتٍ تستطيع أن تتوب، تستطيع أن تستغفر الله، تستطيع أن تستعد بالأعمال الصالحة، تستطيع أن تبدل من أحوالك، والله جَلَّوَعَلَا: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

---

(١) عجز بيت أورده ابن الأنباري في الأضداد (ص١٦٨) بغير نسبة، وتمامه:

فَلَتَعْرِفَنَّ خَلائِقًا مَشْمُولَةً ... وَلَتَنْدَمَنَّ وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمِ

[الرعد:١١]، فهو يغير جَلَّوَعَلَا ظلم النفوس ومرضها وبعدها عن طاعة الله إلى حياةٍ طيبة، وإقبال على الطاعة، ورغبةٍ في الخير، إذا صدق في إقبالها على الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] ويحب المستغفرين الصادقين.

فاجتهد أيها المسلم، اجتهدوا -يا عباد الله- في مثل هذه الليلة وفيما يليها من الليالي، وقد أظلتكم ليالٍ مباركة عظيمة، فاستعدوا لها بالعزائم، وشمروا عن سواعد الجد بالأعمال الصالحة، وانظروا ما قدمتموه لأيامكم المقبلة، فإذا كان أحدنا قد فرط في العمل -وما أكثر المفرطين- فإن باب التوبة مفتوح، **«وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»**[1]، فتهيؤا -يا عباد الله- بما ترجون أن يرفع الله جَلَّوَعَلَا به دراجتكم، ويُعلي به منازلكم، ويدفع عنكم به صروف الدهر ومصائبه ومتاعبه.

إن هذه الدنيا ملأى بالمحن، ملأى بالفتن، ملأى بالمصائب والمتاعب، والسعيد من اتخذ مع الله جَلَّوَعَلَا عهدًا وميثاقًا؛ بأن أطاعه وتجنب معصيته، وأقبل عليه سبحانه ورغب فيما عنده؛ ليدفع عنه المصائب والمتاعب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨].

اللَّهُمَّ يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين، ويا مجيب السائلين، يا من يسمع النداء، يا من يجيب الدعاء، نسألك أن تغفر لنا في هذا المكان أجمعين، نسألك أن تجيب دعواتنا، وأن تغفر زلاتنا، وأن ترحم ضعفنا يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ اغفر لنا في ليلتنا هذه أجمعين، اللَّهُمَّ اغفر لنا في هذا المكان

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٧) من حديث سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الطاهر المبارك يا رب العالمين، اللَّهُمَّ ارحمنا برحمتك، واغفر لنا بمغفرة من عندك، وتب علينا، ووفقنا للتقوى، ووفقنا للاستعداد للرحيل والاستعداد ليوم الغد يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أنت الله الذي لا إله إلا أنت مُنَّ علينا بإجابة الدعوة، وإصلاح النية، ومغفرة الذنوب والخطايا يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين، ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤]، ربنا إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللَّهُمَّ لا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا تسلط علينا بمعاصينا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أصلح أمة الإسلام في كل مكان، اللَّهُمَّ اغفر لمن شهد هذه الصلاة في هذا الحرم المبارك الكريم، وارحم جميع المسلمين، اللَّهُمَّ أنزل عليهم رحمتك، وثبت المؤمنين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّ المسلمين، واغفر زلته، وارحم ضعفه، وآمنه يوم الفزع الأكبر، اللَّهُمَّ أصلح فساد المسلمين، اللَّهُمَّ أعز الأمة الإسلامية في كل مكان.

اللَّهُمَّ أصلح القادة، اللَّهُمَّ أصلح قادتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ طهر قلوبهم وثبتهم يا ذا الجلال والإكرام، وارزقهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والدعوة إليك، ونصرة عبادك الموحدين يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، وأعز بهم دينك، وأعلِ بهم كلمتك، وثبت بهم يا حي يا قيوم عبادك الموحدين الدعاة إليك يا رب العالمين، اللَّهُمَّ وفقهم لاجتماع الكلمة وتوحيد الصف، والقيام في وجه الأعداء، وتوافر الجهود في نشر الدعوة إنك على كل شيءٍ قدير.

اللَّهُمَّ يا منان يا حنان يا ذا الجلال والإكرام احفظ هذه البلاد ومُنَّ عليها بالثبات، وأصلح قادتها، وزدهم من كل خير، وجنبهم كل شر، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهدِ بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، اللَّهُمَّ آمن بهم ربوع هذه البلاد، اللَّهُمَّ احفظ بهم أمنها، اللَّهُمَّ وفقهم يا ذا الجلال والإكرام لتوفير الأمن والأمان للقائمين في هذه البلاد والواردين إليها من حجاج ومعتمرين وزائرين يا حي يا قيوم يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ احفظهم بالحق، واحفظهم يا حي يا قيوم من بين أيديهم ومن خلفهم، وسددهم وكافئهم على ذلك بعزِّ الدنيا في ظل لا إله إلا الله، وعز الآخرة يوم يقوم الأشهاد ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩]، اللَّهُمَّ اجعلنا معهم في هذا كله، وارحمنا وإياهم.

اللَّهُمَّ إنك ربنا وخالقنا فاغفر لنا وارحمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا، اللَّهُمَّ وفقنا في هذه الليالي المقبلة وفي ليلتنا هذه لما تحبه وترضاه، وارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، واغننا عن خلقك يا حي يا قيوم، وأصلح ذريتنا وأزواجنا وأقاربنا، واغفر اللَّهُمَّ لأمواتنا إنك أكرم الأكرمين وأرحم الرحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حِفْـظُ اللِّسَـانِ[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم واتبع سنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

فلئن كان الكلام في مرَّاتٍ مضت تعلق بالدعاء والاستغفار والتوبة، فليكن الكلام هنا فيما يتعلق بالكلام الضَّار، وأثره على الإنسان في حياته وآخرته، فقد ثبت في "الصحيحين" وغيرهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»**[٢]، وثبت -أيضًا- فيهما أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»**[٣]، وفي رواية فيها زيادة: **«وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»**[٤].

وثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»**[٥]، وفي رواية: **«يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»**[٦]، وفي رواية: **«يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي**

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٨/٩/١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه البخاري (١٠) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٦) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

النَّارِ»(١)، وفي حديث آخر: **«وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ»**(٢).

إذا علم المسلم أثر الكلام في لسانه وجرائره عليه إذا لم يحتط له، وعلم أن سيد الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال أيضًا: **«مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ»** يعني: اللسان، بأن لا يتكلم إلا بخير أو يسكت، وأن يصونه عمَّا حرَّم الله، **«وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»**(٣).

إذن الأمر ليس بالسهل أيها المسلمون، يجلس الرجل إلى الرجل فيتحدثان بكلامٍ يضر ولا ينفع، وربما جلس الرجل مع القوم فيرى أنهم يَسْتَحْلُون كلامه ويَسْتَعْذِبون فكاهته، فيتجارى به لسانه حتى يخرجه عن طاعة الله، ويعرضه لعذابه وغضبه، ويهوي به هذا اللسان بكلمة في نار جهنم أبعد مما بين المشرق والمغرب! إن وطأةً في نار جهنم لكافية في العذاب، ولكن العذاب دركات، لو قيل لإنسانٍ لا تتكلم طول نهارك وليلك شهرًا كاملًا وإلا أوقفناك على كانون جمرٍ بقدميك فقط، لوجدته لا يتكلم بكلمة، وربما يبس لسانه من طول الصمت، مع أن كلمة يقولها ليضحك بها القوم الجالسين معه ويؤانسهم تهوي به في النار بمسافة أبعد مما بين المشرق والمغرب!

فليحذر المسلم وليصن لسانه، وليتجنب استعماله في أمرٍ لا ينفعه، فإن

---

(١) أخرجه أحمد (١٢/١٤٩)، والترمذي (٢٣١٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥)، والنسائي في الكبرى (١٠/٣٢٧)، وأحمد (٣٣/٢٤٤) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الكلام إما في منفعة وإما في مضرة، ولا ثالث لهما، إما في منفعةٍ دنيوية أو منفعةٍ دنيوية وأخروية، وكل ذلك في منفعة، وإما أن يكون في أمرٍ ضارٍّ، فإنما أشد الناس عذابًا من يتكلم بالكلام لا يفكر بطاعة الله، وإنما يفكر في سرور الناس بكلامه وأنسهم بحديثه ورغبتهم به، وهل أكثر الناس إلا يستعذبون السيئ من القول، ويفرحون بالفاحش من الكلام؟!

إن الكلمة الواحدة من غضب الله جَلَّ وَعَلَا تغمس صاحبها في نار جهنم، إن الإنسان إذا فكَّر في النار وما فيها من النَّكال، وأراد أن يأخذ عبرة من نار الدنيا رغم أنه لا نسبة بين نار الدنيا ونار الآخرة، لكن اللبيب العاقل يأخذ مما يشاهد عبرةً ودليلًا لِمَا لم يشاهد، وإن في ذلك لكفاية، وإن في نار الدنيا لزاجر ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

إن الناس -يا عباد الله- في كثيرٍ من مجالسهم بل في عامة المجالس لا تكون معمورة بما ينفع، ولا مشغولةً بكلامٍ مفيد، ولا فرق بين مجالس الرجال ومجالس النساء، تجد فاكهة المجلس وقيعةً بالأعراض، ونقلًا لأخبار المارة، وإشاعةً لفاحشة، علم عنها وترديدًا لأمور المارة، وقلَّ أن تجد مجلسًا شغله الشاغل ذكر الله جَلَّ وَعَلَا، أو تدارس كتاب الله وتفهم معانيه! ولا شك أن هذا من الخسارة.

فليفكر المسلم ولا سيما في أيام الصوم وليتخذ من ذلك وسيلةً لإجادة ربط لسانه إلا فيما ينفع، ما دام أن المسلم الحق هو الذي يسلم المسلمون من لسانه، وما دام أن الإنسان قد يتكلم بكلمةٍ واحدة ما يتبين أثرها ترمي به في نار جهنم مسافةٍ لا يتصور متصورٌ ما يصادفه فيها من العذاب، فخليقٌ بالمسلم

أن يتحكم بهذا اللسان، ولذلك قال سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ بن جبل لمَّا استنكر أن نحاسب على ما نقوله بألسنتنا قال: **«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»**(١).

إذا علمت -أيها المسلم- أن كلامك من عملك إن لم يكن أجلَّ العمل، إذا علمت ذلك فاحذر من هذا اللسان وتفقد أحواله، وكلما جلست في مجلس وأوشكت أن تقوم منه فاستحضر ما فَرَط من لسانك، وستجد كثيرًا من الكلمات تتمنى أنك لم تقلها، إذا كان ذلك كذلك -وهو المتوقع فينا إلا من عصم الله- فاستدرك في الحال بالتوبة والاستغفار، لا فرق بين رجلٍ وامرأة، بل ربما كانت النساء أكثر كلامًا وأطول مجلسًا؛ لأنهن أقل عملًا في كثيرٍ من الأحيان، ولذلك جاء في الحديث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى إليه رجل في رمضان فقال: إِنَّ هَاهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا، وَإِنَّهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ أَوْ سَكَتَ، ثُمَّ عَادَ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّهُمَا واللهِ قَدْ مَاتَتَا أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا، قَالَ: **«ادْعُهُمَا»**، فَجَاءَتَا، فَجِيءَ بِقَدَحٍ أَوْ عُسٍّ فَقَالَ لِإِحْدَاهُمَا: **«قِيئِي»**، فَقَاءَتْ قَيْحًا أَوْ دَمًا وَصَدِيدًا وَلَحْمًا؛ حَتَّى قَاءَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ، ثُمَّ قَالَ لِلأُخْرَى: **«قِيئِي»**، فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ وَصَدِيدٍ وَلَحْمِ عَبِيطٍ وَغَيْرِهِ؛ حَتَّى مَلأَتِ الْقَدَحَ، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللهُ لَهُمَا، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمَا، جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى، فَجَعَلَتَا يَأْكُلَانِ لُحُومَ النَّاسِ»**(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦/ ٣٤٤)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢١٤) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣٨/ ٦٠) من حديث عبيد مولى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وما الرجال عن ذلك ببعيد.

إن من إطلاق اللسان أن يشغل المرء أكثر وقته في حديثٍ لا يجني منه فائدة، فإذا علمت أن وقتك هو مجال تجارتك وميدان مرابحتك ووسيلة نجاتك أو هلاكك، فاستغل ذلك بما ترجو ثوابه ونفعه، وإذا فَرَطَ الأمر منك وهو الأكثر منَّا، **«فَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»**[١]، وإن الفلاح يكون بالندم على الماضي والصدق في ذلك والإقبال على الله، فاستدرك أمرك قبل أن يفوت الأوان، فإن الأعمال الصالحة يصادفها ما يفوِّت أمرها؛ **«مَا يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ إِلَّا غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ وَالدَّجَّالُ شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ»**[٢]، فالمرض ينسي الإنسان العمل، والغنى يلهيه بأمور دنياه عن طاعة الله، والهرم يعجز الإنسان عن العمل، والموت رصدٌ في الطريق.

فعلى المسلم أن يفكر في مصلحته، ويهتم لمستقبله، ويحاسب نفسه على الكلام والعمل، وهل الكلام إلا عمل؟! ما دام أن الإنسان يعمل باللسان هذا الخير العظيم ألف حسنة أو أضعاف ذلك، فإنه -أيضًا- يعمل باللسان ألف سيئةً أو أعظم من ذلك، كم من إنسانٍ أَوْدَى بحياته لسانُه، وكم لسانٍ فرَّق بين حبيبٍ وحبيبه وصديقٍ وصديقه، وكم لسانٍ أورث عداوات ومصائب ومتاعب، فمن لم يستطع حفظ لسانه فماذا يستطيع أن يحفظ؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٧) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١١/ ٤٢١)، والدارقطني (٤/ ١٩٢)، والحاكم (٤/ ٣٥٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ١٤٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعليك -يا أخي- أن تحرص على أن يسلم الناس من أذى لسانك، وأن تتجنب أذاهم، وأن يكون لقاؤك إياهم مذكِّرًا بالآخرة؛ لكثرة ما تذكر الله جَلَّ وَعَلَا، وتستغفره وتتوب إليه، ولكثرة محاولتك المحافظة على لسانك، فإنك إن فعلت ذلك وحاولت فإنك حريٌّ أن تنجح بإذن الله جَلَّ وَعَلَا.

وكما قلت في حديثٍ مضى: هذه الأيام أيام تجارب، وهذه الليالي ليالي تجارب لأهل الفلاح المشمرين عن سواعدهم لإرضاء ربهم جَلَّ وَعَلَا، فإذا رأيت من يريد أن يشغلك لفنون الكلام فاصرفه إلى كتاب الله جَلَّ وَعَلَا، وإذا رأيت من يريد أن يشغلك في أمرٍ يضرك ولا ينفعك أو لا يضرك ولا ينفعك فوجهه إلى وجهة التسبيح والتهليل والاستغفار والتوبة، فإن ذلك أعظم أجرًا وأجل فائدة وأسلم عاقبة.

حاول يا أخي المسلم، حاول أيها المسلم -من رجلٍ وامرأة- أن تروِّض نفسك على الانعطاف إلى طاعة الله كلما صدقت، والرجوع إلى حمى الله كلما أدبرت، والتوبة إلى الله كلما أذنبت، وما أكثر ما نقترف من الذنوب، يقول سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كُلُّ ابن آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»**[1]، فكن من هؤلاء الخيرين بالإكثار من التوبة، والتوكل في كل ما تقوله، ومحاسبة النفس على ما يَفْرُط منك، وأن تمسح ذلك بالاستغفار المتكرر، فضلٌ من الله أعطاك إياه، وإحسانٌ حباك إياه جَلَّ وَعَلَا، فلولا فضله وإنعامه وإحسانه بعباده لَمَا استطاعوا أن يمشوا من ثقل ما يحملون من الذنوب، ولكنه جَلَّ وَعَلَا قد هيَّأ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد (٢٠/٣٤٤)، والحاكم (٤/٢٤٤) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لنا أسباب التخفف من هذه الخطايا والتنصل من هذه السيئات، بالمحافظة على ألسنتنا إلا في خير، إلا فيما ينفع، إلا فيما يكون سببًا للسعادة في الدنيا والآخرة.

فاحذر -أخي المسلم- أن تتصرم هذه الأيام وترحل هذه الليالي دون أن تقوي صلتك بربك، وتجدد عهدًا بالطاعة والإنابة، وتكثر من الأعمال الصالحة، فإن من أضاع نصيبه في هذا الشهر الكريم حريٌّ ألا يدرك خيرًا، وإن من فاز في هذا الشهر الكريم بالعتق من النار حريٌّ أن يحميه الله جَلَّوَعَلَا ويصونه.

أسأل الله الكريم الجواد المتفضل جَلَّوَعَلَا على عباده بجزيل الهبات أن يغفر لنا في هذا المكان أجمعين، وأن يرحمنا برحمته الواسعة، وأن يدخلنا وأهلينا جنته التي أعدها لعباده الطائعين بمَنِّه ورحمته وكرمه وجوده وإحسانه.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، يا من ندبت العباد لسؤالك ووعدتهم بالإجابة نسألك أن ترحمنا برحمتك، وتصرفنا عن معصيتك، وتستعملنا بطاعتك، وتهدينا إلى صراطك السوي يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم، وإخواننا وأولادنا وأزواجنا وسائر أقاربنا، وجميع إخواننا المسلمين يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ ارحمنا وتب علينا، اللَّهُمَّ اجعل أيامنا المقبلة أيام عملٍ صالح وأيام تفضلٍ منك وقبول، وأيام تسديدٍ وحفظٍ للجوارح من كل ما يشين يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ لا تفرط شهرنا هذا إلا وصحائفنا قد امتلأت بأسباب رضاك يا إله العالمين، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، وارحم أمَّتنا في كل مكان، وأصلح شأنها وسلطانها يا إله العالمين، اللَّهُمَّ اهدِ ضال المسلمين، اللَّهُمَّ انصر المظلومين المسلمين، اللَّهُمَّ

أعزَّ ذليلهم، وأشبع جائعهم، وأغنِ فقيرهم، واكسُ عاريهم يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ أصلح الدعاة في كل مكان، وأصلح القادة في كل مكان من أمتنا يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلح قادة الأمة وبارك لهم في العمل، وحبب إليهم طاعتك، وارزقهم التحاكم إلى ما أنزلت في كتابك وفي سنة نبيك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمرنا في هذه البلاد، اللَّهُمَّ وفقهم لطاعتك، اللَّهُمَّ جنبهم أسباب معصيتك، اللَّهُمَّ ارحمهم برحمتك الواسعة، اللَّهُمَّ افتح على قلوبهم، وأنر لهم بصائرهم، وقوِ عزائمهم، وثبت أقدامهم للحق يا إله العلمين، اللَّهُمَّ أصلح بهم البلاد والعباد، واحفظ بهم أمننا في ربوع بلادنا، وصن بهم مقدساتنا يا إله العالمين، وسلطهم على أعداء الإسلام، وقوِ عزائمهم، وارزقهم يا حي يا قيوم القوة بالحق والبصيرة بالدين، والثبات على الحق يا إله العالمين، اللَّهُمَّ وفقهم يا حي يا قيوم وكافئهم على ذلك يا أكرم الأكرمين عز الدنيا وثواب الآخرة ونحن معهم يا جواد يا كريم.

اللَّهُمَّ أذل اليهود والمشركين والنصارى والشيوعيين والملاحد الباطنيين، اللَّهُمَّ أكبت المجوس وأعوانهم في كل مكان يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ ثبت أقدامهم وسدد سهامهم، واجمع كلمتهم، وألف ذات بينهم، ونوِّر بصائرهم يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تجعل عملنا خالصًا لوجهك موافقًا لسنة نبيك إنك جوادٌ كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على الهادي الأمين محمدٍ، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

التَّوَسُّلُ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين الذي بعثه الله رحمة للعالمين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديهم، واتبع سنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن من أساس الأعمال الصالحة ما يتضمنه هذا الحديث الصحيح الثابت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في "الصحيحين" أنه قال: **«خَرَجَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ، فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى ثُمَّ أَجِيءُ، فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفُرِجَ عَنْهُمْ»**، غير أنهم لا يستطيعون الخروج.

وَقَالَ الْآخَرُ: **«اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ**

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/١٩هـ.

فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثُّلُثَيْنِ.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، وَلَكِنَّهَا لَكَ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ»(١).

فانظروا -يا عباد الله- إلى آثار الأعمال الصالحة في أيام الرخاء، وآثار الأعمال الصالحة في أيام القدرة، وآثار ترك الحرام عند القدرة عليه، وآثار برِّ الوالدين، ثلاثة أعمال:

أحدها: برُّ الوالدين.

والثاني: ترك الحرام بعد القدرة عليه.

والثالث: إعطاء أهل الحقوق حقوقهم خشية عقاب الله، وأملًا بثواب الله.

فكانت نتيجة ذلك أن فرَّج الله جَلَّ وَعَلَا عن هؤلاء النفر الثلاثة عندما عميت السبل، وانقطع الأمل، وانسدت الأبواب إلا من لدن اللطيف الخبير، وهذا جزءٌ من نعمة قول سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عمه: **«تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»**(٢)، عندما اشتد على هؤلاء الثلاثة الكرب،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (١٨/٥)، والترمذي (٢٥١٦)، والحاكم (٦٢٣/٣)، والبيهقي في شعب =

وأيسوا من النجاة، وانغلقت أبواب الرجاء عليهم، أنقذهم الله جَلَّ وَعَلَا بصالح عملهم؛ بِرُّ الوالدين قرين حق الله جَلَّ وَعَلَا، فالله سبحانه كثيرًا ما يقرن حق الوالدين بحقه، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [النساء:٣٦]، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]، إلى غير ذلك من الآيات، فبِرُّهما وتقديمهما على من سواهما يفرِّج الله جَلَّ وَعَلَا به الشدائد، ويكشف به الكُرَب، وينفِّث به الهموم، ويخرج الإنسان من المشاكل.

والعفة عن الحرام وردُّ النفس مع القدرة عليه، يورث الله جَلَّ وَعَلَا صاحبه عزًّا وسلامة، كما هي حال هؤلاء النفر الذين قصَّ سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا قصتهم،لاشك أن عدم التفكير بالحرام أمرٌ عظيم، ولكن ترك الشيء المحبوب للنفس المتطلع إليه عند القدرة عليه إنما يدل على أن ذلك الترك من أجل الله، وخوفًا من عقاب الله، أملًا في ثواب الله جَلَّ وَعَلَا؛ ولذا جاء في الحديث: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ، إلا أَعْطَاكَ خَيْرًا مِنْه**»[(١)].

والزنا قرين الشرك بالله جَلَّ وَعَلَا، وبرُّ الوالدين قرين التوحيد، فلمَّا حصل البرُّ وانكف الرجل عمَّا كان يطلب، وترك ما أحلته المرأة خوفًا من الله وأملًا في ثوابه، وذلك المستأجر لما سخط الأجير أجره لم يكتف بالاحتفاظ بحقه،

=

الإيمان (١/ ٣٧٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(١) أخرجه أحمد (٣٤/ ٣٤٢)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٣٩١)، وابن المبارك في الزهد (١/ ٤١٢)، والبيهقي (٥/ ٥٤٦) من حديث رجل من أهل البادية رفعه إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإنما ثمَّره ونمَّاه حتى صار ما صار من إبل وبقر وغنم ورقيق مماليك، فلما جاء بعد حين من الدهر يطلب أجره لم يتوانَ أن يقول: ما ترى هو أجرك، فاستاقه ولم يدع منه شيئًا، إن أمر الأجير -أيضًا- أمرٌ عظيم؛ ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يتعلق بالأجير: «**قَالَ اللهُ: ثَلاثَةٌ أنا خَصْمُهُمْ يوم الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى منه ولم يُعْطِ أَجْرَهُ**»[1]، فهؤلاء خصمهم الله يوم القيامة، والذي يتخلص من حقوق هؤلاء سمعتم ما فرَّج الله جَلَّ وَعَلَا به عن النفر الثلاثة حين سألوا ربهم وهم في أعظم كرب، وأقصى محنة، وأشد ضائقة في هذه الدنيا.

فالمسلم ينبغي له -لاسيما وأعمار هذه الأمة أقل ممن سبقها- أن يعتني ببر والديه، والإحسان إليهما، وتقديم طاعتهما، وحثهما على سواهما، يتقرب بذلك إلى الله جَلَّ وَعَلَا، ويستودع بذلك -بإذن الله- الكرب والمصائب، ينبغي للعبد أن يكف عن المحارم، وأن يتجنب الفواحش، وأن يصد عمَّا حرم الله، وأن يسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يغنيه بما أحلَّ عمَّا حرَّم، وأن يدع ذلك خوفًا من عقاب الله، ورجاءً بأن يكافئه الله جَلَّ وَعَلَا أفضل مما ترك، والله جَلَّ وَعَلَا غنيٌ حميد، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أكرم الأكرمين، والله جَلَّ وَعَلَا يجازي على الإحسان بالإحسان، فقد قال -جل من قائل-: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

ثم انظروا إلى أمر الحقوق، وعظيم فائدة التخلص منها، والعكس، أي: من لم يتخلص من حقوق العباد، فإن حقوق العباد أمرها عظيم، قد يتسامح

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله جَلَّوَعَلَا ويعفو عن حقه، ولكن حقوق العباد مأخوذة لا محالة؛ ولذلك جاء في الحديث عن المصطفي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«أَتَدْرُونَ ما الْمُفْلِسُ؟»** قالوا: الْمُفْلِسُ فِينَا من لا دِرْهَمَ له ولا مَتَاعَ، فقال: **«إِنَّ الْمُفْلِسَ من أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قد شَتَمَ هذا وَقَذَفَ هذا، وَأَكَلَ مَالَ هذا، وَسَفَكَ دَمَ هذا، وَضَرَبَ هذا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِه، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قبل أَنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ من خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عليه ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ»**[1].

إن حقوق العباد لها شأن وأي شأن؛ ولذلك لما قال للرجل للنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إن قُتِلْتُ في سَبِيلِ اللهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فقال له رسول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«نعم، إن قُتِلْتَ في سَبِيلِ اللهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ»**، ثُمَّ قال رسول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قال: أَرَأَيْتَ إن قُتِلْتُ في سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فقال رسول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«نعم، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ»**[2]، ومن الدَّيْن: حقوق المستأجرين، والديون المعروفة، والأمانات، فكل حق للعباد فهو من الديون الواجب أداؤها، من أداها في الدنيا فقد بريء منها في الآخرة، ومن لم يؤدها في الدنيا فالحساب أمامه يوم لا درهم ولا دينار، يوم لا شيء إلا الأعمال إما أعمال صالحةٌ تؤخذ، وإن لم توجد فسيئاتٌ من الغريم تُطرح على المدين الماكر

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٥) من حديث أبي قتادة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

الذي أكل الأموال بغير حق.

فيا أخي المسلم، خذ عبرة مما ذكرت، واسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يخلصك من حقوق عباده، ومن حقوقه جَلَّ وَعَلَا، واستعن به سبحانه على ذلك كله، فإنه من يستعن بالله يكن الله في عونه، ومن يتوكل على الله يتولى الله جَلَّ وَعَلَا حياطته وتأييده، ومن يرجع إلى الله في أموره كلها ويستنصره ويستهديه يهيئ له جَلَّ وَعَلَا من الأسباب النجاة من حيث لا يحتسب.

أخي المسلم، إن أمر الفواحش أمرٌ عظيم، وإنه جاء في الحديث الصحيح: **«كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ»**، فإذا ترك هذا أيُّ فضل يدركه، وأيُّ نجاةٌ يتحصل عليها، **«فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ»**، فانظر أيها المسلم، وانظري أيتها المسلمة أيَّ الأمارات حصلت وأيَّ مصائب وفتن بسبب النظرات واللفتات، **«وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»**(١).

فالفَرْجُ هو الخطوة الأخيرة، والنهاية المقيتة، والذي ليس بعده شيء من هذه الفواحش، هو نهاية المستنقع، وهو قاعة المنحدر، فأول أسباب الزنا العين والأذن والكلام، فنظرة فابتسامة فكلام، كل هذه بريدٌ من بُرُدِ الزنا كل واحدٌ منها بريد، وقد تتوافر هذه البُرد فتؤدي إلى الغاية الأخيرة، والأسباب تساهل وتهاون، فأسبابٌ تُبذل، وشيطانٌ يجري من ابن آدم مجرى الدم(٢)،

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) واللفظ له من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) كما في حديث صفية بنت حيي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥).

ورقابةٌ تضعف، وانزلاقٌ ثم أثم وندم، ولات ساعة مندم[١].

فحقوق العباد قد يتهاون المرء بها ويتساهل في شأنها، ولكن أمرها في منتهى الخطورة، فليتق الله كل مسلم، وليخاف عاقبة الذنوب والخطايا، وليتوسل إلى الله بكثرة طاعته جَلَّوَعَلَا من أداءٍ للواجبات، وتجنب للمحرمات، ومسابقة في أعمال الطاعات.

اللَّهُمَّ يا أكرم الأكرمين يا أجود الأجودين، يا من بيده تصريف الأمور، يا مقلب القلوب، نسألك بأسمائك وصفاتك أن توفقنا لصالح العمل، وأن تغفر منَّا الزلل، وأن تتوب علينا إنك أنت التواب الرحيم، اللَّهُمَّ يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللَّهُمَّ يا أرحم الراحمين اغفر لنا في هذا المكان أجمعين، اللَّهُمَّ اغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنَّا خطايانا، ويسِّر لنا يا إلهنا الأسباب المؤدية إلى مرضاتك، إنك أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أنت ربنا، اللَّهُمَّ نحن عبادك الضعفاء، اللَّهُمَّ نحن عبادك الفقراء، اللَّهُمَّ نحن الملتجئون إلى حماك المتوسلين إليك يا ذا الجلال والإكرام، نسألك ألَّا تقطع الوسائل من أيدينا، وأن تجعل وسيلتنا إليك الدنو من الأعمال الصالحة، وأن تهيئ لنا يا حي يا قيوم من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ إنا نستعينك ونستهديك، اللَّهُمَّ أعنَّا على طاعتك، واهدنا صراطك المستقيم، واغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وجميع أمواتنا، واغفر لنا وأصلحنا، اللَّهُمَّ أصلح ذرياتنا وأزواجنا، وطهر قلوبنا، واصرفنا عن الحرام أجمعين، واصرف الحرام عنَّا

---

(١) عجز بيت أورده ابن الأنباري في الأضداد (ص١٦٨) بغير نسبة، وتمامه:

فَلَتَعْرِفَنَّ خَلائِقًا مَشْمُولَة وَلَتَنْدَمَنَّ وَلاتَ سَاعَةَ مَنْدَمِ

بمنك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أصلح أمة الإسلام، اللَّهُمَّ اهدها، اللَّهُمَّ وفقها، اللَّهُمَّ يسر لها اليسر وجنبها العسر، اللَّهُمَّ حقق لها يا ذا الجلال والإكرام آمالًا كريمة، واجمع كلمتها على الحق، وألِّف ذات بينها يا إله العالمين، اللَّهُمَّ أصلح قادة الأمة الإسلامية في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم واهدهم يا حي يا قيوم واهدِ بهم، اللَّهُمَّ أنقذهم من الغفلة والضلال واهدهم صراطك المستقيم، واجعلهم يا إلهنا هداة مهتدين محكمين لشريعتك داعين إليك متمسكين بسنة نبيك. اللَّهُمَّ مَنْ صدَّ عن الكتاب والسنة فاهده إليها، ومن سبق في علمك ألا يرجع إلى الكتاب والسنة فاستبدله بمن يخافك ويرجوك ويرجع إلى دينك يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ وفِّق ولاة المسلمين للتعاون على البِرِّ والتقوى، والجهاد في سبيلك، والدعوة إليك، ونصرة الدعاة والمجاهدين يا رب العالمين، اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تزيد هذه البلد أمنًا وأمانًا ورخاءً وعزة، اللَّهُمَّ أصلح قادته وثبتهم بالقول الثابت، ويسر لهم يا حي يا قيوم أسباب العزِّ، واحفظهم واحفظ بهم البلاد والعباد، اللَّهُمَّ ارزقهم خوفك ورجاءك والاحتساب إليك فيما يعملون أو يتركون، اللَّهُمَّ وفِّقهم للمحافظة على أمن بلادنا، اللَّهُمَّ وفِّقهم للمحافظة على أمن البلاد، وحماية السبل المؤدية إلى هذه الأماكن المقدسة، اللَّهُمَّ احفظ بهم القاطنين في هذه البلاد والوافدين إليها من عمال وحجاج وزوار يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصرهم، وثبت أقدامهم، وسدد سهامهم، واجمع كلمتهم، وارزقهم صلاح النية وحسن الالتجاء إليك،

وصدق المتابعة لرسولك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووفقنا وإياهم لأقرب الطرق إلى مرضاتك يا رب العالمين، اللَّهُمَّ انصرهم وعجل لهم النصر والتمكين يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ أذل أعداءنا أعداء الدين، اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى والمجوس والشيوعيين والباطنيين الملاحدة يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أرنا في أعداء الإسلام عجائب قدرتك، اللَّهُمَّ حُطَّ على المسلمين الحرب وأوزارها، وأحلَّ محلَّ ذلك الأمن والأمان، وأذل كل عدو للإسلام يا إله العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ على سيد الخلق أجمعين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أَسْبَابُ الفَوْزِ وَالسَّعَادَةِ[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فلقد مضى شيء من الكلام فيما يتعلق بنداء الله لعباده المؤمنين أن يتخذوا بالتقوى، وأن ينظروا فيما قدموه لمنازلهم المقبلة، وأن يعلموا أن الله خبير بما يعملون، قد مضى شيءٌ من ذلك على قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

هذا النداء ينبغي من المسلم أن يكون سريع التلبية له، فرحًا بهذا الخطاب من المولى الكريم، الذي سعادة العبد وراحته وسلامته من كل مكروه متصلة بطاعة الله جَلَّوَعَلَا، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، فالله لمَّا دعا عباده مرورًا بهذه الدعوة حذرهم أن يكونوا كأولئك المفرِّطين الذين شغلهم حبُّ الدنيا، والرغبة في متاعها، والتنافس في شأنها عن طاعة الله جَلَّوَعَلَا، فنسيهم الله، تركهم ووكلهم إلى حولهم وقوتهم، ومن وُكِلَ إلى نفسه فقد ضاع.

يقول جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩]، إمَّا أن يكون الإنسان متقيًا لربه، مستعدًا بالعمل الصالح، لا ضرر فيما أعده ليوم غده من أعمال صالحة، فيفرح بذلك

---
(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/١٩هـ.

ويزداد فرحه وعمله، وإن تكن الأخرى يخشى العاقبة فليبادر إلى التوبة من الله. ويُحذِّر اللهُ عباده المؤمنين أن يكونوا كالذين نسوا الله، وهل الله جَلَّوَعَلَا حقيقٌ بأن ينسى؟! هل مَنْ نِعَمُهُ تتوالى علينا صباح ومساء، هل ما فينا من نعمة فمنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، هل الذي نعمه لا نستطيع إحصاءها، يستحق أن ينساه العباد؟!

وهم إذا نسوه إنما أضاعوا أنفسهم، وفرَّطوا في أسباب سعادتهم، وسلَّطوا عدوهم عليهم، فكان فيهم شبهٌ من الذين يُخْرِبون بيوتهم بأيديهم نسأل الله العافية، هؤلاء الذين نسوا الله فأنساهم الله بشؤم نسيانهم إياه أنفسهم، فلم يستعدوا لما يصلحها، ولم يتهيؤوا للأعمال التي تنجو بها من عذاب الله، نسوها فهيؤوا لها أسباب الهلاك، ويسروا لها وسائل الدمار، وقدموا رضا الشيطان -والعياذ بالله- على رضا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لمَّا نسوا الله فلم يعملوا بطاعته، ولم يؤدوا فرائض دينه، أعمى بصائرهم، وأصم آذانهم، فنسوا أنفسهم فلم يعملوا لها، ولم يستعدوا بأي شيء ينجيها يوم العرض والحساب، يوم تطاير الصحف؛ لأهل السعادة بأيمانهم ولأهل الشقاء بشمالهم، نسأل الله العافية.

هؤلاء المفرطون الذين نسوا أمر الله، وليس المقصود بالنسيان السهو الذي يعفو الله جَلَّوَعَلَا لصاحبه، وإنما المقصود بالنسيان الإعراض والإقبال عن أمر الله، وتركه وراء الظهور بدون مبالاة، فأثمر نسيان الأنفس، وذهاب الأعمال بغير فائدة، أنتج الفسق والخروج عن طاعة الله، فإن الفسق هو الخروج عن طاعة الله إلى معاصيه وارتكاب ما حرَّم.

ثم بيَّن جَلَّوَعَلَا أن أهل التقوى والنظر فيما يقدمونه لغد ليزيدوا الأعمال

الصالحة تنميةً وتوفيرًا، وليسعوا للأخذ بأسباب حياطتها والمحافظة عليها، هؤلاء لا يستوون مع أولئك الذين ينسون الله، وهو غير حقيق للنسيان، فإن نعمه جَلَّوَعَلَا تقتضي من عبده أن يكون ذاكرًا له، وطائعًا له، مقبلاً على أسباب مرضاته، متجنبًا أسباب مساخطه وعقابه، يقول جَلَّوَعَلَا: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر:٢٠]، لا يستوي من هو في نعيم ورغد في أنس وحضور، لا يستوي من يدخل الملائكة عليهم من كل باب يهنئونهم بهذه المنازل العالية والفوز بالجنة والنجاة من النار، لا يستوي هؤلاء مع أولئك الذين ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦]، ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الحشر:٢٠].

لاشك أنه لا يستوي ذو النعمة العارف لقدرها، لا يستوي صاحب العمل الصالح والمسابقة إلى مرضاة الله وجنته مع أولئك الذي إذا بدت له معصية اقتنصها، وإن تيسَّر له أمر خبيث أقدم عليه، وإن دُعِي إلى هدى وفلاح أعرض وتولى في أمور نكراء، هل يستوي من يأمر بالعدل والإحسان ومن يأمر بالفسق والعصيان؟ هل يستوي من يجيب داعي الفلاح إذا ناد المنادي حي على الصلاة حي على الفلاح، ومن إذا سمع النداء ضاق به ذرعًا وخنس من هذا النداء؟ ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر:٢٠]، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥].

إذن على المسلم -يا عباد الله- أن يختار لنفسه ما يشاء من المنازل،

وليس في الآخرة سوى منزلتين:

منزلة هي التي لا يفنى شباب داخلها، ولا تبلى ثيابه، ولا يتكدر صفو عيشه، ولا هم فيها، إنما هي سعادة لخلود لا موت بعده، فيها ما لذَّ وطاب من مآكل ومشارب وملابس ومنافع وسرور دائم.

ومنزلة أخرى إنما هي عذاب أليم، وهم وغم والعياذ بالله، وشر وبلاء وشقاء مستطير.

فأنت -أخي المسلم- في مكان تستطيع أن تستعد لإحدى المنزلتين، والمنزلة الكريمة المنزلة التي فيها السعادة والنجاة والسرور لا تحتاج إلى كثير بذل، ولا إلى عظيم عمل وعناء، وإنما تحتاج إلى توبة من الذنوب، وإقبال على الغفور الرحيم، وأداء لهذه الفرائض، ثم إن أردت العلو في الآخرة فتجنب الاستعلاء في الدنيا وظلم العباد، ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر:٢٠].

ما عليك -يا أخي- إذا وفقك الله جَلَّوَعَلَا إلا أن تأخذ بأسباب الفوز بالجنة، وهي المحافظة على شعائر الدين وتجنب المعاصي، وفي هذه الأيام المباركة والليالي الشريفة فاجتهد اقتداءً بمن غفر الله له ما تقدم من الذنب وما تأخر، فقد كان إذا دخلت العشر الأواخر من رمضان طوى فراشه، وشد مئزره، وأحيى ليله، وهجر النساء، مع أن الله غفر له الذنوب كلها، ولـمَّا قيل له ليرفق بنفسه؛ لأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فأنت -يا أخي المسلم- إذا وُفِّقت لطاعة من طاعات ربك، أو إلى عمرة في هذا البيت العتيق، أو مساهمة في الأعمال الصالحة في هذه الليالي المباركة، فإنها نعمة عظيمة، وعطاء من عطاؤه جزيل، وكرامة من الله جَلَّوَعَلَا أكرمك بها، آلا تشكر ربك على هذا التوفيق؟ وكثير من عباد الله في مثل هذه الليالي الشريفة في حمأة الرزية غارقون، وفي بحرٍ من الفسق والفجور يتقلبون، فربك جَلَّوَعَلَا رَفَق بك وحماك وأدناك إلى هذه الرحاب الكريمة المقدسة، آلا تشكر الله على هذا التوفيق، وتحمده جَلَّوَعَلَا على هذا التيسير، وتعزم صادقًا أَلَّا تقترف ذنبًا تعلمه، وأَلَّا تصر على خطيئة تقترفها، وأَلَّا تغفل عن طاعة تستطيع عملها؟

إذا فعلت ذلك وعزمت عليه، فإن الله جَلَّوَعَلَا هو الذي بيده التوفيق والتيسير، وهو الهادي إلى سواء السبيل، عليك أن تسأله وأن تصدق في سؤاله، وأن تعقد العزم، ثم التيسير إليه والأمر بيده، كل شيء له جَلَّوَعَلَا، له الخلق والأمر، وبيده جَلَّوَعَلَا تصريف كل شيء، وهو مقلب القلوب؛ ولذلك كان سيد الخلق محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر في دعائه أن يقول: **«اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»**، مع أن الله عاصمه، ومع أن الله غفر له ذنوبه كلها متقدمها ومتأخرها، فحريٌّ بي وبك -يا أخي المسلم- أن نكون على خوف كبير، فإن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِل لَمَّا سُمِع يكثر من هذا الدعاء، فقيل له: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَخَافُ عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا بِكَ، وَصَدَّقْنَاكَ بِمَا جِئْتَ بِهِ؟ قَالَ: **«وَمَا يُؤَمِنُنِي! وَقُلُوبُ العِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ**

قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ»(١).

إذن فلا يغتر العاقل بعقله، ولا يغتر المواظب على العبادة بعبادته وعمله، ولا يغتر ذو السن بتجاربه، فإن اللطف من الله، والهداية منه جَلَّوَعَلَا، وكم من زالٍّ بعد عمر طويل، وكم من منحرف وهو ذو عقل متين، وكم وكم؟! إن لله في هذه السياق عبرًا كثيرة، إن لهذه الحياة وما فيها من الابتلاء والعبر والمذكرات ﴿لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

فيا أيها المسلم، إياك أن تغتر، وإياك أن تأمن من مكر الله، فإن قومًا آمنوا من مكر الله فأخذهم الله جَلَّوَعَلَا على غرة، فخسروا الدنيا والآخرة.

إن ربنا جَلَّوَعَلَا إذا دعانا بهذا النداء الكريم يجب علينا أن نلبي الدعوة وأن تنشط أنفسنا، فإن الكريم الأكرم إذا دعا العباد إنما يدعوهم لما يصلحهم ويحيهم، لما ينجيهم من عذاب الله ويقربهم إلى رضوانه، لما يباعد بينهم وبين منازل أعدائهم، فلبُّوا الدعوة أيها المسلمون، وشمروا عن السواعد، واتخذوا من هذه الليالي المقبلة والأيام ميدانًا للتسابق، ومجالًا للمرابحة، وربكم غنيٌّ كريم مهما عملتم يعطيكم عطاءً جزلًا؛ لأن المولى جَلَّوَعَلَا يعطي عطاءً لا حدَّ له ولا ينقص ذلك من خزائنه(٢)، فيا أيها الناس، أخلصوا لله العمل، واسعوا

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣/ ٢٣٠)، وأبو يعلى الموصلي (٨/ ١٢٨)، والخرائطي في اعتلال القلوب (١/ ١٩)، والآجري في الشريعة (٣/ ١١٦١) من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا. وأخرجه مسلم بنحوه (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«يَدُ الله مَلأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»**. أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. والسَّحاء: الدائمة الصَّبِّ، يُقال: سحابة سحوح، أي: كثيرة الصَّبِّ. وفرس مسح، أي: سريعة شديدة العدو، تشبه =

جاهدين لنجاة بأنفسكم.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم يا كريم يا جواد اغفر لنا في هذا المكان أجمعين، وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء إنك أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ يا من بيده تصريف الأمور، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا أجمعين على دينك، اللَّهُمَّ يا إله العالمين ارزقنا خوفك ورجاءك في السرِّ والعلانية، واجعل يا إلهنا خلواتنا فيما بيننا وبينك أفضل من ظواهرنا يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من سوء المنقلب، اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من سوء العاقبة يا أكرم الأكرمين، ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

اللَّهُمَّ لا تزلَّنا ولا تفضحنا يوم يبعثر من في القبور، اللَّهُمَّ يا إله العالمين يا أكرم الأكرمين إنك قلت وقولك الحق: ادعوني أستجب لكم، اللَّهُمَّ إنَّا ندعوك ونستغيثك ونستجير بك من سيئات أعمالنا وخطايانا وعدونا الشيطان الرجيم، فأجرنا من مزلَّات الفتن، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين.

اللَّهُمَّ إنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، أنت الكريم الجواد الماجد، أنت العفو الكريم، اعف عنا وعافنا، واستر علينا، وأصلح لنا ذرياتنا وأزواجنا يا رب العالمين، اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللَّهُمَّ لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا

=

بانصباب المطر. يُنظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥١١).

يرحمنا، اللَّهُمَّ لا تضلنا بعد إذا هديتنا، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا، اللَّهُمَّ اغفر لأمواتنا أجمعين، وأصلح ضمائرنا يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّ المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أغنِ فقيرهم، وأشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وانصر مظلومهم، وأعز نبيهم في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح قادة الأمة الإسلامية في كل مكان، اللَّهُمَّ استعملهم فيما يرضيك، وجنبهم أسباب سخطك، واجمع كلمتهم على الحق، وارزقهم التعاون على البرِّ والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ أصلح بهم بلادهم وأمتك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم بالحق وانصر الحق بهم، وأعلِ بهم كلمة التوحيد يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ خُصَّ بلادنا هذه بمزيد من الخير ورغد العيش والأمن والأمان والاطمئنان، واحفظ ولاة أمرها واهدهم صراطك المستقيم، وأصلحهم وأصلح بهم، وانصر الحق بهم وانصرهم به، واجعلهم دعاة للفضيلة والحق، أنصارًا للدعاة إليك، معينين على كل خير، متعاونين مع أهل التقوى والصلاح يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ آمن بهم ربوع أوطاننا، وأصلح بهم أمتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ انصر بهم هذه البلاد، وادفع بهم الشرَّ عنها يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ أمِّن بهم كل قائم في بلادنا أو قادم إليها من حاج ومعتمر وزائر يا رب العالمين، اللَّهُمَّ كافئهم يا حي يا قيوم على ذلك بالعزِّ والتمكين في ظل كلمة الإخلاص كلمة التوحيد، وأعز بهم دينك، وارزقهم الفضيلة يا رب العالمين، ووفقنا وإياهم لما يقربنا إليك ويباعدنا عن سخطك.

اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تنصر المجاهدين في سبيلك، وأن تعاجلهم بالنصر والتمكين، وأن تزل أعداءهم أعداء الدين، اللَّهُمَّ انصرهم على الأعداء

ومكنهم من رقابهم وأموالهم، وارزقهم إقامة العدل في أوطانهم وإبعاد الأعداء عنها، اللَّهُمَّ عاجلهم يا حي يا قيوم بنصر مؤزر، وأرنا في أعدائنا أعداء الدين من اليهود والمجوس والنصارى والوثنيين عجائب قدرتك وعظيم بطشك وأنين عقابك يا حي يا قيوم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

اللَّيالِي العَشْـرُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، وتمسك بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

لقد تسرَّب الشهر الكريم، ومضت أغلب أيامه ولياليه، وما بقي إلَّا الاستدراك لمن لم يكن في أوله جادًّا مجتهدًا، والإتمام لمن كان محسنًا، **«وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»**(١).

فيا مَنْ جَدَّ في الأيام السالفة، وأطاع ربَّه واجْتَهَد؛ اجْتَهِد في هذه الليالي، هي أعظم ليالي هذا الشهر، بل هي أعظم ليالي العام، وإننا لا ندري أنفوز بلقياها مرة أخرى أم هي ختام بعضنا؟

ها نحن نودع في غالب فروض صلواتنا في هذا المسجد المبارك إخوة يرتحلون عنَّا، منهم من قد يكون شارك في أول الشهر، ومنهم من عاقه المرض عن المشاركة، ولكنهم رحلوا إلى المنازل الأخرى، والسعيد من رحل إلى بيت معمور، ودار مؤسسة، ومسكن رحب فسيح؛ أسسه بالأعمال الصالحة، وأضاءه بالإيمان والعمل، وشيَّد بناءه بكثرة طاعته لمولاه جَلَّ وَعَلَا.

إذا لم تكن هذه -أيها المسلمون- هي أول ليالي عشركم، هذه العشر المباركة التي هي من أعظم الليالي، فاجتهدوا بالعمل الصالح، تهجدوا بها كما أمر الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد جعل الله جَلَّ وَعَلَا لكم الليل والنهار متعاقبين

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٧) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكورًا، لمن أساء في الليل ليتوب إلى الله في النهار، ومن أساء في النهار وقصَّر ليتوب إلى الله في الليل، يُعاجِل بالندم، ويُبادر بالتوبة، وليعمل أعمالًا تدل على صدق التوبة، فإن الإنسان إذا قال: تبت إلى الله. وقلبه إلى المعصية منتفض، واتِّجاهه إلى السيئات متوجه؛ كان بمثابة من يقول ولا يفعل! وقد قال إلهنا في محكم التنزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢، ٣].

إن الإنسان إذا قال: تبت إلى الله جَلَّ وَعَلَا. فإن عن يمينه وشماله حفظة: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، فإن صَدَّق هذا القول بالعمل والجد والاجتهاد، والندم وكثرة الاستغفار، والتوبة على ما سلف؛ كان في سجل التائبين، ونفعه الله جَلَّ وَعَلَا بعمله، فوفقه بالمتابعة للأعمال الصالحة.

وإن كان يقول بلسانه ما لا ينطوي عليه قلبه، «**فَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[١]، والقلب هو صاحب السلطان والهيمنة على الجوارح.

إنك أخي محتاج لأن تنظر في نفسك؛ هل التوبة التي نتوبها صادقة مخلصة لله لنبادر إلى العمل تحقيقًا لتلك التوبة، ثم لنبادر لكثرة العمل في مثل هذه الليلة، والحرص على إتمام قيام آخر الليل؛ اقتداءً بسيد الخلق أجمعين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل شهر رمضان المبارك كان يصلي في الليل وينام في العشرين الأُوَل[٢]، فإذا دخل العشر الأواخر «شَدَّ مِئْزَرَهُ،

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ
=

وَطَوَى فِرَاشَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَأَحْيَى لَيْلَهُ»[١].

وكان السلف الصالح إذا جاءت هذه العشر رؤي آثارها في وجوههم؛ من سهر الليل، وصيام النهار، مع العمل الكثير في طاعة الله جَلَّوَعَلَا؛ كان أحدهم إذا رؤي قد يُظنُّ أن به مرضًا من شحوب وجهه؛ لكثرة بكائه في ليله وسهره، وانشغاله في نهاره بالعبادة وقراءة القرآن، يؤثر عليه هذا الشهر الكريم؛ ظمأ في النهار مع التلاوة، وسهر في الليل مع التهجد، وليس بسهر على قيل وقال، والوقيعة بأعراض الناس، أو في تمضية الليل باللعب وأنواع ما اخْتُرِع من لعب، وما راج من الألعاب السيئة.

إنك -أخي المسلم- ولا شك إن شاء الله ومن حضر وسمع ليس من أهل اللعب، وإنما إذا تذكر أهل اللعب الذين أضاعوا أوقاتهم وفرَّطوا في أعمارهم، وجعلوا ليلهم مجالًا للعبث واللهو والغفلة، إذا تذكرهم ورأى ما هو فيه من الخير يحمد الله جَلَّوَعَلَا على التوفيق والتسديد، فلولا لطفه وتيسيره ورحمته بعبده ما حصل لأحد منَّا شيء من العمل الصالح، ولكن كل عمل يُهَيَّأ لأحدنا بطاعة الله فإنه من توفيق الله جَلَّوَعَلَا وتيسيره، فإنه لا حول لنا ولا قوة إلا به جَلَّوَعَلَا، إنه سبحانه هو الميسِّر.

فإذا رأيت -أخي المسلم- غافلًا، وأنت على قدر من الذكر؛ فاحمد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، هو الذي وفَّقك ويسَّره لك، فلولاه جَلَّوَعَلَا ما صنعت ما صنعت،

=

الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ». أخرجه مسلم (١١٧٥).

(١) كما في حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

فإن كثيرًا من الحذَّاق العقلاء -أصحاب النظر الثَّاقب، والفكر الجيد، والصبر على العمل والعناء- بعيدون عن طاعة الله، وإذا دخل أحدهم إلى المسجد وجدته مهمومًا قلقًا، ينتظر ساعة الخروج، وإذا سهر في مجالس غفلةٍ، وقطيعة رحم، وغيبة ونميمة، وتحدث بالفسق والفساق، مضى الليل وما درى أنه قد مضى؛ لأن نفسه -والعياذ بالله- أُشْرِبت حُبَّ الباطل، ورضيت بالمنكرات، وأنست بما يغضب الله جَلَّ وَعَلَا ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فاحمد الله -أخي المسلم- فإن المسلم ينبغي له أن يشكر الله أن هداه للإسلام، وإذا وفِّق للطاعة والإكثار من العمل ومزاحمة الناس في الصفوف في المساجد؛ فليحمد الله على التيسير، وإذا أكثر من التلاوة وأكثر من البذل في وجوه البر والإحسان، ورأى أهل المال يبخلون بأموالهم، ولكنه هو وفَّقه الله للبذل من ماله؛ فليحمد الله جَلَّ وَعَلَا على التوفيق، فإن التوفيق من الله، وهو جَلَّ وَعَلَا صاحب المنَّة والفضل على مَنْ مَلَك مالًا، فإنه هو الذي مَلَّكه إياه، ومَنْ وَفَّقه للإنفاق في وجوه البر التي يرضاها الله، فإن الله هو الذي وفَّقه لذلك، فلولا توفيق الله جَلَّ وَعَلَا ما عمل عبد من العباد طاعة، ولولا لطفه سبحانه ما حضر أحد إلى مسجد من مساجده جَلَّ وَعَلَا، ولكنه هو الكريم الجواد.

فاحمدوه على التيسير، واشكروه جَلَّ وَعَلَا على التوفيق، وأروه من أنفسكم رغبة في العمل، وإقبالًا عليه، وتضرعًا وابتهالًا إليه، واغتنموا طول السجود في ليلتكم هذه وما يليها، فألحوا على ربكم جَلَّ وَعَلَا بالطلبات، وارفعوا له حوائجكم وأغراضكم كلها، فاسألوه إياها، فإنه سبحانه هو الذي يُعطي ويرزق، وهو المنان المنعم المتفضل، فاجتهدوا في هذه الأيام، اجتهدوا في طول

سجودكم بأن تسألوا ربكم أن يهديكم، وأن يوفقكم، وأن يحفظ عليكم إسلامكم، وأن يصونكم عن المعاصي، وأن يهدي نساءكم وأبناءكم وبناتكم، اجتهدوا في ذلك يا عباد الله؛ «**إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**»(١).

فاغتنموا الفرص أيها المسلمون، واعلموا -يا عباد الله- أن «**أَقْرَبَ ما يَكُونُ الْعَبْدُ من رَبِّهِ وهو سَاجِدٌ**»(٢)، فإذا سجدتم فاغتنموا قربكم من مولاكم، واسألوه حاجاتكم، وتعرضوا لنفحاته في هذه الأيام المباركة، إنه جَلَّ وَعَلَا لا يتبرم، ولا يتضايق، ولا يبخل ولا يرُد السائلين، إنه يعلم أسئلتنا مع تفننها واختلاف مطالبنا وطلباتنا واختلاف ألسنتنا وحاجاتنا؛ يعلم كلَّ ما نقوله ونسأله إياه، ويقضي حاجات السائلين إذا سألوا بصدق، ولم يكونوا عصاة ظلمة، ولم يحل سوءُ أعمالهم بينهم وبين ارتفاع دعائهم إلى السماء.

احرصوا على التوبة، واحرصوا على الإحسان إلى أنفسكم بتجنيبها ما حرَّم الله عليها؛ ليرتفع دعاؤكم إلى السماء، فيأتيكم من الله جَلَّ وَعَلَا الغوث والرحمة وإجابة الدعاء، أخلصوا لربكم في ليلتكم ولياليكم، ومنُّوا على أنفسكم بالعمل الصالح الذي يرضي الله عنكم جَلَّ وَعَلَا، وتسابقوا يا عباد الله، وإذا أحس أحدٌ منكم بفتور فليجتهد في معالجة ذلك ولو بالماء يسكبه على وجهه، فإن نضح الماء البارد على الوجه مما يساعد على قيام الليل والتهجد، فاجتهدوا يا عباد لله.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٥٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أسأل الله سبحانه بأسمائه وصفاته أن يهيئنا للعمل الصالح، وأن يهيئ العمل الصالح لنا، وأن يزيد كل عامل بالصالحات من العمل، وأن يوفق كل مقصر للتوبة والإقبال على العمل.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يجعل ليلتنا هذه ليلة خير وبركة وعمل وقبول لنا ولإخواننا المسلمين، أسأله أن يجعلها ليلة إقبال من المسلمين على الطاعة، وحرص من المسلمين على إرضاء المولى جَلَّ وَعَلَا.

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لنا في هذه الليلة المباركة أجمعين، وأن يزيدنا من كل خير، وأن يجنبنا الشر كله بمنِّه وكرمه، اللَّهُمَّ يا واسع الفضل والجود اللَّهُمَّ يا من قلت وأنت أكرم الأكرمين: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، اللَّهُمَّ يا من قلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، اللَّهُمَّ يا من قلت: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، نسألك يا إلهنا بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلى أن تتوب علينا، وتغفر لنا، وتعتقنا من النار في هذا المكان أجمعين، اللَّهُمَّ تب علينا واغفر لنا ولوالدينا ولأولادنا ووالديهم ولجميع أقاربنا يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أصلح فساد قلوبنا، اللَّهُمَّ أحي قلوبنا المريضة، اللَّهُمَّ أغثها بغيث الإيمان، اللَّهُمَّ آتِ نفوسنا تقواها، اللَّهُمَّ زكها أنت خير من طهرها وزكاها، أنت ربها ومولاها يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ لا إله إلا أنت لا أحد نسأله سواك، ولا رب يغفر الزلَّات إلا أنت، فاغفر لنا وارحمنا، ووفقنا لما تحط به الأوزار عنا يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أصلح المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ اهد ضالهم، وعلِّم جاهلهم، وأصلح فاسقهم، وأشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وأغنِ فقيرهم، وأعزَّ ذليلهم، وانصر مظلومهم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تجمع كلمة المسلمين على التقوى، وأن تؤلِّف بينهم، وأن تهدي ولاة أمرهم، وأن تصلحهم وتصلح بهم، وتعز بهم البلاد بدينك يا ذا الجلال والإكرام.

ونسألك يا حي يا قيوم أن توفق ولاة أمر هذا البلد، وأن تمنحهم مزيدًا من التُّقى والصلاح، وأن تعينهم على ما ولَّيتهم، وأن توفقهم لما تحبه وترضاه، وأن تجعل خوفك ورجاءك أحب الأشياء لديهم وأعزها لديهم، يا حي يا قيوم، وأسألك أن تعينهم على ما ولَّيتهم، وترزقهم حفظ هذه البلاد والمحافظة على أمنها، وإقامة العدل في ربوعها، وتيسير السبل المؤدية إلى بيتك العتيق وسنة رسولك الكريم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أصلح بهم المسلمين، وأعزَّ بهم الإسلام، وارفع بهم راية التوحيد يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ أعز بهم العقيدة السلفية السليمة، واقمع بهم أهل البدع والفجور، اللَّهُمَّ وفِّقهم يا حي يا قيوم لإصلاح أحوال المسلمين وجمع كلمتهم، وإذلال الفجرة الظالمين في البلاد الإسلامية، اللَّهُمَّ حُطَّ بهم عن المسلمين الحرب، واجمع بهم الكلمة، وأغث بهم القلوب يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ أعز المجاهدين في سبيلك، وانصرهم على أعدائك أعداء الدين، وعاجلهم بنصرك وتمكينك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ وفِّق الدعاة إليك بصدق اللهجة يا حي يا قيوم، واشرح لهم قلوب المدعوين، وأكثر يا ذا الجلال والإكرام في هذا الشهر من الإحسان والعمل

الصالح والقبول يا أكرم الأكرمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللَّهُمَّ اغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم.

اللَّهُمَّ أذل اليهود، والنصارى، والشيوعيين، والملاحدة الباطنيين، وسائر الفجرة المارقين، وجميع الكفرة الوثنيين، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك وخليلك محمدٍ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ثبت في "الصحيحين" وغيرهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«ثَلاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَةً، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ»**(٢).

فلعلك فهمت أيها المسلم، فهذا الذي لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا حرَّم الزنا على كل أحد، وحرَّم الكبرياء، والأشرَ والبطر على كل أحد، وحرَّم اليمين الكاذبة ولو مرة واحدة، ولكن إثم هذه الأعمال يتعاظم بالنسبة إلى مقترفيها، أو بالنسبة إلى تكررها واتخاذها خُلُقًا، فالزنا قرينٌ للشرك في التحريم وفيه العقوبة، إلَّا أنه إذا كان ممن ضعفت فيه دواعي الشهوة، وعظمت عنده التجارب، وعرف العارَّ وأثره، يكون الذنب أعظم، والعقاب أشد.

وإذا خُصَّ هؤلاء الثلاثة بمزيد من العَلامِ، وامتياز على أهل الذلة والمهانة

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/٢٠هـ.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦١١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٨٧) من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وأخرجه مسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه: **شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**».

بزيادة مكان، فخليق بالمسلم أن يتجنب هذه الفواحش، وأن يتجنب أسبابها ودواعيها، وألَّا يقرب حول حماها.

لا شك أن الشابَّ إذا زنى استحق العقاب الأليم؛ عقاب الدنيا وعقاب الآخرة، لكن ما الظن بمن وصف الشَّيبُ رأسه، وشمط شعره، وطال مكثه، وعرف الغَيْرةَ والعار، وضعفت قواه ووهن عظمه؟ ما باله يرتكب المحرَّم واقترف الجريمة المنكرة؟!

إن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثبت عنه أنه قال: «**أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً**»[١]، أبلغه عمره، فإذا لم يتب وقد بلغ تلك السن فمتى يتوب؟! إن الأشيمط الحقير الذي لم تنفعه سنه، ولم ينذره شيبه على ارتكاب المعصية، أعد الله له ما أعد. لقد جاء في تفسير قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧] أن من تفسيرها: أن الشيب قد لاح[٢]، فإذا لاح الشيب فهو نذير بالرحيل.

ولقد كان العرب في جاهليتهم يرون الشيب وازع، ويقول قائلهم:

كَفَى الشَّيْبُ وَالإِسْلامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) يُنظر: تفسير الطبري (٢٠/٤٧٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣١٨٥)، وتفسير البغوي (٣/٦٩٩).

(٣) عجز بيت يُنسب لعبد بني الحِسْحَاس، أنشده بين يدي عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتمامه:

وَدِّعْ سُلَيْمَى إِنْ تَجَهَّزْتَ غَازِيَا ... كَفَى الشَّيْبُ وَالإِسْلامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢٣٨).

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢٠٠)، وأبو بكر الدنيوري في المجالسة وجواهر =

ويقول الثاني:

وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ[(١)].

إن الغالب لمن شاب ألَّا يرتكب معصية من المعاصي، فكيف إذا اقترف الزنا؟! فهو خليق بهذه العقوبة: لا يكلمه الله، ولا ينظر إليه من باب الرحمة، ولا يزكيه. لقد كان يقينًا بأن الله لا يكلمه ولا ينظر إليه نظر رحمة، لكن لئلا يتوهم متوهم أنه لا يُعاقب وإنَّما يمتنع تقدير الله جَلَّ وَعَلَا ونظره له، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»**. احتقارٌ وإهانة ووعيد له بالعذاب الأليم.

فهذا هو الأشيمط الرجل المسن الذي يتجرأ على الفواحش، إذا كان في المقابل: **«يَعْجَبُ اللهُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»**[(٢)]، فإن ربنا جَلَّ وَعَلَا يستنكر من المسن أن يرتكب الذنب، ويجترئ على الخطيئة، لا سيما تلك الخطيئة التي إنما من دوافعها القوة البدنية وعدم التجارب.

=

العلم (٤/ ٢١٦) من مرسل الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ: «كَفَى بِالْإِسْلامِ وَالشَّيْبِ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّمَا قَالَ الشَّاعِرُ: كَفَى بِالشَّيْبِ وَالْإِسْلامِ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا. فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: بِالشَّيْبِ وَالْإِسْلامِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بِالْإِسْلامِ وَالشَّيْبِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، مَا عَلَّمَكَ اللهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَكَ.

قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٣/ ٢٧٥): «فهو مع إرساله فيه ضعف».

(١) البيت للنابغة الذبياني، يُنظر: ديوانه (ص١٢٢)، وتمامه:

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ

(٢) أخرجه أحمد (٢٨/ ٦٠٠)، والطبراني في الكبير (٨٥٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤١٧) من عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٠): «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، وإسناده حسن».

«أُشَيْمِطٌ زَانٍ»، يصفه بالتصغير لحقارته، وقلة رصانته، وعدم انتفاعه بعقله ومدة التجارب.

ويأتي للعائل المستكبر، جاء في الحديث أن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: **الْعَظَمَةُ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ»**[1]، وجاء في الحديث: **«مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ، لَمْ يَنْظُرْ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[2]، والخيلاء هي الكبرياء. هذا إذا كان المتكبر ذا نعمة، وذا سلطة وجاه، وذا غنى، مع ذلك لا ينبغي له أن يغتر بنعمة الله جَلَّ وَعَلَا فيتكبر، فإذا كان فقيرًا عائلًا فما الذي يدعوه إلى الخيلاء والكبر؟ ألا يكفيه ما هو فيه من قلَّة ذات يده، واحتياجه إلى ما في أيدي الناس؛ حتى يتكبر؟! ما فعل هذا التكبر إلا لخبث نفسه، وسوء سويته، وجرأته على تقمص ما ليس له، عائل ضاقت عليه المسالك في أمور الدنيا، وكأنه ضائع مع الضائعين، فما الذي يدعوه للكبرياء؟!

مع أن جميع أهل الدنيا يحرم عليهم التكبر؛ جاء في الحديث الصحيح: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**[3]. لا شك أن الإنسان إذا أطبقت عليه الأرض يمكن أن يموت في الحال، ولكن الله إذا أراد أن يطيل عذاب أحد من العباد لم يقبض نَفَسَه، وجعله يحس بالعذاب، ولو قبض روحه قبضًا دنيويًّا لحيى حياةً برزخية ليحس بالعذاب وعقاب الله على معاصيه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذا من حال أهل المال والجاه والمنزلة الكبيرة في الدنيا، فلا يُباح لهم الكبرياء ولا الخيلاء ولا الأشر، فما بال الفقير إذا هو خليق ألا ينظر الله إليه ولا يزكيه وأن يعد له العذاب الأليم.

إن العاقل ينبغي له أن يعرف نفسه من أين نشأ، وإلى أين ينتهي، خُلِق من تراب ويرجع إلى أن يكون ترابًا، خُلِق من ماء مستقذر، ثم هو في وضعه وحياته يعرف ضعف نفسه عند أدنى ألم يصيبه، أو عند أدنى أمر شائك يقع فيه، فما الذي يدعوه إلى أن يتكبر؟! فإذا كان في حال الفقر والحاجة يلتمس مما في أيدي الناس، ثم يتكبر بهذا المال المتسوَّل، أيُّ خُلُقٍ هذا؟!

إن على المسلم أن يعرف منزلته، فإنه العبد الفقير المقدع، والآخر الغني المفرط في ثرائه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]. إن الإنسان لا يحب أن يحس في بعض الحالات بشيء من الزهو بالنفس، والنظر إليها قد يُعْجَبُ في بعض الحالات، إذا رأى من انتقص عقله، أو ضعيف عقل، أو عديم رأي، أو ضعيف قدرة، قد يحس بشيء من الزهو والخيلاء، لكن عليه أن يبادر التذكر أن ذلك ليس منه، وأن ربه جَلَّ وَعَلَا لو شاء لجعله أحقر الناس وأرذلهم، فليبادر إلى حمد الله إن كانت في أخيه نقيصة لم تكن فيه، أو رأى تصرفًا يُستنقص من أخيه لم يجرؤ هو على ارتكابه، فليحمد الله جَلَّ وَعَلَا على توفيقه أن حال بينه وبين ما يُستهجن، وليتجنب الخيلاء والكبرياء، كلما أحس بشيء فليبادر بتوجيه نفسه.

أما الحلف فله شأن وأيُّ شأن، الحلف الكاذب يُسمَّى: اليمين الغموس،

فإذا حلف على اقتطاع ما عند إنسان بغير حق **«لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»**[(١)]، فلمَّا قيل للنبي المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»**[(٢)]. وإن كان مسواكًا إذا حلف عليه كاذبًا لقي الله وهو عليه غضبان.

أما هذا الذي **«لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ»**، فهو ذو الأيمان الكاذبة، يحلف على السلعة وقد اشتراها بكذا ولا يريد مكسبًا، يحلف لقد باع على عدد من الناس بأكثر من ذلك، ولكن يبيعها عليك من أجل خاطرك أو لأجل الابتداء في هذا الصباح، إلى غير ذلك من أنواع الحيل، أو يقول: لم يبق عندي سواها، فيحلف لقد باع بكذا وكذا، فيجعل اليمين سببًا لترويج بضائعه، يشتري بالله جَلَّ وَعَلَا والحلف به سبحانه ثمنًا قليلًا، فهذا وأمثاله لهم النار يوم القيامة.

إن المسلم يجب أن يكون أمينًا، فهو لا يحلف إلا إذا ألجأته الضرورة للحلف، ولقد كان سلف هذه الأمة يتورعون عن الحلف بالحق تنزيهًا لاسم الجليل الكريم أن يُجعل دافعًا يدفع عنهم أمرًا من أمور الدنيا، أو جالبًا يجلب لهم شيئًا من حطام الدنيا، تورعًا وتنزيهًا لهذا الاسم الجليل العظيم أن يحلفوا على أمرٍ يروا أنه أحقر أن يُحلف عليه، فأعطاهم الله جَلَّ وَعَلَا ثواب الدنيا وعنده الأجر في الآخرة الذي لا تزول.

فأنت -يا أخي المسلم- مطالب بأن تتهيَّأ للابتعاد عن هذه الأخلاق التي

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٦)، ومسلم (١٣٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٧) من حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

سمعت ما جزاؤها، وما عاقبة مقترفها، فإذا كنت -أيها الشاب- بعيدًا عن الرذائل والاستعلاء والكبرياء فوطِّن نفسك بصفة مستمرة على أن تكون دائمًا بعيدًا عن مواقف الرِّيَب، لا شك أن الشاب تعرض له دوافع لكي ينبغي أن يعلم أن عذاب الله شديد، وأن اللذة الخاطفة لا تعادل لا من قريب ولا من بعيد ما أُعِد من النكال والعذاب، لو تصور مقترف الذنب أن يضع إصبعًا من أصابع يده أو رجله على جمرة؛ لكفى بذلك زاجرًا على الجريمة الفاحشة النتنة، ولو أن من يمشي خيلاء أو يتكبر على عباد الله يتصور ما يُحشر عليه أمثال هؤلاء يوم القيامة؛ لفزع من الكبرياء والعجب والبطر؛ **«يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ**[(١)]**، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الخَبَالِ»**[(٢)]، يغشاهم الناس، ويعلمون أنهم أهل أخلاق خبيثة من الكبرياء والأشر وغمط الناس وبتر الحق.

فاحرص -يا أخي المسلم- على أن تتخلَّق بالأخلاق الحميدة التي يحسن للمسلم أن يتحلَّى بها، وأن يتزين بها؛ عفة في العِرض، وعفة في اللسان، وعفة

---

(١) بُولَس: قال أبو موسى المديني: «لعله من الإبلاس إن كان عربيًّا»، والإبلاس هو الإياس من رحمة الله، وإنما قيل للبائس: مُبلِس، لأن نَفسَه لا تُحدِّثه بالرَّجاء. وقال القاضي البيضاوي: «ولعل هذا السجن إنما سُمِّي به؛ لأن الداخل فيه أيس من الخلاص عمَّا قريب». يُنظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (١/ ١٨٥، ١٨٦)، وتحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٣/ ٢٧٩).

(٢) أخرجه أحمد (١١/ ٢٦٠)، والترمذي (٢٤٩٢)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٣٩٨) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

في السمع والبصر، وعفة في جميع أحول بدنك، تواضعًا، أن تتصف بالتواضع لعباد الله، للصغير والكبير، إلا أهل المعاصي والفجور والمجون، فهم لا يتواضع لهم، بل أشعرهم بمهانتهم وسوء أحوالهم؛ لعلهم أن يتوبوا إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

ويا صاحب البيع والشراء، أو يا مقتضي السلع، تجنب الأيمان، واحرص، فقد قال سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْحَلِفُ مُنْفِقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مُمْحِقَةٌ لِلرِّبْحِ»**[1]، وإن جاء الحلف بالكسب الحاضر فإن هذا الكسب الحاضر محدود البقاء، سوف يزول ويضمحل، فإن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوى، كلامه إن هو إلَّا وحي يُوحى عليه أفضل الصلاة والتسليم، فهو يقول: إن الحلف على السلعة منفقة لها وإن أتى بكسب، ولكن الحلف ممحق لكسبها.

فتجنب ذلك -يا أخي المسلم- واحرص على التحلِّي بالآداب الكريمة، والأخلاق النبيلة، والصدق في الحديث، وتجنب اليمين وإن كنت محقًّا، إكرامًا لاسم الله جَلَّ وَعَلَا، لاسم الله أن يُمتهن، واحترامًا لنفسك أن تُتَّهم بأنك من أهل الأيمان المتكررة، وأهل الأحلاف الذين لا يتورعون عن بذل الأيمان بسبب وبدون سبب ولأدنى حاجة وغرض.

إنك إذا حرصت -يا أخي- على تجنب هذه الرذائل، وعلى التحلي بالفضائل، أعانك الله على تجنب الأخلاق الذميمة، والأخذ بحظ وافر من الفضائل، أسأل الله الكريم الجواد رب العباد أن يرزقنا أجمعين العفة في جميع جوارحنا، والصيانة والسلامة من الفواحش، وأن يطهرنا من ذلك، وأن يطهر

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أزواجنا وذرياتنا وبيوتنا وسائر أقاربنا بمنِّه وكرمه، اللَّهُمَّ ارزقنا العفة في القول والعمل، في النظر والسمع وسائر الجوارح يا إله العالمين، اللَّهُمَّ اجعل بيوتنا وبيوت إخواننا المسلمين طاهرة عفيفة نقية من كل ضلال، وارزقنا يا حي يا قيوم التواضع لعبادك، والبعد عن أخلاق المتكبرين المتجبرين، والصدق في ذلك يا إله العالمين، وجنبنا إلهنا ابتذال الأيمان، واتخاذها وسائل لشرائنا وبيعنا، اللَّهُمَّ جنبنا هذه الأخلاق الذميمة، وامنحنا يا ربنا أخلاقًا عالية كريمة ترضى عنها وتحبها، فإنك أكرم الأكرمين وأجود الأجودين.

ثم اللَّهُمَّ اغفر لنا ذنوبنا، وارحم ضعفنا، وتجاوز عن تقصيرنا، وأحينا حياة طيبة يا رب العباد، اللَّهُمَّ آمِنَّا يوم الفزع الأكبر، وآمِنَّا يا ربنا من فتن الدنيا ومصائبها، وأحينا وارحمنا وجنبنا أسباب سخطك إنك أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ اهدنا واهدِ ذرياتنا وأزواجنا وأقاربنا، واغفر لنا ولأمواتنا يا حي يا قيوم يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ ارزقنا الصلاح والاستقامة، اللَّهُمَّ اجعل هذا اليوم المبارك يوم خير ومغفرة، يوم عمل صالح وقبولٍ لنا في هذا المكان ولسائر إخواننا وبنيننا وبناتنا وأزواجنا يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تجعل يومنا هذا يومًا أبر على أمة الإسلام في كل مكان، اللَّهُمَّ اجعله يا حي يا قيوم يوم انتصار للمجاهدين، ويوم علو لكلمة الحق والتقوى، ويوم رغد عيش لأمة الإسلام والاستمرار في ذلك، إنك أنت الفعال لما تريد.

اللَّهُمَّ أصلح ذرياتنا وأزواجنا، اللَّهُمَّ أصلح المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ اهدِ ضالهم، اللَّهُمَّ اغفر لهم جميعًا، اللَّهُمَّ أعز ذليلهم، وانصر مظلومهم، وأغنِ فقيرهم، وأشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وأمِّن خائفهم في كل مكان

يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ اعتق رقابنا من النار، اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو فاعف عنا يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أصلح قادة الأمة الإسلامية، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهدِ بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، وارزقهم خوفك ورجاءك واتخاذ ما يرضيك، والامتثال لأمرك، والأخذ على أيدي السفهاء يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ وفقهم للعمل بكتابك وسنة نبيك، اللَّهُمَّ من فرَّق بين الكتاب والسنة واستمر على ذلك ففرق بينه وبين الحياة يا قوي يا عزيز، واستبدله بمن يخافك ويرجوك ويتبع هدى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ عاجلهم بنصرك وتأييدك، اللَّهُمَّ امنحهم رقاب أعدائهم وأغراضهم ومعداتهم يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أقم لهم دولتهم، ومكنهم يا ذا الجلال والإكرام، وقوهم وخذ بأيديهم، وادفع عن بلادهم كل سوء، وأقم لهم الحق والعدل يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أذل أعداءنا أعداء الدين، اللَّهُمَّ دمر قادة الكفر والإلحاد يا رب العباد، اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى والباطنيين والشيوعيين والمجوس وسائر الكفرة الملحدين يا قوي يا عزيز، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه على يوم الدين.

الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

عباد الله، لقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في محكم التنزيل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فصلت:٣٣، ٣٤]، فأهل الحسنات لهم الإحسان ولهم العفو والغفران، وأهل السيئات إن لم يتوبوا فلهم جزاء السيئات، والله لا يظلم من العباد أحدًا.

هذا التوجيه وهذا الخبر من المولى جَلَّ وَعَلَا، الذي يبيِّن أنه لا أحد ﴿أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، لابد من الإسلام، وإلَّا فلو دعا الإنسان إلى أكرم الخصال ولم يعمل بها، فإنه إنما ينتفع منافع دنيوية، وأمَّا في الأخرة فليس لمن لم يسلم فيها حظٌّ ولا نصيب.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، الدعوة -أيها المسلمون- وظيفة الرسل وأتباعهم الصادقين باتِّباعهم، فأيُّ شرف أفضل من أن يترسَّم الإنسان خُطى المصطفى ورسل الله جَلَّ وَعَلَا، فيدعو إلى دين الله، وينذر الناس عذاب الله، ويحذرهم أن يأخذهم الله على غِرَّة، أن يأخذهم على غفلة من أمرهم حينما يستمرئون دنياهم، ويستلذون متعها، ويغفلون بذلك عن مستقبلهم.

إن الدعوة إلى الله وظيفة أنبياء الله ورسله، الذين أرسلهم الله جَلَّ وَعَلَا

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/٢٠هـ.

لهداية البشر، وهي وظيفة أتباعهم؛ كما قال الله جَلَّوَعَلَا لنبيه محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]، يُنزِّه الله، ويتنزَّه هو وأتباعه عن الشرك بالله.

إن المسلم ينبغي له -يا عباد الله- أن يكون داعيًا إلى الله بقوله وعمله، أما بالقول: فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على حسب استطاعته وعلى وفق المقاصد التي بينها سيد الخلق محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أهل القدرة على التغيير باليد يغيرون بها، والعاجزون عن التغيير باليد يغيرون باللسان، بالدعوة واستنكار المنكر، والتحذير من مغبته، فإن في ذلك ذكرى تنبيهًا للقلوب، وشعورًا بأن هناك من عباد الله من يستنكر.

وأما إذا استعر الفساد، واستشرى المنكر، وتسلط أهل الغواية والباطل، فإن المرحلة الثالثة التي هي آخر مراحل ودرجات الإيمان وتغيير المنكر، وذلك ببغض أهل المنكر وكراهة ما يعملون، والحرص على الابتعاد عنهم، وعدم التعاون معهم، وإشعار النفس بأنها على خطر إن هي داهنتهم أو جارتهم على منكراتهم.

إذن فالدعوة إلى الله -يا عباد الله- هي وظيفة الرسل، وهي وظيفة المسلم؛ ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فاحرص -يا أخي المسلم- أن تكون متصفًا بهذا الوصف الحميد، متحليًّا بهذه الحلية الجميلة، متخلقًا بخلق الأنبياء، وأتباع الأنبياء، وأتباع محمد سيد

الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم إياك -يا أخي- أن تغتر بنفسك، فإن هذا من عوامل فساد العمل وتخلف ثمراته، ربنا يأمرنا أن ندفع السيئات بالحسنات، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت:٣٤]، فإذا رأيت من أحد إحسانًا فبادره بالإحسان، وإذا رأيت من أحد اشمئذاذًا فاشمله بعطفك عليه ودعوته إلى الحق.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤]، فإذا أنت مرَّنت نفسك على ذلك، وتعوَّدت هذا الخُلق، أصبح من كان عدوًّا لك بمنزلة أوليائك الحميمين أصحاب القرابة والمودة، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ﴾ ينقلب -يا أخي- من العداوة إلى الصداقة، ومن المناكفة إلى المقاربة، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

ومن يدرك هذه الخصلة، ومن يصل إليها، ومن يُيَسَّر له التَّسلُّم والتَّرقي إلى درجاتها؟! ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [فصلت:٣٥]، الذين يصبرون إذا أوذوا في الله، الذين يصبرون على أذى الخلق إرضاءً للخالق، وأملًا في هداية المخلوقين؛ ليفوزوا بثواب ربهم جَلَّ وَعَلَا الذي أعده للدعاة المهتدين، الهادين في دعوتهم؛ لأن **«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»**(١).

وهذا من فضل الله على العباد وإحسانه إليهم، وكرمه جَلَّ وَعَلَا وجوده،

---

(١) أخرجه أحمد (١٥/٨٣)، ومسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يهتدي على يديك خلق كثير، تدعو متمسحين بالقبور ناذرين للأولياء إلى ترك هذا البلاء والمنكر، فيستجيبون لك، بماذا تصل إلى ذلك؟ بالخلق الكريم، والرحمة بالمدعويين، فيكون قولك وعملك ونظراتك سببًا في هداية الخلق، فيهتدي على يديك خَلْقٌ عظيم، فثواب ربك جَلَّوَعَلَا لا حدَّ له أعظم من كل شيء، يكون لك مثل أجورهم دون انتقاص لشيء من أجورهم، توفَّى لهم أعمالهم، وتوفَّى لك أنت مثل أعمالهم فضل من الله جَلَّوَعَلَا وإحسان منه على العباد.

هذا الذي يفوز بذلك هو صاحب الحظ، لا يوجد حظ -يا أخي- مع ما يتوهموه بقولهم: فلان محظوظ، باع بيعة رابحة عجيبة! وفلان محظوظ ترقى إلى عمل يكسب منه مالًا وفيرًا، وفلان محظوظ، وفلان وفلان عنده كذا وعنده كذا من مال وبنين وأهل وعشيرة وعزٍّ في هذه الدنيا، كلُّ ذلك إذا لم يكن معينًا على الفوز في الآخرة ومساعدًا للتقرب إلى الله جَلَّوَعَلَا، ومذكِّرًا بفضل الله جَلَّوَعَلَا، حاملًا من أُعْطِي ذلك على الشكر لله، فهو وبالٌ على صاحبه، وفتنة وشرٌّ وبلاء مستطير.

وهل هذه الدنيا إلا ابتلاء وامتحان؟ من عرف حقَّ الله فيها وفضل الله عليه فيما أعطاه، كان سببًا لأن يصل إلى المنزلة التي فيها الأمان والسعادة والسرور والحبور، ومن اغترَّ بها فهو مبخوس الحظ، عديم الفائدة، عديم الربح، دائم الخسارة، نسأل الله العافية والسلامة.

هذه ثمرات هذه الفضائل الجليلة، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥]، ليس عِظَمُ الحظ -يا عباد الله-

بالصحة الجيدة، ولا بِمُتع الدنيا وملذَّات الطعام والشراب، ولا بجميل الكسوة، ولا بما يفوز به الإنسان ويحوزه مما تتطلع إليه نفوس الناس في هذه الدنيا، لا شك أن هذه من زينة الحياة الدنيا.

ولكن الحظ الحقيقي إنما هو بالباقيات الصالحات، إنما هو للذين يفوزون بأحسن القول وأعذبه وأجمله، ويكونون سببًا لهداية عباد الله، أحب عباد الله أنفعهم لعباد الله، أحب الخلق إلى الله جَلَّوَعَلَا من كان أكثر نفعًا لعباد الله[1]، أحب الناس إلى الله من كان أصدق متابعة لرسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قوله وعمله وفضله وتوقيه صلوات الله وسلامه عليه.

فيا أخي المسلم، لا تنس أنك في هذه الليلة في أولى ليالي العشر المباركة، وقد مضت العشرون الأول من هذا الشهر المبارك، فماذا أنت أودعت في هذه الليالي والأيام من الأعمال؟! وها أنت دخلت العشر الأخيرة، مضت الأرباح بالرحمات والمغفرة، وبقي العتق من النار، فهل لك أن تفوز بذلك؟ هل لك أن تتعرض لمعتق الرقاب جَلَّوَعَلَا؟ هل لك أن تتحرى نفحاته جَلَّوَعَلَا؟ دونك الميدان الفسيح، دون الوقت الذي هو وقت هذه المرابحة والتعلُّق بعفو الله

---

(١) أخرج الطبراني في الأوسط (٦/ ١٣٩) عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ -يَعْنِي: مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلأَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ**».

وأسباب لطفه، وجميل عفوه وإحسانه، ما عليك -يا أخي- إلا أن تبتهل متضرعًا، وأن تتهجد بين يدي الله في مثل هذه الأمكان المباركة، منقطعًا عن الشواغل إذا دخلت في صلاتك بين يدي الله؛ لأنك إنما تخاطب وتناجي ربك، فإذا ما انصرفت بفكرك باعدك الله جَلَّوَعَلَا.

فوطِّن نفسك على الانشغال بالله، والإقبال عليه، والحياء منه جَلَّوَعَلَا أن يراك منصرفًا عنه وأنت واقف بين يديه.

اتق الله جَلَّوَعَلَا، فإذا خرجت من عبادتك لربك فادع إلى الله بالقول والعمل، وإذا عُدْتَ إلى وطنك فتخلص من الذنوب والسيئات، وأكثر من دعوة الناس إلى الله، إن رأيتهم فيما هم فيه من عمل سيئ مما ينافي التوحيد؛ من دعاء للأموات والأحياء الغير قادرين على الإجابة، ومن نذر للقبور والجن وغير ذلك، فأخبرهم أن ذلك حرام، وأن الرزق بيد الله، وأن الله هو الذي يدفع عن عباده، فلا يجوز دعاء غير الله، ولا النذر إلا لوجهه الكريم، ولا الذبح لغير الله، ولا التمسح ببناء غير هذا البناء، مَنْ تمسَّح بعد هذه الكعبة ببناء -على قبرٍ أو غيره- يتقرب إلى الله بهذا التمسح فقد أفسد عبادته بهذا البيت العتيق.

احرص -يا أخي- لأن تكون مصلحًا داعيًا إلى الله من عباد الله الصالحين المصلحين، ثم جدَّ -يا أخي- بتقويم لسانك، وتعويده على صدق اللهجة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

احرص على أن تصدق بقولك فعلك وبفعلك قولك، حتى يكون قولك

مواطئًا لفعلك وفعلك مواطئًا لقولك، فتنال به -إن شاء الله- التوفيق والتسديد والسلامة من عقبات الطريق ومنعطفاته، فتستمر على الصراط المستقيم.

أسأل الله الكريم الجواد الغفور الرحيم، الذي بيده كل شيء وهو الفعال لما يريد أن يرحمنا في هذا المكان أجمعين، وأن يغفر لنا مغفرة من عنده لا تدع ذنبًا إلى أتت عليه.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم، يا جواد يا كريم، يا سامع الصوت، يا مجيب الدعاء، يا من لا يردُّ من دعاه، أجب دعاءنا واغفر ذنوبنا، وأصلح حالنا، وطهر ذنوبنا، اللَّهُمَّ ارحمنا برحمتك الواسعة، واغفر لنا بمغفرة من عندك، واجعلنا في هذه الليلة من عتقائك من النار يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ من يعتقنا من النار إن لم تعتقنا؟ اللَّهُمَّ من يرحمنا إن لم ترحمنا؟ اللَّهُمَّ إلى من نتوجه إذا رددتنا؟ اللَّهُمَّ لا تصدنا عن رحمتك، ولا تحرمنا أجر ثوابك بسوء عملنا يا أكرم الأكرمين يا أرحم الراحمين.

إلهنا .. ليلتنا هذه ليلة مباركة فلا تحرمنا خيرها وفضلها بذنوبنا، اللَّهُمَّ يا رب العباد، يا مجيب السائلين، يا حي يا قيوم، يا عفو يا كريم، اعف عنا واغفر لنا وارحمنا، وطهر ذنوبنا، وبدل السيئات بالحسنات، واغفر اللهم لأمواتنا أجمعين، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولهم أجمعين، وأصلحنا وذرياتنا وأزواجنا يا رب العالمين، بما تمن علينا بالهداية، بما تمن علينا بالتسديد والرحمة، اغفر لنا يا مولانا وأصلح لنا الأقوال والأعمال، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أصلح فساد المسلمين، اللَّهُمَّ اجمع أمتنا على الحق، اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّها، وأصلح فاسدها، واكسو عاريها، وأشبع جائعها، اللَّهُمَّ أغنِ أمة

الإسلام بفضلك، اللَّهُمَّ أغنِ أمة الإسلام بفضلك، وأعزها بطاعتك، واقهر بها أعداءك أعداء الدين.

اللَّهُمَّ أصلح القادة في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح قادة المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ اهدهم واهدِ بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، واقم بهم العدل في بلاد الإسلام، واجعل أحب الأشياء إليهم طاعتك وطاعة رسولك يا رب العالمين، اللَّهُمَّ ارزقهم القيام بأمرك، وتحكيم شريعتك، والدعوة إليك، والصدق في اتباع هدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللَّهُمَّ يا رب العباد وفِّقهم للتمسك بكتابك الكريم وسنة نبيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ أذل من أراد أن يُفَرِّق بين الكتاب والسنة يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى، اللَّهُمَّ أذل أهل الكفر والإلحاد والفجور، اللَّهُمَّ اكبت أعداءنا أعداء الدين من الرافضة والشيوعيين والملاحدة الباطنيين وسائر الكفرة المجرمين.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في كل مكان، اللَّهُمَّ عاجلهم بنصرك وتأييدك، اللَّهُمَّ مكنهم من رقاب أعدائهم، واستنقذ بهم بلادهم وبلاد اللإسلام، وأعد بهم المجد والعزة للإسلام يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ أذل كل طائفة فاجرة تريد محاربة دينك وإذلال عبادك المؤمنين، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ وفِّق ولاة أمرنا في هذه البلاد للقيام بأمرك، والدعوة إليك، وإخلاص العمل لك، اللَّهُمَّ احفظ بهم أمن البلاد وربوعها، اللَّهُمَّ أعز بهم البلاد والعباد، اللَّهُمَّ انصر الحق بهم وانصرهم بالحق يا رب العالمين، اللَّهُمَّ

أصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهد بهم، وانصرهم على عبادك المجرمين يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ وفقهم للمحافظة على أمن هذه البلاد، وتأمين السبل المؤدية إلى بيتك العتيق يا أرحم الراحمين، اللهم جازهم على ذلك عزَّ الدنيا وثواب الآخرة، واحفظنا وإياهم بحفظك، وارحمنا وإياهم برحمتك، وعاملنا وإياهم بعفوك يا أكرم الأكرمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

صِفَـاتُ المُنَافِقِينَ[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ثبت في "الصحيحين" وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»**[٢].

هذه الخصال السيئة لا ينبغي أن يتخلق بها أو يتحلَّى بها المسلم، فهذه الخصال هي خصال المنافقين، إذا اتصف الإنسان المسلم بجميع هذه الخصال الأربع -كذَّابًا خائنًا فاجرًا غادرًا- ما تبقى منها خير، فالكذب وحده ثبت في "الصحيحين" عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»**[٣]، قال: إن الكذب وحده يهدي إلى النار، فكيف الظن بمن فيه الكذب والغدر والخيانة والفجور في الخصومات؟!

إن المسلم ينبغي له إذا سمع خصلة من خصال الخير أن يتفقد حاله لعله

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/٢١هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لم يتصف بها، فإن لم يجد نفسه متصفًا بها حاول الاتصاف واجتهد في ذلك، وإذا سمع خصلة من خصال الشرِّ تفقد نفسه خشية أن يكون متصفًا بها، فإن لم يجدها من خصاله وأخلاقه حمد الله جَلَّوَعَلَا، وفرح بالسلامة من الشرِّ، وإن وجدها فيه -وما أكثر ما نجد عندنا من الخصال السيئة- فليبادر بالإقلاع عنها، والتوبة إلى الله جَلَّوَعَلَا منها، والندم على أنه كان متصفًا بها، وليعقد العزيمة الصادقة على أن لا يقترفها في يوم من الأيام.

«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا»، المنافق -أيها المسلمون- منزلته في قعر جهنم والعياذ بالله، فخليق بالمسلم أن يتفقد أوصافه بصفة مستمرة؛ لئلا يقع في خصلة تجرُّه إلى أختها، حتى يستكمل الخصال المقيتة.

وقد جاء في الكذب: **«وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ»**[(١)]، ما أراد بها سوى ذلك تقذفه في النار! لا يحل الكذب لا في جدٍّ ولا في هزلٍ، إلا في ثلاثة مواضع: «الْحَرْبُ، وَالْإِصْلاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ، وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا»[(٢)]، وكلها للمصلحة ولم يتعدها:

كذب القيادة في الحرب مع الكفار من أجل خداعهم والتمكن منهم؛ إذ **«الحَرْبُ خَدْعَةٌ»**[(٣)].

ولإصلاح المتخاصمين من المسلمين، فينتج عن هذا خير حتى ينفتح

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥)، والنسائي في الكبرى (١٠/٣٢٧)، وأحمد (٣٣/٢٤٤) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٥) من حديث أم كلثوم بنت عقبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٢٩)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

باب مغلق تحصل بسببه الألفة والاجتماع.

والثالثة فيما يتعلق بإصلاح أسرة المنزل فيما بين الرجل وامرأته، في غير قطيعة أو ارتكاب محرم.

وما عدا ذلك فلا يحل؛ ولذلك صارت هذه الخصلة من خصال المنافقين، وصار متحرِّي هذه الخصلة مهتديًا للفجور، والفجور يقوده إلى نار جهنم.

«إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»، الأمانة أمرها عظيم، هي أول ما يُفقد من الدين[١]، نزلت أول ما نزلت في أصول قلوب الرجال، فأثمرت خيرًا كثيرًا وعملًا زاكيًا، ثم بسوء العمل والتفريط في المآكل والمشارب تترحل، ينام الرجل النومة فتُقبض الأمانة من قلبه، فإذا أصبح ولم يكن في قلبه سوى أثر الأمانة، حتى يقال للرجل: ما أظرفه، ما أعقله، ما أحذقه، وليس عنده مثقال ذرة من أمانة أو إيمان![٢].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٣/٣٦٣)، وابن أبي شيبة (٧/٢٥٦)، والطبراني في الكبير (٨٧٠٠)، والحاكم (٤/٥٠٤)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أحمد في الزهد (١٧٩) من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: **«أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»**، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ قَالَ: **«يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ»**، ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ، **«فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ، مَا أَظْرَفَهُ، مَا أَعْقَلَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ**
=

إذن فخيانة الأمانات أمر في منتهى الخطورة؛ ولذلك قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**»(١)، والقرآن الكريم وجَّه سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال:٥٨]، أعلن لهم ولا تخن.

فالخيانة في منتهى الخطورة، فخليق بها أن تكون من أبرز خصال المنافقين، وخليق بمن تحلَّى بها أن يكون من المنافقين.

والأمانة تأتي أمانة على الأموال، وأمانة على الأسرار، وأمانة على المحارم، وأعظم الأمانات أمانة دين الله، الأمانة يُسأل الإنسان عنها، أعظم الأمانات أمانة الإسلام في أعناق وقلوب المسلمين، فمن أضاع هذه الأمانة فلا أمانة له ولا إيمان ولا خُلَق له ولا وزن له عند الله؛ ولذلك قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢].

فاحرص -أخي المسلم- على أن تكون أمينًا فيما بينك وبين الله، أمينًا على ما تؤتمن عليه من أموال وأسرار ومحارم.

ومن خيانة الأمانة: التطلع إلى الجيران، والنظر إلى حرمات منازلهم حين

=

حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا»، أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣).

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٥٥)، والدارقطني (٣/ ٤٤٣)، والحاكم (٢/ ٥٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يأمنونك؛ ولذلك قال سيد الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«والله لَا يُؤْمِنُ، والله لَا يُؤْمِنُ، والله لَا يُؤْمِنُ»**، فاشرأبت أعناق الصحابة ليسمعوا ويعلموا من الذي يحلف الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هذه الأيمان أنه لا يؤمن، فقالوا: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ، خَابَ وَخَسِرَ؟ قال: **«الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»**(١)، خوَّانٌ للأمانة، يخون أمانة الجار.

إذن لا يستغرب المسلم لِمَ كانت خيانة الأمانة من أبرز خصال المنافقين هي والكذب الذي هو الهادي إلى نار جهنم، والعياذ بالله.

إخلاف الوعد ليس من سمات المسلم، والله جَلَّوَعَلَا لما أثنى على رسوله إسماعيل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ [مريم:٥٤]، فصدق الوعد من صفات المؤمنين، وإخلاف الوعد من صفات المنافقين، فلا تَعِدْ بأمرٍ تتوقع أن لا تستطيع الوفاء به، فإذا أردت فقل: إن قدرت على ذلك، أو إن شاء الله إن استطعت وَفَيْتُ بما وعدت، فاتخذ لنفسك منفذًا ترجع معه إن عجزت أو رأيت ألا تنفذ ما وعدت به، ولئلا يُقال: إنك مخلف للمواعيد، كاذب في الأقوال، ولتسلم من التخلُّق بأخلاق المنافقين.

«إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»؛ كأن عادته وطبيعته وخُلُقَه إخلاف المواعيد، وخيانة الأمانات، والكذب في الحديث، والفجور في الخصومات، إذا خاصم لا يتورع في جحد الحق، وإلباس الباطل ثوب الحق، والمؤامرات والمخادعة، همه ألَّا يجد خصمه ما يدينه، وأما عند الله فلا يبالي بما عند الله، مع أن الأمر لا يخفى على الله جَلَّوَعَلَا، ولا تغيب عليه غائبة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٦) من حديث أبي شريح رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

على المسلم -يا عباد الله- أن ينظر لنفسه ومستقبله، وأن يتجرد من الأخلاق السيئة أخلاق المنافقين، وأن يكتسي بلباس التقوى، وأن يتحلَّى بالأدب الرفيع، والخلق الكريم، وصدق الحديث، وحفظ الأمانة، والوفاء بالمواعيد، والعدل في الخصومات، يقول الحق ولو كان على نفسه مخافة الفضيحة يوم تُكشف السرائر، ويُفضح المفرطون المجرمون أهل الغدر والخيانة.

وفي رواية بدل **«إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»** قال: **«إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ»**، والغدر والفجور أخوان، وقد جاء في "الصحيح" من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«إِنَّ الْغَادِرَ يُرْفَعُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلانِ بْنِ فُلانٍ»**[1]، إذن فالغدر في الدنيا فضيحة يوم القيامة، وخزي وعار، إعلانٌ للغدر والفجور نسأل الله العافية والسلامة، وليس جديرًا بالمسلم أن يتصف بصفات الغادرين، أو يتحلَّى بحلية المنافقين، بل يتزين بزينة أهل الإسلام، ويتخلق بأخلاق المسلمين، وهي صدقٌ في الحديث، ووفاء بالأمانة، وإيفاء بالوعد، ووفاء بالعهد، وتجنب للغدر والخيانات.

وإن على المسلم أن يتوب إلى الله جَلَّ وَعَلَا كلما رأى عنده خصلة من هذه الخصال، وأن يستغفر الله جَلَّ وَعَلَا منها، وأن يسأله أن لا يسلط عليه الشيطان بسبب بهذه الذنوب الثقيلة، بل يسأل ربه أن يخفف عنه، وأن يغفر السيئات،

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٧٧)، ومسلم (١٧٣٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٧٥): «والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفيًّا لا يطلع عليه الناس، فيوم القيامة يصير علمًا منشورًا على صاحبه بما فعل».

وإلا أمثال هذه الأيام والليالي من أحرى ما يستجاب فيها الدعاء، وتُقال فيها العثرات، وتُفرَّج فيها الكربات، إنها أيام عتق من النار، وأيام إشراق القلوب بالهدى، واستضاءة النفوس بالأعمال الصالحة، وشعور المؤمن بانفتاح باب السعادة والسلامة له، وأنسه بكثرة الذاهبين مع الصراط المستقيم، فيحس بالمؤمنين والمؤانسين.

لقد واتتك -أيها المسلم- الفرصة، وسنحت لك المناسبة، فاتخذ وسيلة إلى ربك ليكفِّر عنك السيئات، واستعذ به جَلَّوَعَلَا من خصال المنافقين، وعادات أهل الزيغ والضلال، واحرص غاية الحرص على تحرِّي صدق الحديث، والرغبة في الوفاء بالمواعيد إذا كانت حقًّا أو من أمور دنيوية لا حرج فيها، وإذا وعدت على أمر محرم، أو اؤتمنت على أمر خطير على الإسلام والمسلمين، فليس عدم الالتزام بذلك أو نقض الوفاء بذلك الوعد من خصال المنافقين، وإنما من خصال النصحاء للإسلام.

فإذا اؤتمنت على أمر خطير على الإسلام، أو اطلعت على سرٍّ يضرُّ بالمسلمين، فبادر بإعلامه لمن يكافح الشر عن المسلمين؛ لأنه لا يحل للمسلم أن يرى أمرًا يضر بالمسلمين فيخفي التنبيه عليه والإرشاد إلى فاعليه؛ ليُتَّقى الشرُّ وتُتَجنَّب المصائب، ولا يُحال بين أهل الجرائم وما يريدون، ولا يُعدُّ ذلك خيانة ولا نقضًا للعهد ولا كذبًا في الوعد الذي وعدت، فإن هذا يُعدُّ ملحقًا للخدعة في الحرب على من يحارب المسلمين.

اجتهد أيها المسلم، فليس من أخلاق المسلم أن يكون كذَّابًا، ليس من أخلاق الإيمان أن يتحرَّى الرجل الكذب.

أسأل الله جَلَّوَعَلَا أن يمنحنا أجمعين صدق الحديث وصدق اللهجة،

والوفاء بالوعد، وحفظ الأمانة، وتجنب الغدر والخيانة، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم اكتبنا مع أهل الصدق والإيمان والوفاء، وباعد بيننا وبين الغدر والكذب والخيانة يا رب العالمين، اللَّهُمَّ جنبنا الفجور والآثام، وآمنَّا من أخلاق أهل النفاق والزيغ والضلال يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ طهر قلوبنا وآتها تقواها، وطهر نفوسنا وآتها تقواها، أنت خير من طهرها وزكاها، أنت ربنا ومولانا.

إلهنا! نسألك أن تجعل هذه الأيام والليالي أيام عمل صالح، وأيام توفيق لنا ولإخواننا، وأيام قبول وإقالة العثرة، اللَّهُمَّ أعتق رقابنا في هذا المكان من النار أجمعين، اللَّهُمَّ اجعلنا أجمعين من عتقائك من النار، اللَّهُمَّ أصلح فساد قلوبنا، اللَّهُمَّ يا رب العالمين استعملنا في طاعتك، وجنبنا أسباب سخطك، وافتح على قلوبنا من فواتح الرحمة والإيمان، إلهنا! نسألك يا رب العالمين أن تغفر زلاتنا، وتجاوز عن خطايانا، وترحم موتانا، وتغفر لنا ولهم أجمعين بمَنِّك وكرمك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح ذرياتنا وأزواجنا وأقاربنا وجميع إخواننا المسلمين في كل مكان يا رب العالمين، اللَّهُمَّ سددنا واهدنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ أعزَّ ذليلهم، وانصر مظلومهم، وأشبع جائعهم، وأغنِ فقيرهم، واكسُ عاريهم في كل مكان، اللَّهُمَّ أظلَّ أمة الإسلام بظل الأمن والأمان الدائمين، وأحل عليهم رغد العيش والطمأنينة، والقيام بأمرك، والسعي فيما يرضيك.

اللَّهُمَّ أصلح قادتهم في كل مكان، اللَّهُمَّ ثبتهم بالحق وثبت الحق بهم،

اللَّهُمَّ انصرهم وانصر الحق بهم يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اجمع كلمتهم، وألِّف ذات بينهم، اللَّهُمَّ ارزق ولاة أمر المسلمين التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ وفقهم للقيام بأمرك، وتحكيم شريعتك، والرجوع إلى كتابك وسنة نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تثبتنا، وأن تهدي الظالمين منا أجمعين يا رب العالمين، اللَّهُمَّ أصلح القادة، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم وفِّق ولاة أمرنا في هذا البلد لما تحبه وترضاه، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهدِ بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ أمِّن بهم ربوع البلاد، واحفظ بهم يا حي يا قيوم أمننا، وسددهم، إنك أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ يسِّر على أيديهم الأمن والأمان ورغد العيش لكل قاطن في هذه البلاد أو وافد من الحجاج والمعتمرين والزوار، اللَّهُمَّ احفظهم وانصرهم على أعدائنا أعداء الدين، وكافئهم يا حي يا قيوم العزة في الدنيا والآخرة، إنك أجود الأجودين.

اللَّهُمَّ من أراد أمتنا الإسلامية بسوء فأشغله بنفسه، وسلط عليه قومًا جبارين، واجعل عمله سببًا في دماره وهلاكه يا رب العالمين، اللَّهُمَّ أذل أعداءنا اليهود والنصارى والشيوعيين والملاحدة وسائر الكفرة من الباطنيين والوثنيين والمجوسيين في كل مكان يا قوي يا عزيز، اللَّهُمَّ أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللَّهُمَّ أنزل بهم بأسك، اللَّهُمَّ حُطَّ عن المسلمين شرَّهم في كل مكان، وانصر المجاهدين في كل مكان، وأيدهم بنصرك وتأييدك يا رحمن يا أجود الأجودين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

العَشْرُ الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وقائد الغر المحجلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

أيها المسلمون! لقد مضت أغلب أيام وليالي هذا الشهر الكريم، وأظلتنا تلك العشر الأواخر، التي هي أعظم ليالي هذا الشهر، بل هي أعظم ليالي العام، هذه الليالي التي لا يستطيع أحد أن يتصور ما أعده الله فيها من الأرباح والفضائل لعباده المؤمنين العاملين بالصالحات المجتهدين في الطاعات، فقال -عز من قائل-: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشورى:٢٢، ٢٣].

فما عليك -يا أخي المسلم- إلَّا أن تجتهد وتعمل، وتتسابق إلى رضوان الله؛ لتكون في المكان الذي لك أن تختار؛ إن شئت أن تكون مع ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، عند خالقهم، وهذا في الحقيقة هو السعادة، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾، هذا هو بشرى هؤلاء؛ روضات الجنات التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، والخلود الذي لا فناء بعده، والنعيم الذي لا تكدير معه، ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/٢٣هـ.

فيا أيها المسلم! إنك مخيَّر بين خيرتين: إما أن تذهب إلى رحمة الله الواسعة، إلى روضات الجنات التي لك فيها ما تشتهي وما تشاء، لو بدت لك أنواع الأُنس كلها فإن أُنس الجنة ونعيمها ليس له في الدنيا مثيل، ليس رغد العيش فيها كرغد عيش الدنيا، ولا لذتها كلذة عيش الدنيا، ولا طعم فاكهتها ومائها وسائر مشروباتها كما هو الحال في الدنيا، وإنما هو اشتراك في الأسماء فقط، وإلَّا فإن في الجنة -كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»**(١)، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧].

إن العاقل -أيها المسلمون- إذا تصوَّر تلك الفئة التي هي مشفقة مما قدمته، ومع ذلك سيقع بها وعيد الله جَلَّ وَعَلَا وهو واقع بهم، ثم يتصور تلك التي في روضات الجنات تشرف على أولئك من عالٍ، فيقول قائلهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات:٥٦]، لولا لطف الله جَلَّ وَعَلَا ورحمته السابقة، وعنايته التي لا نهاية لها؛ لصار مع أولئك في الرَّدى، ثم يقول له: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ [الصافات:٥٨]، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ [الصافات:٦٢ - ٦٤].

فيا أخي المسلم! إنك في أيام مباركة، وفي ساحات مباركة، وفي مجامع ذكر وحمدٍ مباركة، فتوكل على الله جَلَّ وَعَلَا واعمل صالحًا، وحاسب النفس، فإن كل واحد منَّا لو وفِّق لدقة النظر والمحاسبة وحسن التصور، وأُعْطِي بصيرة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نافذة إلى ما ترك وراءه من الأعمال؛ لوجد أنه قد خلَّف أمورًا كثيرة مفزعة، وأهوالًا مقدعة، وأمورًا صعبة، لكن ربنا جَلَّوَعَلَا قادر على كل شيء، فما علينا لنستريح من تلك الأحمال، ونتخلى من تلك الأثقال، ونسلم من عواقب تلك الأهوال إلا أن نتوب إلى الله صادقين، ونستعيذ به جَلَّوَعَلَا من الزلل، ونعقد العزم على ألا نتجرَّأ على محارمه، فإذا فعلنا ذلك، ثم رددنا إلى أهل الحقوق حقوقهم، فيا لها من سعادة، ويا لها من بشرى، وتلك عاقبة من آمن وعمل صالحًا، وسيكون -إن شاء الله- في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ [الشورى:٢٣].

أيها المسلم، أيها الوافد على هذه الرِّحاب، أيها القائم والقاعد في هذه الأماكن، لقد انصرمت الأيام والليالي، فأنت الآن في الوتر الثاني من الليالي العشر، ولقد قال سيد الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن ليلة القدر: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»(١)، إنه ليس هناك أمر جازم بأنها في ليلة كذا أو ليلة كذا، ولكنها أرجى ما تكون في هذه الأوتار، ولكن الحازم اليقظ الخائف الراغب في عفو الله جَلَّوَعَلَا، المتطلع لأن يقول له ربه جَلَّوَعَلَا: ادخل الجنة؛ عليه أن يهتم بهذه الليالي.

ولقد كان سيد الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا دخلت العشر الأواخر قام عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، «فَشَدَّ مِئْزَرَهُ، وَطَوَى فِرَاشَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَأَحْيَى لَيْلَهُ»(٢)، فلا تغمض منه عين صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لأنهما إنما طُبِعا في طاعة الله جَلَّوَعَلَا، لا في

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩) من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٢) كما في حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

لهو، ولا في ترف، ولا في حديث يجلب الإنسان منه الشرَّ، وأرقى أحواله أنه لا له ولا عليه، وإنما في ابتهال وتضرع، وإكثار من قول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»(١)، وهو رسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فحريٌّ بنا -يا أخي المسلم- أن نغتنم الفرصة في هذه الليالي، وأن نعقد العزم على المحافظة على العمل الصالح؛ لعل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأن نكون في روضات الجنات، وأن نَسْلم من أولئك الذين يشفقون من أعمالهم وهي واقعة بهم، نسأل الله السلامة.

هذه الأيام -يا عباد الله- لا شيء بدل لها ولا في قدرها، لا يستطيع أحد أن يتصور ما فيها من الأرباح والفضائل، لا يستطيع أحد أن يعلم ما يفوز به صاحب الخير والصلاح والتقوى، الذي يواسي عباد الله، وتمتد يده بالصدقات إلى الفقراء من عباد الله، ويكف نظره عمّا حرّم الله، ويرفع يديه إلى الله جَلَّ وَعَلَا، ويستعيذ به سبحانه من الشرور والآثام.

فاتَّقِ الله أيها المسلم، اتَّقِ الله في نفسك، وإياك والتفريط، فإن من أهدر الساعات الثمينة، وأضاع الأيام الغالية، وخرج منها خاليًا من الأرباح، يعض أكفَّ النَّدم يوم القيامة، ويقرع كل الحسرة والندامة، ولكن لقد فات الأوان، يتمنى أن يعود، هل من سبيل إلى الرجوع؟ وهيهات!!

أمَّا أنت -يا أخي- فإنك في رحاب مقدسة، وعند بيت عتيق، وفي مكان

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣/ ٢٣٠)، وأبو يعلى الموصلي (٨/ ١٢٨)، والخرائطي في اعتلال القلوب (١/ ١٩)، والآجري في الشريعة (٣/ ١١٦١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وأخرجه مسلم بنحوه (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فسيح لأسباب الرحمة والمغفرة، وإنك في مواطن العتق من النار، فإن من أُعتق من النار فقد فاز ونجا، ومن قَبِل الله جَلَّ وَعَلَا عمله ورفعه إليه فقد أفلح.

فاحرض يا أخي، احرص لعل الله أن يرحمك، فإن ربك جَلَّ وَعَلَا واسع المغفرة، له في كل ليلة من ليالي هذا الشهر الفضيل مائة ألف عتيق من النار[1]، فاجتهد عسى أن تكون من هذه المائة ألف، فتفوز بالسلامة من تلك العاقبة الوخيمة، والمنزلة الأليمة، كفانا الله وإياكم شرَّها.

اجتهد -أخي المسلم- في ليلتك هذه وما يقبل من الليالي، شدَّ على نفسك واحملها على طاعة ربك، واستعن بالله بشيء من النوم في النهار، ثم أجهد نفسك في الليل طلبًا للعفو والمغفرة، عسى الله جَلَّ وَعَلَا أن يهيئ لك من أمرك رشدًا.

اللَّهُمَّ يا كريم يا جواد، يا حي يا قيوم، يا واسع الفضل، يا من كل شيء إليه مستقر، نسألك فإنَّا الفقراء إليك، وإنَّا الضعفاء بين يديك، وإنَّا السائرون إلى حماك، نسألك يا ذا الجلال والإكرام ألَّا تحرمنا في هذه الليلة من فضلك، وألَّا تحول بيننا وبين مغفرتك، وقِنا برحمتك شرَّ عذابك يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ يا إله العالمين، ويا خير المسؤولين، ويا مجيب السائلين، هيئ لنا من أمرنا رشدًا، وارحمنا برحمتك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أقل العثرات، واغفر

---

(١) كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٢٢)، وأخرجه في فضائل الأوقات (ص١٦٦ - ١٧١) من طرقٍ، وقال عقبه: «والمراد بالعدد المذكور في مثل هذا عند علمائنا: الكثرة دون أعيان العدد المذكور في الخبر، وكل ذلك -والله أعلم- فيمن عرف حدود هذا الشهر وحفظ حقوقه».

الزَّلَّات، وتجاوز عن السيئات، وارفع لنا الدرجات يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ أنت ربنا وخالقنا نلجأ إليك ونفزع، فلا تردنا خائبين، اللَّهُمَّ ارحم ضعفنا، اللَّهُمَّ وفقنا في ليلتنا هذه وفيما يليها من الليالي والأيام للتوبة النصوح، والإكثار من العمل الصالح، وتب علينا يا خير من سُئل، يا خير من تجاوز وعفا، اللَّهُمَّ أنت ربنا وخالقنا اغفر لنا وارحمنا، واغفر لأمواتنا أجمعين، واغفر لذرياتنا وأزواجنا، اللَّهُمَّ طهر بيوتنا، اللَّهُمَّ طهر منازلنا، اللَّهُمَّ طهر نفوسنا، اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح بنا، وعاملنا بما أنت أهله يا خير من تجاوز وعفا.

اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو فاعف عنا يا كريم، اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّ المسلمين، وأشبع جائعهم، وأغنِ فقيرهم، وأعز ذليلهم، وانصر مظلومهم، واكسُ عاريهم، يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمور المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ اهدهم سبل السلام، وارزقهم خوفك ورجاءك في السر والعلانية، اللَّهُمَّ حبب إليهم تحكيم كتابك وسنة رسولك محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفِّقهم لاجتماع الكلمة، وتوحيد الصف، والقيام بأمرك، وتعزيز المجاهدين في سبيلك، ونصرة الدعاة إليك يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ وفِّق ولاة أمر هذه البلاد، وزدهم من الصلاح والتُّقى، وامنحهم يا حي يا قيوم البصيرة في الدين، وارزقهم من رزقك الواسع، وهيئ لهم من أمرهم رشدًا، واجعلهم رعاة أمناء وقادة أتقياء، ودعاة إصلاح موفقين يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اجعل كلمتهم كلمة الحق، واجعلها مقبولة عند عبادك يا رب الخلق أجمعين، اللَّهُمَّ أعنهم ووفقهم للمحافظة على أمن هذه البلاد، وتأمين السبل المؤدية إلى بيتك العتيق، ومسجد رسولك الكريم

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ كافئهم بالعز والتمكين في الدنيا، والثواب المقيم في دار الآخرة يا أكرم الأكرمين، ولا تحرمنا أجمعين ذلك بمنك وكرمك وجودك.

اللَّهُمَّ وفِّقهم وأصلح بطانتهم، وارزقهم التعاون فيما بينهم، وشد أزرهم بالحق، واجعل نصرة الإسلام أحب الأشياء إليهم يا إله العالمين، واخلف عليهم خيرًا مما ينفقون في ذلك.

اللَّهُمَّ اجمع الراية بأيديهم، واجمع كلمة المسلمين، ويسِّر النصر على أيديهم لعبادك المؤمنين، وشد أزرهم، وارزقهم إعانة المجاهدين، وامنحهم يا حي يا قيوم التوفيق والتسديد.

اللَّهُمَّ أذل اليهود، والنصارى، والشيوعيين، والوثنيين، والملاحدة الباطنيين، وسائر أهل الكفر والفساد، يا قوي يا عزيز، اللَّهُمَّ أنزل عليهم بأسك الذي لا يُردُّ، اللَّهُمَّ أذقهم عذابك الأليم في الدنيا يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أقض مضاجعهم، وأفزعهم في ليلهم ونهارهم، وسلط عليهم أهل الحق يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ عاجل المجاهدين بالنصر والتمكين، واستنقذ أوطانهم من أيدي أعدائهم يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

السَّبْعُونَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ثبت في "الصحيحين" وغيرهما من حديث ابن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»**.

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟»** فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: **«هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»**، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: **«أَنْتَ مِنْهُمْ؟»**، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ:

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/٢٣هـ.

ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»(١).

هذا الحديث العظيم -يا عباد الله- الذي بيَّن عمل هؤلاء السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بدون حساب؛ لا نقاش، وإنما يتوجهون بعد البعث إلى الجنة بلا حساب، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا حريصين على معرفة الأعمال التي تقرِّب إلى رضوان الله، وتباعد من سخطه، الأعمال التي تدخل الجنة وتخفف عن الإنسان وطأة يوم الحساب ويوم الموقف العظيم، فتناقشوا: مَنْ هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؟ وقد رأوهم كثرة!

لكن إذا علمت أن أمة الإسلام من بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا إلى ينتهي الإسلام من الأرض حين لا يُقال: الله الله، فهي خلائق ملايين لا حصر لها، وأن الذين يدخلون الجنة بغير حساب إنما هم هذا العدد، ثم فتشت عن السبب وجدت أن هذه الصفات التي ذكرها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عزيزة المطلب، وصعبة التناول، قلَّ أن يدركها إلا أفذاذ الناس!

«**لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ**»، لا يسعون في علاج أيًا كان نوع هذا العلاج، ولا يرقون أحدًا، «**وَلَا يَكْتَوونَ**»، والكيُّ هو العلاج بالنار، «**وَلَا يَتَطَيَّرُونَ**» هو التشاؤم، «**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، السبب في كل هذه الأعمال عظم التوكل وصدق الاعتماد على الله؛ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، إذا صدق الإنسان في التوكل وبلغ الذروة في ذلك؛ علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، علم أن الخلق أجمعين لو أرادوا أن ينفعوه بشيء والله جَلَّ وَعَلَا لم يقدِّر له ذلك لم يستطيعوا، وأن الخلق أجمعين لو أرادوا أن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥، ٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).

يضروا أحدًا والله جَلَّوَعَلَا لم يقدِّر له ذلك ما توصلوا إلى ذلك.

فلـمَّا ذكر صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذه الأوصاف قام عكاشة بن محصن الأسدي -وهو ابن عم طليحة الأسدي الذي ادعى النبوة- فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ لِي أَنْ يَجْعَلَنِي مِنهُمْ؟، فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»**، وفي رواية: **«أَنْتَ مِنْهُمْ؟»**، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَار، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: **«سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»**.

وفي حرب الرِّدَّة قاتل عكاشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ابن عمه طليحة، فقتله طليحة شهيدًا -رضي الله عنه وأرضاه- ثم أسلم طليحة بعد ذلك.

هذه الصفات -يا عباد الله- لا تقتضي تحريم العلاج ولا منع الرقى، وإنما إذا صدق الإنسان في التوكل وبلغ مبلغًا عظيمًا منه علم أن ما قُدِّر عليه وإن يكن شوكة لا بُدَّ أن يصله، فهو إذن لا يحتاج إلى شيء بعد التوكل على الله، ولكن من الذي يصل إلى هذا؟!

فإن غالب الناس إذا أصيب أحدهم بوجع في رأسه يقول: لو أنني أخذت مسكنًا لما آلمني، وإذا أحسَّ بصداع قال: لو ذهبت للطبيب لما طال أمده، وإذا اشتد مرضه قال: لو كنا ذهبنا إلى الطبيب لما حصل ذلك!

لا شك أن الأدوية مباحة إلا ما فيه شيء محرم، وقد قال سيد المرسلين صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»**(١)، وفي رواية: **«إِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ دَوَاءً، إِلَّا دَاءً**

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٥٠) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأخرجه البخاري (٥٦٧٨) مقتصرًا على شطره الأول من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وَاحِدًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هُوَ؟ قَالَ: «**الْهَرَمُ**»[١].

لكن الدواء لا يرد أمرًا مكتوبًا، فالمكتوب الذي فرغ منه لا يرده شيء؛ ولذلك لما قال: أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قلت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي رَجُلٌ شَابٌّ، وَأَنَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي الْعَنَتَ، وَلَا أَجِدُ مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ النِّسَاءَ، أَفَأَخْتَصِي؟ فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ، فَاخْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ**»[٢]، يعني: الذي ستأتيه كُتب عليك فاختصِ أو دع، فترك ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتوجه إلى التوكل على الله، ونعم المطية التوكل على الله جَلَّ وَعَلَا، ونعم الحبل يتعلق به المؤمن التوكل على الله جَلَّ وَعَلَا.

ولكن ليضمن الإنسان سلامة التوحيد وعقيدته؛ ولئلا يقول: لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا. فليأخذ بالأسباب، ومن كان مثل عكاشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومثل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فليدع التداوي.

يُروى أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قيل له في مرضه: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلَا نَدْعُو لَكَ طَبِيبًا يَنْظُرُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «قَدْ نَظَرَ إِلَيَّ»، قَالُوا: فَمَاذَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: «قَالَ: إِنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيدُ»[٣]، يقصد بالطبيب الذي قال عنه الخليل -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة السلام-: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٧٦).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٩٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/٣٤).

يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]، يعني: رب الخلق وخالقهم جَلَّ وَعَلَا.

وهناك أمور لا يصح للإنسان ولا يقبل منه أن يتعاطاها؛ لأنها بعيدة عن كل خير، ألا وهي التطير والتشاؤم؛ أن يحبسك التشاؤم عن حاجاتك، وأن يمنعك التشاؤم والتطير عن طلب رزقك أو عمل ما تريد عمله؛ ولذلك في الأثر: «**الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**»(١).

إذا أحس الإنسان بشيء من هذا يتوجه إلى الله ويعتمد عليه، فيقول: اللَّهُمَّ لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، فأتني بالحسنات وأذهب عني السيئات. ويعزم؛ لأن التطير إذا منعك عن حاجاتك فهذا من الشرك والعياذ بالله.

كانت العرب تتطير، ويرسلون الطير، فإذا توجهت الطير ذات اليمين فرحوا واستبشروا، وإذا توجهت ذات الشمال تشاءموا وتركوا حوائجهم، كانوا يتشاءمون بنوع من الطيور، ويتشاءمون ببعض الحيوانات، فأبطل الله جَلَّ وَعَلَا ذلك كله، وأرشد رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن الطيرة لا تنفع ولا تضر، وإن كان هو يعجبه الفأل(٢)، والفأل ضد الطيرة.

إذن فالإنسان ينبغي له أن يتوكل على الله في الأمور كلها ويعتمد عليه جَلَّ وَعَلَا، ثم يأخذ بالأسباب، فلا يصح أن يقول: إني توكلت على الله. ثم ينام

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (٢٤٣/٦) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقوله: «**وَمَا مِنَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**» قيل: إنه مدرج من قول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) كما في الحديث عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ الصَّالِحُ: الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ**»، أخرجه البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

لا يطلب الرزق! أو يقول: توكلت على الله. ثم لا يعمل أي عمل يدفع به الخطر عن نفسه! لكن يتوكل على الله جَلَّ وَعَلَا ويعمل ما تعمله مخلوقات الله من السعي إلى الخير ودفع الشر، ونحو ذلك.

ولذلك جاء في الحديث: **«لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ على اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»**(١)، فهي متوكلة على الله جَلَّ وَعَلَا، ومع ذلك تذهب وتطلب طعامها، فتدنوا من صبيحتها جائعة خفيفة البطن، وتعود في الرواح ملأى البطون، وكل ذلك من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

فلا أحد يرزق أحدًا، لا الكبير يرزق الصغير، ولا الغني يرزق الفقير، ولا ذو السلطان والجاه يرزق من تحت يده، وإنما كل هؤلاء في كنف الله جَلَّ وَعَلَا، وفي انتظار رزقه، فهو الرزاق ذو القوة المتين.

إن الإنسان ينبغي له أن يسأل الدنو من مشابهة الصالحين؛ بأن تكون أعماله مشابهة وقريبة من أعمالهم، عسى أن يدنوا منهم، فإن هذه المنازل التي ذكرها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة إنما ينزلها أهلها بالأعمال الصالحة على حسب تفاوت درجاتهم في الأعمال؛ ولذلك لـمَّا ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أعده الله جَلَّ وَعَلَا للمجاهدين، وقال لأصحابه وهم في مواجهة المشركين: **«قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»**، قال رجل من الصحابة:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، والنسائي في الكبرى (١٠/٣٨٩)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (١/٣٣٢)، وابن حبان (٢/٥٠٩) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**، قَالَ: بَخٍ بَخٍ! - يعني: هذا أمر سارٌّ كافٍ- فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ؟»**، قَالَ: لَا واللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: **«فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»**[1]، ولمَّا عدد فضائل المجاهدين، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»**[2]. هذا ما أعده الله جَلَّ وَعَلَا للمجاهدين في سبيله، فما بالك ببقية أعمال الخير؛ من صلاة، وصوم، وزكاة، وصدقة، ومراتب الطاعات الأخرى، والتسبيح والتهليل، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!

لا شك أن صنوف الخير كثيرة، وما عند الله من الدرجات والفضل والأرزاق والخير الجزيل أعظم وأوسع وأكثر، فاحرص -أيها المسلم- ولاسيما في هذه المواسم، ولا سيما في مثل هذه الأيام التي أراها وتراها تنفرط من أيدينا انفراطًا مذهلًا بسرعتها، وكثير منَّا تذهب معظم هذه الأيام دون أن يكون فائزًا بالأرباح والأعمال الصالحة، ربما أن البعض منا يعمل أعمالًا ثم تأتيها آفات أخرى وقوارض ضارة فتأتي على كثير منها، فعلينا -يا أخي- أن يكون كل واحد منَّا حارسًا على أعماله، حارسًا أمينًا، يتفقدها وينظر القوارض

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرج مسلم نحوه (١٨٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التي يمكن أن تتسلل إليها، ويستعد بالاستعانة بالله جَلَّ وَعَلَا، والمحافظة على هذه الأعمال التي أداها، وسؤال المولى عَزَّ وَجَلَّ أن يحفظها لنا موفورة، وأن يرفعها لنا عنده وأن يصونها عمَّا يسبب تلفها.

فليحرص كل واحد منَّا، فإن الله جَلَّ وَعَلَا إذا علم من عبده المسلم المؤمن صدق الرغبة والعزيمة، والجد والاجتهاد في حب عمله والمحافظة عليه، هيأ له أسباب الحفظ، ودفع عنه وسائل الدمار، وصان عمله من حيث لا يقدر ولا يدري، فلتستعن بالله جَلَّ وَعَلَا وتتوكل عليه، و« **إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»[١]، هكذا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخي المسلم! اجتهد في هذه الأيام لا سيما إذا شعرت أن أحدًا من الناس لا يراك، ولا سيما إذا رأيت أن الناس قد غفلوا عنك، فوجه حوائجك وطلباتك إلى الله، وتضرع إليه جَلَّ وَعَلَا وألح عليه، فإنه سبحانه يحب من عبده أن يلح في الطلب، ويحب من عبده أن يظهر الفقر والفاقة، ألا وإن كلَّ واحد منَّا فقير في غاية الفقر؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، أنتم في الحقيقة أهل الفقر، بل أفقر من الدواب كلها إلى خالقها جَلَّ وَعَلَا، جميع الدواب تفتقر إليه إلَّا أنه لا حساب عليها ولا عقاب،

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٩)، والترمذي (٢٥١٦)، والحاكم (٣/ ٦٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٧٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وإنما حياة وموت في الحياة الدنيا، ثم لا نار تنتظرها ولا جنة، أما أهل التكليف من الإنس والجن فلهم دار أخرى، يسعد فيها الصالحون المتقون الحريصون، أهل اليقظة والانتباه الراغبون في بناء مستقبلهم وتأسيس أسباب سعادتهم، ويخسر أهل التفريط والتسويف والغفلة والجهل، نسأل الله السلامة من كل هذه الأخلاق الذميمة.

فاتقِ الله أيها المسلم، واغتنم هذه الأيام، وشدَّ عزيمتك، وتوكل على ربك حق التوكل، وكرِّر عليه السؤال والطلب في أن يحفظك ويصونك ويصرفك فيما يحب، ويثبت قلبك على دينه، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان كثيرًا ما يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، هذا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك يخشى! وقد سُئل وقيل له: أوَ تخاف وأنت رسول الله؟ قال: «**وَمَا يُؤَمِّنُنِي! وَقُلُوبُ العِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ**»[(١)].

فنحن أولى بأن نلح ونكرر الإلحاح؛ لأن قلوبنا مرهونة بتوفيق الله جَلَّ وَعَلَا، فكم رأيت من شخص كان يضرب في كثرة طاعته وعدم انجرافه، وإذا به قد زلَّت قدمه؟! وكم وكم للشيطان من سريَّة؟! فاجتهد خشية أن يصيب أحدنا أمرٌ من الله جَلَّ وَعَلَا فتنزل القدم، فإن أعظم ما تُستبدل به هذه المصائب وتُتَّقى هذه البلايا كثرة الإلحاح على الله، وكثرة السؤال والطلب.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣/ ٢٣٠)، وأبو يعلى الموصلي (٨/ ١٢٨)، والخرائطي في اعتلال القلوب (١/ ١٩)، والآجري في الشريعة (٣/ ١١٦١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وأخرجه مسلم بنحوه (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم، يا واسع العطاء، يا جليل العفو والإحسان، يا من إليه المنتهى، يا من كل من في الوجود مفتقر إليه، نسألك أن تغنينا عن خلقك بك، وأن ترحمنا برحمتك، وأن تجبرنا من مغريات الفتن، اللَّهُمَّ يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللَّهُمَّ آمنَّا مما نخاف، اللَّهُمَّ عاملنا بما أنت أهله من العفو والإحسان يا ذا العفو والإحسان، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ أصلح فساد قلوبنا، اللَّهُمَّ احفظنا من بين أيدينا، ومن خلفنا، وعن أيماننا، وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ومن تحتنا يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ زدنا من كل خير، وجنبنا كل شر، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللَّهُمَّ ارزقنا كثرة الاستغفار والتوبة، وتكرار الدعاء والإلحاح وعظيم التوكل عليك يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أنت الله الذي لا إله إلا أنت جمعتنا في هذا المكان على غير ميعاد، فاجمعنا في دار السعادة والكرامة يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ أنت إلهنا وخالقنا، مننت علينا بالدنو من هذه الرحاب، والنظر إلى هذا البيت العتيق، والصلاة حول هذه الكعبة المشرفة، اللَّهُمَّ كما تفضلت علينا يا حي يا قيوم فتقبل منا أعمالنا الصالحة، وتجاوز عن سيئاتنا، وارزقنا يا كريم يا جواد قلوبًا مطمئنة، ونفوسًا طيبة مرتاحة للطاعة، واجعل بيننا وبين ما تكره حائلًا يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ أصلح ذرياتنا وأزواجنا، واغفر لنا ولأمواتنا، وباعد بيننا وبين خطايانا كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللَّهُمَّ أصلح أمتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ اهدِ ضالها، وأعزَّ ذليلها، وانصر مظلومها، وأشبع جائعها، وأغنِ فقيرها يا كريم يا جواد.

اللَّهُمَّ أصلح قادتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح قادة الأمة الإسلامية في كل

مكان، اللَّهُمَّ احفظهم بالحق واحفظ الحق بهم، وانصرهم بدينك وانصر دينك بهم، وأصلح بهم أمور العباد، وعاملهم بعفوك، وشد أزرهم، واختم أعمالهم على الخير، وأبعد عنهم أعمال الشر الذي يدنيهم من الباطل، وثبتهم على ذلك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم املأ قلوبهم بخوفك ورجائك والرغبة فيما عندك يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم يسِّر ولاة أمر هذا البلد لمزيد من التوفيق والتسديد والاستقامة، والجد في أسباب طاعتك، اللَّهُمَّ احفظهم واحفظ بهم الأمن، وأقم بهم العدل، وانصر بهم الحق وانصر الحق بهم يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ احفظ بهم بلادنا من كل سوء، اللَّهُمَّ أمِّن بهم سبل هذا البيت ومسجد رسولك الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا جواد يا كريم، اللَّهُمَّ وفقهم لتوفير الراحة والسعادة والاستقرار لكل قائم في هذه البلاد أو وافد إليها من حاج أو معتمر أو زائر يا حي يا قيوم، وكافئهم على ذلك بصلاح الحال وصلاح الذرية والاستقامة بمنك وكرمك يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ حقق لهم النجاح والظفر، اللَّهُمَّ مكنهم من رقاب أعدائهم، اللَّهُمَّ أقم لهم دولة عزيزة كريمة، ومُنَّ عليهم باجتماع الكلمة وتوحيد الصف يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ أذل أعداءنا من اليهود والنصارى والشيوعيين والملاحدة الباطنيين وغيرهم يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أرنا في مجوس هذه الأمة عجائب قدرتك يا حي يا قيوم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

❊ ❊ ❊

أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ثبت في "الصحيحين" وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فقال: يا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ؟ فقال: **«أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، أَلا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»**[٢].

هذه الموعظة العظيمة، والتنبيه الجليل، والإرشاد القيِّم من أكرم الخلق وأصدقهم لهجة، وأبرهم وأنصحهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُبين للناس ما هي الصدقة التي هي أعظم أجرًا، وأجلُّ أثرًا، وأوْفَى فائدة، هي أن يبذل الإنسان من ماله في حال صحته، وحبه للمال، وأمله في البقاء، وخوفه من الفقر، يبذل الصدقة لعلمه بثوابها وأجرها عند الله، وما أعده جَلَّ وَعَلَا للمتصدقين والمتصدقات من الأجر العظيم والثواب الجزيل، إذا بذل الإنسان الصدقة لوجه الله في مثل هذه الحالة: في حال الصحة والقوة البدنية، ومحبة المال، واحتساب الحوادث وما يقع فيها من أمور تحتاج إلى المال، ولكن حبًّا في

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/٢٤هـ.

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إرضاء الله جَلَّوَعَلَا، ورغبة في ثوابه جَلَّوَعَلَا، وإحسانًا منه، وظنًّا بربه أنه يخلف خيرًا مما ينفق العبد، فهو يبذل الصدقة شأنه في ذلك شأن الذين قال الله عنهم: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:٨-١٢].

هذا الذي يتصدق في تلك الحالة، ويبذل الغالي على النفس المترقب نفعه لها هنا وهناك، هذا هو الذي يحوز الأجر العظيم، وينال الصدقة العالية الدرجات.

أما إذا كبرت سنه، وضعف ووهن عظمه، ورق جلده، وشاهد إخوانه وأقرانه قد ترحلوا من هنا وهناك، وصار ينتظر الرحلة صباح مساء، قال: فلان له كذا، وفلان له كذا. وقد كان لفلان! هذا وإن كان له أجر على ما يبذل ولكن ليس أجر هذا كأجر ذاك، ولا ثوابه مثل ثوابه، ولا يدرك من المغانم والأرباح ما يدركه هذا الذي يبذل مع طول أمله، وشدة حاجته، وكثرة ما يفكر فيه من مشاريع، ولكن لـمَّا علم أن المرابحة مع الله جَلَّوَعَلَا أعظم فائدة، وأن الإقراض لله سبحانه لا يعود برأس المال فقط، وإنما يعود أضعافًا مضاعفة، قدَّم المعاملة مع الله جَلَّوَعَلَا ورغب فيما عنده، شأنه في هذا شأن الصحابي الجليل عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لـمَّا وفدت تجارته، وتوافد الناس لشرائها، ورفعوها أضعافًا مضاعفة، كلما سألوه أن يبيع قال: زادوني أكثر من ذلك، فلما أيسوا ولم يبق تاجر ينافسهم، قالوا: ما بقي في المدينة تجَّار غيرنا، فمن ذا الذي زادك؟! فقال: زادني الله عَزَّوَجَلَّ بكل درهم عشرة، أعندكم

زيادة؟ فقالوا: اللهم لا، قال: فإني أشهد الله أني قد جعلت هذا الطعام صدقة على فقراء المسلمين[١]، فالبيع على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعشرة أضعاف إلى مائة ضعف إلى سبعمائة ضعف إلى ما لا يعلمه إلا الله من المضاعفة[٢].

فأنت -يا أخي المسلم- في مثل هذه الأيام الكريمة الفاضلة، وفي مثل ما أنت فيه من الصحة، وفي مثل ما أنت فيه يا من وسَّع الله عليه بالمال، ورغد العيش، اغتنم صحتك قبل مرضك، وشبابك قبل هرمك، وأمنك قبل خوفك، وغناك قبل فقرك[٣]، وتعامل مع الله جَلَّ وَعَلَا طالبًا الربح منه، وهو جَلَّ وَعَلَا لا يربح على أحد، وإنما يربح المتعاملون معه، هو لا يطلب من أحد زيادة، وإنما يعطي عطاءً جزلًا، ويهب هبات كريمة فائقة التصور، وإذا بذل أحد لوجهه الكريم بذلًا في وجوه البر والإحسان؛ صدقة على فقير أو مسكين أو ابن سبيل انقطعت به الحبال، أو تصدق على غارم لإصلاح ذات البين فاندفع ليشاركه، أو تصدق على مقاتل يقاسي آلام الحروب والفاقة، تذكَّر مواقفه في الدفاع عن الإسلام وبلاد الإسلام، فهبَّت في نفسه أريحية للبذل فتصدق عليه.

فهذه الأعمال وأمثالها يفوز العبد بسببها برضى الله جَلَّ وَعَلَا، والخلف منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليس هذا خاصًّا بالرجال، بل هو عام للنساء والرجال كلهم؛

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (٤/٢٠١٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله قال: **«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ...»** الحديث، أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٣) كما في الأثر عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري (٦٤١٦).

من تعامل مع الله أربحه، ومن بذل لوجهه الكريم ضاعف له العطاء والخلف، ومن أحسن به الظن فالله جَلَّوَعَلَا عند حسن ظن عبده به؛ ولذلك جاء في الحديث القدسي أن ربنا جَلَّوَعَلَا قال: **«أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأنا مَعَهُ حِين يَذْكُرُنِي»**(١)، ولاشك بأن أكرم الأكرمين واسع العطاء والجود، وأنه سبحانه يخلف على كل منفق، ويرد على كل مقرض، ويهب لكل باذل في وجوه البر والإحسان.

فيا أيها الناس! اعملوا صالحًا قبل أن يقول القائل: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى:٤٤]، قبل أن يرى ثواب الصدقات والإحسان فيتمنى أنه لم يبخل بشيء من ماله، يتمنى أنه بذل يوم كان في الدنيا، أما في ذلك الموقف في الآخرة فلا بذل ولا عطاء وإنما هو حساب وجزاء، فمن كان من أهل العطاء والبذل والإحسان فاز بالعفو والغفران والإحسان من رب العباد، ومن كان من أهل الشح والبخل فإنما يبخل على نفسه، وإلا فربنا جَلَّوَعَلَا أغنى الأغنياء.

فيا أيها المسلمون يا عباد الله! ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان:٣٣]، في ذلك اليوم ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٦]، في ذلك اليوم يفر المرء من أسرته وقبيلته، ويتخلى الزوج عن زوجته ولو كانت أعز الناس إليه، والزوجة تتخلى عن زوجها ولو كان يعادل روحها؛ ذلك لأن ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٧].

فاتق الله -يا أخي- ما دمت حيًّا، وعلينا أن نراقب الله جَلَّوَعَلَا، وأن

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نغتنم فرصة الحياة والصحة والقدرة والأمن ووجود المحتاجين، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تَصَدَّقُوا، فَيُوشِكُ الرَّجُلُ يَمْشِي بِصَدَقَتِهِ، فَيَقُولُ الَّذِي أُعْطِيَهَا: لَوْ جِئْتَنَا بِهَا بِالْأَمْسِ قَبِلْتُهَا، فَأَمَّا الْآنَ فَلا حَاجَةَ لِي بِهَا، فَلا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا»**[(١)].

إن اليوم -أيها المسلمون- هو الرابع والعشرون من هذا الشهر العظيم، هذا الشهر المبارك كأنما دخل يوم أمس، وكأننا لم نمض أيامه ولياليه، والكثيرون منَّا قد أمضوها بغفلة عن فضله، وسهوٍ عن أرباحه وما يحصل فيه من خير وعطاء جزيل من رحمة ومغفرة وعتق من النار، إن هذا الشهر الذي جمع الله له الرحمة والمغفرة والعتق من النار جدير بكلِّ أحد أن يغتنم أيامه ولياليه، وأن يبادر للأخذ بأسباب العفو والغفران والإحسان من ربِّ الإحسان، فمن كان مفرطًا -وما أكثر التفريط منَّا- **«فَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»**[(٢)]، وإن في شهرنا بقية باقية، وأيامًا فيها خير وبركة، وإن ساعة تُوفَّق فيها -أيها المسلم- لعمل صالح، وإن يدًا تضع فيها صدقة لوجه الله تصادف محلها يكتب الله جَلَّ وَعَلَا لك بها خيرًا كثيرًا، وثوابًا عظيمًا.

فتهيأ -يا أخي المسلم- للأسباب وقم بها، وقد وافت لك وامتدت لك حبال النجاة، فيا من غرق مدَّة طويلة في بحار الغفلة والذنوب، ها أنت على سواحل الرحمة، فتمسك بأسباب النجاة مما أنت فيه، إن أسباب الرحمة في بقية أيامنا هذه موفورة، وإن وسائل المغفرة في بقية هذه الأيام والليالي عظيمة، فلا تفوتنك أيها المسلم، فإنك مطلوب منك أن تعرف قدر أيامك ولياليك،

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١١)، ومسلم (١٠١١) من حديث حارثة بن وهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٧) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأن تأخذ منها ما ترجو أن يكون سبب سعادتك، وحياتك الحقة، ونعيم عيشتك التي لا تتكدر.

إن كل عاقل لابد أن يكون جادًّا مجتهدًا فيما ينفعه ويصلح حاله، فتهيأ يا أخي المسلم، إن أيامنا هذه أيام مباركة، وإن النبي المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن ليلة القدر تُطلب في أوتار هذا الشهر، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»[1]، وإن المحافظة على أوتار هذه العشر وأشفاعها لخليق لأن يُعتنى بها، وأن يحرص عليها؛ لأنها في الحقيقة إذا وازنتها بالأرباح التي تحصل، والعطايا التي تتوفر، والأجر الذي يدركه العاملون الموفَّقون لا يساوي التعب الذي فيها، فهو شيء يسير في مقابل ما فيها من خيرات وفضل عظيم من الله جَلَّ وَعَلَا.

فجِد أيها المسلم، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولا تحقرن صدقة تبذلها وإن قلَّت، فإن أفضل الصدقة ما بُذل فصادف محلًّا محتاجًا، وكانت النفس به سخية، وقد جاء في الحديث الصحيح: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ**»، قَالُوا: وَكَيْفَ؟! قَالَ: «**كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا**»[2]، فدرهم يبذله صاحبه المحتاج إليه لصاحب حاجة عظيمة يسد الله به حاجته، أعظم من مائة ألف لا يتوفر لها من الحاجة من الباذل والقابض ما توفر لذلك، فلا يحتقرن أحد شيئًا من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه النسائي (٢٥٢٧) واللفظ له، وأحمد (٤٩٧/١٤)، وابن حبان (١٣٥/٨)، والحاكم (٥٧٦/١)، والبيهقي في الكبرى (٣٠٥/٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فضل الله، وليجتهد.

أسأل الله الكريم الجواد الغفور الرحيم مجيب السائلين ألا يخيب عملنا، وألا يقنطنا من رحمته، وألا يرد دعاءنا، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام، يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين، يا حي يا قيوم، يا غني يا حميد، يا من تعرض للعباد ولمسائلهم، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، اللَّهُمَّ يا قريب يا مجيب نسألك أن تمنحنا قلوبًا واعية، ونفوسًا مطمئنة، وألسنة رطبة من ذكرك، وأن تغفر زلاتنا، وترحمنا في هذا المكان أجمعين.

اللَّهُمَّ اغفر لنا أجمعين، وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، وتب علينا يا إلهنا، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا، اللَّهُمَّ ارحم أمواتنا، وتجاوز عنَّا وعن إخواننا، اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح ذريتنا وأزواجنا يا إله العالمين، اللَّهُمَّ باعد بيننا وبين خطايانا كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ وفقنا في يومنا وما يليه للعمل الصالح، ولا تجعل شهر رمضان موسم عبادتنا وحده، بل نسألك أن تصل أعمالنا الصالحة بعد رمضان برمضان، وأن ترزقنا الاستمرار على طاعتك، والمثابرة على العمل الصالح ابتغاء وجهك، وأن تتقبل أعمالنا، وأن تسجلنا وتكتبنا في سجل عتقائك من النار يا إلهنا، اللَّهُمَّ أعتق رقابنا من النار، اللَّهُمَّ أعتق رقاب أمواتنا، اللَّهُمَّ أعتق رقاب ذرياتنا وأزواجنا يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح بنا، وتب علينا واهدنا، وعاملنا بما أنت أهله من الكرم والعدل والإحسان والجود، اللَّهُمَّ إنك عفو كريم تحب العفو فاعف

عنًّا، اللَّهُمَّ أعز بلادنا وديننا، اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ أذل الشرك والمشركين، اللَّهُمَّ دمر أعداءنا أعداء الدين من سائر طوائف الكفرة الملاحدة يا رب العالمين، اللَّهُمَّ أرنا في أعدائنا عجائب قدرتك، اللَّهُمَّ أنزل بهم بأسك الذي لا يُرد، اللَّهُمَّ زلزل الأرض من تحت أقدامهم، وصب عليهم العذاب من فوقهم يا قوي يا عزيز.

اللَّهُمَّ أصلح قادة الإسلام، اللَّهُمَّ أصلح قادة الأمة الإسلامية، اللَّهُمَّ ارزقهم خوفك ورجاءك والإنابة إليك، اللَّهُمَّ ثبتهم بالحق، اللَّهُمَّ أعز بهم دينك، وانصر بهم عبادك، واخذل بهم أعداءك يا إله العالمين، اللَّهُمَّ اجمع كلمتهم إنك جواد كريم، اللَّهُمَّ خص ولاة أمر هذا البلد بمزيد من التوفيق والتسديد، والصلاح والاستقامة والهداية، اللَّهُمَّ حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، واجعلهم من الراشدين، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهد بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، اللَّهُمَّ ارزقهم العزيمة على الرشد، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، ونحن معهم في ذلك كله يا جواد يا كريم، اللَّهُمَّ احفظ بهم أمن بلادنا، وصن بهم مقدساتنا، وأمِّن بهم السبل المؤدية إلى بيتك العتيق، ومسجدك رسولك الكريم، اللَّهُمَّ أمن بهم البلاد، اللَّهُمَّ وفقهم لتوفير الراحة ورغد العيش والأمن والأمان لكل قاطن في بلادنا أو وافد إليها من حاج أو معتمر أو زائر يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ وفقهم للأخذ على أيدي السفهاء، وحملهم على الصراط السوي، واجعلهم معينين لكل داعية خير، ناصرين كل مجاهد في سبيلك، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ عاجلهم بنصرك وتأييدك، اللَّهُمَّ امنحهم الثبات

على الحق، اللَّهُمَّ ثبت أقدامهم، وسدد سهامهم، وسلطهم على أعدائهم، وعاجلهم بإقامة دولتهم الإسلامية، ومكنهم يا حي يا قيوم من رقاب الأعداء، اللَّهُمَّ انصرهم في هذه الأيام نصرًا كاسحًا، نصرًا مؤزرًا.

اللَّهُمَّ زلزل الأرض من تحت أقدام الكفرة، وأرنا في أعدائنا في كل مكان عجائب قدرتك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اكبت اليهود والشيوعيين والملاحدة الباطنيين والمجوس وكل كافر ملحد، إنك جواد كريم، وصلِّ اللَّهُمَّ على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفَارُّونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم واتبع سنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

إخوة الإسلام! أين الهاربون من النار، وأين الفارون من عذاب الله، وأين الذين إذا تصوروا دخول أهل النار هزهم الفزع واقشعرت جلودهم؟! لو تصورت -يا أخي- عمارة عالية من ثلاثين طابقًا يُرمى بسكانها من أعلاها، ماذا يكون هول المنظر أمامك، فكيف إذا كان الحال: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق:٢٤]، يلقون فيها إلقاءً؛ فقد ثبت في "الصحيح" عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مَع رَسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**»، قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يهوي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**»(٢)، والله جَلَّ وَعَلَا قادر على أن يسمع العباد من عذاب الآخرة ما يشاء، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ وهو على بغلته على قبور، فنفرت البغلة، أي: أصابها نفور، فسأل عن أصحاب هذه القبور، فقيل: قبور أناس من المشركين، فأخبرهم أنهم يعذبون في قبورهم، وأن فزع الدابة مما سمعت من صياحهم وعذابهم، ثم قال: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ**

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ٢٤/٩/١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٤)، وقوله: «**وَجْبَةً**» هي بفتح الواو وإسكان الجيم، وهي السقطة مع الهدَّة. ينظر: العين للخليل (٦/١٩٣)، وتهذيب اللغة (١١/١٥١).

اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»(١)، وعذاب القبر ليس بشيء بالنسبة لعذاب جهنم؛ لأن صاحب العذاب في القبر إذا رأى ما ينتظره يقول: **«رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»**(٢)؛ لعلمه أن الساعة أدهى وأمر.

أمَّا أهل الجنة فهم في نعيم حتى يحس أهل العذاب والفجور والإضاعة بما فرطوا به؛ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٥٠]، لكن هيهات، فهؤلاء شرابهم حميم يقطع أمعاءهم، وأولئك لهم في منزلتهم ودارهم دار النعيم؛ ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٍ وَأَنۡهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٌ مِّنۡ خَمۡرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٌ مِّنۡ عَسَلٍ مُّصَفًّىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [محمد:١٥]، لهم فيها أنهار من خمر لا يؤثر على العقول، شراب مستساغ في منتهى اللذة لا يحصل فيه الغول الذي يحصل من خمر الدنيا وما فيها من بلاء، هؤلاء هذا شرابهم، وأما طعامهم ففي دارهم ما تلذ الأعين وتستسيغه الأنفس وما لا يتصوره متصور(٣)؛ ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) جزء من الحديث الطويل عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٨٧)، والحاكم (١/ ٩٣). وقد تواترت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات عذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين للإنسان بعد موته؛ كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)، وجاء أيضًا من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي قتادة، وعائشة، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٣) كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»**، أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:٣٤].

والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥]، ولنعم الذكرى في هذا الكتاب العزيز، ولنعم البيان، ولنعم الداعي والموعظة والترغيب لأهل القلوب النيِّرة والنفوس الطيبة المشمرين لرغبة مطالبهم التي لا فناء لها.

هذه المنزلة -يا عباد الله- منزلة من يدخلون نار جهنم، كلما ألقي فيها فوج لا يؤثر فيها، ولا تحس بشيء من الامتلاء مع أن الله جَلَّ وَعَلَا وعد جهنم أن يملأها من الناس والجن[١]، كما وعد الجنة أن يملأها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكن نار جهنم يحطم بعضها بعضًا، ويتقلب أهلها بلهبها، أرأيتم نار الدنيا لو أن جبالًا من الحطب أُلقيت في نار عظيمة هل تبقى تلك الجبال من الحطب على عظمها؟ وما شغلته من حيز كما كانت، بل تضمحل حتى تصير رمادًا.

أما نار جهنم -يا عباد الله- لا يستطيع متصور أن يتصورها، أو أن يحيط بما فيها من عذاب، وما أعد الله فيها للكافرين من نكال، وما ينتظر أصحابها -نسأل الله السلامة- من البلاء.

وأما جنة عدن وما فيها من الحضور واللذة والسرور، فلا يستطيع متصور أن يأتي في تصوره على ما فيها من نعيم وجزاء، ولذة عيش، وقرة عين لا تنقطع، وإنما يغفل الغافلون فيفرطون هذا التفريط بما يجدُّ فيه عدوهم من تزيين الباطل وتحسينه، وتنسيتهم مستقبلهم، وإفساد الأعمال الصالحة عليهم، وحفِّ الطريق السيئ بأنواع من الخدع والمغريات؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حُفَّتِ**

(١) قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩].

الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»[١]، فيا أيها المسلمون! إنكم في وقت لا يُقدِّر ثمنه ولا يَعْرِف قيمته إلا من استطاع أن يطَّلع على ثواب الله جَلَّوَعَلَا على الأعمال، ولكن حسبكم أنَّ أغنى الأغنياء وأكرم الكرماء وأجود الأجودين وخير الغافرين دعاكم للعمل ليكافئكم، فاستجيبوا لربكم وأنيبوا إليه، وأسلموا أنفسكم لطاعته، واسألوه الثبات على دينه.

عباد الله! إن شهركم قد ترحَّل، وإن أيامكم قد تسرَّبت، فلم يبق بعد ليلتكم هذه إلا أربع ليال، وما عداها فمشكوك فيه، فليعمد كل واحد منَّا في هذه الليالي الأربع أن يحاسب نفسه، وأن يتوب إلى الله جَلَّوَعَلَا صادقًا مخافة أن يقع في تلك التي تقول إذا قيل لها: ﴿هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠]، إن النجاة منها سهلة يسيرة، ولكنها صعبة لمن أضاع نصيبه، إنها سهلة لمن اتقى الله جَلَّوَعَلَا، ونهى النفس عن الهوى واتبع الطريق السوي؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠، ٤١].

عباد الله! إن الليلة إحدى الأوتار، وإن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: **«تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»**[٢]، وإن الإنسان الذي يريد من ربه التوفيق عليه أن يشتغل ويتعرض لأسباب التوفيق، ومن أسباب التوفيق أن تقبل على طاعة ربك راغبًا متطلعًا لرحمته ومغفرته، وأن تكثر من الإنابة إليه، والتفكر فيما سبق منك من عمل، فما كان صالحًا من عملك

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٢) من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩) من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

فلتحمد الله، فلولا الله جَلَّوَعَلَا وتوفيقه وإحسانه بك ورحمته لما وُفِّقت إلى ذلك العمل، وإن وجدت ما يسوؤك فبادر يا أخي للفزع، وأقبل على ربك متضرعًا، واسأله أن يغسل عنك ذنوبك، وأن يمحو حوبتك، وأن يصلح قلبك، وأن يهيئ لك من أمرك رشدًا، إن الفزع لاشك أكبر، وإن الذنوب أعظم، وإن التفريط هو الغالب على الكثيرين، ولكن الموفَّق من يسبق بالتفكر وتتبع ماضيه، والنظر فيما اجترأه في أيامه ولياليه؛ ليتوب من السيئات، ويقبل على ربه جَلَّوَعَلَا تائبًا نادمًا.

فيا أخي المسلم! لا شك أننا نرتكب ذنوبًا كثيرة، ونغفل عن أشياء كثيرة، فتب إلى الله جَلَّوَعَلَا مما تعلم، وتب إليه مما لا تعلم، واستغفره سبحانه مما تعلم، واستغفره جَلَّوَعَلَا مما لا تعلم، فإننا نعلم ذنوبًا ونجهل أضعافًا مضاعفة من الذنوب، والسبب في ذلك أن قلوبنا ليست على قدر كبير من الصحة واليقظة والبصيرة، أمَّا لو كانت قلوبنا في عافية، وعلى قدر كبير من البصيرة وفي الحياة سليمة؛ لأبصرت صغائر الذنوب وكبائرها.

فتب -يا أخي- إلى الله جَلَّوَعَلَا؛ اقتداءً بسيد الخلق محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه كان يُعد له في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة يستغفر ويتوب[1]، وكان يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنه لَيُغَانُ على قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»**[2]، مع أن الله جَلَّوَعَلَا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر!

فيا أيها المسلم وأيتها المسلمة، أيها الشاب والشابة، أيها الرجال والنساء،

---

(١) كما في حديث الأغر المزني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) من حديث أبي بردة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

خافوا يوم الفزع، خافوا النار التي تلظَّى، التي تقول: هل من مزيد، وتقدموا إلى الجنة القريبة منها في المكان، قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:٣١]، وهي وعد الله الحق لمن أناب إلى ربه وتاب، وأخلص العمل.

اللَّهُمَّ يا كريم يا جواد، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللَّهُمَّ ثبت قلوبنا على دينك، اللَّهُمَّ صدَّنا عمَّا حرَّمت علينا، اللَّهُمَّ اهدنا صراطك السوي، وباعد بيننا وبين عذابك يا كريم، إلهنا فزعنا إليك بوجوهنا، إلهنا رفعنا إليك أكف افتقارنا، اللَّهُمَّ لا تردنا خائبين، ولا تردنا في الموقف العظيم، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام تب علينا فإنك أنت التواب الرحيم، واستعملنا في طاعتك يا كريم، ويسر لنا اليسر، وجنبنا العسر، وعاملنا بما أنت أهله يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اغفر لنا ذنوبنا، وكفِّر عنا سيئاتنا، واغفر لأمواتنا، وأصلح ذرياتنا وأزواجنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام اغفر لنا في هذا المسجد المبارك أجمعين، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا يا إلهنا من عتقائك من النار يا كريم يا جواد، يا عزيز يا غفار.

اللَّهُمَّ إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، فها نحن ندعوك فأجب دعاءنا، اللَّهُمَّ لا تخذل دعاءنا وترده بذنوبنا، اللَّهُمَّ تجاوز عنا، اللَّهُمَّ إنك قلت: نحن أحق بالجواز[1]، اللَّهُمَّ تجاوز

(١) كما في الحديث عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«تَلَقَّتِ الـمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كان قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ من الْخَيْرِ شيئًا؟ قَالَ: لَا، قالوا: تَذَكَّرْ، قال: كنت أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عن الْموسِرِ، قال الله عز وجل:**
=

عنا، فإنك خير من تجاوز وعفا، اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو فاعف عنا، اللَّهُمَّ أصلح فساد قلوبنا، وآت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من طهرها وزكاها.

اللَّهُمَّ اهدِ ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ أغنِ فقيرهم، وأشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وانصر مظلومهم، وأعز ذليلهم، وبارك لهم في شهرهم ولياليهم يا إله العالمين، اللَّهُمَّ اجعل شهرنا هذا شهرًا مباركا على أمة الإسلام، شهر عزٍّ وانتصار وهداية وصلاح يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا.

اللَّهُمَّ يا رب العباد وفقنا لطاعتك، وجنبنا أسباب معصيتك، ويسر لنا في ليالينا هذه المقبلة العمل الصالح، وتفضل علينا بالقبول.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تصلح أمتنا شبابها وشيبها، اللَّهُمَّ أصلح الجميع من بنين وبنات، ونساء ورجال، يا رب العباد، اللَّهُمَّ صدَّ الجميع عن الحرام، اللَّهُمَّ حبب إلى الجميع طاعتك وطاعة رسولك، وكرِّه إلى الجميع معصيتك ومعصية رسولك.

اللَّهُمَّ أصلح قادتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح القادة في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلحهم واهدهم وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، وأقم بهم العدل، وحكِّم بهم الشريعة يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفِّق القادة قادة الأمة الإسلامية للقيام بأمرك وتحكيم شريعتك وإقامة الحدود على عبادك، اللَّهُمَّ أصلح بهم البلاد والعباد، اللَّهُمَّ اجمع كلمتهم على الحق، اللَّهُمَّ انزع الخلافات التي بينهم،

=

تَجَوَّزُوا عنه»، أخرجه البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم واللفظ له (١٥٦٠).

اللَّهُمَّ أحل محلها التعاون على البر والتقوى يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم اكبت أهل السوء والفساد والعناد، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام أذل المعتدين ودمر أعداء الدين، وأقم للأمة يا حي يا قيوم علم الهدى علم الجهاد يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أمِّن بلادنا هذه، اللَّهُمَّ آمنَّا في أوطاننا، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، اللَّهُمَّ خص هذه البلاد بمزيد من الأمن والأمان، ورغد العيش والاستقامة، اللَّهُمَّ أصلح قادتنا، اللَّهُمَّ زدهم من كل خير، وجنبهم كل شر، وبارك لهم فيما أعطيتهم، وبارك فيهم يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفقهم للقيام بأمرك، وتحكيم شريعتك، اللَّهُمَّ وفقهم للتمسك بكتابك الكريم وسنة نبيك المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم كافئهم على تحكيم شريعة الإسلام بالعز والتمكين والنصر والتأييد، اللَّهُمَّ أمِّن بهم ربوع البلاد، واحفظ بهم أمن القادمين والوفود من الحجاج والمعتمرين والزائرين، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام صُنْ بهم البلاد والعباد، وهيئ لهم من أمرهم رشدًا، وحبب إليهم طاعتك في الأمور كلها، وكره إليهم معصيتك في الأمور كلها، اللَّهُمَّ ارزقهم الباطنة الصالحة، اللَّهُمَّ طهرنا وإياهم، اللَّهُمَّ طهرهم وطهر ذريتهم، وامنحهم التوفيق، واكبت أعداءهم أعداء الدين في كل مكان.

اللَّهُمَّ أذل أعداءنا اليهود والنصارى والشيوعيين الملاحدة وسائر الكفرة المجرمين، والطغاة المارقين من المجوس وسائر الملحدين يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

❁ ❁ ❁

لَيْلَةُ القَــدْرِ[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحابته، ومن اهتدى بهديه واتَّبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

عباد الله! قد أظلتكم ليالٍ مباركة عظيمة، فاجتهدوا في سؤال الله جَلَّوَعَلَا، وأقبلوا عليه، وادعوه وأنتم واثقون بالإجابة، محسنون الظن به سبحانه، وأنتم خائفون من ذنوبكم، فإن العبد ما اجتمع في قلبه خوف الذنوب وعظيم الرجاء بالله جَلَّوَعَلَا إلا فاز وحاز الخير العظيم والفضل الجزيل.

وأنتم -أيها المسلمون- قد وقفتم في هذا المكان في هذا البيت العتيق مع هذا الجمع العظيم، فإن الإنسان إذا صلَّى مع جماعة كبيرة كانت صلاته أزكى ما لو صلى مع جماعة قليلة، وقد جمع الله لكم سبحانه في هذا المكان شرف المكان، وشرف الزمان، وكثرة المصلين، فاغتنموا الفرصة وتضرعوا إلى ربكم وأخلصوا له في العمل، وجدُّوا في الهرب من ذنوبكم، فلا مفرَّ من الذنوب إلا إلى الله، ولا نجاة ولا منجاة من عذاب الله إلا بالالتجاء إلى الله، إن الذنوب عظيمة، وإن السيئات كثيرة، وإن الأخطاء لا نستطيع عدَّها، ولكنها إذا أُنْزِلت بجانب عفو الله وبجانب رحمته سبحانه وتضرع العباد إليه وتوبتهم إليه جَلَّوَعَلَا، فإنهم -بإذنه سبحانه- مفلحون فائزون مجبورة ذنوبهم.

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/٢٥هـ.

يـا عبـاد الله! إن ليلـة القـدر اختـصها الله جَلَّوَعَلَا بأنهـا تتنـزل الملائكـة والروح فيها بإذن الله سبحانه، وأنها سلام؛ لكثرة ما فيها من نزول الخيرات، وثوابت الرحمات، وإقالة العثرات، سلام حتى طلوع فجرها، فاغتنموا ليلتكم هـذه لعلهـا تكـون ليلـة القـدر، اغتنمـوا هـذا الوقـت القليـل، وحـافظوا عـلى أنفسكم، وجدُّوا واجتهدوا وإن تعبتم، فإنما هـو تعـب لحظـات، وفـوز بـأمر عظيم، وخيرات لا حد لها.

ثـم استعملوا الرفق بإخوانكم، والعطف عليهم، والتأني معهـم، وعـدم الغـضب علـيهم إذا أصـابكم مـنهم تعـب أو زحـام، فـإن المـسلم هـو الرفيـق الهـادئ، يرفـق بإخوانـه المـسلمين ويـرحم ضـعيفهم، وقـد قـال سـيد الخلـق صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ»**(١)، إنما يحرص أن يفوز هو وأخوه برحمة الله جَلَّوَعَلَا.

فيـا عبـاد الله! اتقـوا ربكـم واجتهـدوا في عبادتـه سـبحانه، وألحـوا عليـه، واعلموا أن أقرب ما يكون العبد من ربه جَلَّوَعَلَا إذا هو سجد(٢)، فإذا سجدتم فـألحوا عـلى الله، واسـألوه صـلاحكم وصـلاح ذريـاتكم وهـدايتكم وهدايـة ذرياتكم، وسلوه جَلَّوَعَلَا أن يغنيكم عن خلقه أجمعين، فإن الإنسان إذا استغنى بالله عن عباد الله فاز بخير كثير، وإذا عرف أن الفضل كله لله حمله ذلك على أن يشكر الله، ألا فـما بنـا مـن نعمـة فمـن الله؛ مـن الـصحة، والأمـن في الـوطن،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) كما حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«أَقْرَبُ ما يَكُونُ الْعَبْدُ من رَبِّهِ وهو سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»**، أخرجه مسلم (٤٨٢).

والشباب، والقوة، وتيسير الأمور، كل ذلك من الله جَلَّ وَعَلَا، فله الحمد وله الفضل وله الشكر سبحانه، فاجتهدوا بشكره وحمده والثناء عليه، يعطكم جَلَّ وَعَلَا من خزائنه الملأى، وينزل عليكم من رحمته سبحانه التي كتبها لعباده المحسنين.

عباد الله! إن بعض الناس يحفظ حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً»(١)، وفي حديث آخر في "الصحيحين" تقول: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً»(٢)، فيزهد في مشاركة المصلين والمحافظة على أداء الصلاة إلى آخر الليل، وهذا في الحقيقة زهد في فضل عظيم! ولقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ -وهم أعلم بسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأرغب بفضل الله، وأحرص على الخير من عند الله جَلَّ وَعَلَا- يقومون الليل ويتهجدون، فمنهم من يصلي أكثر من ثلاث وعشرين ركعة، مع إطالة الركوع والسجود والقراءة وإطالة التسبيح والتهليل، ولنا بسادة هذه الأمة وكبرائها خير قدوة وخير أسوة.

فليحرص المسلم -يا عباد الله- ألَّا تفوته ركعة من التهجد، لا في أول الليل ولا في آخره، واغتنموا ذلك واحتسبوه عند الله؛ اقتداءً بصحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ عسى أن تصيبكم الرحمة إذا تنزلت على عباد الله، وعسى أن توافقكم دعوة المسلمين إذا دعوا الله جَلَّ وَعَلَا في أمثال هذه المجامع

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٠)، ومسلم (٧٣٧).

العظيمة، في الأماكن الكريمة، في الليالي الشريفة.

فلا تفوتنكم -يا عباد الله- الفرص، اجتهدوا وألحوا على ربكم وأخلصوا له، وتضرعوا له، واعلموا أن حاجاتكم عظيمة، وأن افتقاركم عظيم، وأن الشدة بدون التجائكم إليه لا منتهى لها، فلا إيمان إلا به، ولا حول ولا قوة لنا إلا به، ولا عز لنا إلا بعزه، ولا سعادة لنا ولا توفيق ولا أمن إلا منه جَلَّ وَعَلَا، فالتمسوا ذلك كله، والتمسوا كل ما تحتاجونه من فضله جَلَّ وَعَلَا، وتضرعوا إليه عسى أن يستجيب دعاءكم، وعسى أن يتقبل أعمالكم، وعسى أن يمنحكم من رحمته ما تشملكم السعادة به إلى يوم القيامة.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم، يا أكرم الأكرمين، يا ذا الجلال والإكرام لا تخيب رجاءنا، ولا ترد دعاءنا، ولا تحرمنا فضلك بذنوبنا، اللَّهُمَّ أنت ربنا وخالقنا، اللَّهُمَّ لا حول لنا ولا قوة إلا بك، اللَّهُمَّ لا ناصر لنا سواك، فانصرنا على أعدائنا وثبتنا على أقوالنا، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ ارزقنا الصدق في القول والعمل، والإخلاص لوجهك الكريم، وجازنا يا إلهنا بالحسنات إحسانًا وبالسيئات عفوًا وغفرانا، اللَّهُمَّ اجعلنا ممن تتقبل منهم حسناتهم، وتتجاوز عن سيئاتهم، يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ يا كريم يا جواد يا من قلت وقولك الحق: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] ، اللَّهُمَّ نحن عبادك ونحن الفقراء إليك، نحن ندعوك ونسألك، فاهدنا صراطك المستقيم، وأقل عثراتنا يا رحيم، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا بمنِّك وكرمك وجودك، اللَّهُمَّ إنَّا نسألك بفضلك وإحسانك، اللَّهُمَّ إنَّا نسألك لطفك وعطفك، فلا تكلنا إلى

أعمالنا ولا إلى أحد من خلقك يا جواد يا كريم.

اللَّهُمَّ أنت العفو الكريم، اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو فاعف عنا، اللَّهُمَّ اعف عنا يا خير من تجاوز وعفا، اللَّهُمَّ أصلح فساد قلوبنا، اللَّهُمَّ آت نفوسنا تقواها، اللَّهُمَّ زكها أنت خير من طهرها وزكاها، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام أصلحنا وأصلح أزواجنا وذرياتنا وجميع أقاربنا، وجميع مواطنينا في بلادنا، وجميع إخواننا المسلمين في كل مكان.

اللَّهُمَّ انصر المسلمين وثبتهم، اللَّهُمَّ أيدهم بالحق يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اهدهم صراطك المستقيم، اللَّهُمَّ لا تفرق جمعنا من هذا المسجد المبارك في جميع أرجائه إلا وقد غفرت ذنوبنا، وحططت سيئاتنا، وأيقنت قلوبنا، وتقبلت أعمالنا، اللَّهُمَّ اجعلنا من عتقائك من النار، اللَّهُمَّ أعتق رقابنا من النار، وأعتق رقاب أمواتنا أجمعين، ورقاب أولادنا وجميع ذرياتنا وأقاربنا يا رب العالمين، اللَّهُمَّ لا مفزع لنا إلا إليك، ولا منجى لنا منك إلا إليك، ولا عز لنا إلا بك يا حي يا قيوم، فلتكن معنا وانصرنا وأعزنا بطاعتك، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أصلح أمة الإسلام، اللَّهُمَّ اهدِ قادتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ أَلِّف بين القادة وأصلح شأنهم، واهدهم سبل السلام، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، واجمع كلمتهم على التقوى، اللَّهُمَّ وفقهم لصلاح الأعمال، اللَّهُمَّ خصَّ ولاة أمر هذا البلد بمزيد من الصلاح والاستقامة، والهداية والرشاد، اللَّهُمَّ امنحهم الانقياد لأمرك، والدعوة إليك، وجمع كلمة المسلمين يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ سدد أقوالهم وأعمالهم، وافتح على قلوبهم، وافتح قلوب القادة لدعوتك، وأصلح بهم أمة الإسلام في كل مكان.

اللَّهُمَّ انصر بهم المجاهدين، وأعن بهم الدعاة إلى سبيلك الصادقين، وامحُ بهم الباطل في كل بلادنا، وشدَّ بهم يا رب العالمين عناق المجرمين، اللَّهُمَّ انصرهم بالحق ولا تنصر عليهم، وأعزهم ولا تعز عليهم، وأمن بهم ربوع بلادنا، واحفظ بهم مقدساتنا، وصن بهم أماكننا المقدسة يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أمن بهم ربوع هذه البلاد، واحفظ بهم السبل المؤدية إلى هذا البيت، وإلى مسجد رسولك، اللَّهُمَّ وفقهم لتوفير الأمن والراحة ورغد العيش والاستقرار لكل قادم في هذه البلاد أو وافد إليها، من حاج أو معتمر أو زائر يا أكرم الأكرمين، وكافئهم على ذلك بالعز والتمكين والنصر والهدى، وأصلح لهم بطائنهم وذرياتهم ونحن معهم في كل ذلك يا كريم يا جواد.

اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى، اللَّهُمَّ صب عليهم عذابك، اللَّهُمَّ أنزل بأسك بالمجرمين الفجرة الشيوعيين وسائر الباطنيين الملاحدة يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أعلِ شأن الدين الإسلامي، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين، اللَّهُمَّ عاجلهم بنصرك، واجمع كلمتهم على الحق، وأبعد عنهم البدع والخرافات، وحبب إليهم التمسك بالسنة يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم اجعل عيدهم المقبل عيد انتصار على الأعداء، وإعلان لدولتهم الإسلامية في كل مكان يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أنقذ فلسطين من اليهود وأعوانهم، وأنقذ أفغانستان من الشيوعيين وأعوانهم، وأنقذ بلاد الإسلام في سائر بلاد الإسلام في أفريقيا وغيرها من أعداء الإسلام يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على نبيا محمد سيد البشر، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

السَّبْعَةُ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ثبت في "الصحيحين" عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»**[(٢)].

ومرَّ علينا حديث عن صنف آخر من بني آدم، وهم: **«ثَلاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يوم الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»**[(٣)].

وحديثنا هذا اليوم إنما هو عن ذوي همم عالية، ورغبات غالية، ونفوس كريمة شريفة، وقلوب مطمئنة بالخير راغبة فيه، أولئك جزاؤهم أن الله لا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وهؤلاء يُعلي الله كرامتهم، ويظهر فضلهم، وتنتصر جائزتهم،

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/٢٥هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فيظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، في ذلك اليوم الذي تدنو فيه الشمس من الرؤوس، ويتصبب الناس عرقًا، وعلى قدر السيئات يرتفع الماء حتى يلجم بعض الناس العرق، لا ينزل عرق هذا إلى هذا، ولا يتصل هذا بهذا[١]، والله جَلَّ وَعَلَا قادر على كل شيء، وفي ذلك الموقف يتبين فضل الإيمان.

الأول: «إِمَامٌ عَادِلٌ»، فالإمام العادل لا يقتصر نفعه على نفسه، وإنما نفعه متعدٍّ إلى الآخرين، فهو يقيم العدل بين الناس، وينتصر للمظلوم من الظالم، ويأخذ الحق من القوي للضعيف، ويقيم حدود الله جَلَّ وَعَلَا إذا ثبت موجب الحد، يخاف الله سبحانه ويرجوه، فكان جزاؤه أن الله يظله في ذلك الموقف العصيب.

والعدل -يا عباد الله- به قامت السموات والأرض، وخاطب الله جَلَّ وَعَلَا العباد أن يلتزموا العدل ولو كان الحق على ذوي القربى، ولو كان الذين لهم الحق من الأعداء؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) كما في حديث المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»**، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ. أخرجه مسلم (٢٨٦٤).

أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء:٥٨].

فالعدل -أيها المسلمون- له شأن وأي شأن؛ ولذلك الإمام العادل يكون في ظل الله جَلَّوَعَلَا، في ظل عرشه يوم يفتقر الناس إلى الظل، وتشتد حاجاتهم إليه، ويصعب الخطب، ويعظم الأمر، ويتبين يومئذ فضل العدل والإحسان وتقوى الرحمن جَلَّوَعَلَا، وما وراء ذلك من جزاء العدل والإحسان، ما ثبت في "الصحيح" أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: **«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ»** يعني: أهل العدل **«عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ»**(١)، هؤلاء الذين يعدلون في حكمهم مع أهليهم ولم يميلوا، فالعدل مطالب به الحاكم العام، ويطالب بالعدل القاضي، ويطالب بالعدل رب المنزل مع زوجاته إن كان ذا زوجات، ومع أولاده في عطاياهم، لابد من العدل، ومن لم يعدل فإن له جزاء عند الحكم العدل الذي لا يظلم الناس شيئًا سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وهو أحكم الحاكمين.

فعلى المسلم -يا عباد الله- أن يعتني بأمر العدل بالقول والشهادة والولاية، ولو كان يرأس اثنين فلابد من العدل في أعماله، وفي بيته، فإن العدل في المنزل مع الأولاد والزوجات أمر واجب، وفي الحديث: **«مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ، فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مائِلٌ»**(٢)،

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧) من حديث زهير رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٣٣) واللفظ له، والترمذي (١١٤١)، والنسائي (٣٩٤٢)، وابن ماجه (١٩٦٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

والشاهد فيما يتعلق بالظل الظليل لذلك الإمام العادل الذي نوَّه الله جَلَّ وَعَلَا بذكره على لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليحرص كل مسلم أن يتصف بالعدل، وأن يعدل حال الغضب وحال الرضا، مع صديقه وعدوه، مع القريب والبعيد، حتى ينال من الله جَلَّ وَعَلَا ثواب أهل العدل والنَّصَف والاستقامة.

إن الإمام العادل هنا يوازي في الحديث السابق: **«ثَلاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يومَ الْقِيَامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ..»** الإمام الكذاب؛ لأن في بعض ألفاظ ذلك الحديث: **«مَلِكٌ كَذَّابٌ»**، وهنا **«إِمَامٌ عَادِلٌ»**؛ ذاك له العذاب وهذا له الثواب.

الثاني: «شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ»، لاشك أن الشباب له أثره في الجموح، وله أثره في الصبوة، وله أثره في انطلاق النفس وقلة التجارب، يوازي الشاب هنا الشيخ الزاني، ذاك له النكال، وهذا له الجزاء الحسن، هذا الشاب الذي نشأ في طاعة الله ولم تغره المظاهر، ولم تخدعه ألوان الحضارة والمدنية والخلاعة؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا أعطاه قلبًا سليمًا، وفكرًا نيِّرًا، ونفسًا مطمئنة، فهو يرى من وراء ستر الغيب عذاب الجرأة على محارم الله، فهو كلما أهمَّ بأمر تذكر أمر الله جَلَّ وَعَلَا، ورقابته سبحانه وعذابه لأهل الزيغ والضلال والفساد، فانقمعت نفسه وارتدت إلى الوراء خوفًا من عقاب الله جَلَّ وَعَلَا.

هذا الشاب الذي نشأ في طاعة الله واستمر على ذلك يُغبط يوم القيامة؛ لما يفوز به في ذلك اليوم العصيب من الفوز بالظل الذي لا يناله إلا أمثال هؤلاء؛ نشأ في طاعة الله واستمر على ذلك.

الثالث: «رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ»، ومعنى معلق بالمساجد كأن قلبه مرتبط بها، كلما خرج بقي قلبه، فشدة تعلقه وتلهفه إلى المسجد كلما خرج منه، وحنينه إليه كلما انصرف، صار كأنما عُلِّق قلبه في المسجد، والإنسان لا يستطيع أن يبعد عن قلبه، فقلبه المتصرف في جسده، فإذا عُلِّق القلب في المسجد بقي الجسد مهما كانت الأحوال، وكلما كان الإنسان محبًّا لأمر محبة قوية صار قلبه معلقًا بذلك المحبوب؛ ولذلك يُقال في حال العشق والمحبة الزائدة: تعلق بحب كذا وكذا، كما هي اللغة المعروفة عند أهل الغزل في الجاهلية والإسلام، فالتعلق كأن القلب صار معلَّقًا بمحبوبه، فذلك الرجل إنما قلبه معلَّق بالمساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فهو من أولئك الرجال الذين يعمرون مساجد الله، إذا ذهب لعمل من الأعمال وجدت فكره حول المسجد، وفي المسجد لا يؤذَّن إلا وقد ذهب للمسجد.

هذا أيها الإخوة، هذا أيها المسلمون الراغبون في ثواب الله، يظله الله في ظله في ذلك اليوم العسير، يوم لا ظل إلا ظله.

الرابع: «رَجُلانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»، لم يحب أحدهما الآخر لكسب دنيوي، ولا لأمر من الأمور والأغراض الدنيوية، وكل الأمور إما أن تكون دنيوية يدخل فيها جميع المطالب والرغبات الدنيوية: من مال، وجاه، وعلاقات، من صداقة ونحوها، وإما أن تكون المحبة في الله جَلَّوَعَلَا، ويكون الباعث لها طاعة الله، والقرب من أسباب رحمته، والمسابقة في سبيل مرضاته جَلَّوَعَلَا، هذان

الرجلان اللذان تحابًّا في الدنيا في الله جَلَّ وَعَلَا، واستمرا إلى أن تفرقا بالموت، هذان ممن يظلهم الله في ظله يوم لا إلا ظله.

فانظر -يا أخي- إذا صادقت صديقًا أو آخيت أخًا، أو أنت أيتها المرأة إذا أحببت واحدة من النساء على أي شيء كانت المحبة، ولأي داعٍ هذه الصلة وهذه المواصلة؟ فإن كانت في ذات الله ومن أجل طاعته جَلَّ وَعَلَا، فليلزم المحب في تلك الطريقة، وليأخذ بها، وليفرح بتوفيق الله جَلَّ وَعَلَا، وإن كانت لأمر آخر لمطلب دنيوي، وقد يكون أيضًا مطلبًا محرمًا؛ كمحبة أهل العشق الباطل، والميول الفاسدة، والأخلاق الخليعة المريضة أصحاب الفجور والمجون، فإن محبتهم إنما هي في الحقيقة من جوانب العداوة وأسباب الشقاوة، ووسائل العذاب والنكال؛ قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، كلهم أعداء ما عدا خلة المتقين، وهي المحبة في الله جَلَّ وَعَلَا؛ ولذلك جاء في الحديث: «**إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ**»(١)، لكن إياك أن تقول بلسانك ما لم يكن القلب منطويًا عليه، فإن الله جَلَّ وَعَلَا لا يُخادع، ولا تروج عليه سبحانه الحيل، فإنا قد نقول الكلام بألسنتنا ولم ينبع من ضمائرنا، فهذا قد ينطلي على الخلق، وتخفى عليهم أصوله ومنابعه، ولكن المولى الكريم علَّام الغيوب جَلَّ وَعَلَا لا تخفى عليه خافية، من أراد أن يخادع الله جَلَّ وَعَلَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٢٤) واللفظ له، والترمذي (٢٣٩٢)، والنسائي في الكبرى (٩/ ٨٧) من حديث المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإنما يخادع نفسه، وعمّا قليل يفضحه؛ لأنه مهما كان الإنسان يُحاول أن يخفي أمرًا لا يريد ظهوره لأنه يستحي منه، فإن الله جَلَّ وَعَلَا سيفضحه على رؤوس الخلائق إن لم يتب إليه سبحانه.

الخامس: «**رَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ**»، أي: منزلة وشرف، «**وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**»، فهو لا يخشى أن يُسام بعذاب؛ لأنها ذات نفوذ وسلطان، ولا يخشى من أحد أن يكتشف أمره، وإنما خشيته من المطلع على السرائر جَلَّ وَعَلَا، دعته وسلطانها ونفوذها مُغْرٍ، إذا كان في القلب مرض، ومع ذلك فيها ما فيها من الجمال، وهي الداعية، تدعوه لنفسها ولها منزلة وجاه وهي ذات جمال، فلم يمنعه إلا خوف الله جَلَّ وَعَلَا، هذا يكافئه الله كما كافأ السابقين بأن يظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

أرأيت أثر الانكفاف عن الفواحش؟! ألم يمر علينا حديث الرجل الذي أعطى ابنة عمه مائة وعشرين دينارًا على أن تخلي بينه وبينها، فلما خلت بينه وبين نفسها، وقعد منها مقعد الرجل من امرأته خوَّفته بالله، فتذكر أمر الله وعقابه وترك ما قدر عليه خوفًا من الله، ففرَّج الله عليه كربة من كرب الدنيا[١].

أما هذا الذي تدعوه المرأة وهي ذات منصب وجمال، فلا يلبِّي الدعوة، ولا يلين قلبه لذلك، بل يتذكر الله ويقول: «**إِنِّي أَخَافُ اللهَ**»، فيظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

---

(١) حديث الغار أخرجه البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

السادس: «رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»، الإنسان -يا عباد الله- قد يتصنع البكاء، قد يؤثر عليه بكاء من يجاوره إذا بكى، ولكن ما الذي يدعو الخالي الذي لا أحد عنده، ولا يطلع عليه مخلوق من المخلوقين حين يذكر الله، فيتذكر العظمة، ويتذكر الجبروت، ويتذكر السلطان والقدرة الباهرة، كل ما في هذا الكون ذرة من قدرة الله جَلَّوَعَلَا، فإذا تذكر الله خاليًا فاضت عيناه من خشية الله، هذا -أيها المسلمون- يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، لكن أين القلوب الخاشعة، وأين العيون الباكية، أين الخشية من الله جَلَّوَعَلَا؟!

إن الخشية لو توفرت، وإن العيون لو جمّت بالدموع من خشية الله، لأنبتت تلك الدموع من أفنان العمل الصالح وطرحاته العظيمة ما يصبح ذا أثر بالغ، بربك -أيها المسلم- هل أنت إذا خلوت ولم يطلع عليك أحد تتفكر في عرضك على الله، وفي موقفك بين يديه حينما يخاطبك ليس بينك وبينه ترجمان(١)، حينما يوقفك على كل أعمالك في الدنيا فترى الأمر في منتهى الهيبة، حينما تتذكر أن المولى العظيم لمَّا تجلى مجرد تجلٍّ للجبل كيف خرَّ الجبل في عهد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ(٢)، هذه القدرة الباهرة التي أوجدت ما نحن فيه من هذا الكون العظيم، والتي كلما تقدم العلم العصري اكتشف أمورًا لا ندري عنها من سعة هذا الكون الهائل، كل ذلك أوجدته قدرة القادر على كل شيء.

---

(١) كما في حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ..**»، أخرجه البخاري واللفظ له (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣].

إذا فكَّر المفكِّر وكان ذا نفس طيبة، وتصوَّر كثرة هذه الخليقة التي من آدم إلى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة ببرها وفاجرها، بعربها وعجمها، بموجودها وما سيوجد وما سبق له الوجود، كل هؤلاء يقفون في صعيد واحد، وقد أحصى الله عليهم أعمالهم؛ قال تعالى: ﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق:٤]، إذا تصور العبد هذا وما قاله الله جَلَّوَعَلَا في كتابه، ثم تذكر غدراته وجرائره وأعماله السيئة ففاضت عينه خوفًا من عذاب الله، هذا -أيها المسلمون- الذي تكون حاله هكذا في الخلوة يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الرجل والمرأة في ذلك سواء.

السابع: «رَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»، المعاملة مع من؟ معاملته مع الله، وقد علم أن الله جَلَّوَعَلَا لا يضيع عليه شيئًا، وقد علم أن الله سبحانه أكرم من أن يدع عملًا من أعمال عباده فلا يثيب العبد المخلص بذلك العمل، ولرغبته أن يكون العمل سرًّا بينه وبين ربه؛ ليكون الجزاء أوفى وأكرم وأكبر، حرص حتى ولو استطاع أن تجهل شماله ما أنفقت يمينه لفعل، مبالغة في إخفاء أعماله، ورغبة في أن يبقى العمل سرًّا بينه وبين الله؛ ليكون الجزاء كذلك؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧].

هل فكَّرت -يا أخي- في واحد من هؤلاء السبعة؟ إذا لم تكن إمامًا، ألست شابًّا، إذا لم تكن شابًّا ألست رجلًا، إذا لم تكن كذلك -ولابد أن تكون رجلًا أو امرأة كبيرة- ألا ترغب في أن تكون المحبة

فيما بينك وبين أخيك في الله جَلَّ وَعَلَا؟ ألا ترغب في أن يكون قلبك دائمًا يحن إلى المساجد وإلى اجتماعاتها، ألا تتذكر المعاصي فتهتز هلعًا من اقترافها؟ ألا تتصور أن لذة لحظة واحدة لها عقوبة دهور وأعوام والله أعلم بمنتهاها، ألا تعلم أن مبلغًا تقرضه الله جَلَّ وَعَلَا سرًّا لذي حاجة وفاقة مع علمك أن الله لا يغيب عليه شيء يكون له من الثواب ما يعلي منزلتك يوم القيامة بأن تكون مع هؤلاء السبعة؟

احرص أيها المسلم، واحرصي أيتها المسلمة، أيها الشباب والشابات، اتقوا الله، وتجنبوا المعاصي، وتنشؤوا على طاعة الله؛ تفوزوا بأن تكونوا من أهل الظل الظليل البارد الوافر يوم لا ظل إلا ظل ذي العرش جَلَّ وَعَلَا، ويا أيها الناس أجمعون! اتقوا ربكم، وأخلصوا له في العمل، وبادروا إلى التوبة والإنابة إلى الله، وحاسبوا أنفسكم قبل العرض والحساب، قبل أن يتجلى الكتاب بما فيه، وتبدو الفضائح لأهل الفضائح، فيندم كل مفرط، ويتمنى العودة فيقول: ﴿هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [الشورى:٤٤]، فهيهات هيهات!

ويا من دنا من هذه الرحاب وتمسح بأركان هذا البيت العتيق، وتضرع إلى ربه جَلَّ وَعَلَا، ووطن النفس على الاستقامة، وحرص على كبح جماحها فإن النفس جموح، وكم جمحت بأفراد وأمم فألقتها في مهاوي الضلال والرَّدى؟! فلا منقذ إلا لطف اللطيف الخبير.

ويا من تحدثه نفسه بالفاحشة تذكَّر عقاب الله جَلَّ وَعَلَا لأهل

الفواحش، وتذكر أن النار كما في حديث الرؤيا ترفع بلهبها أهل الزنى حتى يرتفعوا ولهم لغط، ثم تهوي بهم إلى أمر سحيق[١]، تصور يا أخي لذة قليلة ثم عار ونار ولهب لا نهاية لانطفائها.

فاتقوا الله أجمعون، ثم اعلم -يا أخي- أن أيامنا قد أذنت بالانصراف، ومواسمنا قد ولَّت هاربة، وأنه لم يبق منها إلا أقل القليل، فاستودع ذلك ما تحب أن ينفعك الله به، توبة واستغفار للمستقيمين تكون تزكية لأعمالهم، وتوبة وندم واستغفار للمفرطين بصدق لتكون ماحية لسيئاتهم وخطاياهم، ورغبة أكيدة في محاكاة الصالحين الذين تحدث عنهم هذا الحديث العظيم؛ عسى أن ينال أحدنا منزلة أو أكثر من هذه المنازل، وما ذلك على الله بعزيز.

أسأل الله الجليل الكريم، ذا الفضل العظيم، مجيب السائلين ألا يردنا خائبين، اللَّهُمَّ يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام! ارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، ويسر لنا أمورنا، واغفر زلاتنا، وكفر عنا خطايانا، اللَّهُمَّ اغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولأمواتنا، وأصلحنا وأصلح ذرياتنا وأزواجنا، وتولنا يا حي يا قيوم، وكن ولينا وحافظنا يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ اغفر لنا في هذه الساعة أجمعين، وارحمنا برحمتك يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ تب علينا واغفر لنا وارحمنا، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام اكتبنا من عتقائك من النار، اللَّهُمَّ اكتبنا من عتقائك من النار.

---

(١) حديث الرؤيا أخرجه البخاري (٦٦٤٠) من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللَّهُمَّ أصلح حال المسلمين، اللَّهُمَّ اجمع شملهم، اللَّهُمَّ ألف ذات بينهم، اللَّهُمَّ وفقهم لصالح العمل، اللَّهُمَّ أصلح قادتهم في كل مكان، اللَّهُمَّ ارزق قادتهم الإيمان بك، والتوكل عليك، والقيام بأمرك، وتحكيم شريعتك وإقامة الحدود والعقوبات الإسلامية في بلاد الإسلام يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفق القادة للتعاون على البرِّ والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ احفظ بلادنا أجمعين، وخص بلادنا هذه بمزيد من التسديد، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم احفظ بلاد المسلمين أجمعين من كل سوء، اللَّهُمَّ خص بلادنا هذه يا ذا الجلال والإكرام بالأمن والاستقرار الدائم، اللَّهُمَّ احفظها من كيد الأعداء، اللَّهُمَّ من أراد هذه البلاد بكيد فسلط عليه عذابك يا ذا الجلال والإكرام بقوتك وقدرتك، وزلزل الأرض من تحت أقدامهم، وصب عليهم العذاب من السماء يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ وفِّق ولاة هذا البلد، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، واهدهم واهدِ بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، وسددهم يا ذا الجلال والإكرام ووفقهم للقيام بأمرك ومعاونة الدعاة إليك يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، اللَّهُمَّ هيئ لهم من أمرهم رشدًا، اللَّهُمَّ أمن بهم ربوع بلادنا، واحفظ بهم وطننا، وهيئ لهم من أمرهم رشدًا، اللَّهُمَّ وفقهم لتوفير رغد العيش والأمن والاطمئنان للقاطنين والوافدين إلى هذه الرحال من حجاج ومعتمرين وزوار يا إله العالمين، وكافئهم يا ذا الجلال والإكرام على ذلك، الثبات على الحق ورفع المنزلة في الدنيا والآخرة، ونحن معهم بمنِّك وكرمك

وجودك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واحمِ حوزة الدين في كل مكان، اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى والمجوس والشيوعيين الملاحدة والباطنيين وسائر الكفرة من المجرمين في كل مكان، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ أصلح كل الأمة الإسلامية، واهد شبابها، وثبتهم وانفع بهم الأمة في كل مكان، اللَّهُمَّ اهدِ ضال المسلمين، اللَّهُمَّ أصلح فاسدهم، اللَّهُمَّ أغنِ فقيرهم، وأعز ذليلهم، وانصر مظلومهم يا حي يا قيوم، يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصرهم وثبتهم وأيدهم بتأييدك ونصرك، وامنحهم رقاب أعدائهم وأموال أعدائهم، واستنقذ بهم بلادهم، ووفقهم لإقامة العدل فيها إنك أجود الأجودين، وأرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

لَيْلَةُ القَدْرِ وَمَا كُتِبَ فِيهَا[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ١-٥].

عباد الله! يخبر مولانا جَلَّوَعَلَا بمنَّته على الأمة الإسلامية العظمى بإنزال القرآن الكريم؛ بإنزال كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنه أنزله في ليلة القدر، ثم بيَّن عظم ليلة القدر وفخامتها وشرفها وجليل قدرها؛ بأن قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾؛ إنها ليلة عظيمة، إنها ليلة كريمة ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ في هذه الليلة المباركة ليلة القدر؛ يغشون المصلين في مساجدهم، ويستمعون لتلاوة القرآن مع المسلمين، ويسمعون الذكر والتسبيح والثناء على الله، يأنسون بتسابق المسلمين في مساجدهم واستماعهم إلى كلام ربهم، فإن الذكر هو بغية الملائكة الكرام.

وفي مثل هذه الأيام، وفي مثل ليلة القدر التي شرفها لا يُقَدَّر بقدر، بيَّن الله أنها خير من ألف شهر، ولم يحدد مداها، فألف شهر يُعْمَل فيها بالصالحات

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/٢٦هـ.

ليلة القدر خير من ذلك الألْف؛ عمر طويل للإنسان قلَّ أن يعمل إنسان بالأعمال الصالحة مدة ألف شهر؛ لأنه قلَّ مَنْ يُعَمَّر مخلفًا ألف شهر!

فليلة القدر خيرٌ من ذلك، وقد تضافرت الأدلة وتكاثرت الأقوال أن ليلة القدر ليلة السابع والعشرين من رمضان[1]، وأنها ليلة تنزل فيها الرحمة، وتغشى العباد السكينة، وترتفع الأعمال الصالحة، ويقل فيها أثر الأعمال السيئة؛ لأن الناس يقبلون على طاعة ربهم من عباده المؤمنين.

فاغتنموا -أيها المسلمون- ليلتكم هذه، فإنها أحرى الليالي أن تكون ليلة القدر؛ إن ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان هي أحرى الليالي أن تكون ليلة القدر، فمن كان متكاسلًا في أيام مضت، ومن كان عنده شيء من الغفلة

---

(١) كما في الحديث عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «والله إِنِّي لَأَعْلَمُهَا، وَأَكْبَرُ عِلْمِي هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِيَامِهَا، هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ». أخرجه مسلم (٧٦٢).

قال ابن قدامة في المغني (٣/١٨٣، ١٨٤): «واختلف أهل العلم في أرجى هذه الليالي، فقال أُبَي بن كعب، وعبد الله بن عباس: هي ليلة سبع وعشرين ... وقيل: آكدها ليلة ثلاث وعشرين ... وقيل: آكدها ليلة أربع وعشرين ... وقيل: آكدها ليلة إحدى وعشرين ... قال الترمذي: قد رُوي أنها ليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين، وآخر ليلة. وقال أبو قلابة: إنها تنتقل في ليالي العشر ... قال بعض أهل العلم: أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ليجتهدوا في طلبها، ويجدوا في العبادة في الشهر كله طمعًا في إدراكها؛ كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة؛ ليكثروا من الدعاء في اليوم كله، وأخفى اسمه الأعظم في الأسماء ورضاه في الطاعات؛ ليجتهدوا في جمعها، وأخفى الأجل وقيام الساعة؛ ليجد الناس في العمل حذرًا منهما».

في لياليه التي سلفت، «**وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ**»[1]، وإنما الفوز بالاستدراك، وإنما التوفيق لمن ندم على ما فرَّط منه من سيئات.

فتوبوا إلى الله صادقين، واشغلوا ليلتكم بالأعمال الصالحة؛ بالدعاء والتهجد، بالتضرع إلى الله جَلَّوَعَلَا بصدق وافتقار، فإن أغنى الأغنياء فينا هو في أمس الحاجة وفي أعظم الفقر إلى الله؛ لأنه لا غنى عن الله جَلَّوَعَلَا، فما من نفَس ولا دقة قلب إلا وهي بتوفيق الله جَلَّوَعَلَا، لو شاء جَلَّوَعَلَا لكتم أنفاس الجميع، ولأوقف دقات قلوب الجميع، ولكنه اللطيف الخبير.

إن العباد كلهم فقراء إلى الله، إن جميع ما في الكون -أيها المسلمون- مفتقر إلى رحمة أرحم الراحمين، وإن المكلفين من عباد الله في أمسِّ الحاجة إلى تنزل الرحمة، وفي أمسِّ الحاجة إلى سرورهم بالمغفرة، وفي أمسِّ الحاجة إلى أن يشملهم الله بلطفه، فخذوا بأسباب ذلك، وتعرضوا لنفحات الله، واغتنموا ليلتكم هذه، اغتنموها بالأعمال الصالحة والذكر، اغتنموها بالدعاء والتضرع، اغتنموها بالافتقار إلى الله.

إنها ليلة إذا وافقتموها -أي: ليلة القدر- خير من ألف شهر، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر لأصحابه أن رجلًا في الأمم السالفة حمل السلاح يقاتل في سبيل الله ثلاثًا وثمانين سنة وزيادة، ألف شهر ما وضع سلاحه عن عاتقه مقاتلًا في سبيل الله، فقال الصحابة: ومن يستطيع منا ذلك يا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! لقصر أعمارهم وضعف جهدهم، فمنَّ الله على أمة الإسلام

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٧) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وحباهم بليلة القدر خير من ألف شهر[١]؛ من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه[٢].

فيا من كنت مسرفًا على نفسك في الأيام الخوالي، ويا من كنت مخلِّطًا بالأعمال السيئة فيما سلف من دهره، لا تعجز عن ليلتك هذه، وتقدم إلى الله جَلَّ وَعَلَا بالتوبة النصوح، وسلِ الله أن يغفر لك ذنبك، تب إليه صادقًا، واسأله ملِحًّا، وابكِ بين يديه جَلَّ وَعَلَا، فإنه أرحم الراحمين، يرحم الباكي بين يديه، ويغفر للمذنب إذا تاب إليه، ويجيب دعوة الداعي إذا أظهر فقره إليه.

فافتقروا إلى الله -عباد الله- فإنكم الفقراء إليه، وسلوه فإنكم في أمسِّ الحاجة إلى عفوه وكريم عطائه، اجتهدوا -يا عباد الله- في هذه الليلة، والملائكة يؤمنون على أدعيتكم، فإنهم يتنزلون في هذه الليلة بكل أمر وكل خير؛ ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾.

فاتقوا ربكم -أيها المسلمون- وأخلصوا له في العبادة، إنها ساعات قليلة، وأنفاس محدودة، وإنها لحظات عظيمة الشرف عظيمة الفائدة، فلا تغترن ولا يغترن أحد بشبابه، ولا يغترن أحد بقوته، ولا غني بغناه، ولا ذو جاه بجاهه، فإن هذه الأمور كلها تزول إذا ارتحلت عن الدنيا، وقد تزول عنا قبل ارتحالنا عنها، فإن العبر تتوالى، كم من ذوي جاه وسلطان وثراءٍ ومالٍ وصحة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٤٥٢)، والبيهقي في الكبرى (٤/٥٠٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص٤٦١) عن مجاهد مرسلًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سُلبت منهم تلك الملابس، فأصبحوا عرايا منها؟! أصبح ذو العز لا عزَّ له، وذو المال لا مال له، وذو الجاه لا جاه له، وذو الغنى لا غنى له؛ أصبحوا سواسية بالفقر والذلة، وافتقاد الجاه، فلا يفوتنكم الجاه عند رب العالمين يا عباد الله.

إن ليلتكم هذه أحرى الليالي أن تكون ليلة القدر، فأعظموا المسائل، وألحوا على الله، وتضرعوا بين يديه، واجتهدوا بأن يكفر ذنوبكم، وأن يصلحكم ويصلح أعمالكم وأولادكم، وأن يطهر بيوتكم، واجتهدوا -يا عباد الله- فإن الله جَلَّ وَعَلَا يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وقد ندبكم لسؤاله، وبيَّن لكم كيف تدعون وبأي شيء تدعونه، فقال وهو الصادق الحكيم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال -جل من قائل-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

سلوا الله بأسمائه وصفاته، وألحوا عليه جَلَّ وَعَلَا، واغتنموا فرصة الاجتماع المبارك والليلة المباركة والبقعة المباركة، تزودوا بالافتقار إليه، وتضرعوا إليه؛ لعله جَلَّ وَعَلَا أن يرفع دعاءكم، وأن يستجيب لكم، وأن يقضي حاجاتكم، إن حاجاتنا لا تعد ولا تحصى، وإنا إن أنزلناها بعباد الله لم تُقْضَ، فأنزلوها بقاضي الحاجات، وارفعوها لمجيب السؤالات، وتعرضوا لنفحات ربكم جَلَّ وَعَلَا، فإنه ذو رحمة واسعة.

يا عباد الله! إننا في أمسِّ الحاجة، وإن أمتنا الإسلامية في أيامنا هذه في أيامٍ حالكة وأيامٍ عصيبة، في أيام شديدة الوطأة على المسلمين؛ دماءٌ تُسفك، وأعراض تُنتهك، وأموالٌ تؤخذ، وحريات تصادر، ومؤمنون يسامون سوء

العذاب! فاجتهدوا في الدعاء؛ لعل الله جَلَّوَعَلَا أن يرفع عن المسلمين بأسه، وأن ينزله على القوم الظالمين، ولعل الله جَلَّوَعَلَا أن يحقن دماء المسلمين، وأن يريق دماء الكافرين والمعتدين، ولعل الله جَلَّوَعَلَا أن يجمع الكلمة المتفرقة، وأن يلم شمل المتشعب، وأن يرفع الراية المنخفضة.

اجتهدوا -أيها المسلمون- في هذه الليلة المباركة، سلوا الله جَلَّوَعَلَا طهارة البيوت وسلامتها من المخازي والفواحش والرذائل، وسلوه طهارة القلوب وإقبالها عليه، سلوه طهارة الذرية واستقامتها وسلوكها السبيل المستقيم، سلوه أن يرزقها الاعتدال في طاعته، وأن لا تكون مُفَرِّطَة أو مُفْرِطة، فإن دين الله وسط بين الغالي المتشدد وبين المفرط المتساهل المتكاسل، إن دين الله وسط؛ كما أخبر رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

فاجتهدوا -يا عباد الله- في هذه الليلة العظيمة، تعرضوا لنفحات ربكم، واعلموا أنكم إذا أردتم أن تعرفوا هل عملكم مقبول فانظروا بم تتبعون العمل الصالح؟ فإن أتبعتموه بعمل صالح وافتقار إلى الله وتضرع إليه فإن هذا من دلائل القبول، وإذا وجد أحدنا أنه بعد العمل قد راح يسرح ويمرح ويلهو ويغفل ويرتكب المعاصي فليعلم أن عمله الصالح رُدَّ عليه.

احرصوا -يا عباد الله- بإتباع الحسنات بالحسنات، وإتباع السيئات بتوبة إلى الله والحسنات؛ ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:١١٤]، فكونوا منهم أيها المسلمون، كونوا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، كونوا من المتصدقين والمتصدقات، كونوا من الحافظين فروجهم والحافظات؛ تفلحوا في دنياكم وآخرتكم.

احرصوا -أيها المسلمون- بقنوتكم في دعائكم لله جَلَّ وَعَلَا، ألحوا عليه وسلوه بأسمائه وصفاته، سلوه بفضله وإحسانه، سلوه وقد جمعكم في هذا الجمع العظيم، وحباكم بهذا المكان الكريم، واختصكم بالدنو من هذا البيت العتيق، أن يعتق رقابكم، وأن يغفر زلَّاتكم، وأن يمحو خطاياكم، فإنه قريب مجيب، أقرب إلى أحدنا من حبل الوريد، يسمع مناجاة المتناجين، ويسمع همس المهامسين، يعلم السر وأخفى، يعلم ما نتحدث به في ضمائرنا وما نتكلم فيه بألسنتنا، لا تخفى عليه خافية.

فيا مَنْ ظَنَّ أنه يخبئ على الله جَلَّ وَعَلَا شيئًا، اعلم أن الله يطَّلع على كل سر، ويا مَنْ يخشى ألَّا يُستجاب دعاؤه، ألح على الله، فإنه جَلَّ وَعَلَا يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه مبتهلًا متضرعًا أن يردهما خائبتين؛ فقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: **«إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ؛ يَسْتَحِي إذا رَفَعَ الرَّجُلُ إليه يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»**(١).

فألحوا على الله جَلَّ وَعَلَا، وسلوه وتضرعوا إليه، إنكم في وقت غالٍ ونفيس، فلا تفرطوا فيه يا عباد الله، اجتهدوا في هذه الليلة وعمموا في المسألة، اسألوا لأنفسكم وآبائكم وأمهاتكم وأقاربكم والمسلمين، وأخلصوا لله في الدعاء، وخصوا قيادات الأمة بمزيد من الدعاء؛ لعل الله أن يهديهم، فقد كان الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «لو كان لنا دعوة مستجابة؛ لدعونا بها

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وأحمد (٣٩/١١٩) من حديث سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

للسلطان»[١]؛ لأن صلاح الولاة صلاح للرعية، واستقامتهم استقامة للأمة، وورعهم وخوفهم وكراهيتهم للمعاصي تحملهم على الأخذ على أيدي سفهاء الأمة.

فاجتهدوا -أيها المسلمون- ولا تملوا من الدعاء ولا تستكثروه، **«فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»**[٢]، أكثروا من ذلك، وأيقنوا بالإجابة ولا تستكثروها، فإن نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال -كما ثبت في "الصحيح"-: **«يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»**[٣]، فلا تملوا، فقد يؤجل الله الإجابة لرغبته وحبه جَلَّ وَعَلَا لدعائكم، وقد يؤجلها سبحانه لتصادف وقتًا أنتم أحوج فيه إلى الإجابة، فهو العليم الخبير، وهو الذي يعلم حوائجنا وضروراتنا ومدى شدة افتقارنا، فلا تملوا، وكلما أبطأت الإجابة فتضرعوا وابتهلوا وانطرحوا بين يدي الكريم الأكرم، فإنه جَلَّ وَعَلَا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ يا واسع الفضل والعطاء، اللَّهُمَّ يا واسع النجوى، اللَّهُمَّ يا من لا تخفى عليه خافية، اللَّهُمَّ يا من أمرت العباد أن يسألوه، وتعرضت لسائليك يا ذا الجلال والإكرام، نسألك بأسمائك وصفاتك أن تجعلنا ممن فاز بموافقة ليلة القدر، اللَّهُمَّ يسرها لنا ويسرنا فيها للقبول والعمل الصالح.

اللَّهُمَّ يا كريم يا جواد امح عنَّا السيئات، وتجاوز عنَّا الخطايا، وارحمنا برحمتك الواسعة، واغفر لنا ولوالدينا يا ذا الجلال والإكرام.

---

(١) يُنظر: الفروع لابن مفلح (٣/١٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

اللَّهُمَّ أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الذي خلقتنا ورزقتنا وجمعتنا في هذا المكان، ويسَّرت لنا الاجتماع والكلام والدعاء والاستماع، اللَّهُمَّ فرِّج كَرْبَنا، اللَّهُمَّ أغث قلوبنا، اللَّهُمَّ امح أوزارنا، اللَّهُمَّ خفف عنا يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ استعملنا في طاعتك، وتقبل دعاءنا وأعمالنا، وتجاوز عن سيئاتنا يا خير من تجاوز عنا يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم، يا من أنزلت في كتابك أن ليلة القدر خير من ألف شهر، اللَّهُمَّ لا تحرمنا ثوابها، اللَّهُمَّ لا تحرمنا فضلها، اللَّهُمَّ لا تحرمنا إياها، اللَّهُمَّ اجعلنا فيها ممن أعتقتهم من النار، وتقبلت دعوته، وأصلحت ذريته، وطهرته وطهرت بيته رجالًا ونساءً يا ذا الجلال والإكرام.

إلهنا ومولانا، يا ربنا، يا أيها الغني الحميد، نحن الفقراء بين يديك، نحن الضعفاء إليك، نحن المفتقرون إلى فضلك وإحسانك، أنزل علينا رحمتك وأنزل علينا سكينتك، وامنحنا قلوبًا حية مطمئنة يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أغث قلوبنا بغيث الإيمان، اللَّهُمَّ املأ جوارحنا بالنور والاطمئنان، اللَّهُمَّ أصلح ذرياتنا أجمعين، واغفر لنا ولوالدينا ولوالديهم أجمعين، ومنَّ علينا يا ربنا بالقبول والعمل الصالح والتوفيق، اللَّهُمَّ سدِّدنا واهدنا واغفر لنا وارحمنا، وارزقنا بفضلك، واكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا عن خلقك يا إله العالمين، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم اجعل فجر هذا اليوم طالعًا علينا بالخير والعز والتمكين، اللَّهُمَّ اجعل فجر هذا اليوم طالعًا علينا بغفران الذنوب.

الشَّفَاعَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ثبت في "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ؟! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ**»، قَالَ: «**فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**»، قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟! قَالَ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟! ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ**

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ٢٧/٩/١٤٠٨هـ.

سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا»، قَالَ: «**وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ**»، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا[١].

فما أجمل هذا الحديث العظيم الذي هو مرحلة من مراحل انتهاء الناس من الحساب وتوجههم إلى إحدى المنزلتين، فأما أهل البرق الخاطف فأولئك أهل السبق في الأعمال الصالحة، والجد والاجتهاد في التقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بأنواع القرب والطاعات، والذين دونهم إنما هم دون أولئك، وهكذا -يا عباد الله- إنما ينجو الناس برحمة الله جَلَّ وَعَلَا، ثم بأعمالهم.

إن ذلك الموقف العصيب لجدير بأن يتهيأ الناس له، وأن يستعدوا بما ينجيهم من العذاب الأليم؛ لكي يفوزوا باجتياز ذلك الجسر المزلة الذي هو أحدُّ من السيف -كما جاء في بعض الآثار- وأدقُّ من الشعرة[٢]، والتقوى والاستقامة والتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بأنواع القرب، فأولئك هم الذين يجتازون كالبرق، وأما مَنْ دونهم فعلى مراحل درجات أعمالهم.

فيا أيها المسلم! تهيأ لذلك اليوم بالأعمال الصالحة، فلو تصورت

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥).

(٢) أخرج مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ من الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ من السَّيْفِ».

خراب هذا الكون الذي أنت فيه، وتقشع السماء، وزوال هذه الأرض، وذهاب هذه الجبال، ثم تصورت النار وعلى شفيرها الصراط، يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي نَفْسُ أبي هُرَيْرَةَ بيده إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا»، لو سار إنسان بأسرع ما يكون سبعين سنة لما وصل قعر جهنم! نسأل الله العافية، وفيها منازل -في ذلك القعر- لأناس من بني آدم، وقد سبق قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

فأنت -أيها المسلم- بإمكانك أن تتقي النار، وأن تسلم من الوقوع فيها؛ يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن يوم القيامة: **«ما مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ليس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ منه»** يعني: عن يمينه، **«فَلا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ من عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ»**، يعني: عن شماله، **«فَلا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»**[(١)]، يعني: لو تصدَّق أحدنا بنصف تمرة على حبٍّ لهذه التمرة وحاجةٍ إليها، ولكن أعطاها من هو أحوَج منه؛ لكانت من أسباب وقايته من النار إذا قصد بإعطائها وجه الله والدار الآخرة.

فاستعدوا -أيها المسلمون- وتهيأوا للعمل وتقربوا إلى الله جَلَّ وَعَلَا، فإن على الصراط كلاليب تخطف من أُمرت بخطفه وتلقيه في نار جهنم والعياذ بالله، وقد مثله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

روايات الحديث فقال: «**وفي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ**»[1]، النبات الذي يعرفه أهل البادية في جزيرة العرب، فإذا كانت هذه الكلاليب على شكل شوك السعدان مع الضخامة التي تناسب القبض على المجرم ورميه في جهنم، فكيف يفلت منها -والعياذ بالله- إذا أُمِرت بخطفه إلى النار؟!

إن السلامة من ذلك -أيها المسلم- في مواسم الخيرات بالبذل من أسباب البذل، وتقوى الله جَلَّ وَعَلَا، والإكثار من التضرع إلى الله وسؤاله الوقاية من ذلك العذاب، إن ربنا جَلَّ وَعَلَا جواد كريم، وقد قال في محكم الكتاب: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] ، لكن لمن يا عباد الله؟ يغفر الذنوب لمن أخذ بأسباب المغفرة وتاب إلى الله من ذنوبه، وقدَّم صالحًا من عمله، وتوقى المحرمات، واجتهد وتورع وتجنب الخيلاء والكبرياء والعجب بعمله، فإن الإنسان إذا أعجب بعمله ذهبت بركات عمله.

فاتقوا الله أيها المسلمون، ثم يا من وُفِّق في ليلته البارحة للأعمال الصالحة، احمد الله، فإن ذلك منه جَلَّ وَعَلَا ومن توفيقه، ولولا توفيق

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والسعدان: نبتٌ له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب، والحسك نبات له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم. يُنظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٢١)، ولسان العرب (١٠/ ٤١١).

الله لك لكنت كالغافلين الذين إما يتجولون في الشوارع ويتعرضون للنساء، ويضايقون المارة، ويغفلون عن أمر الله، أو كنت كالذين هم على لهو ومرح وطرب وفواحش ومنكرات في كثير من أرض الله، فاحمد الله على التوفيق، واسأله الثبات على الحق، واجتهد في ذلك، فإن من علامة قبول العمل الصالح أن يتبعه العبد بعمل صالح آخر، وإن من علامة الرَّدِّ وعدم ارتفاع العمل إلى السماء أن يتبعه العبد بالسيئات والخطايا، والغفلة عن واجبات الإسلام، والإقدام على منكرات الأعمال، ففكر في نفسك -يا أخي- وتصوَّر ما أنت قادم عليه، واجتهد في الأعمال الصالحة ولا تمل، فإن الله جَلَّ وَعَلَا يحب من عبده أن يدوام على الطاعة، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»**[1]، وسُئلت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن عمل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل كان يَخْتَصُّ من الْأَيَّامِ شيئًا؟ قالت: «لَا، كان عَمَلُهُ دِيمَةً»[2]، تعني: أن عمله مستمر بصفة دائمة، ولكم في سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة.

عباد الله! لعل ليلة البارحة كانت ليلة القدر، ولعلكم أنتم قد وفِّقتم للعمل الصالح والإكثار منه، فهذا من فضل الله جَلَّ وَعَلَا، فاجتهدوا في الليلة القادمة والتي تليها وفي خاتمة الشهر إن تجاوز التي تليها، فإن الله جَلَّ وَعَلَا يعتق

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم واللفظ له (٢٨١٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٣).

في الليلة الواحدة مئة ألف نسمة كلهم استوجبوا النار، ، فإذا كان آخر ليلة أعتق الله جَلَّ وَعَلَا بقدر ما أعتق في كل ليالي الشهر الماضية[١]، يا له من فضل! ولكن هذا الفضل العظيم، وهذا الفوز الكبير لا يفوز به -يا عباد الله- من سهر على المعاصي، ونام عن الواجبات، وفرط في أمرِّ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأرسل بصره وراء الحرام، أو تعرض للحرام.

فليتق الله كل مسلم وليجتهد في الطاعة، فلم يبق من شهرنا إلا عشية هذا اليوم ثم يبقى يومان لا ندري ما وراء ذلك، فاجتهدوا أيها المسلمون، أما الليالي فلا نجزم إلا بليلتين وقد تأتي ثلاثة، فاجتهدوا، **«وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»**[٢]، ولـمَّا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يُزَيِّنُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ الْمَئُونَةَ وَالْأَذَى، وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ، وَيُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، فَلا يَخْلُصُوا فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ»**، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ قَالَ: **«لَا، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ»**[٣].

فاجتهدوا في نهاية العمل -يا عباد الله- فإنما الأعمال بالخواتيم.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم ألا يخيب رجاءنا، وألَّا يرد دعاءنا،

---

(١) كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٢٢)، وأخرجه في فضائل الأوقات (ص١٦٦ - ١٧١) من طرقٍ، وقال عقبه: «والمراد بالعدد المذكور في مثل هذا عند علمائنا: الكثرة دون أعيان العدد المذكور في الخبر، وكل ذلك -والله أعلم- فيمن عرف حدود هذا الشهر وحفظ حقوقه».

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٧) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (١٣/ ٢٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وألَّا يجعلنا من الخاسرين، اللَّهُمَّ ارحمنا برحمتك، ومُنَّ علينا بتوفيقك، وسددنا في أعمالنا كلها يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أنت ربنا ونحن عبيدك الفقراء إليك نسألك ألا تكلنا إلى أنفسنا يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ اغفر لنا في هذا المكان أجمعين، اللَّهُمَّ لا تردنا خائبين، اللَّهُمَّ تجاوز عن سيئات المسلمين، واقبل حسنات المحسنين منا، وارحمنا يا إلهنا يا جواد يا كريم.

اللَّهُمَّ إنا عبيدك بنو عبيدك، فقراء إليك، أسراء بين يديك، ارحمنا واستر علينا وسددنا يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ لا تخذلنا يوم الحساب، اللَّهُمَّ لا تفضحنا يوم يُكْشَف ما في السرائر، اللَّهُمَّ أنت الله أسدلت علينا سترك في الدنيا، فاشملنا بسترك في الآخرة يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ وفقنا لصالح العمل، واغفر لنا أجمعين، ولأمواتنا وأحيائنا، وسددنا يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح ذرياتنا، وأزواجنا، وأقاربنا، والمسلمين أجمعين.

اللَّهُمَّ اهدِ ضال المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح قادتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ يسر لهم اليسر وجنبهم العسر، وارزقهم خوفك ورجاءك، والاجتهاد في طاعتك، والرأفة بعبادك المؤمنين، والشدة على عبادك الفاسقين؛ حتى يرجعوا إلى الحق ويهتدوا إلى صراطك المستقيم، اللَّهُمَّ أنت ربنا فارحمنا برحمتك، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام اجمع كلمة قادة المسلمين على الحق ووفقهم لطاعتك، ووفقهم للحكم بما أنزلت في كتابك الكريم وفي سنة نبيك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللَّهُمَّ يا إلهنا وفِّق ولاة أمر المسلمين في كل مكان للرفق بأمة محمد، والعطف عليها، وارتياد المنافع لها، وجنبهم يا حي يا قيوم المشقة على أمة محمد، وأجب بأهل الرفق والرحمة والعطف على المسلمين دعوة نبيك محمد

صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأجب يا حي يا قيوم بأهل القسوة والظلم والعدوان دعوة نبيك محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال: **«اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»**[(١)]، اللَّهُمَّ اشقق على أهل المشقة والعناد، وارفق بأهل الرفق والتقوى يا حي يا قيوم. اللَّهُمَّ إنَّا نسألك أن تزيد ولاة هذا البلد الأمين بمزيد من التقوى والاستقامة والصلاح والهداية، اللَّهُمَّ افتح على قلوبهم واهدهم واهدِ على أيديهم قادة المسلمين، اللَّهُمَّ وفقهم لطاعتك، واستعملهم يا ذا الجلال والإكرام فيما يرضيك، واحفظهم فيما بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، واكبت أعداءهم في كل مكان، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم افضح أعداءهم واجعلهم عبرة للمعتبرين، وانصرهم بدينك الحق يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، وعاجلهم بتمكينك وتأييدك، اللَّهُمَّ ثبت أقدامهم، وسدِّد سهامهم، واجمع قلوبهم على التقوى، وأصلح ذات بينهم، واستنقذ بهم بلادهم بلاد الإسلام من أيدي الكفرة المارقين في أفغانستان وفي فلسطين وفي أفريقيا وفي كل مكان من بلاد الإسلام، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم استعمل على أمة الإسلام في كل مكان صلحاء من عبادك، وأذل أشرارها يا حي يا قيوم من عبادك، إنك أكرم الأكرمين، وصلِّ اللَّهُمَّ على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

يَوْمُ الفَزَعِ الأَكْبَرِ[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥]، أي: يخاف وعيد الله عَزَّوَجَلَّ لمن عصاه.

فيا عباد الله! اتقوا ربكم واستعدوا لرحيلكم، وتصوروا موقفكم بين يدي ربكم، تصوروا ذلك الموقف العصيب الذي وصفه الله جَلَّ وَعَلَا بأنه يساوي خمسين ألف سنة مما نعدُّ[(٢)]، ذلك اليوم يقف الناس فيه موقفًا واحدًا، فتدنو الشمس من رؤوسهم ويدنو حرها عليهم[(٣)]، لكن أراد الله جَلَّ وَعَلَا أن لا يموت أحد من حرها، وإنما موقف عصيب ووقفة عظيمة رهيبة، وهلع وفزع.

فالمستعد من أعد لذلك اليوم أعمالًا صالحة، وقد أنذر الله

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ٢٧/٩/١٤٠٨هـ.

(٢) قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤].

(٣) كما في حديث المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»**، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ. أخرجه مسلم (٢٨٦٤).

جَلَّ وَعَلَا العباد وأعظم النذر، وبيَّن الأسباب الواقية وأوضحها غاية البيان، فلا يهلك بعد ذلك إلا من أضاع نصيبه ونسي الله فأنساه نفسه.

عباد الله! إننا في موسم من أعظم المواسم، بل لا يوجد شهر كامل يماثل هذا الشهر العظيم، ولقد مضت أيامه وتسربت لياليه، فلم يبق من لياليه سوى ليلتكم هذه والتي تليها، فماذا نحن عاملون، وماذا نحن متضرعون به، وإلى من نفزع إذا هي ضاقت السبل واشتد الخطب وعظم الكرب؟! إنه لا مفزع إلَّا إلى الله، ولا ملتجأ إلا إليه، ولا عاصم من أمره إلا برحمته جَلَّ وَعَلَا، ولكن رحمته كتبها للذين يخافون الله ويرجون ثوابه، ويفزعون من عقابه.

عباد الله! إن التوبة النصوح الصادقة تمحو ما سلف من الخطايا والسيئات، وإن كثرة الاستغفار وكثرة الإلحاح على الله -لاسيما حال السجود- من أعظم الأسباب المنجية من أهوال يوم الفزع الأكبر، فاستعدوا يا عباد الله، إن ليلتكم هذه والتي تليها كنز عظيم لمن فاته كسب عظيم فيما سبق، فاحفظوها -يا عباد الله- بالأعمال الصالحة، وصيانة أنفسكم عمَّا حرَّم ربكم عليكم، فإن القلب إذا انقذفت به رغبة في معصية الله جَلَّ وَعَلَا، خلفت في القلب شرًّا مستطيرًا، فأحرقت فيه جذوة الإيمان إلا من رحم الرحمن، فاستعدوا أيها المسلمون بصقل القلوب [1]، والإنابة إلى الملك الغفار، واستعينوا به جَلَّ وَعَلَا واستعيذوا به من النفس الأمَّارة بالسوء، ومن الشيطان الذي يركض

(١) الصقل: الجلاء، والمعنى جلاء القلوب من الذنوب. ينظر: لسان العرب (١١/ ٣٨٠).

على الناس بخيله ورجله، واستعدوا -يا عباد الله- فقد حضركم العيد ودنا، فمن منكم مستعد أن يكون قد تجمل غاية الجمال في مظهره وباطنه؟ إن الكثيرين منَّا يستطيعون أن يلبسوا أبهى الجمال في الظاهر، ولكن السعادة ليست في ذلك، وإنما السعادة في جمال الباطن، ويتبعه بعد ذلك جمال ظاهر، فجمال الباطن بالتوبة من المعاصي، والإقلاع عنها، والفزع إلى الله جَلَّوَعَلَا، فافزعوا إلى ربكم فإليه المفزع، والتجأوا إليه فإليه الملتجأ، وارجوه فهو المرجو من كل نائبة وفزع.

ثم اجتهدوا -يا عباد الله- بالمواظبة على الأعمال، وأعدوا أنفسكم ووطنوها على الاستمرار على طاعة الله، وأعظم ذلك أن تحافظوا على الصلوات الخمس في أوقاتها، وأن تتجنبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأن تتذكروا عرضكم على ربكم، إذا فكر أحد في معصية الله يتذكر عرضه على الله يوم الفضيحة الكبرى، يوم تنشر الأعمال الخبيثة، ويفزع أهل الضلال والتضييع فيقول أحدهم: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩].

إذن -يا عباد الله- لنستعد لمحو ما في كتبنا من أخطاء وسيئات وذنوب ومشاكل بالعمل الصالح والتوبة إلى الله، وفي الحديث: **«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ؛ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا»**[1]، وفي حديث

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

آخر: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»[١].

ألا أيها المسلمون! إن ذنوبنا عظيمة، وإن حوائجنا كبيرة، وإنه لا يقضي الحاجات إلا خالق الأرض والسموات، وإنه لا يغفر الذنوب إلا الرب الكريم جَلَّوَعَلَا، فلننزل بالله حوائجنا، ولنفزع إليه لقضاء مآربنا، ولنتوكل عليه ونلتجئ إليه لمغفرة سيئاتنا وزلاتنا، فهو المرتجى، وهو الذي ندبنا ودعانا لأن نسأله ونلح عليه بالسؤال، وهو الذي وعدنا بالإجابة، وهو جَلَّوَعَلَا لا تتعاظمه المسائل ولا الهبات والعطايا، فمهما أعطى العباد خزائنه ملأى سحاء الليل والنهار[٢]، لو وقف الخلق أجمعون من أولهم إلى آخرهم فسألوه ما بلغت أمانيهم ووصلت إليه أنفسهم فأعطاهم كل ما سألوا ما نقص ذلك من ملكه شيئًا[٣].

فيا عباد الله! تهيأوا بالأعمال الصالحة، وتذكروا الفزع والهول

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَدُ الله مَلأَى، لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**». أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والسحاء: الدائمة الصب، يقال: سحابة سحوح، أي: كثيرة الصب. وفرس مسح أي: سريعة شديدة العَدْو تشبه بانصباب المطر. ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥١١).

(٣) قال تعالى في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**». أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

العظيم، وتذكروا يوم يتمنى المرء أن يقذف بأبيه وأمه، وأخيه وأخته، وزوجته وأولاده، يقذف بهم إلى أبعد هاوية إذا ترتب على ذلك نجاته من عذاب الله[(١)]، يفتدي بكل شيء، ولكن هيهات هيهات! إنما هو عمل صالح يفتدي به، أو النار موعده.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم، يا أكرم الأكرمين، يا مجيب السائلين، يا من جمعنا في هذا المكان الكريم، نسألك أن تغفر ذنوبنا وأن ترحمنا برحمتك، وأن تغفر زلاتنا يا جواد يا كريم، اللَّهُمَّ ارحمنا واغفر لنا، اللَّهُمَّ اغفر لأمواتنا أجمعين، اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح ذرياتنا وأزواجنا، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام اختم لنا بالأعمال الصالحة، والقبول التام يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ تقبل صيامنا ولا تجعلنا من المطرودين يا رب العالمين، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ تجاوز عن سيئاتنا، واغفر لآبائنا وأمهاتنا، وتب علينا وعلى أقاربنا، واغفر لجميع أمواتنا يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ أصلح فساد قلوبنا، اللَّهُمَّ أعط نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من طهرها وزكاها، أنت ربها ومولاها، اللَّهُمَّ لا تخرجنا من هذا الحرم الآمن وهذا المسجد المبارك إلا وقد أعتقتنا من النار، وغفرت سيئاتنا يا عزيز يا جبار، اللَّهُمَّ أعتق رقابنا من النار، اللَّهُمَّ إن نبيك قال: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[(٢)]، يا خير من تجاوز وعفا، اللَّهُمَّ أصلح لنا الأقوال والأعمال،

---

(١) قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، والنسائي في الكبرى (٧/ ١٤٦)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وأحمد =

وأصلح الذريات والأزواج، وتب علينا واهدنا صراطك المستقيم، اللَّهُمَّ وفقنا في ليلتنا هذه لأحب الأعمال إليك، وتفضل علينا بالقبول، ووفقنا لما يليها ولسائر أيامنا للعمل بما يرضيك يا جواد يا كريم.

اللَّهُمَّ أصلح أمة الإسلام، اللَّهُمَّ أعزها بدينك، اللَّهُمَّ لا تخذلها بالمعاصي، اللَّهُمَّ أصلح قادتها، اللَّهُمَّ وفقهم للقيام بأمرك، والدعوة إليك ونصر الدعاة إليك، وإعزاز المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ وفق الدعاة في كل مكان للصدق في الدعوة، وافتح القلوب لهم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ اجمع كلمة القادة في كل مكان على الحق، ووفقهم للحكم بكتابك وسنة رسولك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم أمِّنا في أوطاننا، وأصلح ولاة أمورنا، اللَّهُمَّ أصلح بلادنا هذه وصنها من كل بلاء، اللَّهُمَّ أدر عليها الرزق والرغد في كل مكان، اللَّهُمَّ أجرها مما تخاف، اللَّهُمَّ أصلح قادتها، اللَّهُمَّ زدهم صلاحًا ورشادًا واستقامة، اللَّهُمَّ أعز بهم دينك، وانصر بهم كتابك وسنة نبيك، اللَّهُمَّ اقمع بهم أهل الباطل في كل مكان، اللَّهُمَّ ثبتهم بالحق وثبت الحق بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ سدد أقوالهم وأفعالهم، وأصلح بطائنهم وأعوانهم، وخذ بأيديهم إلى أسباب عزة الإسلام يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفقهم لإعزاز المجاهدين والدعاة، واجمع على أيديهم كلمة أمة الإسلام، اللَّهُمَّ اكبت أعداءهم من المجوس واليهود وسائر الكفرة يا رب العالمين.

=

(٢٣٦/٤٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

اللَّهُمَّ أرنا في أعداء الإسلام عجائب قدرتك، اللَّهُمَّ صب عليهم العذاب صبًّا، اللَّهُمَّ أنزل في بلادهم القحط، اللَّهُمَّ أذقهم العذاب الأليم، اللَّهُمَّ زلزل الأرض من تحت أقدامهم، اللَّهُمَّ عاجلهم بالفزع والخوف والهلع يا رب العالمين، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم أصلح لنا الأحوال كلها، واختم لنا شهرنا بالأعمال الصالحة يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين على أعدائك أعداء الدين، اللَّهُمَّ عاجلهم بالنصر والتمكين، وأذل أعداءهم يا كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

تَحْرِيمُ الظُّلْـمِ[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحابته، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ثبت في "الصحيح" عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه جَلَّوَعَلَا أن ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قال: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ**

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/٩/٢٨هـ.

أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١).

عباد الله! إن الله جَلَّ وَعَلَا لـمَّا حرَّم الظلم على نفسه اقتضت حكمته سبحانه أن يحرم الظلم من العباد على العباد، فهو جَلَّ وَعَلَا يقول عن نفسه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، ويخبر جَلَّ وَعَلَا أنه حرَّم الظلم على الناس، فلا يحل لإنسان أن يظلم إنسانًا، فالظلم ظلمات؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اتَّقُوا الظُّلْمَ، فإن الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يوم الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فإن الشُّحَّ أَهْلَكَ من كان قَبْلَكُمْ»**(٢)، ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولَا يَحْقِرُهُ»**(٣).

فإذا كان إلهنا جَلَّ وَعَلَا وخالقنا قد حرَّم الظلم على نفسه وحرَّمه علينا، فعلى العباد أن يكفوا عن ظلم أنفسهم وعن ظلم إخوانهم، فإن ظلم العبد نفسه بأن يستعملها في معصية الله، يرزقه الله النعم ويغدق له الأرزاق فيجعل ذلك وسيلة لارتكاب المعاصي.

وأما ظلم العباد لإخوانهم إنما هو بجحد حقوقهم، والغيبة، والنميمة، واستلاب ما في أيديهم بغير حق، وتنقصهم، واحتقارهم، إلى غير ذلك، كل ذلك من ظلم المسلم لأخيه المسلم، ومن ذلك:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم (٢٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جحد حقوقهم وعدم الوفاء بما يلزمهم، وقد قال سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعِرْضَهُ»**(١)، فالإنسان الذي عليه دَيْن وهو قادر على السداد فلا يسدد الدَّيْن قد ظلم أخاه، وهذا الظلم منه يحل عرضه وعقوبته، يجوز للدائن أن يقول: إن فلانًا مماطل، ولو كان يكره ذلك، وأن يقول: إن فلانًا إنسان لا يهتم بالوفاء، ولو كان يكره ذلك، وله أن يشكوه إلى السلطة، فهذا من عقوبته.

فالظلم -يا عباد الله- ظلمات يوم القيامة، ومع ذلك فهو يسبب أنواعًا من العقوبات في الدنيا، ويسبب اشتهار الظالم بأنه من ذوي الظلم والعدوان، فعلى المسلم أن يفكر في نفسه، وأن ينظر إلى مظالم العباد؛ ولذا جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»**، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: **«إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»**(٢).

إذن على المسلم أن يستعد لذلك اليوم العصيب، قبل أن يحضر

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٢٨)، والنسائي (٤٦٨٩)، وابن ماجه (٢٤٢٧)، وأحمد (٢٩/٤٦٥) من حديث الشريد بن سويد الثقفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وذكره البخاري معلقًا فقال: بَاب لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالٌ، وَيُذْكَرُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعِرْضَهُ»**.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الغرماء الدائنون فلا يجدون حسنات له، أو تفنى حسناته قبل الوفاء وسداد ما عليه، فتؤخذ السيئات منهم وتحمل على سيئاته، فيصبح حاملًا أثقالًا مع أثقاله، نسأل الله العافية.

إذن على المسلم أن يتخفف ما دام بإمكانه أن يتخفف قبل أن يأتي اليوم العصيب، الذي لا ينفع فيه قريبٌ قريبه، ولا الوالد ينفع ولده، ولا الولد ينفع والده، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٧].

فليحرص المسلم -يا عباد الله- قبل ذلك اليوم، قبل أن يتمنى الرجوع ليتخلص من الحقوق، ويتخلص من المظالم، ثم هيهات ثم هيهات! فاحرص أخي وتجرد من ظلم نفسك، وتجرد من ظلم العباد، وتخلَّ من ذلك، فإذا كان عندك لأخيك مظلمة فاسع إليه، فإن كانت مالًا فرُدَّ المال إليه، وإن كانت تتعلق بعرض أو نقيصة تنقصته بها فاستحله واستبحه واسترضه؛ لعل أن يرضى فيعفو عنك، اجتهد -يا أخي- قبل فوات الأوان، وإن كل واحد منَّا على خطر أن يفوت الأوان من بين يديه؛ لأننا لا ندري متى الرحيل، ولا نعلم أيَّة ساعة تتحرك بنا وسيلة نقلنا من هذه الدنيا إلى الآخرة، إلى تلك الأفواج التي يستوي فيها الغني والفقير، والصغير والكبير، والشيخ والشاب القوي، كلهم على هذا المركب سواء، فاستعد له قبل الندم والفوات، ولات ساعة مندم[1].

---

(١) عجز بيت أورده ابن الأنباري في الأضداد (ص١٦٨) بغير نسبة، وتمامه:

فَلَتَعْرِفَنَّ خَلائِقًا مَشْمُولَةً   وَلَتَنْدَمَنَّ وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمِ

ثم يقول ربنا: **«يا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلا من هَدَيْتُهُ، فاستهدوني أَهْدِكُمْ»**، الهداية بيد الله؛ ولذلك قال الله جَلَّ وَعَلَا لمحمد خليله ونبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى:٤٨]، فلا يستطيع أحد أن يهدي نفسه، ولا أن يهدي غيره، وإنما الهداية بيد الله جَلَّ وَعَلَا، فاستهدوه يهدكم سبحانه؛ ولذلك ينبغي للعبد أن يكثر من سؤال ربه الهداية، وأن يثبته على الصراط المستقيم، فإن الناس كلهم في ضلال إلا من هداه الله جَلَّ وَعَلَا، فلنكثر من سؤال ربنا الهداية، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: **«كُلُّكُمْ ضَالٌّ»**، فلا استثناء لأحد، بل الخلائق كلها ضالَّة إلا من لطف الله جَلَّ وَعَلَا به فهداه، والهداية إليه جَلَّ وَعَلَا.

ثم يقول جَلَّ وَعَلَا: **«يا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلا من أَطْعَمْتُهُ، فاستطعمونى أُطْعِمْكُمْ»**، إن الإنسان قد يكون عنده أموال الدنيا ولكنه لا يستسيغ الطعام، فلا أحد يقدر على أن يجعله يستسيغ الطعام إلا إذا أنزل الله عليه عافيته، بل قد يشتهي الإنسان الطعام ولا يجد له مسلكًا! فالعافية عند الله، والشفاء منه، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المطعم؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨]، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو المطعم للخلائق كلها، وكل الخلائق فقراء إليه، فهو جَلَّ وَعَلَا المطعم، وهو الذي يعطي المحتاج.

ثم يقول جَلَّ وَعَلَا: **«يا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إلا من كَسَوْتُهُ، فاستكسونى أَكْسُكُمْ»**، والكسوة: كسوة الدنيا وكسوة الإيمان، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ

خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف:٢٦]، فقد يكون الإنسان كاسيًا بالريش والملابس، ولكنه عارٍ من الإيمان والحياء، متجردًا -والعياذ بالله- من كل خلق كريم وعمل نبيل، فكل واحد من الناس عارٍ إلا من ألبسه الله لباس التقوى، وحفظه من عُري الدنيا والآخرة، فليسأل المسلم ربه أن يكسوه حُلَّة الإيمان، وأن يحفظه بحفظه، وأن يلبسه ثوب الحياء منه ومن خلق الله.

يقول جَلَّ وَعَلَا مبينًا سعة فضله وغناه: **«يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا على أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ ما زَادَ ذلك في مُلْكِي شيئًا»**، فلا يتأثر الله ولا يزداد قوة إذا كان الخلق على قلب أتقى رجل، ولا يزداد منعة؛ لأنه جَلَّ وَعَلَا القوي المتين، الفعال لما يريد، الذي الخلق كلهم بتصرفه وتصريفه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر:٦٧]، فهذا الكون لا شيء في قدرة الله جَلَّ وَعَلَا، فلا يزداد بطاعاتنا ومع ذلك يدعونا للطاعة ويحثنا عليها ويفرح بتوبتنا، لا ليزداد قوة ولا ليزداد ملكه سعة، ولكن لأنه الكريم الجواد يحب أن يكافئنا، ويحب أن يعطينا، ويحب أن يرحمنا؛ لأن رحمته سبقت غضبه[1]، ولأنه جَلَّ وَعَلَا يفرح بتوبة عباده إذا تابوا إليه[2].

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ»**، أخرجه البخاري (٧٥٥٤) واللفظ له، ومسلم (٣١٩٤) مختصرًا

(٢) كما في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«للَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ**
=

فيقول جَلَّوَعَلَا: **«يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، ما نَقَصَ ذلك من مُلْكِي شيئًا»**، فلو كان الخلق كلهم على قلب إبليس قائد الفجور والمعاصي والكفر وسائر أنواع الظلم، ما نقص ذلك من ملك الله شيئًا؛ لأن الجميع بيده جَلَّوَعَلَا وبتصرفه، لا يخرجون عن سلطانه، ولا قدرة لهم على امتلاك أمره.

ثم قال: **«يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، ما نَقَصَ ذلك مِمَّا عِنْدِي إلا كما يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»**، يبيِّن جَلَّوَعَلَا في هذا الحديث العظيم عظيم فضله، وامتلاء خزائنه، وأنه مهما جبت النفقات منها، وانساب العطاء منها، وامتلأت الأيادي بالمعطيات، وبلغ كل طالب ما بلغ به خياله من السؤال، فأعطى كل الخلق ما طلبوه، فإن ذلك لا يضر ولا ينقص خزائن الله إلا كما يغمس أحدنا إبرة في بحرٍ خضم، فهل يتأثر ذلك البحر، وهل ينقص من شواطئه غمس إبرة ورفعها منه؟! كلا، ومع ذلك فخزائن الله أجل وأعظم وأكثر امتلاءً!

ثم يقول جَلَّوَعَلَا: **«يا عِبَادِي إنما هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ»**، فهو الذي وفقه، وهو الذي يسَّر له ذلك، وهو الذي هداه؛ لأن الخلق كلهم ضال إلا من هداهم، فالله جَلَّوَعَلَا هو الذي

= **كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ!»**. أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧).

هدى صاحب الخير، فليحمد الله على هذا التوفيق، ولو كان بحوله وقوته وحسن تدبيره وتقديره وسعة تصرفه وجميل تحركه في الحياة؛ لكان يسبقه من هو أكثر منه حذقًا، ولكن فضل الله لا يردُّه رادٌّ، «**فَلْيَحْمَدِ اللهَ**»، أي: ليحمد صاحب الفضل، ليحمد صاحب التوفيق، ليحمد صاحب المنَّة التي لا تنتهي، ليحمد صاحب الإحسان جَلَّ وَعَلَا.

ثم قال: «**وَمَنْ وَجَدَ غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ**»، لقد جاءته النُّذُر، لقد جاءته الرسل، لقد جعل الله الكتاب الناطق يسمعه صباح مساء يُتلى عليه حتى توسعت الأمور وعظمت إقامة الحجة، فالإذاعات في العالم أجمع تبث هذا القرآن الكريم لتزداد الحجة وتبقى، ويذهب العذر من كل معتذر؛ كقول القائل:

فَنَفْسَكَ لُمْ وَلَا تَلُمِ المَطَايَا ... ومُتْ كَمَدًا فَليسَ لَكَ اعْتِذَارُ[1]

فكم من المتمتعين بالصحة قد امتنع عن الأعمال الصالحة؟! وكم مررت بالمساجد وإذا بها مضاءة والناس في ترنم وتهجد ولم تلتفت إليهم؟! وكم سمعت (حي على الصلاة، حي على الفلاح) ولم تلبِ؟! مرضت ثم عافاك الله فلم تحمد الله! افتقرت فأغناك الله فلم تلتفت لذلك! رأيت مصارع أهل الظلم، رأيت المحن والبلايا كيف تنهمر على أناس وأنت في عافية! إذن لا عذر لمن فرَّط، فقد قامت الحجة بعد أن سنحت المحجة، «**وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ**»[2].

---

(١) صدر بيت أورده ابن الجوزي في المدهش (ص٢٩٣) ضمن أبيات بغير نسبة.

(٢) أخرجه مسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فليتق اللهَ المسلمُ، وليَخَف سرعة الرحيل ولا زاد معه ولا استعداد، ولم يتهيأ ليوم الرحيل، فليبادر بالتوبة إلى الله، وليبادر الرجل والمرأة، وليتهيأ للرحلة قبل أن يفاجئه الأمر، فلا يجد من نفسه مجالًا للاستعداد، إن الأمر يأتي للناس مفاجئًا، فالسعيد من تهيأ قبل حلول الأجل، والسعيد من قام بالعمل قبل أن يُمنع من العمل، والمطامع كثيرة، والعوائق متعددة، والناصح لنفسه من استعد لها وأخذ للحساب.

اللَّهُمَّ يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين، ويا مجيب السائلين جنبنا الظلم يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ جنبنا الظلم ولا تسلط علينا من يظلمنا يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أعذنا من الظلم والظلمات، واحفظنا من ظلم الظالمين، وأمِّنا من كل خوف يا كريم، اللَّهُمَّ اهدنا، اللَّهُمَّ لا مهدي إلا من هديته، فاهدنا صراطك المستقيم، اللَّهُمَّ لا حول ولا قوة إلا بك فأعنا يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ إنَّا ضالون إن لم تهدنا، فاهدنا يا هادٍ يا كريم، اللَّهُمَّ اهدنا صراطك المستقيم، واغفر لنا ولمن في هذا المكان أجمعين، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ يا جواد يا كريم، يا رب العباد، لا تفرق جمعنا في هذا المكان إلا بمغفرة الذنوب، وحط الخطايا، والعتق من النار، اللَّهُمَّ أعتقنا من النار أجمعين، اللَّهُمَّ أعتق أمواتنا وآباءنا وأمهاتنا وذوي قرابتنا ومن له حق علينا، اللَّهُمَّ أعتقنا أجمعين، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، وأعتق أمة الإسلام من مات منهم على التوحيد، ومن كان على التوحيد ويموت عليه، يا إله العالمين، اللَّهُمَّ يسر لنا اليسرى، وجنبنا العسرى، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا يا إله العالمين، اللَّهُمَّ أحسن حساب قلوبنا،

اللَّهُمَّ اهدنا فيمن هديت، اللَّهُمَّ عافنا بعافيتك، ولا تكلنا إلى أحد من خلقك يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واحمِ حوزة الدين، اللَّهُمَّ اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اختم لنا شهرنا هذا بالصالحات، وتقبل منا أعمالنا الصالحة، وتجاوز عن سيئاتنا، اللَّهُمَّ اجعلنا فيه ممن أعتقتهم من النار، اللَّهُمَّ ارحمنا برحمتك، واغفر لنا بمغفرة من عندك، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

اللَّهُمَّ يا إلهنا، اجعلنا ممن يوافي هذا الشهر الكريم أعوامًا مترامية، ووفقنا فيه للأعمال الصالحة، واجعلنا يا ذا الجلال والإكرام ممن يُقال لهم يوم القيامة: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٤]، اللَّهُمَّ عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، اللَّهُمَّ أصلح ذرياتنا وأزواجنا، واهدنا فيمن هديت، اللَّهُمَّ عافنا فيمن عافيت، اللَّهُمَّ إنا نسألك العفو والمغفرة والرضوان.

اللَّهُمَّ أصلح أمة الإسلام في كل مكان، اللَّهُمَّ اهد قادتها في كل مكان، اللَّهُمَّ وفقهم للحكم بما أنزلت، والقيام بأمرك، وإقامة حدودك على عبادك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلح أمة الإسلام، اللَّهُمَّ زد ولاة أمر هذا البلد بمزيد من التوفيق والتسديد، واحفظهم وصنهم يا حي يا قيوم بالإيمان، وثبت قلوبهم على التقوى، وهيئ لهم من أمرهم رشدًا، وارزقهم يا ذا الجلال والإكرام الصدق معك، والإخلاص لك، والاستقامة على دينك، والدعوة إليك يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ أصلح شأنهم وبطائنهم وذرياتنا وذرياتهم،

اللَّهُمَّ اهدهم بالهدى، اللَّهُمَّ شدَّ أزرهم، اللَّهُمَّ قوِّ عزائمهم يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ امنحهم التوفيق والتسديد والبصيرة في أمر الدنيا والدين يا رب العالمين، اللَّهُمَّ أذل بهم أعداءك، اللَّهُمَّ احمِ بهم حرمك ومسجد رسولك، اللَّهُمَّ صُنْ بهم مقدسات الإسلام، اللَّهُمَّ أعن بهم المجاهدين والدعاة يا رب العالمين، اللَّهُمَّ أصلح بهم هذه البلاد، وأعنهم على إصلاح ما جاورها من البلاد يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ إنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار، ونسألك أن تنصر المجاهدين في كل مكان، وأن تذل الطغاة المجرمين في كل مكان يا عزيز يا جبار، وصلَّى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

بُنِيَ الإِسْلَامُ على خَمْسٍ[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

ثبت في "الصحيحين" عن الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«بُنِيَ الْإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»**[(٢)]، ويقول المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في محكم التنزيل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]، ويقول رسوله المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْعُمْرَةُ إلى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ ليس له جَزَاءٌ إلا الْجَنَّةُ»**[(٣)]، ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**[(٤)]، أي: من ذنوبه.

نِعَمٌ من الله لا تُحصى، وفرصٌ هيأها المولى جَلَّ وَعَلَا لعباده المؤمنين؛ ليتخففوا من أثقال الذنوب، ويستقيموا من العثرات، ويصلحوا ما بينهم وبين ربهم، أماكن مفضلة، ومواسم فاضلة، وكرم لا حدود له من المولى جَلَّ وَعَلَا، وإحسان لا يُستطاع معرفة مداه من الكريم الجواد، **«وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ**

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٩/١١/١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِلَّا هَالِكٌ»(١).

إن مبنى دين الإسلام وقواعده الأساسية وأسس بنائه: شهادة التوحيد، شهادة ألا إله إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وربط القلب به جَلَّ وَعَلَا اعتمادًا وتوكلًا، رغبة ورهبة، خوفًا ورجاءً، فلا دين إلا بإخلاص العبادة لرب العالمين، لا دين للإنسان إلا إذا أقام معنى لا إله إلا الله وحقق مدلولها ومقتضاها؛ بأن كان قلبه متعلقًا بالله، وكانت ثقته به جَلَّ وَعَلَا لا حدود لها، ولم يقدم طاعة نفس ولا أهل ولا مسؤول على أمر أوجبه الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن طاعة الله جَلَّ وَعَلَا سبب السعادة في الدنيا والآخرة، ووسيلة النجاة من الأهوال الحاضرة والمقبلة، وهي عصمة لمن صدق بالقيام بها والعناية بأمرها.

فإن الله سبحانه الذي خلق الخلق وهو غني عنهم، يدرُّ لهم أنواع النعم رغم ما يبارزونه به من المعاصي، واستمرار حلمه جَلَّ وَعَلَا ولطفه وإدرار الخيرات على العباد مع ما يفعلونه ويجترحونه بجوارحهم، ويتساهلون به من أمره، وذلك من حلمه وكرمه وجوده وعظيم لطفه؛ لأنه سبحانه لا يستزيد بالعباد قوة ومنعةً، ولا تنقص قوته جَلَّ وَعَلَا بمعصية العصاة، وإنما أوجد جَلَّ وَعَلَا لأهل الثواب الذين يطيعونه سرًّا وعلانية، الذين إذا خلا أحدهم بنفسه تذكر فضل الله عليه، ونعمه المتوالية عليه، ولطفه به، وإذا رأى ضُلَّالًا ومنحرفين ورأى ثباته على الحق علم أن ذلك من الله، فليس هو أجدر منهم ولا أوسع مدارك، ولا أصبر ولا أكثر مثابرة، ولكن فضل الله جَلَّ وَعَلَا يسوقه الله لمن يشاء من عباده.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فإذا رأى الواحد من عباد الله أنه متمسك بدين ربه عاضٌّ عليه بالنواجذ، مقيمٌ على طاعة مولاه، معْرِضٌ عن المعاصي، فلا يغترن بنفسه ويعتقد أن ذلك من حذقه ومدى حسن تقديره، ولكن ليعلم أن الفضل لصاحب الفضل، وأن ذلك منَّة من الله جَلَّ وَعَلَا عليه، فليحمده، وكلما قدَّم طاعة أو انكفَّ عن معصية فليعلم أن ذلك من الله، فأكرم الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأطهرهم قلبًا، وأبرهم في كل عمل، يُنشد أصحابه عنده، ويقرهم عليه:

والله لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا[١]

فلولا الله جَلَّ وَعَلَا ما اهتدى أحد؛ ولذلك جاء في الحديث الصحيح القدسي أن الله جَلَّ وَعَلَا قال: **«يا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»**[٢]، فالمسلم ينبغي إذا كان مواظبًا على الطاعة، مثابرًا على الأعمال الصالحة، منكفًّا عن المعاصي والآثام، عليه أن يحمد الله جَلَّ وَعَلَا ويشكره على هذا الفضل وهذه المنة، ولينظر إلى كثير من الناس: كيف أنهم يأكلون ويتمتعون ويشربون وهم في غفلة عن مستقبلهم، وهم ناسون ماضيهم، لا يفكر أحدهم بما مضى، ولا يتطلع إلى مستقبل، وإنما شأنه شأن البهائم، إلا أن البهائم لا حساب عليها ولا عقاب، ومعاشر أهل التكليف عليهم الحساب؛ ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ

---

(١) البيت لعامر بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ارتجز به بين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: **«مَنْ هَذَا السَّائِقُ؟»**، قَالُوا: عَامِرٌ، قَالَ: **«يَرْحَمُهُ اللهُ»**، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَجَبَتْ يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْلَا أَمْتَعْتَنَا بِهِ، أخرجه البخاري (٤١٩٦)، ومسلم (١٨٠٢) من حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].

إن الله جَلَّ وَعَلَا لـمَّا أرسى قواعد هذا الدين الذي لا يقبل من أحد دينًا سواه بيَّن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الدعائم والقواعد؛ ليعتني المسلم بإحكام قواعد دينه، ويتفقد بناءها خشية أن يدب إليه الفناء، وأن يتسلط عليه اللصوص لينزلوا ما علا من بنائه، ويزعزعوا أصوله وقواعده، وما ذاك إلا بالإكثار من الطاعة، والإكثار من ذكر الله جَلَّ وَعَلَا، وتفقد الأحوال، والنظر فيما يأتيه المرء منَّا وما يدعه من الأعمال، فإذا وجد خيرًا حمد الله على التوفيق، وسأله أن يثبته، فإنَّ أكمل الخلق إيمانًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان كثيرًا ما يدعو ويردد: **«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»**.

فإذا كان سيد الخلق الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، الذي عصمه الله جَلَّ وَعَلَا ولم يعصم بعده أحدًا من خلقه عصمة مطلقة، إذا كان يقول هذه المقالة، فما هي حالي وحالك يا أخي المسلم؟! علينا أن نكون في غاية الحذر، ولـمَّا سمع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يكثر من قول: **«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»**، قالوا: أتخاف وأنت رسول الله؟! استغربوا هذا الطلب؛ لأنهم كانوا واثقين أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا خطر على قلبه، ولا يُخشى عليه انقلاب، فقال: **«وَمَا يُؤَمِّنُنِي! وَقُلُوبُ العِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ»**(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣/ ٢٣٠)، وأبو يعلى الموصلي (٨/ ١٢٨)، والخرائطي في اعتلال القلوب (١/ ١٩)، والآجري في الشريعة (٣/ ١١٦١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وأخرجه مسلم بنحوه (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فإذا كان سيد الخلق صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يأمن وهو الذي قال: **«لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنَّا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»**، هكذا قال سيد الخلق صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولـمَّا قيل له: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: **«وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»**(١).

إذن علينا أن نفزع إلى رحمة الله، وأن نجتهد في الطلب من الله، وأن نتفقد أعمالنا، وأن نسعى لمعالجة أمراضنا، لاسيما المرض الذي إذا استحكم أتى على مصالح العبد في الدنيا والآخرة ألا وهو مرض القلب، فإن أمراض القلوب عسيرة العلاج إلا على الذي وفَّقه الله جَلَّوَعَلَا، مع أن علاجها متوافر، وأسباب الشفاء من الأمراض متهيئة، ولا يحتاج المرء إلى أن يبذل أموالًا في علاجها، ليس عليه إلا أن يتوجه صادقًا إلى من بيده الشفاء، الذي قال الخليل عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ عنه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]، فيتوجه إليه طالبًا الشفاء، مكثرًا من ذكر الله الذي به تطمئن القلوب؛ إذ يقول ربنا في كتابه الكريم: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]؛ لأن ذكر الله جَلَّوَعَلَا حياة للقلوب، وشفاء لأمراضها، وعلاج لأدوائها، وإنما يغفل البشر وتلهيهم أموالهم، وأولادهم، ومتع دنياهم، ومطالب الجاه في هذه الدنيا، عن كثير من أسباب التجارة والربح، إلا من وفَّقه الله، وما أقلهم! فإن الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦].

فعلى المسلم -يا عباد الله- أن يحمد ربه جَلَّوَعَلَا أن هداه للإسلام، فإن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

هذه الدنيا عليها من البشر ما لا يعلم عدده بالدقة إلا الله، وأكثرهم في ضلال، وأكثرهم في هلاك، كل الناس يغدو حينما يصبحون يبيعون أنفسهم لكن غالب الناس يهلكونها؛ لأنهم يبيعونها على الشيطان والعياذ بالله، والموفَّق من أطاع ربه، وعلم فضله عليه، وأيقن بمصيره إلى ربه سبحانه فاستعدَّ ليوم اللقاء؛ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

فإذا خاف الإنسان وتصوَّر وقوفه بين يدي الله، وأعظم أيام الله جَلَّ وَعَلَا يوم لا تخفى خافية، يوم تُنشر الأعمال، إذا وفِّق لهذا التصوُّر استعدَّ، وأعظم الاستعداد إخلاص العقيدة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لاسيما في هذا الزمن المضطرب الذي تتدافع فيه تيارات الإلحاد والضلال، وتيارات الإغراء بالمعاصي وأنواع المخادعات والشعارات، فيحتاج المسلم لأن يكون على بينة من أمره، وأن يستضيء بنبراس الإيمان، وأن يتسلح بسلاح التقوى، وأن يعالج بصيرته بكثرة التضرع والابتهال بين يدي ربه؛ لئلا يكلَّ بصر البصيرة، فتعمى عن الطريق المؤدية إلى الله؛ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

فالمسلم عليه أن يحذر عاقبة الضلال، في هذا الزمن وفي كل وقت إلا أن زمننا هذا زمن خطير، جاء بأنواع الغش والخداع والنفاق، وبشعارات متعددة لا يعرف دقة خطرها إلا من وفَّقه الله جَلَّ وَعَلَا للإيمان الصحيح، والاهتداء بهدي سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعض على سنته بالنواجذ، فهذا حريٌّ بأن يوفقه الله جَلَّ وَعَلَا، وأن يرزقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فرقانًا يفرق به بين الحق والباطل،

بين الصحيح والخطأ، بين دعايات المكر والخديعة ودعوة الحق والصواب، وعليه مع ذلك كلما أمسى وأصبح أن يسأل الله جَلَّ وَعَلَا الهداية، وأن يستعيذ به أن يَضل أو يُضل، أو أن يَظلم أو يُظلم، وأن يتوكل عليه جَلَّ وَعَلَا، وأن يُبيِّت النية في قلبه على محبة نفع العباد، وإيصال الخير إليهم، وتيسير سبيل الهداية لهم، ومحبة السعادة لعباد الله المؤمنين، فإن ذلك حريٌّ أن يوفقه الله جَلَّ وَعَلَا.

شهادة ألا إله إلا الله -يا عباد الله- تقتضي منَّا أن نطيع ربنا في أوامره، وأن ننتهي عن مناهيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن نعلم أنه لا دين إلا ما شرعه جَلَّ وَعَلَا، وأن دينه كمل بوفاة نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، ومات يوم مات وما أبقى حاجة ملحة يحتاج الناس إليها في أمور سعادتهم إلا وبينها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما شهد بذلك أصحابه أبر الخليقة بعد الأنبياء، وأنصحهم للعباد، وأصدقهم في كل قول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

شهادة ألا إله إلا الله مقتضاها ألا يتخذ المرء أربابًا وآلهة من البشر يحرمون عليه ما أحلَّ الله فيحرمه، ويحلون له ما حرَّم الله جَلَّ وَعَلَا فيحله، ولقد قرأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، فقال أحد العرب الذين لا يحتاجون إلى أن تُشرح لهم مدلولات الألفاظ؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، فهم يعرفون خاصَّه وعامَّه، ومطلقه ومقيده، وهو عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من سادات العرب، وأبوه مضرب المثل في الأخلاق الكريمة في الجاهلية، فقال: إنا لسنا نعبدهم يا رسول الله! وكان قد تنصر في الجاهلية ثم أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ ما أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ ما حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟**»، قال: بَلَى، قال: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**»[١]، فمن أطاع مخلوقًا في تحليل حرام أو تحريم حلال ورضي بذلك فقد اتخذه إلهًا من دون الله، وربًّا من دون الله، إذن ما أكثر الأرباب لكثير من أهل الضلال!

فاحمد الله أيها المسلم، احمد الله أيها المسلم العاض على دينك، واشكره على هذا التوفيق، فإنك لاشك تجتمع بأرباب فكر، وحملة شهادات عالية، وأصحاب ذهن متوقد وذكاء خارق، وهم مع ذلك على ضلال، وأنت على هدًى والحمد لله، فاحمده جَلَّ وَعَلَا، فإن ذلك فضل منه ساقه لك، فتمسك به وعض عليه بالنواجذ، واشكر ربك سرًّا وعلانية، واسأله ألا يرفع لطفه عنك، وألا يكلك إلى نفسك وحولك وقوتك، وإنما يكلك إلى حوله وقوته، ولقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحد أصحابه: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟**»، قال: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قال: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[٢].

فإذا تبرأ العبد من حوله وقوته، وتعلق بحول الله جَلَّ وَعَلَا وقوته، واستعان به واستهداه، وتوكل عليه وأطاعه؛ حفظه من بيد يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، ويسَّر له أموره.

ما أحوجنا -يا عباد الله- إلى أن تتهيأ لنا أسباب التيسير، وأن تزول عنا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) بدون «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**»، والطبري في تفسيره (١٠/ ١١٤)، والطبراني في الكبير واللفظ له (٢١٨)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٦) من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أسباب الحرج والضيق والكربة، إذن ما علينا إلا أن نتوجه إلى مفرج الكرب، ومقيل العثرات، غافر الزلات جَلَّوَعَلَا، الذي ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، أن نتوجه إليه صادقين، لكن ليعلم البعض منا أن الله جَلَّوَعَلَا مع أنه كريم جواد، وأنه واسع الفضل عظيم العطاء، وأنه واسع الحلم، فإنه جَلَّوَعَلَا شديد الغيرة، عظيم البطش، عذابه أليم، ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢]، ولكنه لسعة حلمه يملي للعبد، ويدعه وهو يراه على المعصية، فلا يؤاخذه سبحانه أخذة عاجلة؛ لعله يتوب إليه، لعله يقلع عن المعصية، لعله يتخلى عن الاعتقادات المنحرفة الملوثة، وأن يأخذ بعقيدة سيد الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الذي أرسله الله رحمة للعباد، فإذا وُفِّق لذلك فقد أنقذ نفسه وأنجاها بإذن ربه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

إن معنى شهادة ألا إله إلا الله أن يحرص العبد على إرضاء ربه؛ حتى إذا خلا في فراشه، أو في برية، أو في مكان مظلم، أو في سجن -أجارنا الله جميعًا غياهب السجون- تذكر أن لطف الله كبير، وأن عنايته فائقة، وأن قدرته لا حدود لها، فالتجأ إليه وندم على ما سلف من ذنوبه، وفزع إلى من فزع إليه كل مظلوم، فزع إليه ذو النون في الظلمات بعد أن يأس وظن ألا قدرة عليه، فأنجاه الله مما كان فيه، كما أنجى غيره من خلقه وعباده الكثيرين، وهو القادر على إنجاء كل مُكْرَه، وإنقاذ كل غريق، ونصر كل مظلوم، وما على العباد إلا أن يصدقوا في الإقبال عليه، والالتجاء إليه، والتوكل عليه جَلَّوَعَلَا، فإنه سبحانه بيده تصريف الأمور، وإليه يرجع الأمر كله، له الخلق والأمر سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

فالعقيدة التي تنبني عليها الأعمال كلها إنما هي شهادة ألا إله إلا الله بحق، وشهادة أن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحق، فمعنى شهادة ألا إله إلا الله هي عبادته وإخلاصها لوجهه، والتبرؤ من حول كل ذي حول إلا بحول الله وقوته جَلَّ وَعَلَا، وعدم السجود لأي كائن من الكائنات إلا لوجه رب العزة جَلَّ وَعَلَا، والتبرؤ من التمسح بأركان أي بناء على الوجود إلا بأركان هذا البيت العتيق الذي جعله الله جَلَّ وَعَلَا مثابة للناس وأمنًا، الذي لما أراد جبار من الجبابرة أن يعتدي عليه ولم يكن لساكني هذه الرحاب حول ولا قوة جاء لطف اللطيف الخبير: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل:٣، ٤]، وكان ذلك الوقت سكان هذه الرحاب على الشرك، لكن لما أريد تدنيس البيت وهدم هذا البناء الشامخ الذي أُسس على التقوى انتقم الله جَلَّ وَعَلَا من أولئك، فغيرة الله جَلَّ وَعَلَا لا حدود لها، وعذابه وعقابه لا ينتهي إلى غاية ولا يحدُّه حدٌّ، وإنما يفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما يشاء.

أما شهادة أن محمدًا رسول الله فقد جُمعت بألفاظ محدودة قصيرة، فسرها بعض أهل العلم -رحمة الله عليهم- فقالوا: معنى شهادة أن محمدًا رسول الله طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بهذه الألفاظ القصيرة جُمعت معاني شهادة أن محمدًا رسول الله، كل أمرٍ أمرَ به عليك أن تطيعه في حدود القدرة، وكل أمرٍ نهاك عنه لا مجال ولا محيص لتركه، وألا تعبد الله إلا بما شرعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ألفاظ قليلة ولكن مدلولاتها ومعانيها وما تشمله لا يأتي على الحصر، لا يحل للمسلم أن يأتيه الأمر من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع قدرته على إنفاذه ثم

يدعه؛ لأن نفسه لا تطمئن للأخذ به، أو لأن رغبة أحد المخلوقين ألا يأخذ به، وهو يستطيع أن يأخذ به، لا يحل له أن يدعه، وإلا فإنه لم يحقق معنى شهادة أن محمدًا رسول الله، لا يحل له أن يأتيه الخبر الثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم لا يهضمه قلبه؛ لكثرة المشككين به، الذين يقولون: كيف تصدق هذا؟! فيأتي إليه أدنى ذرَّة من الشك، إن جاءه أدنى ذرَّة من ذرات الشك بخبر رسول الله، فإنه لم يصدق في شهادة أن محمدًا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لابد لي ولك -يا أخي المسلم- أن نطيع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حدود الطاقة والقدرة، ولا يحل لنا أن ندع شيئًا مما أمر به ونحن نقدر عليه إلا وأن نأتي به؛ لأن ذلك هو معنى شهادة أن محمدًا رسول الله، مادام أن الله مالك الملك خالق الخلق، وأن الخلق كلهم في أشد أنواع الفقر إليه، مع أنه جَلَّ وَعَلَا في أكمل أنواع الغنى عنهم، فلابد لهم أن يطيعوه وقد أرسل لهم جَلَّ وَعَلَا أكمل عباده وأصدقهم وأبرهم وأمر العباد أن يتبعوه، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، إذن محبة الله جَلَّ وَعَلَا وسعادة الدنيا والآخرة مرتبطة بطاعة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحبته، والثقة التامة بخبره، والانقياد المتناهي لشرعه، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

لا يكفي الانقياد للقانون مع عدم الراحة النفسية له، فإن الناس قد

ينقادون للقانون البشري، ويخضعون لأحكامه لالتزامهم أو إلزامهم بذلك، لكن شرع الله ليس كذلك، فلا يتم الإيمان إلا بالتحاكم إليه، والاطمئنان له، وزوال الحرج من النفس فيما يُقضى من شرع الله، والتسليم له ظاهرًا وباطنًا، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، انقيادًا كاملًا ينقادون له.

هذا الرسول الكريم الذي اختاره الرب الكريم جَلَّ وَعَلَا وجعل الدين كله عن طريقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا عبادة لله إلا بما شرعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن لم يفعل ذلك فإنه لم يحقق معنى شهادة أن محمدًا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنك لو سألت أي مسلم: أتحب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فإنك لا تتوقع أن يقول: لا، إلا إذا كان من المنافقين، وكان في وضع يسمح له أن يجهر بما في قلبه، أما إذا كان من المسلمين حقًّا، فإنه بدون شك يحب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن تحتاج لأن تعلم هل كان محققًا معاني محبة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم لا؟ إن أكثر الناس لا يتيسر له ولا يتم له التوفيق بتحقيق معنى محبة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لاشك أن حب رسول الله فرض على العباد، ولا يؤمن الإنسان حتى يكون حب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوق حب كل مخلوق؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الخليفة الراشد، أزكى هذه الأمة بعد نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال له عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، واللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ**

أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ»، قَالَ عُمَرُ: واللهِ فَلأَنْتَ الْآنَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْآنَ يَا عُمَرُ»**[١].

فمحبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبة على الخليقة، ولا يتم إيمان أحد حتى يحب رسول الله حبًّا صادقًا، لكن يحتاج الإنسان إلى أن يدلل على هذه المحبة، ويقيم البراهين على صدقها، وما ذاك إلا بصدق المتابعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبغير ذلك لا يتحقق للعبد إقامة الدليل على محبة سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إنك -يا أخي المسلم- محتاج إلى أن تفتش في قلبك، وتقلب في نفسك عن منزلة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا أردت أن تعرف ذلك فانظر قدر أوامره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقدر نواهيه من نفسك، وانظر مدى انقيادك لأوامره ومدى انكفافك عن نواهيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن ذلك من الأدلة الواضحة على صدق المحبة أو قصورها، إلى هذا الحد أقف فيما يتعلق بالكلام، وأسأل المولى الكريم رب العرش العظيم أن يمنحنا في هذا المكان المبارك التوفيق والتسديد.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

الصَّـــــــلَاةُ

الرُّكْنُ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ الإِسْــلَامِ(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا وقائدنا وهادي البشرية -بإذن الله- محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

ورد في الحديث الجليل الذي رواه عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«بُنِيَ الْإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»**(٢)، فذكر دعائم الإسلام وقواعده الرسيخة المتينة، ولاشك أنه لا بناء يقوم إلا على قواعد وأسس راسية متينة، وقد بين سيِّد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأسس والقواعد والأركان التي فيها مباني الإسلام العظام، وأعلاها شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وهو شيء مما يتعلق بشهادة التوحيد، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أعلاها: قَوْلُ لَا إِلَهَ إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عن الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الْإِيمَانِ»**(٣).

فهذه الشهادة لا ينفع الإنسان عمل بدونها، ولا طريق له إلى الإسلام

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ٢٠/١١/١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إلا بها، ولا سبيل لدخوله الجنة بغيرها، فهي كلمة الحق، ومعروف أن معناها -كما مضى- أن يشهد الإنسان بأنه لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق سواه جَلَّ وَعَلَا، وإلا فإن المعبودين بالباطل كُثُر، فمن الناس من يعبد هواه، ومنهم من يعبد النار -والعياذ بالله- ومنهم من يعبد القادة، ومنهم من يعبد الحيوانات السائمة، ومنهم من يصنع إلهه بيده، إلى غير ذلك مما لا يحيط به إحاطة تامَّة إلا خالق الخلق جَلَّ وَعَلَا، لكن لا معبود بحق إلا الله جَلَّ وَعَلَا.

والعبادة تشمل جميع ما يتقرب به العبد إلى ربه من الأعمال، وترك القبائح وما نهاه الله عنه، ويعرف كل شيء عن معنى شهادة أن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد حصرها بعض أهل العلم بكلمات قصيرة، فقال: معنى شهادة أن محمدًا رسول الله: "تصديقه فيما أخبر"، فما جاءنا عن طريق صحيح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو حق، فهمه أحدنا أو لم يفهمه، "تصديقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أخبر وطاعته فيما أمر"، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ**»[1]، فالأوامر معلقة بالاستطاعة، والمنهيات لا قدرة للإنسان في أن يرتكب ما نهى الله عنه ونهى عنه رسوله، ويقول: لا أستطيع تركه! لا عذر له في ذلك.

"وألا يعبد الله إلا بما شرع"، فلا يختار الإنسان ما يريد ويكيف عبادته على هواه، ويتخذ سلوكًا على حسب إرادة نفسه، بل أرسل الله جَلَّ وَعَلَا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبلِّغًا وهاديًا داعيًا إلى الله على بصيرة؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا مخاطبًا نبيه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[يوسف:١٠٨]، فهو يدعو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بصيرة، وأتباعه المهتدون بهديه السالكون طريقه، الراغبون في الحصول على شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم أكثر الناس وأشدهم اتباعًا له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إن محبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرض عين على كل مسلم، ولا يؤمن إنسان حتى يحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمحبته تابعة لطاعته ومتابعته، ومحبة الله جَلَّ وَعَلَا إنما هي باتباعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، فلا طريق لمحبة الله جَلَّ وَعَلَا إلا بمتابعة سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا وسيلة لمتابعته إلا بمحبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه لا إنسان مسلم إلا ولرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منَّة عليه؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا هداه به.

فشهادة أن محمدًا رسول الله تقتضي أن يعتقد الإنسان منَّا أنه لا طريق إلى الله جَلَّ وَعَلَا إلا باتباع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه لا حياة لنا حياة صحيحة إلا باتباع سنته ومحبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه لا إيمان لنا حتى نصدق أخباره ونثق بها ثقة تامة؛ لئلا يتطرق إلينا أدنى شك في أي خبر صحيح ثابت عنه، وإذا لم نستطع أن نتصوره لقلة معلوماتنا ونقص شيء من مداركنا فلا يصح لنا أن نقول: لا نقبل ذلك! بل لا يتم لنا إيمان إلا بتصديق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ما ورد عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طريق صحيح، وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما يبلغ عن ربه، لا ينطق عن الهوى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا هو الركن الأول من أركان الدين ودعائمه المتينة، وقواعده الرزينة، والركن الثاني من أركان الإسلام، الذي لا يؤتى إليه إلا بعد إتقان هذا الركن

الأول الشهادة وما يتعلق بها، فالركن الثاني: إقام الصلاة، هذه العبادة العظيمة التي منَّ الله جَلَّوَعَلَا على العباد بشرعه إياها؛ تطهرهم من الأدران، وتزكي نفوسهم وتطهر قلوبهم، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، هذه الصلاة التي هي نور ونجاة ومهرب للعبد من عذاب يوم القيامة إذا حافظ عليها، التي هي عهد من الله لمن حافظ عليها بأن يدخله الجنة، وهي أقوى دعائم الإسلام الظاهرة التي يراها الناس ويشعرون بها، وهي التي يفرق بها بين المسلم والكافر، فمن لا يصلي فلا دين له.

للإسلام أسهم كثيرة، سهامه متعددة، ولكن لا سهم في الإسلام لمن لا يصلي، وقد قال سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(١)؛ لأن هذه هي الأحكام الظاهرة، أما ما يتعلق بالقلوب والسرائر فأمره إلى اللطيف الخبير، الذي لا تخفى عليه خافية، الذي يعلم وساوس الصدور ويعلم السر وأخفى، فيعلم جَلَّوَعَلَا نجوى المتناجين كأنما هو بينهم ومعهم، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة:٧]، يحيط بكل شيء سبحانه، هو الذي إليه تفوَّض أعمال القلوب والسرائر.

هذه الصلاة -يا عباد الله- وصفها الله بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ووصفها بأنها من أقوى ما يُستعان به على متاعب الحياة ومشاكلها، ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥]، وكان سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة[١]، ويقول: «**يَا بِلالُ، أَقِمْ الصَّلاةَ، أَرِحْنَا بِهَا**»[٢]، ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ**»[٣]؛ لأن هذه الصلاة هي عمود الإسلام[٤]، لا يقوم بناء بدون عموده، لا تستطيع أن تنصب خيمة بدون أن تقيم لها عمودًا يحملها، فكذلك الدين لا يقوم بغير الصلاة؛ ولذلك كان من أعظم اهتمامات النبي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في مرض موته أن أوصى الناس بالصلاة[٥]، وجاء في الأثر عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣١٩)، وأحمد (٣٨/ ٣٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٥١٦) من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٨٥) من حديث رجل من خزاعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٦٤) من حديث رجل من أسلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٦٢١٥) من حديث سالم بن خالد الخزاعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (١٩/ ٣٠٧)، والنسائي (٣٩٣٩) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) كما في الحديث عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله قال: «**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١)، والترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢١٤)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

(٥) كما في حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كَانَ آخِرُ كَلامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصَّلاةَ الصَّلاةَ، اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»، أخرجه أبو داود (٥١٥٦)، وأحمد (٢/ ٢٤)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٩).

تَفْقِدُونَ الصَلاةُ»[١]، معنى ذلك: أن من لا يصلي لا دين له، فإذا كانت فئة من الناس أو أهل قرية أو مدينة أو بادية لا يصلون، فهؤلاء لا دين لهم، وليسوا من الإسلام في شيء؛ لأن شيئًا فُقد آخره لا وجود له.

هذه العبادة العظيمة التي فيها تنظيم الأمة وتربيتها على الطاعة، وتدريب أفرادها على القيادة والإمامة، والخضوع لرب العالمين، ورفع أشرف ما فيه بدن الإنسان على الأرض وسجوده لله عَزَّوَجَلَّ تعظيمًا وإجلالًا، إذا حافظ الناس عليها وأدَّوْها حق الأداء حُفِظوا من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، وكان الله معهم؛ لأنها الإيمان، وقد قال الله جَلَّوَعَلَا في شأنها: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، والمقصود بالإيمان في هذه الآية: الصلاة؛ لأن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ حينما حُوِّلت القبلة من جهة بيت المقدس إلى هذه الكعبة المعظمة المشرفة تحدثوا فيما بينهم عن مصير الصلوات إلى بيت المقدس، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾، أي: أن الله جَلَّوَعَلَا يحفظ إيمانكم -أي: صلاتكم- إلى بيت المقدس[٢].

هذه العبادة من عظيم العناية بها، ولعظم خطرها قال سيد الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عليها وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ»**[٣]، هذه تربية عظيمة

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٦٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٥٦)، والطبراني في الكبير (٨٧٠٠)، والحاكم (٤/ ٥٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠)، ومسلم (٥٢٥) من حديث البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (١١/ ٢٨٤)، وأبو داود (٤٩٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وأخرجه بنحوه الترمذي (٤٠٧) من حديث سبرة بن معبد الجهني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وعملية، فالإنسان لا يُكلَّف ولا تجب عليه الأعمال قبل أن يبلغ سنًّا معيَّنةً؛ إما بالعدد، أو بعلامات تدل على بلوغ الإنسان سن التكليف، ولا شك أن سبع سنين ليست من ذلك، والغالب أن العشر لا تكون من ذلك إلا في النادر في بعض النساء، إذن لم يُكلف هؤلاء الأطفال، ومع ذلك يؤمر أولياء أمورهم بأمرهم بهذه العبادة من سن الطفولة وضربهم عليها قبل سن التكليف، وما ذلك إلا ليألفوها، وتطمئن قلوبهم لها، وتذل نفوسهم في أدائها لرب العالمين؛ حتى إذا بلغوا السن التي تُقام فيه على المرء الواجبات، وتلزم بحقه العقوبات إذا تخلف عن أداء الواجبات، حتى إذا وصل لذلك الحد وإذا نفسه قد انقادت وألفت هذه العبادة، وارتاضت لذلك التكليف.

صلى الله على سيد الخلق ما أعظمه! صلى الله عليه ما أكرمه وأنصحه للأمة وأعرفه بالأدواء ودواء تلك الأدواء! لا خير إلا ودل الأمة عليه، ولا شر إلا وحذرها منه، ولم يرحل يوم رحل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وقد تركنا على المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها التي لا يزيغ عنها إلى هالك، فصلى الله وسلم وبارك عليه، ورزقنا جميعًا حبه وحسن متابعته.

هذه الصلاة -يا عباد الله- فرضها الله جَلَّ وَعَلَا على نبيه من فوق سبع سموات، فرضها خمسين صلاة، ثم خففها عن أمة محمد حتى استقرت على خمس صلوات أداءً، ويُكتَب للعباد خمسون صلاة عند الله جَلَّ وَعَلَا إذا أَدَّوها وحافظوا عليها[١]، وسنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها سنن الهدى، فمن سنن الهدى: أداء هذه الصلاة للرجال جماعة في المساجد التي أذن الله أن ترفع

---

(١) كما في حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢).

ويذكر فيها اسمه، هذه المجامع العظيمة ليست مجامع كمالٍ، أو مواطن اللهو والرذيلة، أو أماكن الفحش والخداع والنفاق، وإنما هي أماكن الطهر والعفاف، وأماكن الذكر والاستقامة والاهتداء بهدي سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام، وسلف الأمة الأماجد الذين بنوا للأمة الإسلامية بناءً شامخًا، ونشروا لواء العدل في ربوع الأرض، وأشاعوا فيها الهدى والنور رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وكافأهم بأحسن ما يكافئ به عباده المؤمنين، ورزقنا أجمعين حبهم وحسن متابعتهم والاهتداء بهديهم، إنه جَلَّ وَعَلَا جواد كريم.

هذه العبادة -يا عباد الله- حريٌّ بالمسلم أن يعض عليها بالنواجذ، وأن يهتدي بها ويجتهد في ذلك، فإنه لا يصح تأخيرها عن أوقاتها لا في حال المرض، ولا في حال الانشغال، ولا في أوقات الحرب؛ لعظم شأنها شرع الله في أوقات الحرب صلاة الخوف بأوضاع وصفات لا تصح الصلاة معها في أوقات الأمن والاستقرار، وما ذلك إلا لأهمية أداء هذه العبادة في الأوقات المشروعة لها، مع أن الله خفَّف عن المسلمين حال أمنهم، فرخص لهم الجمع في أوقات؛ كما شرع ذلك وسنَّه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرع لهم جَلَّ وَعَلَا قصرها في السفر وفي الحرب، لكن لم يشرع تأجيلها عن أوقاتها إلى أيام أخر، كما شرع تأجيل الصوم عند الاحتياج إلى التأجيل من مرض أو سفر؛ وذلك لأهمية هذه العبادة، وعظم شأنها.

وقد فرَّط الناس في كثير من بقاع الإسلام بأمرها، فترى الرجل الذي يتمتع بالصحة والقوة لا يصلي، وترى المرأة شابة صحيحة وقد أنجبت ولا تصلي، وترى الرجل ربما يخرج من المسجد بعدما صلى مع الجماعة وفي بيته من الأبناء العدد الكثير فلم يلتفت إلى أمرهم أو ينههم عن ترك الصلاة، مع

أنهم أمانة في عنقه، وهو الراعي المسؤول عنهم، وكل راعٍ سوف يُسأل عن رعيته يوم القيامة[١]، والسائل هو الله جَلَّ وَعَلَا الذي لا تخفى عليه خافية، يستنطق جوارح الإنسان على أعماله، فتشهد الأرجل والأيدي، ويختم على الأفواه.

المهم أن هذه العبادة -الصلاة- التي شرعها الله جَلَّ وَعَلَا في اليوم خمس مرات أعظم أركان الإسلام الظاهرة، وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي مع ذلك أعظم العبادات أثرًا في تزكية النفس وتطهيرها، وإزالة أدران الذنوب وغسل النفس منها؛ يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح المخرَّج في "الصحيحين": **«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟»**، قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: **«فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ؛ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»**[٢]، يعني: لا تُبقي من الذنوب شيئًا، هذا النهر هو هذه الصلوات الخمس التي تغسل الذنوب هذه الغسلة، وتنقي النفس هذه التنقية، وتسكن القلب حتى يصبح مشرقًا منيرًا، هذه الصلاة التي قال سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأنها: **«صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»**[٣]، ولله درُّ صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأكرمهم، ومقت شانئهم وأذله، لله درُّهم؛ ما تركوا حركة من حركات سيد الخلق في الصلاة، ولا إطالة فيها أو تقصيرًا، أو أي شيء صغيرًا كان أو كبيرًا إلا ونقلوه لنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ نقلوا

---

(١) كما في الحديث عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري (٢٤٠٩)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حركاته وكيفية جلوسه، وكيفية انتقاله من الصلاة وانصرافه منها، وكيفية استقباله لهم بعدما يسلم، ونقلوا جلوسه للصلاة، ووقوفه فيها، واعتداله من الركوع، وكيفية ركوعه، وكيفية سجوده، ونصبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدمه للسجود، نقلوا لنا أشياء في منتهى الدقة؛ حتى إن القارئ لأحاديث الصحابة التي يذكرون فيها صفة صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنما يشاهد صلاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من حفظ الله جَلَّ وَعَلَا لهذا الدين، ونقله لنا غضًّا مستمرًّا إلى أن يرث الله الأرض، فلا عذر لمسلم إذا قال: إني أجهل كيف كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي! وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»**، وقال ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣].

هذه العبادة العظيمة التي منها الفرائض، والتي يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه جَلَّ وَعَلَا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: **«مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ...»**[(١)]، وقد فرض الله هذه الصلوات الخمس من فوق سبع سموات كما في أحاديث الإسراء والمعراج فيما ثبت في "الصحيح" على التفصيل الوارد فيها، والتردد الحاصل بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين ربه جَلَّ وَعَلَا كلما مر على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخبر موسى بما فرض الله على أمته، فيقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ»**، وكلما رجع إلى ربه وضع عنه جزءًا من الصلوات حتى استقرت إلى خمس، ثم مرَّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال موسى: **«ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو أكثر وأشد الناس حياءً وأوفرهم نصيبًا منه-: «**قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ**»، وقد قال له الله جَلَّ وَعَلَا: «**يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»(١).

هذه رحمة الله جَلَّ وَعَلَا بهذه الأمة أن خفَّف عنها ويسَّر عليها، ومن تيسير الله على هذه الأمة أن الأمم قبلنا كانوا لا يصلون إلا في البِيَعِ والكنائس، فخفف الله عن أمة الإسلام وأعطاها ما لم يعط أمة قبلنا؛ كما قال سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ**»(٢)، فلا عذر للإنسان إذا كان مسافرًا أن يقول: لا أعلم، لم أجد ماءً، لم أجد مصلًّى، لم أعرف القبلة! لا عذر له في ذلك؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦].

إن كثيرًا من الناس إذا سافروا ظنُّوا أن السفر ومشاقه وما يفقدونه من الأماكن التي يصلون فيها، أو الماء الذي يتطهرون به، أو الاتجاه الذي يعرفون به جهة القبلة، يظنون أن ذلك عذر، فلا يصلون، وذلك ليس بعذر، فإن ربنا جَلَّ وَعَلَا أرحم من أن يكلفنا ما لا نطيق، بل شرع لنا شريعة سمحة، وقال

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٢) واللفظ له، من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

رسوله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»**[(١)]، وكان يقول لأصحابه رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ: **«يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا»**[(٢)]، وقال صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»**[(٣)]، فمن رحمة ربنا بنا أن يسَّر علينا فجعل الأرض كلها لنا مسجدًا وطهورًا، وجعل أحدنا إذا اجتهد وبذل وسعه لمعرفة الاتجاه فصلَّى فلا حرج عليه، وجعل أحدنا إذا لم يجد ماءً وجاء التراب الصعيد الطاهر المبارك طهورًا لمن لم يجد الماء، وإذا كان مسافرًا في بحر لا يستطيع الوصول إلى الماء، أو في جو لا يجد الماء، أو في حالة قهرية -أجار الله الجميع منها- كأن يكون سجينًا لا يصل إلى ماء ولا إلى تراب، بل ربما كان في حالة لا يستطيع فيها جلوسًا ولا انحناءً من ظلم الظلمة وبطش أهل البطش والجبروت، ومع ذلك لا يحل له أن يدع الصلاة، وإنما يصلِّي حسب الاستطاعة، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦].

هذه العبادة لا يصح تركها لأي حال من الأحوال، وإنما تؤدَّى حسب الحال والتمكن؛ لأن الخلق جميعًا محتاجون إلى أدائها في كل وقت، فهي طهارة للقلب بأذكارها واستحضار العبد وقوفه بين يدي ذي الجبروت والكبرياء جَلَّوَعَلَا، ثم إنها تخفف آلام الدنيا ومتاعبها، فرب مقهور مظلوم من ظلوم غشوم في سجن في منتهى الشدة فإنه إذا تصور وفوده بين يدي ربه تذكر عظمة العظيم الجليل، وقدرة القادر المهيمن، وسرعة فرجه جَلَّوَعَلَا، وربما تعلق قلبه

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦/٦٢٣) من حديث أبي أمامة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

بربه وابتهل وتضرع، فجاءه الفرج من حيث لا يدري، ولكننا نغفل ونفرط فتأتينا ضوائق الأمور، وتحول بنا مصائب الأحوال، وتقع بنا الكرب، فنؤمن بالحيل ونسعى لمن نظن به قدرة على حلها، ونغفل عن القادر المهيمن، المفرج للكربات، الذي أمره بين كن فيكون؛ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، سبحانه جَلَّ وَعَلَا.

إن أمر هذه العبادة أمر عظيم، يحتاج العبد المسلم لأن يتصورها ويتصور كيف كان يؤديها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا رأينا من أنفسنا أمورًا نكرهها رغم أننا نصلي فلننظر في صلاتنا كيف نؤديها، هل نحسن أداءها ونحسن طهارتها ونحافظ على مشاعرنا فيها؟ فلا تنصرف قلوبنا إلا إلى المولى الجليل جَلَّ وَعَلَا، أم أن أحدنا في صلاته ينشغل ويتذكر أمورًا كثيرة من أمور دنياه، بل ربما انتهى من الصلاة وهو لا يدري كم صلى، وإنما هو -كما يقول أهل هذا العصر- إنسان آلي؛ حركات لا يوجهها القلب ولا يحكمها العقل، وإنما هو تابع فيها بدون تفكير، إذا رأى أحدنا أن صلاته لم تحقق له الثمرات التي جاءت الأحاديث بتحقيقها في الصلاة، فلا يظن أن الصلاة قصرت عن أداء المهمة للوقوف بها، ولكن عليه أن يعلم أنه المقصر في أداء هذه الصلاة، فلم يكملها ولم يحكمها ولم يصلها كما صلاها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عليك -يا أخي- أن تعتني بأمر الصلاة، وأن تحرص على أدائها، وأن تربي أهل بيتك على المحافظة عليها في أوقاتها، وأن تحرص أنت -أيها الرجل- على أدائها جماعة كما كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤديها؛ حفاظًا على سنن الهدى، ورغبة في الاقتداء بمن جعله الله جَلَّ وَعَلَا أعلى من يُقتدى به من البشر

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأن الله فرض هذه الصلاة على القادرين المستوطنين والجماعات أن يؤدوها جماعة كما فعلها سيد البشر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام، وقد قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -كما ثبت في "الصحيح "-: «مَن سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ على هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ من سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ في بُيُوتِكُمْ كما يُصَلِّي هذا الْمُتَخَلِّفُ في بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إلى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بها دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عنه بها سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كان الرَّجُلُ يؤتى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حتى يُقَامَ في الصَّفِّ»[١].

مريض لا يستطيع المشي، وإنما يعتمد على رجلين عن يمينه وعن شماله يسندانه حتى يُقام في الصف فيصلي جالسًا مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما ذاك إلا لمعرفتهم بخطر هذه الصلاة وعظم التفريط فيها، كيف وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أَثْقَلَ صَلاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»**[٢]، وفي رواية: **«لَوْلَا مَا فِي**

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الْبُيُوتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ، لَأَقَمْتُ الصَّلاةَ، صَلاةَ الْعِشَاءِ، وَأَمَرْتُ فِتْيَانِي يُحْرِقُونَ مَا فِي الْبُيُوتِ بِالنَّارِ»[١].

وجاء في فضل صلاة الجماعة: **«صَلاةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»**[٢]، فهل يفرط في هذه الدرجات، وهل يترك هذه الفضائل عاقل يرجو ثواب الله ويتوقع أنه سوف يقف بين يدي الله ليس بينه وبين الله ترجمان؟!

فعلى المسلم أن يعتني -يا عباد الله- بهذه الصلاة الفريضة، وأن يؤديها في أوقاتها، وألا يدعها لأي ظرف من الظروف، والنبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي بعثه الله رحمة للعالمين بيَّن أن بعض الأمور التي لا طاقة للإنسان أن يتحمل طبيعتها أن الله يعفو عنه بسببها، فيقول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«مَنْ نَامَ عَنْ صَلاةٍ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا اسْتَيْقَظَ، وَمَنْ نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلِّها إِذَا ذَكَرَهَا؛ لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ»**[٣]، فلو نام الإنسان عن الصلاة ولم يستيقظ بدون أن يكون مفرطًا عارفًا بذلك، أو نسي صلاة ثم ذكرها بعد مرور وقتها، فما عليه إلا أن يبادر إلى أن يؤديها، فإن نسي صلاة في سفر أداها صلاة سفر، ولو كان بحضر، وإن نسي صلاة حضر أداها صلاة حضر إذا ذكرها ولو كان بسفر، وكذلك إذا نام عن الصلاة يبادر بأدائها حينما يستيقظ؛ كما شرع ذلك سيد الخلق صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، هذا هو أمر الفرائض، وقد حدد الله أوقاتها لنبيه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالنص

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩٨/١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦٥٠) من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

المجمل في القرآن: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء:٧٨]، ثم جاء جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فبيَّن له ذلك، فصلى الصلاة في الوقت الأول في اليوم الأول، ثم صلى الصلاة في آخر الوقت في اليوم الثاني، وهكذا في الصلوات الخمس، ثم قال لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ»**(١).

وسُئِل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **«الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا»**(٢)، فقال أهل العلم: إن قوله: **«لِوَقْتِهَا»** يعني: من أول وقتها. فالإنسان عندما يبادر إلى أداء الصلاة في أول الوقت إنما يدل ذلك على رغبته في أداء العمل، وحرصه على اغتنامه قبل أن يحول بينه وبينه أمر حائل، وما أكثر ما يحول بين العبد وبين الأعمال الصالحة؛ من أمراض، ومحن، ومصائب، وموانع وغير ذلك، والعاقل اللبيب هو الذي إذا سنحت له فرصة القربة إلى الله جَلَّ وَعَلَا بادر في اقتناص الفرصة، والأخذ بأسباب الحيطة والحزم.

أسأل الله الجليل الكريم الجواد العظيم بأسمائه وصفاته أن يجعل اجتماعنا هذا اجتماعًا مباركًا، وأن ينزل علينا فيه رحمة ويعفو عنا أجمعين، ويعالجنا بمنِّه وكرمه وجوده وبما هو أهله من الإحسان والعفو والغفران، وأن يكتب لنا في هذا المكان العتق من النار، وأن يهدينا ويهدي ذرياتنا وأزواجنا، وأن يصلحنا

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٣)، والترمذي (١٤٩)، وأحمد (٥/٢٠٢)، والحاكم (١/٣٠٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٣٤)، ومسلم (٨٥) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ويصلح لنا الحال والمآل، وأن يمنحنا بمنِّه وكرمه وجوده قلوبًا مطمئنة ونفوسًا زكية، وأن ينقلنا يوم ينقلنا من هذه الدنيا وقد غُفِرت ذنوبنا وحُطت خطايانا، وأن ينقلنا وهو راض عنَّا.

كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يصلح أمة الإسلام في كل مكان، وأن يهدي ضالها، وأن يعز ذليلها، وأن يقهر ظالمها، وأن يجمع شملها ويصلح حالها، وأن يجمعها على الهدى، وأن يحفظ لبيته الحرام أمنه، ولمسجد رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمنه، وأن يبارك لنا في أمننا واطمئناننا، وأن يحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا ومن تحتنا، وأن يرزقنا الصلاح والاستقامة، وأن يجعل أحب الأعمال إلينا طاعته وطاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبغض الأشياء إلينا معصيته ومعصية رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يمُنَّ علينا بأن يجعلنا وسائل هداية ومذكِّرين بطاعة الله بمنِّه جَلَّ وَعَلَا وكرمه وجوده، إنه جواد كريم.

اللَّهُمَّ أصلح قادة المسلمين، اللَّهُمَّ اهدهم واهدِ بهم، اللَّهُمَّ وفقهم للقيام بأمرك، وتحقيق شريعتك، والمحافظة على مصالح عبادك، وإعزاز مؤمنيهم، وقهر فاجرهم يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفقهم لما تحب وترضى، وخُصَّ يا ذا الجلال والإكرام ولاة أمر هذا البلد بمزيد من التوفيق والتسديد، والهداية والرشاد، واحفظ بهم الأمن، واحفظهم يا حي يا قيوم، وأصلحهم وأصلح بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، واجعل أحب الأشياء إليهم طاعتك وطاعة رسولك، وتهيئة السبل المؤدية إلى بيتك العتيق ومسجد رسولك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووفقهم يا إلهنا لتوفير الراحة والاطمئنان والرفاهية لكل ساكن في هذه البلاد أو وافد إليها من حاج ومعتمر وزائر، وكافئهم على ذلك

بعز في الدنيا وثواب الآخرة.

اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى، اللَّهُمَّ اقهرهم وأرنا في أعدائنا أعداء الدين عجائب قدرتك، اللَّهُمَّ أنزل بهم بأسك الذي لا يُردُّ على القوم المجرمين، اللَّهُمَّ اشدد وطأتك عليهم، وأنزل بهم عذابك، وأرنا فيهم يا حي يا قيوم ما تقر به أعيننا أعين المؤمنين.

اللَّهُمَّ أصلح عبادك المؤمنين، وانصر المجاهدين في سبيلك، وعاجلهم بنصرك وتأييدك في جميع بلادك، إنك جواد كريم.

اللَّهُمَّ إنا نسألك أن ترسل عذابك الأليم على عبادك الظالمين من اليهود والنصارى والباطنيين الملاحدة والمجوس وسائر الكفرة المجرمين، يا قوي يا عزيز، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أَرْكَانُ الإِسْـــــلامِ[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فقد مرَّ في المحاضرتين السابقتين شيء من الكلام على ما يتعلق بركنين عظيمين هامين من أركان الإسلام، وشيء مما يتعلق بالشهادة التي هي عماد الدين ومفتاح الجنة والعروة الوثقى والحبل المتين، وشهادة أن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا يكون للإنسان حياة ولا سعادة ولا أمن يوم يقوم الأشهاد إلا بمحبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباعه، والتفاني في نصرة شريعته وموالاة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وشيء مما يتعلق بعمود الإسلام، وأجلُّ أركان الإسلام بعد الشهادة، وهي الصلاة التي فرضها الله جَلَّ وَعَلَا على نبيه من فوق سبع سموات، والتي **«مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا؛ كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ»**[(٢)]، وهي الفارقة الظاهرة

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ٢١/١١/١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه أحمد (١١/١٤١)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/١٣٣)، والطبراني في الكبير (١٦٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٢٩٢): «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد ثقات».

بين الكفر والإسلام، فقد ثبت عن أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم كانوا لا يرون شيئًا من الأعمال الظاهرة تركه كفرٌ إلا الصلاة[1]؛ لأن ما سواها يمكن أن يستدرك بعد اليوم في الغد أو بعد الغد فيما وراءه، أما هذه الصلوات الخمس التي حدد الله مواقيتها بالجملة، وفسر ذلك وبينه سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي النجاة والبرهان، من تركها وضيعها فهو لما سواها أضيع، وقد جاء في الأثر عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ الصَّلاةُ»[2]، ومما لا شك فيه أن ما فُقد آخره لم يبق منه شيء.

والصلوات الخمس المفروضة هي: صلاة الصبح ركعتان، وصلاة الظهر أربع ركعات، وصلاة العصر أربع ركعات، وصلاة المغرب ثلاث ركعات، وصلاة العشاء أربع ركعات في الحضر، وأما في السفر فتُقصر صلاة الظهر والعصر والعشاء فتُصلَّى ركعتين ركعتين، ولا تقصر المغرب ولا الفجر، هذه هي فرائض الصلوات.

وهناك نوافل متممات لما قد يكون مضى من هذه الفرائض دون إكمال وإتقان، وهي الرواتب والسنن، والتي يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه جَلَّ وَعَلَا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: **«مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ**

---

(١) كما في الأثر عن عبد الله بن شقيق العقيلي، قال: «كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاةِ»، أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٠٥).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٦٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٥٦)، والطبراني في الكبير (٨٧٠٠)، والحاكم (٤/ ٥٠٤).

مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»، فمن أراد أن يصل إلى محبة الله له فليكثر من نوافل العبادات، وليخلص في ذلك لرب العالمين؛ ليفوز بالحفظ التام، فإن في تتمة هذا الحديث يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»(١)، وعدَّد سائر الجوارح، ومعنى ذلك أن الله يحفظ منه هذه الجوارح، يحفظ عليه سمعه فلا يمتد لسماع شيء يغضب الله منه ويغضب رسوله منه، ولا يرسل النظر إلى ما يكرهه الله ورسوله، ولا يتكلم بما لا يحب الله جَلَّ وَعَلَا الكلام فيه، ولا تمتد يده ولا تمشي قدمه إلا إلى ما أذن الله جَلَّ وَعَلَا لعبده بتناوله أو السير إليه، يُحفظ من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، وحفظ الله إذا تيسر لك -أيها المسلم- فقد أفلحت وأنجحت.

فالإكثار من التقرب إلى الله بالنوافل حرز يتحرز به العبد من المصائب والمتاعب، وحصن يتحصن به من النكبات والويلات، ودرع يتدرع بها تحفظه من كيد الأعداء، وألد أعداء المسلم الشيطان الرجيم.

ومن النوافل: نوافل مرتبة بينها سيد الخلق صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما ثبت في "الصحيحين" عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «عَشْرُ رَكَعَاتٍ، حَفِظْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَكْعَتَانِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَانِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الـمَغْرِبِ فِيْ بَيْتِهِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي بَيْتِهِ، وَرَكْعَتَانِ قَبْلَ الْفَجْرِ»(١)، وفي حديث رواه مسلم عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: «كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا فِي بَيْتِي، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ»(٢)، وفي حديث عن أم حبيبة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: **«مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؛ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ»**(٣).

هذه النوافل الرواتب، وهناك صلاة الوتر التهجد في الليل، وقد أثنى الله على أهل التهجد في كتابه الكريم؛ فقال -جل من قائل- في معرض الثناء عليهم والتنويه بذكرهم وبيان ما أعده لهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٦، ١٧]، هذه الهمَّة العظيمة لا يصل إليها كل أحد، وإنما اختص الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بها من يشاء من عباده أهل التقوى والإيمان، أهل الرغبة فيما عند الله، أهل الثقة بما أعده الله جَلَّوَعَلَا لعباده المؤمنين، إذا نام أحدهم لم يقر لجنبه قرار، بل يتجافى جنبه عن المضجع، وإن كان وفيرًا، وإن كان مضجعًا لينًا رقيق الفراش، وإن كان بصحبة من تلذ للنفوس مصاحبته، ولكنه يعلم أن لذَّات الدنيا ومتاعها ومشتهاياتها في زوال، وسرعان ما يتبدل بعد اليقظة فيفزع إلى لطف اللطيف الخبير، ويتضرع بين يدي الله.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٠)، ومسلم (٧٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٧٣٠).

(٣) أخرجه مسلم (٧٢٨).

هؤلاء لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، وفي الأثر عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْجَنَّةِ شَيْءٌ إِلَّا الْأَسْمَاءَ»(١)، ويقول المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما يرويه عن رب العزة جَلَّوَعَلَا فيما أعدَّه لأهل الفضل وادخره لهم: **«قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾** [السجدة:١٧]»(٢).

هذا جزاء الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، عندما يأنس أهل الدنيا وأهل الملذات لراحتهم، ويغطون في نومهم، ويستمتعون بمتع حياتهم، يتذكر هؤلاء الأفذاذ النجباء فضل الله وما أعده لأوليائه من لذة وحبور، وأنس لا ينقطع، ودار أكلها دائم وظلها؛ ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد:٣٥]، فيفزعون إلى الله جَلَّوَعَلَا، فيكافئهم ربهم بما أعده لعباده المؤمنين، فالإكثار من النوافل، والتقرب إلى الله جَلَّوَعَلَا فيها، والابتهال بين يديه سبحانه، والتذلل رجاء مغفرته وخوفًا من عذابه، سبب للسعادة الأبدية وعلو المنزلة.

ومن النوافل ما يقابل بذل ثلاثمائة وستين صدقة في اليوم، فقد أخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -كما في صحيح مسلم وغيره- أن ابن آدم يصبح في كل صباح وقد وجب عليه ثلاثمائة وستون صدقة؛ لأن جسم الإنسان يتكون من ثلاثمائة

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وستين مِفْصَلًا، فعليه أن يتصدق بهذا المقدار، فأفزع ذلك الصحابة وأخافهم، فقالوا: ومن منا يستطيع بذل ثلاثمائة وستين صدقة؟! فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متحدثًا عن فضل الله على عباده وما امتن به عليهم من التيسير: «**فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عن الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ...**»، وعدَّد خصالًا كثيرة من الخصال والصدقات، إلى أن قال: «**وَيُجْزِئُ من ذلك رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا من الضُّحَى**»[1]، فإذا صليت ركعتين في الضحى في كل يوم فقد قضيت ما عليك من الصدقات الكثيرة؛ ثلاثمائة وستين صدقة.

يا له من فضل تفضل به المنعم المتفضل على العباد! ويالها من أسباب سعادة وفوز هيأها الله جَلَّ وَعَلَا لأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! وإنما يستغفلنا الشيطان؛ إذ يركض على الناس بخيله ورجله فيشغلهم عن عباداتهم، ويثبطهم عن أذكارهم، ويصرف قلوبهم في أثناء العبادة عن التفكر في هذا الموقف العظيم بين يدي الله جَلَّ وَعَلَا، ولو وقف أحدنا بين يدي رئيس من رؤساء الدنيا أو ملك من ملوكها لحرص الشيطان على الابتعاد عنه؛ ليستشعر الهيبة ورفعة المكان الذي وقف فيه، وعظمة من يقابله، حتى يمتلئ قلبه إعظامًا للمخلوق، فإذا وقف بين يدي الخالق المتفضل ملك الملك ومالك الكون جَلَّ وَعَلَا جاء الشيطان يشغلنا عن طاعة ربنا؛ حتى إنه يذكر أحدنا ما لم يذكر قبل الصلاة!

فيحتاج المسلم لأن يستعيذ بالله لطرد عدوه عنه، وليتوفر له أمر عبادته؛

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٠) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

حتى يفوز بالقرب من رضوان الله، وحتى يحفظ الله عليه سمعه وبصره ولسانه وبطنه وفرجه وجميع جوارحه.

هذا شيء مجمل مما يتعلق بالصلاة، وإن صلاة الليل لها شأن عظيم، وإن من أعظم ما يذهب ظلمة القبر ويؤنس وحشة الإنسان في قبره صلاته في الليل وتهجده فيه، ولم يحدد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عادة لصلاة الليل، وإنما قال: **«صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»**[١]، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتهجد ويطيل القيام حتى تورمت قدماه الشريفتان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلامه من لامه كيف يتعب نفسه هذا التعب وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟»**[٢]، هذا وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! فحريٌّ بنا ونحن لا ندري هل قُبِل منَّا عمل أو لا، هل غُفِر لنا ذنب أو لا، أيُكتب لنا بخاتمة حسنة أم لا؟ أن نخاف؛ فإن **«مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ»**[٣]، والإدلاج هو السير في الليل، والمراد من ذلك الاجتهاد في الطاعة وعبادة الله جَلَّ وَعَلَا.

لا أطيل الكلام فيما يتعلق بالصلاة وهي جديرة بكل إطالة، وفضائلها ونتائجها لا يأتي عليها حصر، كيف وقد نص الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم على

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢)، ومسلم (٧٤٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠)، والحاكم (٤/٣٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٦٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

ونأتي بعد ذلك إلى الركن الثالث من أركان الإسلام وهو: بذل الزكاة من الأموال بنسبة ضئيلة، يخلف الله جَلَّ وَعَلَا على من بذلها أضعافًا مضاعفة، والزكاة قرينة الصلاة، وقد قال سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»**[١].

هذه الأركان الثلاثة التي يُقاتل الناس عليها حتى يلتزموها ويقوموا بأدائها؛ لأنها عبادات ظاهرة تتكرر حسب امتلاك الأموال بالنسبة للزكاة، وحسب تكرر الأيام والليالي بالنسبة للصلاة، وأما الشهادة فهي المدخل الذي لا يقبل بدونها عمل مهما عظم، فإذا أنفق الإنسان أموال الدنيا ولم يشهد أن لا إله إلا الله شهادة حق، وأن محمدًا رسول الله شهادة حق، ما نفعه ذلك كله.

ولأن الله جَلَّ وَعَلَا يعلم ضعفنا وحبنا للمال وشحنا في بذله، أمر ببذل القليل من المال، فيبذل الواحد ربع عشر ماله إذا بلغ نصابًا وكان من الأموال الزكوية، أي: التي تجب فيها الزكاة، من النقود والتجارة، ويبذل نصف العشر من المحاصيل الزراعية الزكوية إذا كانت مما تتكلف الزارع عليه بالسقي واستنباط الماء، وربع العشر إذا كان مما تسقيه الأنهار والجداول الجارية أو سح المطر، وهذا من رحمة الله ولطفه ورفقه بعباده جَلَّ وَعَلَا، وفي المواشي ما يخصهم من تفاصيل الزكاة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولاشك أن المجال في مثل هذه الأيام يتعلق بالحج والاعتمار، أختصر ما يتعلق بالزكاة وما يأتي بعدها إن شاء الله.

فالزكاة لا تجب على المسلم حتى يحول الحول على المال عنده من نقد أو عروض تجارة، أو ذهب أو فضة إذا بلغ النصاب، أو ماشية، أي: إذا كان المال ماشية تقتات بالرعي، فإن كانت تقتات بالنفقة من مالكها بشراء الحبوب والأعلاف فلا زكاة فيها، إلا إن كانت معدَّة للتجارة فإنها تزكَّى زكاة عروض التجارة بتقييد المال على حساب النقدين.

وأمر الزكاة أمر عظيم، من تهاون بها فالموعد أمامه، فقد توعد الله جَلَّ وَعَلَا الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، والمراد الذين لا يؤدون زكاتها، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٥]، ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما ثبت في الحديث "الصحيح"-: «**مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ**» يقصد زكوية بلغت النصاب وحال عليها الحول، «**وَلَا بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا، إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا نَفِدَتْ أُخْرَاهَا، عَادَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ**»[١].

وقال في الأموال من الذهب والفضة: «**بَشِّرِ الْكَانِزِينَ، بِكَيٍّ فِي ظُهُورِهِمْ يَخْرُجُ مِنْ جُنُوبِهِمْ، وَبِكَيٍّ مِنْ قِبَلِ أَقْفَائِهِمْ يَخْرُجُ مِنْ جِبَاهِهِمْ**»[٢]، كلما بردت

---

(١) أخرجه مسلم (٩٩٠) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٩٩٢) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أحمي عليها، حتى يُقضى بين العباد.

هذا فيمن لا يؤدي الزكاة؛ فلذلك ينبغي ويجب على المسلم أن يحذر، والإنسان إذا كان له دائن ولم يؤدِّ حقه مع القدرة لزمه أن يؤديه في الدنيا أو في الآخرة، وربما لزمه فيهما، هذا إذا كان غريمًا واحدًا، فكيف إذا كان غرماؤه المساكين أجمع؟! فإن الزكاة حق للفقراء؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح عندما بعث معاذًا إلى اليمن يدعوهم إلى التوحيد فقال: **«إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»**(١).

هذا شيء فيما يتعلق بالزكاة وعظيم أمرها؛ ولذلك عندما مات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وارتدت قبائل من العرب ومنعت الزكاة، وقالت: ما هي إلا جزية! فقام أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجهز الجيوش لغزو المانعين للزكاة، وقال: «وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، واللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ»(٢)، ثم أجمع أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قتال مانع الزكاة، فقاتلوا قبائل من العرب التي منعت الزكاة؛ حتى استقام الأمر واجتمع العرب في هذه الجزيرة على الإسلام،

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم فتح الله بهم البلاد وقلوب العباد لدعوة الحق، فلا نزال نتفيأ في بلادنا هذه في ظلال هذه الدعوة، ونستضيء بنورها، وننعم بآثارها الطيبة، هذا هو المختصر فيما يتعلق بالزكاة.

أما الركن الرابع من أركان الدين وقواعده المتينة وأسسه الرزينة، فهو صيام شهر رمضان، وقد صام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع سنوات، ففي السنة الأولى من الهجرة إلى المدينة لم ينزل عليه فرض الصيام، وكان يصوم عاشوراء؛ حيث وجد اليهود يصومونه، ولما سُئلوا عن ذلك قالوا: هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَظْهَرَ اللهُ فِيهِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ، فَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ»**[1]؛ لأنهم حرفوا، فصامه وأمر الناس بالصيام.

وقد كانت العرب في الجاهلية يصومون هذا اليوم ويعظمونه، ثم نزل فرض صيام شهر رمضان، وأنزل الله في فضله القرآن، فصام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رمضان وصام الناس معه[2]، وصار فرضًا على كل مسلم قادر أن يصوم رمضان، ويصح للمريض أن يفطر، وللمسافر أن يفطر على أن يقضي أيامًا أُخر بعدة ما أفطر، هذا هو فرض الصيام.

وللصيام نوافل كما للزكاة نوافل، فإن الله جَلَّ وَعَلَا لم يطالبنا حقًّا سوى

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) كما في الحديث عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصِيَامِهِ حَتَّى فُرِضَ رَمَضَانُ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ شَاءَ فَلْيَصُمْهُ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ»**، أخرجه البخاري (١٨٩٣)، ومسلم (١١٢٥).

الزكاة، فالواجب هو الزكاة، من بذلها لا يُطالب بغير ذلك، ولكن لا يستوي من يده منفقة دائمًا في وجوه البر ومن يده تقتصر على تأدية الزكاة؛ كما لا يستوي من يؤدي الفرائض فقط ومن يؤدي النوافل الكثيرة من صلاة وصدقة وصيام.

كذلك الصوم لا يطالبنا الله جَلَّ وَعَلَا بصيامٍ سوى صيام شهر رمضان، لكن لا يستوي من صام شهر رمضان وأتبعه ستًّا من شوال، وصام من النوافل الأيام البيض من كل شهر وهي اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وصام الإثنين والخميس، أو صام يوم عرفة إذا لم يكن حاجًّا، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»**[١]، فصيام يوم عاشوراء يكفِّر سنة واحدة فقط، أما صيام يوم عرفة فيكفر السنة الماضية والسنة المقبلة.

ولكن ذلك مقيد باجتناب الكبائر؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١]، وهناك -أيضًا- شروط للتوبة، فإن من اقترف الذنب وأصرَّ عليه، وتعلقت نفسه بالعودة إليه ليس كمن ندم من الذنوب وأسف على ما ارتكب من السيئات.

هذا الصوم على اختصاره، وهو صوم شهر رمضان، ووقته من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ولا فرق في ذلك بين النهار الطويل والقصير، في

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشرق والغرب إذا كانت الأيام متميزة عن الليالي.

وجاء في حديث أركان الإسلام بعد الصيام: «**وَحَجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»[(١)]، فالحج أحد أركان الإسلام، وأعظم المجامع الإسلامية، وأوسع الاجتماعات الإسلامية.

فلقد أكرم الله جَلَّ وَعَلَا هذه الأمة وتفضل عليها وأنعم فشرع لها أوقاتًا تجتمع فيها؛ ليتآلفوا ويتعارفوا، ويتعاونوا على البر والتقوى، وليتفقدوا أخلاق بعضهم وحاجات بعضهم، ليواسي بعضهم بعضًا، فشرع اجتماعات الصلوات لأهل الحي في اليوم خمس مرات، وشرع لهم اجتماع يوم الجمعة للقرية والمدينة الصغيرة والحي الكبير؛ ليجتمع الخلق الكثير فيسمع الذكر ويذكروا نعم الله التي تفضل بها عليهم جَلَّ وَعَلَا وامتن، وما يسره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من هذه النعم الجليلة، وليعرفوا أحوال بعضهم، وليتذاكروا مشاكلهم، وليتعلموا أمور دينهم في كل أسبوع مرة، فيوم الجمعة له شأن عظيم.

وشرع جَلَّ وَعَلَا في الحول اجتماعين عظيمين وهما: اجتماع عيد الفطر لكافة أهل القرية، واجتماع عيد الأضحى، يجتمعون ويفرحون ويتآنسون فيما بينهم، ويظهرون آثار نعمة الله عليهم، حتى تخرج النساء والفتيان والفتيات كلٌّ في مكان اجتماعه، يحرصون على حضور دعوة المسلمين وجمع أواصل الرحمة.

هذه ثمرات عظيمة نظمها وشرعها اللطيف الخبير، يأتي الناس إليها دون تنظيم حزب أو دعوة زعيم، أو حملة انتخابات، وإنما هو دافع الإيمان والرغبة في الثواب من الله جَلَّ وَعَلَا، لا يسوقهم سائق سوى إيمانهم بربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يشعرون بالأخوة الإسلامية، وفضل الله عليهم، وإحسانه بهم ولطفه جَلَّ وَعَلَا الذي لا يتناهى فيما شرع لهم من اجتماعات وعبادات.

وشرع لأمة الإسلام اجتماعًا أعمَّ وأشمل يجتمع فيه فئات من الناس من سائر بقاع الأرض في مكان واحد، تذوب الفوراق فيه وتزول الامتيازات، ألا وهو اجتماع الحج، تأتي إليه أمم مختلفة الألسن والطباع والألوان واللهجات والمنازل -منازل الدنيا- فتنظر إليهم نظرة فلا تجد فروقًا بيِّنة كأنما هم أهل حي واحد، وأهل زي واحد، وأهل لباس واحد، كلهم خاضعون لرب العالمين، اجتماع عظيم لا يحتاج إلى سائق ولا إلى قائد، كل يحذوه أمله ويقوده طمعه بمغفرة الله جَلَّ وَعَلَا ورحمته ولطفه.

فيحتاج المسلمون لأن يعطوا هذا الاجتماع ما يستحقه من التوقير والاحترام، والتقدير والإجلال، والسرور والاطمئنان، والرفق والأمان، والعطف على المسلمين، والرحمة لهم، وحمد الله جَلَّ وَعَلَا وشغل الأوقات بذكره لا بذكر سواه، ولا التمجيد بأحد، وإنما هو يبتهل بذكر الله، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

فهذا الاجتماع العظيم الذي شرعه الله جَلَّ وَعَلَا حول هذا البيت دعا إليه خليل الرحمن إبراهيم أبو الأنبياء وصاحب ملة الحنيفية، الذي وصفه الله بأنه أمّة وحده: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]، وصفه الله جَلَّ وَعَلَا بأنه أمة وحده، ووصفه بالحلم وأنه يجادل ربه لحلمه ورحمته بعباد الله، ولم تكن هذه المنزلة لأحد من الأنبياء قبله صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا وعلى سائر أنبياء الله.

أمره الله جَلَّوَعَلَا أن يبني هذا البيت فبناه، وأعانه عليه ابنه إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقالا مقالتهما التي ذكرها الله في كتابه حينما كانا يرفعان قواعد البيت: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧]، ودعا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لهذا البيت وأهله فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧]، فأجاب الله دعوته وأصبحت أفئدة الناس تهوي إلى هذا البيت العتيق.

ومن رحمة الله حين شرع ما شرع من ملابس الإحرام أن الإحرام في منطقة لا يقصو بردها على الناس فيفتك بهم إذا تجردوا من وسائل التدفئة، رحمة من المولى الكريم جَلَّوَعَلَا، ولن يستطيع العباد أن يعدوا نعم الله عليهم وإحسانه بهم ولطفه الذي لا يتناهى بعباده وخلقه، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل:١٨].

هذه العبادة العظيمة وهذا الركن العظيم فيه مشاق مالية وبدنية، وفيه هجر للأوطان والأهل والأولاد، وفيه تحمل متاعب الأسفار، والتعرض للأخطار في كثير من الأزمنة؛ لذلك جعل الله جَلَّوَعَلَا وجوبه على المسلم في العمر مرة واحدة، وهذا الوجوب خاص بالمستطيع، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران:٩٧]، لطف من الله جَلَّوَعَلَا ورحمة، لا يكلف العباد ما لا يطيقون، ولا يحملهم ما يشق عليهم ويرهقهم؛ لأنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها؛ كما قال ذلك نبيه وخليله ومصطفاه من

أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

ففرض الحج في العمر مرة واحدة على المستطيع، ومن تزود بعد ذلك وتقرب إلى الله، فالله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:٣٠]، ويقول نبي الهدى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ ليس له جَزَاءٌ إلا الْجَنَّةُ»**(٢)، هذا ما ثبت في "الصحيح"، وثبت -أيضًا- في "الصحيح" أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**(٣).

فهنيئًا لمن بلغ الستين من عمره وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَى عَبْدٍ أَحْيَاهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً، لَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ»**(٤)، يعني: أنه لا عذر له إذا ارتكب المعاصي بعد هذه السن الطويلة والتجارب العديدة.

فيا من تجرأت على الذنوب سنين طويلة، وحملت أعباء الجرائم أعوامًا كثيرة، دونك حج بيت الله، فإذا تجنب الإنسان الرفث -والرفث هو الجماع وما يتعلق به، وما يكرهه الله أيضًا هو الفسوق- وكان حجه بنفقة حلال، وأدى الحج كما شرعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يتعجل ولم يقصِّر في أداء فرائض الحج وأركانه وواجباته وسننه، واجتهد في ذلك، وحفظ حجَّه وحفظ

---

(١) كما في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤١٩) مختصرًا، وأحمد (١٣/ ١٣٩) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لسانه وسمعه وبصره، وأدَّى فرائض الدين في أوقاتها، وكفَّ عن الحرام، ومنع أذاه عن الناس، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه؛ ابن ستين وسبعين سنة رجع كأنما ولد الساعة! أيُّ فضل يقارب هذا الفضل؟! وأيُّ مكسب وأرباح يمكن أن تدنو من هذه المكاسب وهذه الأرباح؟! فليحرص المسلم على الإكثار من الأعمال الصالحة.

ثم إن الصلاة في هذا البلد تعدل مئة ألف صلاة فيما سواه، فإنه ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**صَلاةٌ في مَسْجِدِي هذا أَفْضَلُ من أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إلا المَسْجِدَ الحَرَامَ**»[1]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَضْلُ الصَّلاةِ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ عَلَى غَيْرِهِ مِائَةُ أَلْفِ صَلاة، وَفِي مَسْجِد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفُ صَلاة، وَفِي مَسْجِدِ بِيْتِ المَقْدِسِ بِخَمْسِمائة صَلاة**»[2]. فيا من رزقه الله الدنو أكثر فإن فضل الله أكثر من عملك، فاغتنم الفرصة والأرباح، وتاجر مع الغني الحميد الذي من تاجر معه ربح، ومن توكل عليه وأناب إليه حفظه؛ لعل الله أن يجعلنا جميعًا من عباده المحفوظين به في الدنيا.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يثبتنا جميعًا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يجعلنا من عباده الذين يستمعون القول فيتبعون

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٢١٢) برقم (٤٢٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٨٥) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧): «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام، وهو حديث حسن».

أحسنه، وأن يحسن لنا العاقبة في الأمور كلها، وأن يتجاوز عن سيئاتنا وتقصيرنا، أسأله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يغفر لنا سيئاتنا، وأن يرحمنا ويغفر لنا ذنوبنا، وأن يتجاوز عن تقصيرنا، اللَّهُمَّ يا كريم يا جواد احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا ومن تحتنا، ونوِّر بصائرنا وقلوبنا يا أكرم الأكرمين، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح ذرياتنا وأزواجنا وأقاربنا وسائر إخواننا المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ سددنا واحفظنا، ويسِّر يا حي يا قيوم لمن أراد حجًّا حجه، وتقبله منه، وصدَّه عن كل سوء، وصدَّ عنه كل سوء يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ أتمم لنا مناسكنا، وأقل عثراتنا، واغفر لنا زلَّاتنا يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ أصلح سائر المسلمين، واهد ضالهم، وأشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وأغنِ فقيرهم، وأعزَّ ذليلهم، وانصر مظلومهم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ اجمع قادة المسلمين على الهدى، اللَّهُمَّ ألف ذات بينهم، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، اللَّهُمَّ اهدهم واهدِ بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ وفقهم لصالح العمل، وارزقهم القيام بأمرك وإعزاز دينك، ونصرة أوليائك، وقمع أهل الفساد من عبادك يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ وفقهم لما تحبه وترضاه، اللَّهُمَّ اجعلهم هداة مهتدين، وارزقهم التحاكم إلى ما أنزلت في كتابك أو على لسان نبيك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ خُصَّ ولاة أمر هذا البلد بمزيد من التوفيق والتسديد، والهداية والرشاد، والصلاح والاستقامة، اللَّهُمَّ شد أزرهم، وأعنهم وقوِّهم، وادفع بهم البلاء والشرور والآثام، وانصر بهم عبادك المؤمنين، وأمِّن بهم يا حي يا قيوم هذه البلاد، واحفظ بهم الأمن في رحاب بيتك العتيق وفي رحاب مسجد رسولك الكريم

يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أمِّن بهم الحجاج والزوار والمعتمرين وسائر القاطنين في هذه البلاد، اللَّهُمَّ احفظهم واحفظ بهم، وصد عنهم وعنا كيد الأعداء.

اللَّهُمَّ من أراد هذه البلاد بسوء فأشغله بنفسه، وسلِّط عليه من هو أقوى منه، واجعل عمله سببًا في معاناته يا رب العالمين، اللَّهُمَّ انصر عبادك المؤمنين، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصرهم وأيدهم وعاجلهم بنصرك وتمكينك، وأقم لهم دولتهم، ومكنهم من رقاب أعدائهم وأموالهم يا ذا الجلال والإكرام، وارزقهم القيام بأمرك، وتحقيق شرعك، وإعلاء كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى والمجوس والشيوعيين وسائر الباطنيين الملاحدة في كل مكان، اللَّهُمَّ أذل أعداءنا أعداء الدين، اللَّهُمَّ اكبت المجوس أجمعين، اللَّهُمَّ أرنا في الظالمين الفجرة الملاحدة عجائب قدرتك، واجعلهم عبرة للمعتبرين يا عزيز يا جبار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على سيد الخلق أجمعين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

❀ ❀ ❀

الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ
المَجْلِسُ الأَوَّلُ[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، المبعوث رحمة للعالمين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد كان الحديث فيما مضى من ليالٍ حول ما ثبت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بيان أركان الإسلام التي هي قواعده وأسسه ومبانيه، والتي أولها العقيدة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأنه لا ينفع عمل مهما عظم أو كثر بدونها، ويليها: الصلوات الخمس التي فرضها الله على عباده ليلة الإسراء من فوق سبع سموات، وثالثها: الزكاة المفروضة التي فرضها الله جَلَّ وَعَلَا على الأغنياء تؤخذ من أموالهم فترد على الفقراء؛ ليحس الفقير بأن في مال الغني مواساة له وإعانة وتيسيرًا بدون منَّة، وإنَّما فرضٌ فرضه الله في أموال الأغنياء للفقراء، ورابعها: صوم شهر رمضان المبارك، وخامس أركان الإسلام: حج هذا البيت العتيق.

والحج في لغة العرب: القصد والتوجه[٢].

وفي الشرع: القصد لزيارة بيت الله الحرام على صفة مخصوصة في وقت

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ٢٢/١١/١٤٠٨هـ.

(٢) يُنظر: العين للخليل (٣/٩)، وتهذيب اللغة (٣/٢٥٠)، والصحاح للجوهري (١/٣٠٣).

مخصوص[١].

وقد فرض الله جَلَّوَعَلَا حج هذا البيت على الناس، فحج الأنبياء قبل محمد صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو أول بيت معظم وُضع في الأرض للعبادة؛ كما نص على ذلك القرآن الكريم، وقد ثبت بناء الخليل لهذا البيت؛ كما في القصة الثابتة في "الصحيح"[٢]، وأعانه على ذلك ابنه إسماعيل -عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم- وصار الناس يحجون هذا البيت، وصارت العرب تعظم هذا البيت، وعرفت قبائل العرب فضله وشرف أهله.

وقد كان العرب في الجاهلية حين لم تكن لهم عقيدة سليمة، كانوا إذا أتوا إلى هذا البيت عظموه وعظموا حرماته، وتجنبوا الشغب والاضطراب والإساءة إلى أحد، وربما يلقى الرجل قاتل أبيه أو قاتل ابنه أو قاتل أخيه فلا تحدثه نفسه بأن يزعجه؛ إعظامًا لهذا البيت، وتعظيمًا لحرمات الله، وإظهارًا لمنزلة هذا الحرم الشريف الذي أمَّن الله فيه الطير والوحوش أن تزعج، فكان العرب مع جاهليتهم وشركهم وعبادتهم للأوثان يعظمون هذا البيت العظيم ويحترمون مقدساته، ولا يتجرؤون على ارتكاب أمر فيه تخويف أو إزعاج.

ولمَّا همَّت فئة أن تسيء إلى هذا الحرم تولى الله عقابها، وأنزل في شأنها قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل:١]، كان العرب يعظمون البيت قبل تلك الواقعة، ولكنه بعد تلك الواقعة ازداد تعظيمهم له واحترامهم إياه، وكانوا يعظمون الأشهر الحرم فلا يتجرؤون على

---

(١) يُنظر: حلية الفقهاء (ص١١١)، وطلبة الطلبة (ص٢٧)، وتحرير ألفاظ التنبيه (ص١٣٣).

(٢) كما في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

الإساءة لأحد، فكان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه أو قريبه فلا يتعرض له بسوء، رغم ما كان العرب يتمتعون به من حب للثأر وتفان في ذلك، وشعور بالمعرة والعار إذا قصروا في الأخذ بالثأر، لكن تعظيم البيت وتعظيم الأشهر الحرم يزجرهم عن ذلك.

وقد أنزل الله جَلَّ وَعَلَا في تعظيم الحرم وقدسيته قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة، والله جَلَّ وَعَلَا لا يؤاخذ بالإرادة إذا لم تخرج إلى حيِّز العمل، فمن هَمَّ بمعصية فلم يفعلها لا يعاقب على الهمة والقصد، ما عدا في هذا الحرم، فإن من أراد أن يسيء فيه ينال عقابه؛ إذ يقول المولى جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥]، هذا للإرادة، إذا أراد أن يلحد في الحرم، والإلحاد في الحرم: إهدار حرمته، والاستهانة بتعظيمه، وإزعاج الناس حوله، والتنكر لما كان عليه نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته وصالح الأمة الإسلامية؛ ولذلك لـمَّا جاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفتح مكة وبركت ناقته القصواء، فقالوا: «خَلأَتِ القَصْوَاءُ، خَلأَتِ القَصْوَاءُ»، يعني: امتنعت من المشي، وهو كالحران للفرس، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا خَلأَتِ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ»**[1]، هذا لما جاء في يوم الحديبية، فالذي حبس الفيل أن يتوجه إلى مكة، ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه حبسها.

كل ذلك إظهارًا لحرمة هذا البيت وتعظيمًا له، وإبرازًا لحرمته، وإشعارًا للناس بوجوب احترامه وتجنب الإساءة إلى الناس حوله، فهذا بيت الله يحميه الله جَلَّ وَعَلَا بما يحوطه من الرعاية والعناية، وبما ييسره له من حماة يحفظونه،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

والله على كل شيء قدير.

فهذا البيت المعظم فرض الله جَلَّوَعَلَا على الناس زيارته في العمر مرة واحدة، ولا تنفع هذه الزيارة إلا مع الإسلام؛ لأن الله لا يقبل دينًا غير دين الإسلام، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥]، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، والدين: هو ما جاء به القرآن الكريم وبينه الرسول المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ونقله لنا صحابته خلفاؤه الراشدون وأعوانهم من سائر أصحاب محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإن لهم منَّة على الناس بنشر هذا الدين وتبليغه وحمايته، وفتح الطرق إلى القلوب في سبيل نشره، وإخماد نيران الكفر في الشمال والشرق والغرب، فرضي الله عنهم وأرضاهم، فإن حبهم إيمان، وإن بغضهم كفر ونفاق، فلا يبغض أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلا منافق امتلأ قلبه غلًّا وحقدًا وكراهيةً لدين الله الحق.

النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حج قبل الهجرة، يقول جبير بن مطعم بن عدي القرشي الذي أسلم وكان أبوه حمى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لـمَّا رجع من الطائف ومنعته قريش من الدخول، فتقلد سيفه وخرج معه فدخل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مكة في جوار المطعم بن عدي بعدما منعته قريش، ولـمَّا جاء ابنه جبير يكلم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في أسارى بدر ليفكهم وليدفع الفداء، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»**[1]، يعني: دون فداء إكرامًا لهذه اليد التي كانت له عند رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٩) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول جبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث قد أسلم وذكر في قصة إسلامه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقرأ في صلاة المغرب الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥، ٣٦]، يقول: كأنما شدت على الأرض، لم يدر جبير، ويقول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَضْلَلْتُ بَعِيرًا لِي، فَذَهَبْتُ أَطْلُبُهُ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا مَعَ النَّاسِ بِعَرَفَةَ، فَقُلْتُ: واللهِ، إِنَّ هَذَا لَمِنَ الْحُمْسِ، فَمَا شَأْنُهُ هَاهُنَا؟! وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُعَدُّ مِنَ الْحُمْسِ»[1].

فقد كانت قريش وما والاها من قبائل العرب في الجاهلية لا تقف في عرفات، ويقولون: نحن أهل الحرم لا نخرج من الحرم، فلا يتجاوزون مزدلفة إلى عرفات؛ لأنهم يرون أن لهم فضلًا على الناس، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حج في الجاهلية -كما في قصة جبير بن مطعم- ووقف مع الناس في عرفات، ولمَّا فتح الله مكة لم يحج عام الفتح؛ لأن البيت لم يطهر بعد بحيث لا يدخل إلى الحرم إلا مؤمن؛ لأنه سيحج في هذا العام مسلمون ومشركون.

وفي السنة التاسعة من الهجرة حجَّ أبو بكر وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مع مَنْ حجَّ من الصحابة، وأمرهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينادوا في الناس: «أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ»[2]، فقد «كَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ عُرَاةً إِلَّا الحُمْسَ، وَالحُمْسُ قُرَيْشٌ وَمَا وَلَدَتْ، وَكَانَتِ الحُمْسُ يَحْتَسِبُونَ عَلَى النَّاسِ، يُعْطِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ الثِّيَابَ يَطُوفُ فِيهَا، وَتُعْطِي المَرْأَةُ المَرْأَةَ الثِّيَابَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٦٤)، ومسلم (١٢٢٠) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧).

تَطُوفُ فِيهَا، فَمَنْ لَمْ يُعْطِهِ الحُمْسُ طَافَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا»[١]؛ لأنهم يرون أن ألبستهم نجسة لا يليق أن يُطاف بها في البيت.

ثم حج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة العاشرة من الهجرة، ولم يأذن لأحد بالحج إلا من كان مسلمًا، وتوافد الناس لمَّا علموا بنيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحرصوا على أن يحضروا للاقتداء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسيمت هذه الحجة بحجة الوداع؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودَّع الناس فيها، وقال في بعض خطبه: **«لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذه»**[٢]، فكانت حجته حجة مودع لأمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد بيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للناس أعمال الحج وأوضحها أكمل إيضاحٍ وأتم بيان؛ حتى ترك الناس على محجة واضحة وطريق جليٍّ بيِّن؛ حتى كأن الإنسان منَّا إذا قرأ سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما نقله أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من أحواله وحركاته كأنه يشاهد سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطوف حول هذا البيت ملبيًا ذاكرًا لله يسعى بين الصفا والمروة، وملبيًا ذاكرًا لله واقفًا في عرفات، مستقبل القبلة يدعو ويذكر الله ويثني عليه، وكذلك في سائر أعمال الحج.

وهذا من رحمة الله جَلَّ وَعَلَا بأمة الإسلام؛ لم يدعها تتخبط في جهل وظلام، ولا في ضلال وشرود، بل يسَّر لها أمرها، وتناقل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحوال نبي الهدى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتشروا في بقاع الأرض يبلغون هذا

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٦٥)، ومسلم (١٢١٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الدين غضًّا طريًّا؛ حتى أصبح كل واحد منا إذا كان قادرًا على الإطلاع والفهم يستطيع أن يتلمس ويرى ويسمع ويشاهد أحوال سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسأذكر إن شاء الله في إحدى الليالي القادمة كافَّة مراحل رحلة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة إلى أن وصل إلى مكة إلى أن طاف وسعى، وأمره الناس بالحل من إحرامهم إلا من كان معه هدي، إلى أن ذهب إلى منى فصلى فيها خمسة أوقات في اليوم الثامن وفجر التاسع، ثم توجه إلى عرفة وجلس في مكانه إلى زوال الشمس، ثم خطبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عرفة وصلاته بالناس الظهر جمعًا وقصرًا، وقصره بالناس الذين معه في مكة وفي منى قبل عرفة وفي عرفة وفيما بعد ذلك، إلى أن رمى الجمرة، إلى بات في مزدلفة ووقف عند المشعر الحرام بعد صلاة الصبح مبكرًا، إلى أن أتى إلى منى فرمى الجمرة وهو راكب، ثم رجع فنحر هديه الذي معه، وكان معه مائة ناقة أشرك عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعضها، فنحر منها بيده ثلاثًا وستين في موقف واحد، وكل واحدة منها ينحرها قائمة مغلولة اليد اليسرى، ثم سلم المدية لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فنحر بقيتها، على ما يأتي -إن شاء الله- من تفصيل لتلك الأحوال التي حدثت في رحلة سيد الخلق من المدينة إلى مكة إلى الأبطح الذي نزل فيه، ثم إلى منى إلى عرفة إلى عودته إلى مزدلفة، إلى أن ودَّع مكة قاصدًا إلى المدينة، في تلك الرحلة تبينت أعمال الحج، وعرف الناس دقائقها وتفاصيلها، وقال سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كثير من مواقفه: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**».

فالحج -أيها المسلمون- أعظم مؤتمر واجتماع لأمة الإسلام، والحج -أيها المسلمون- يجب أن يُعطى حقه من الاحترام والتقدير، وتجنب المنكرات، وصيانته عن كل ما يشينه، يجب أن يصان عن اللغو والخصام، وعن إيذاء

الناس، وعن التعرض لحرماتهم، يجب أن يُصان عن كل المعاصي.

فإذا أمكنك -أخي المسلم- أن تحفظ حجَّك على ما يأتي -إن شاء الله- تفصيله في الليالي المقبلة، فإنك -بإذن الله جَلَّ وَعَلَا- ترجع وقد تخففت من الذنوب، ورفعت عن نفسك غبار وأدران الفواحش وجرائم الذنوب، وعدت مخفَّفًا لا حمل عليك، وقد فاز المخففون يوم القيامة.

فاجتهد -أخي المسلم- فإنها فرصة عظيمة، ومجال كريم، ومناسبة لا تعوض، اغتنم دنوَّك من هذا البيت، وقُربك من هذه الرحاب، فاحفظ سمعك وبصرك ولسانك وسائر جوارحك، واتَّقِ الله جَلَّ وَعَلَا في نفسك، واتَّقِ الله في إخوانك المسلمين، وارفق بهم وتجنب إيذاءهم، واعلم أن الحرم والحج إنما هو لذكر الله تلبيةً وتكبيرًا، وتهليلًا وتحميدًا، وتسبيحًا وثناءً على الله، لا رفث فيه، ولا تمجيد لأحد من المخلوقين، ولا لأمة من الأمم كافرة أو غير كافرة، فلقد حج سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت دولة فارس وكانت دولة الروم أعظم عدو لدولة الإسلام في ذلك الزمن، وكانت هاتان الدولتان أقوى دول الأرض في ذلك الزمن، وقد بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابًا إلى كسرى ملك الفرس فمزقه، فلما بلغه ذلك دعا عليهم: **«أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ»**(١).

ولم يكن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجه لا هو ولا أصحابه يرفعون أصواتهم إلا بالتلبية والذكر والثناء على الله جَلَّ وَعَلَا، ولنا في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فعلى المسلم أن يعلم أن الطواف، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفات، والمبيت بمزدلفة، ورمي الجمار، أن هذا كله لإقامة ذكر جَلَّوَعَلَا، وليس لتمجيد أحد من المخلوقين.

ولاشك أن الكفار أعداء الإسلام، ولاشك أن الملاحدة أشد أعداء الإسلام، لكن على المسلم أن يشغل نفسه بذكر الله، وأن يستعين بذلك، وأن يجتهد ليفوز بمغفرة الذنوب وتكفير الخطايا، ليفوز بصلاح النفس وصلاح الأهل والأولاد، واستقامة الأحوال.

على المسلم أن يعرف حرمة البيت وحرمة الزمان، وعظمة الوقت، وأن الله جَلَّوَعَلَا ينتقم ممن أساء إلى حرمة هذا البيت؛ ليجتهد المسلم في ذلك كله، ثم لتعلم -أخي المسلم- أن حج البيت الحرام إذا توفرت فيه أسباب البِرِّ فإنها تعيد المرء كأنما ولد الساعة، فقد ثبت في "الصحيح" من حديث المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«مَنْ حَجَّ هذا الْبَيْتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كيوم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**[1]، يا سبحان الله! المولود يولد ليس عليه أي ذنب!

فإذا أنا حججت، وحججت أنت أخي المسلم، وحج كل واحد من إخواننا، وتجنب الرفث والفسوق والعصيان، وأخلص لربه في العبادة، وانشغل واشتغل بذكر الله، وكفَّ أذاه عن الناس، وتبرَّأ من الحول والقوة إلا بالله، وأخلص العمل لرب العالمين، وتبرَّأ من جميع ما يخالف هدي رسول الهدى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصدق في ذلك قولًا وعملًا، ماذا يعود؟ يعود كأنما وُلِد في تلك اللحظة، يستقبل وقتًا وعمرًا جديدًا، ليس فيه آثام ولا آصار

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٢١، ١٨١٩)، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ولا سيئات ولا خطايا، وإنما إن حفظ نفسه بعد ذلك فقد فاز بالفلاح والنجاة، وأدرك السعادة الأبدية، والسلامة من أهوال الحياة الدنيا وأهوال الآخرة، فأهوال الحياة الدنيا تكفَّل الله أنه يدافع عن الذين آمنوا، وأهوال الآخرة منوطة بالسلامة من مخالفة هدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فاحرص -أخي المسلم- على القيام بأمر الله، وتجنب إيذاء نفسك والمسلمين، واحفظ لهذا البيت حرمته، واحفظ لفضل هذا الزمن حرمته، فإنك في الأشهر الحرم، وعند البيت الحرام المعظم، كان الناس في حال شركهم وجهلهم وجاهليتم يعظمونه، ولم يحدث أن استبيحت حرمته إلا في أوقات نادرة، كان ذلك في وقت زعيم القرامطة الباطنيين، في سنة ثلاثمائة وسبع عشرة من الهجرة تقريبًا، فإنه أتى إلى هذا البيت بقوة حين غفلة من حماته، وانشغال الخلافة العباسية عنه، فاستباح الحرم واستباح الدماء، فقتل الناس ورماهم في زمزم في يوم التروية في اليوم الثامن من ذي الحجة، ذاك الرجل الخبيث الباطني الملحد استباح الحرم، ولكن الله جَلَّ وَعَلَا قضى عليه وعلى دولته، وكانت له دولة في شرق الجزيرة، فقضى الله عليها ومحا آثارها فاندرست، ولم تقم له قائمة بحمد الله.

وكذلك سنة الله جَلَّ وَعَلَا في عباده، كل إنسان أو كل فئة تتجبر وتظلم وتريد أن تقهر وتهدر حرمة هذا البيت فالله لها بالمرصاد.

لا أطيل كلامي هذا، وسيأتي -إن شاء الله- مزيد كلام يتعلق بأركان الحج وواجباته وسننه وآدابه، تُستقى كلها من سنة سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاداته وآدابه في حجه، نتركها إلى أن يأتي كلام في المستقبل بإذن الله.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يتقبل أعمالنا بمنِّه وكرمه، أسأله

سبحانه لأنه مجيب الدعوات، فارج الكربات، مقيل العثرات، مغيث اللهفات الذي قال وقوله الحق: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠]، أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لمن في هذا المكان أجمعين، وأن يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء، وأن ينور قلوبنا، ويطهر نفوسنا، ويؤتيها تقواها، فهو خير من طهرها وزكاها، كما أسأله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن ييسر لنا الحج ويتقبله منا، وأن يحفظنا ويحفظه عما يؤثر عليه من أي أثر ضار بقدسيته وثوابه، وأن يمحو به عنا الآصار والأغلال والآثام، وأن يعيدنا من حجنا مغفورة خطايانا، ومغفورة ذنوبنا بمنِّه جَلَّ وَعَلَا وكرمه.

كما أسأله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يجمع كلمة المسلمين، وأن يؤلف ذات بينهم، وأن يهديهم سبل السلام، وأن يوفقهم لصالح العمل، وأن يصلح قادتهم، وأن يعينهم على الحق، وأن يأخذ بأيديهم لأسباب مرضاته، وأن يرزقهم الحكم بما أنزل في كتابه وفي سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يوفقهم لنصرة الحق وأهله وإذلال الباطل وأهله، وأن يكافئ من يقوم بذلك بعز الدنيا والأمن يوم يقوم الأشهاد، ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩].

أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يوفِّق القادة ولاة الأمة الإسلامية لنصرة الدعاة إلى الله، وتأييد المجاهدين، وإمدادهم بما يلزمهم، وفتح القلوب والطرق للدعاة الصادقين الصالحين، وأن يعينهم على ذلك، ويهيئ لهم من أمرهم رشدًا.

كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يشبع جائع المسلمين، وأن يكسو عاريهم، وأن يغني فقيرهم، وأن يعز ذليلهم، وأن ينصر مظلومهم، وأن يقهر جبارهم وظالمهم،

وأن يرينا في أعداء الإسلام أعدائنا أعداء الدين عجائب قدرته، وأن ينزل بهم بأسه الذي لا يردُّ عن القوم المجرمين، وأن يصب عليهم العذاب صبًّا بمنِّه سبحانه وكرمه وقوته.

كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يزيد ولاة أمر هذا البلد الكريم بمزيد من التوفيق والتسديد، والصلاح والاستقامة والهداية، وأن يوفقهم ويعينهم على ما ولاهم عليه، وأن يعينهم ويوفقهم للمحافظة على أمن هذه البلاد، وتأمين ربوع هذه الأماكن، وتوسعة السبل المؤدية إلى هذا البيت العتيق، وإلى مسجد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ أمِّن بهم الحجاج والزوار والمعتمرين وسائر القاطنين في هذه البلاد، اللَّهُمَّ احفظهم واحفظ بهم، وصُدَّ عنهم وعنَّا كيد الأعداء، وكافئهم على ذلك بعز الدنيا والآخرة يا جواد يا كريم.

كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن ينصر المجاهدين في سبيله، وأن يعاجلهم بنصره وتأييده، وأن يعاجلهم بإقامة دولة إسلامية لا تحكم إلا بشرع الله، وأن يرينا في اليهود والنصارى والمجوس وسائر الشيوعيين الملاحدة الباطنيين عجائب قدرته، إنه جَلَّ وَعَلَا قوي عزيز.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على الهادي الأمين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ
المَجْلِسُ الثَّانِي[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أتم الصلاة وأزكى التسليم، وبعد:

فإننا -يا عباد الله- في مواسم عظيمة نوَّه الله جَلَّ وَعَلَا بذكرها في كتابه العزيز؛ فقال -جل من قائل-: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧]، ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦]، نوَّه الله جَلَّ وَعَلَا بذكر الحج كما نوَّه بذكر الصوم، وأنزل في هذا وذاك آيات تُتلى، إشادة بعظمة هذه الأركان وبيانًا لأهميتها، وإشعارًا للمسلم بوجوب المحافظة عليها والاعتناء بها.

وقد بيَّنها سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عملًا وأداها فعلًا، وقال لأمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه المناسك: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذه**»[٢]، وهذا دليل واضح على أن العبادة إنما تُؤخذ عن طريقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه لا سبيل إلى إرضاء الله جَلَّ وَعَلَا والفوز بالثواب منه إلا بالأخذ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في ٢٣/١١/١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولقد حج صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالمسلمين وحج معه مائة ألف نفر أو يزيد، كلهم من العرب إلا قلة قليلة، فلم يكن فيهم إلا بعض الموالي؛ إذ أن حجته صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عام حجة الوداع لم يتجاوز الإسلام في فتوحاته جزيرة العرب، فبيَّن صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للناس المناسك، وقد خرج صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من المدينة إلى ذي الحليفة، وأحرم من ذي الحليفة بعد أن صلى الظهر، وجهر بالتلبية، فسمعه أناس حينما انفتل من صلاته ولبَّى، فقالوا: أهلَّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالتلبية حين انفتل من صلاته، وسمعه الآخرون يلبي حين ركب راحلته، فقالوا: أهل بالتوحيد حين استقلت به راحلته، وسمعه آخرون حينما علا على البيداء، فقالوا: أهلَّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عندما علا على البيداء، والبيداء بجانب ذي الحليفة، فكل واحد ذكر ما رأى من فعله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وقد سأل سعيد بن جبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وقال: يا أَبَا الْعَبَّاسِ، عَجِبْتُ لاخْتِلافِ أَصْحَابِ رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في إِهْلالِ رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين أَوْجَبَ، فقال: «إني لأَعْلَمُ الناس بِذَلِكَ؛ إِنَّهَا إنما كانت مِنْ رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَجَّةً وَاحِدَةً، فَمِنْ هُنَاكَ اخْتَلَفُوا، خَرَجَ رسولُ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَاجًّا، فلما صلَّى في مَسْجِدِهِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْهِ أَوْجَبَ في مَجْلِسِهِ، فَأَهَلَّ بِالْحَجِّ حين فَرَغَ من رَكْعَتَيْهِ، فَسَمِعَ ذلك منه أَقْوَامٌ فَحَفِظْتُهُ عنه، ثُمَّ رَكِبَ فلما اسْتَقَلَّتْ بِهِ نَاقَتُهُ أَهَلَّ، وَأَدْرَكَ ذلك منه أَقْوَامٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الناسَ إنما كَانُوا يَأْتُونَ أَرْسَالًا، فَسَمِعُوهُ حين اسْتَقَلَّتْ بِهِ نَاقَتُهُ يُهِلُّ، فَقَالُوا: إنما أَهَلَّ رسولُ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين اسْتَقَلَّتْ بِهِ نَاقَتُهُ، ثُمَّ مَضَى رسولُ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلما عَلا على شَرَفِ الْبَيْدَاءِ أَهَلَّ، وَأَدْرَكَ ذلك منه أَقْوَامٌ، فَقَالُوا: إنما أَهَلَّ حين عَلا على شَرَفِ الْبَيْدَاءِ، وأيمُ اللهِ! لقد أَوْجَبَ في

مُصَلاهُ، وَأَهَلَّ حين اسْتَقَلَّتْ بِهِ نَاقَتُهُ، وَأَهَلَّ حين عَلا على شَرَفِ الْبَيْدَاءِ»[(١)].

وقد أحرم الناس وكانوا لا يعرفون إلا الحج؛ إذ إن العرب في الجاهلية ما كانوا يأتون بالعمرة في أشهر الحج أبدًا، بل «كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ مِنْ أَفْجَرِ الْفُجُورِ فِي الْأَرْضِ، وَيَجْعَلُونَ الْمُحَرَّمَ صَفَرًا، وَيَقُولُونَ: إِذَا بَرَأَ الدَّبَرْ، وَعَفَا الْأَثَرْ، وَانْسَلَخَ صَفَرْ؛ حَلَّتِ الْعُمْرَةُ لِمَنْ اعْتَمَرْ»[(٢)]، فأبطل الله جَلَّ وَعَلَا قولهم وعملهم بما شرعه على لسان نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحرم المسلمون مع سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «خَرَجْنَا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَمِنَّا مِنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ، وَمِنَّا مِنْ أَهَلَّ بِحَجٍّ، فَقَدِمْنَا مَكَّةَ»[(٣)]، ولم يستنكر ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول الأمر، ثم قال لهم بعد ذلك وَهُوَ بِالعَقِيقِ: **«أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي أَنْ صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ»**[(٤)]، فأحرم أناس مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحج وحده، وأحرم غيرهم بالعمرة وحدها، ومن ساق معه الهدي أحرم بالحج والعمرة.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٧٧٠)، وأحمد (١/ ٢٦٠)، والحاكم (١/ ٤٥١)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢٤)، ومسلم (١٢٤٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. قال المازري في المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٨٤): «وقولهم: "بَرَأَ الدَّبَر" يريدون دَبَرَ ظهر الإبل عند انصرافها من الحجِّ؛ كانت تَدْبَرُ بالمَسِير عليها إلى الحجِّ، "وَعَفَا الأثَرُ" معناه: امّحى ودَرَس، ويكون "عفا" أيضًا بمعنى كَثُر، وهو من الأضداد».

(٣) أخرجه البخاري (٣١٩)، ومسلم (١٢١١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٣٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

ثم جاؤوا سائرين حتى وصلوا مكة، وفي الطريق بعدما تجاوزوا ذي الحليفة لقيهم ركب، فقال النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«مَنِ القَومُ؟»**، فقالوا: المسلمون؛ لأن الناس لـمَّا تسامعوا بأن رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سيحج توافدوا على المدينة يريدون أن يأتموا برسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويقتدوا بأفعاله، ويروا ما يصنع في طريقه في حال ارتحاله ونزوله، وفي حال صلواته وما يذكره من الأذكار، يقول جابر بن عبد الله رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا: فرأيت مد النظر، فلا أرى إلا أن البطاح تسير بالناس، يعني: الركب.

فقال النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«مَنِ القَوْمُ؟»**، قالوا: المسلمون، ثم قالوا له: من أنت؟ لأن أكثرهم لا يعرفونه، فقال صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«رَسُولُ اللهِ»**، فخرجت امرأة من هودجها -من محفتها- وكان الناس يصنعون للنساء مراكب على الإبل تسترهن حتى لا يراهن الرجال، تُسمَّى: الهودج والمحفَّة، فأخرجت طفلًا صغيرًا ورفعته بيديها، فقالت: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قال صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«نَعم، وَلَكِ أَجْرٌ»**(١)، فدل على أن حج الصغير صحيح، وأن الذي يتكفل به ويعتني به ويحفظ إحرامه يُثاب على ذلك.

واستمر النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يلبي، فكان يقول التلبية التي هي تلبية التوحيد، : **«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»**(٢)، ولزم هذه التلبية صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأصحابه منهم

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٦) من حديث ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٤٩)، ومسلم (١١٨٤) من حديث ابن عمر رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا، وكان ابن عمر يَزِيدُ فيها: «لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ، لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ».

من لزمها، ومنهم من يزيد عليها: «لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا، تَعَبُّدًا وَرِقًّا»[١]، وبعضهم يقول: «لَبَّيْكَ ذَا المَعَارِجِ»، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمع كل ذلك فلا يعيب شيئًا من هذه التلبية.

وتُسمَّى هذه التلبية: تلبية التوحيد؛ لأن العرب في الجاهلية كانوا يقولون هذه التلبية إلا أنهم كانوا يزيدون عليها: «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ»[٢]، فأبطل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل ذلك، وجعل التلبية خالصة لوجه الله جَلَّ وَعَلَا.

ومعنى: **«لبَّيْكَ»**، أي: إجابة لدعوتك وامتثالًا لأمرك، وقوله: **«لَا شَرِيكَ لَكَ»**، أي: أخلص العبادة لك، وأجعل عملي كله خالصًا لوجهك لا أشرك بك أحدًا، وقوله: **«إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ»** هذا تأكيد للثناء على الله وتمجيده، وأن الحمد له سبحانه، وأن الثناء له جَلَّ وَعَلَا، وأن الملك الحق له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا شريك له، فكل ملك في الدنيا وكل مالك مالٍ أو أرضٍ أو غير ذلك فإن ملكه مقيَّد، هو وما يملك لله رب العالمين، ثم إنه لا يتصرف في ملكه كما يشاء، وإنما يتصرف في ملكه في حدود ما شرعه الله له جَلَّ وَعَلَا، والله هو الذي يفعل ما يشاء ولا راد لما قضاه، فهو له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلتزم هذه التلبية، وكان

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (١٣/ ٢٦٦) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرج مسلم (١١٨٥) عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فيقول رسول الله ﷺ: **«وَيْلَكُمْ! قَدْ قَدْ»**، فَيَقُولُونَ: إلا شَرِيكًا هو لك، تَمْلِكُهُ وما مَلَكَ. يَقُولُونَ هذا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ!

كلما علا شرفًا من الأرض رفع صوته بالتلبية، وكلما هبط منخفضًا من الأرض رفع صوته بالتلبية.

واستمر على التلبية صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مساره؛ حتى إذا ما وصل إلى مكة ووصل إلى البيت العتيق استلم الحجر، ثم طاف سبعة أشواط، وكان مما يقول في طوافه بين الركن اليماني والحجر الأسود: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١]، ولم يشرع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاءً مخصوصًا لكل شوط من أشواط الطوف، وإنما كان يدعو ويكثر من الثناء على الله سبحانه وتمجيده جَلَّ وَعَلَا.

فلمَّا أتمَّ سبعة أشواط صلَّى ركعتين خلف مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم عاد فاستلم الحجر، ثم خرج إلى الصفا، وقال: **«أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ»**(١)، ثم تلا قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]، ثم نزل من الصفا حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي، حتى إذا كان ما بين العلمين الموجودين الآن -المصباحين الأخضرين- وكان في مجرى الوادي منخفضًا أسرع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى تجاوز المنخفض، ثم سار على هيئته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أتى المروة، فصعدها وفعل على المروة ما فعل على الصفا، وقرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، وبذلك تم له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشوط الأول من السعي، فعاد إلى الصفا فأتم الشوط الثاني، ثم عاد إلى المروة حتى أتم سبعة أشواط بالوقوف على المروة.

---

(١) جزء من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في صفة حج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخرجه مسلم (١٢١٨).

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ساق الهدي معه من الحل، والذي يسوق الهدي لا يجوز له أن يتحلل حتى يبلغ الهدي محله، ومحل الهدي إنما يكون بنحره يوم النحر، وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشد الناس -من لم يكن معهم هديٌ- أن يجعلوا إحرامهم عمرة ويتحللوا منها، وكان العرب -كما ذكرت آنفًا- يستفظعون الاعتمار في أشهر الحج، ويرونه من أفجر الفجور.

فلما أمرهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعلوها عمرة ويتحللوا، فَتَعَاظَمَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْحِلِّ؟ قَالَ: **«الْحِلُّ كُلُّهُ»**[(١)]، وكأنهم توقفوا وتحرجوا؛ لأن النفس يصعب عليها أن تترك ما ألفته وما اعتادته وإن كان الآمر بذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمرهم أمر إلزام بأن يتحللوا، وتلكأ بعضهم في أول الأمر حتى قالوا: «فَيَرُوحُ أَحَدُنَا إِلَى مِنًى، وَذَكَرُهُ يَقْطُرُ مَنِيًّا؟!»، كناية عن الجماع، فبيَّن لهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: **«لوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ»**، أي: لو علمت ما ستكون الأمور عليه، **«مَا أَهْدَيْتُ»**، أي: ما سُقْتُ الهدي، **«وَلَوْلَا أَنَّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَحْلَلتُ»**، وفي رواية قال: **«إِنِّي لَبَّدْتُ رَأْسِي، وَقَلَّدْتُ هَدْيِي، فَلا أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ»**[(٢)]، فأطاعوا وتحللوا، فقام أحد سادات العرب وهو سراقة بن مالك بن جعشم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: يا رَسُولَ الله، أَلَنَا هذه خَاصَّةً؟ قال: **«لَا، بَلْ لِأَبَدٍ»**[(٣)]، وفي رواية: فَشَبَّكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ: **«دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ**

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٦٤)، ومسلم (١٢٤٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٦٦)، ومسلم (١٢٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٣٠)، ومسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فِي الْحَجِّ»، مَرَّتَيْنِ **«لَا، بَلْ لِأَبَدِ أَبَدٍ»**(١)، أي: دخلت العمرة في الحج إلى قيام الساعة.

صلوات الله وسلامه على سيد الخلق، ما أعظم بيانه، وما أنصحه للأمة، وما أبره، وما أوفاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! ثم أمر الناس فتحللوا، ولـمَّا قال له الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ من ضمن مقالاتهم: «فَيَرُوحُ أَحَدُنَا إِلَى مِنًى، وَذَكَرُهُ يَقْطُرُ مَنِيًّا؟!»، أرشدهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن هذا أمر الله، فاستسلموا ورضوا بذلك، وتحللوا إلَّا من كان معه الهدي، وكان ممن كان معه الهدي الزبير ابن العوام ابن عمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصفية بنت عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فتحلل الناس واختلطوا بنسائهم، وحلَّ لهم ما حرم على الـمُحْرِم، ونزل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأبطح، وكان مجرى وادٍ، وكانت تسميه العرب الأبطح والحصباء، والذي يقول فيه القائل(٢):

وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ غَيْرَ فَخْرٍ ... إِذَا قُبَبٌ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا

يقصد بذلك الأبطح الذي نزله سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جلس فيه ثلاثة أيام ثم توجه في اليوم الرابع إلى منى، فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي في الأبطح الصلوات كلها ويقصر الصلاة، ويصلي كل صلاة في وقتها قصرًا بدون جمع، وما كان يأتي إلى المسجد الحرام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل كان يصلي في الأبطح ، وفعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا مع أصحابه من أدلة أن الصلاة تضاعف في الحرم كله، وأن من صلَّى في أي مسجد من مساجد مكة يُكتب له

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم في معلقته، يُنظر: جمهرة أشعار العرب (ص١٢١).

-إن شاء الله- أجر مائة ألف صلاة؛ لأن الصلاة في الحرم تعدل مائة ألف صلاة إلا مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنها تعدل مائة صلاة، والصلاة في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعدل ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام[١]، فهذا دليل على أن الصلاة مضاعفة في سائر اتجاهات مكة التي خلقها الله بما فيها الحرم، إلا أن كثرة المصلين تكون أزكى بالصلاة من دليل آخر؛ حيث قال سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَلاةُ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلاتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَانُوا أَكْثَرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ**»[٢]، فدل على أن كثرة الجماعة مؤثرة في عظم فضل الصلاة وزكائها.

ثم لـمَّا كان في صبيحة اليوم الثامن المسمى يوم التروية، وسبب تسميته بالتروية أنه لم يكن في المشاعر مياه، وإنما الناس يتزودون بالماء من آبار مكة، فوجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ركبه إلى منى، ونزل فيها وصلى الظهر والعصر والمغرب

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هذا أَفْضَلُ من أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إلا المَسْجِدَ الحَرَامَ**». أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

وحديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَضْلُ الصَّلاةِ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ عَلَى غَيْرِهِ مِائَةُ أَلْفِ صَلاة، وَفِي مَسْجِدِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفُ صَلاة، وَفِي مَسْجِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ بِخَمْسِمِائَة صَلاة**»، أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٢١٢) برقم (٤٢٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٨٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧): «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام، وهو حديث حسن».

(٢) أخرجه أحمد (٢١٣٠٢)، وأبو داود (٥٥٤)، والنسائي (٨٤٣)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٢٣١)، وابن حبان (٥/ ٤٠٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٥) من حديث أُبَي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والعشاء وفجر عرفة، يقصر الرباعية، ويصلي خلفه سائر الحجاج، لا يأمر مكيًّا أن يتم كما أمر المكي في عام الفتح حينما صلى بالناس في الحرم وقال لأهل مكة: **«يَا أَهْلَ مَكَّةَ، أَتِمُّوا صَلاتَكُمْ، فَإِنَّا قَوْمٌ سَفْرٌ»**(١)، أمَّا في منى فلم يأمر أحدًا بالإتمام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلمَّا أصبح في يوم عرفة توجه إلى عرفة، ونزل في نمرة، فضرب له قبة، فجلس هناك حتى إذا زالت الشمس اجتاز بطن وادي عرنة(٢) إلى مكان المسجد، فخطب بالناس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيَّن لهم المناسك، وحرمة المسلم على المسلم، وأبطل في خطبته دماء الجاهلية وربا الجاهلية، وكأن الناس ولدوا في تلك اللحظة، لا دم لأحد عند أحد، وإنما هم إخوة مؤمنون متحابون.

فبيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مناسك الحج، ثم صلَّى بالناس الظهر والعصر ركعتين بأذان واحد وإقامتين، وصلَّى بهم العصر ركعتين بعد الظهر مباشرة، ثم ركب ناقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوجه إلى شرقي الجبل المسمى بجبل الرحمة، وكان الناس في الجاهلية يسمونه: "جبل أَلَالٍ"(٣)، فوقف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرقي الجبل فجعل الجبل بينه وبين القبلة، وقال للناس: **«وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا**

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٢٩)، والطبراني في الكبير (٥١٧)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ١٩٤) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال القاضي عياض في مشارق الأنوار (١/ ١١٧): «هو بطن وادي عرفة الذي فيه مسجدها، يُقال: إن حائط مسجد عرفة القبلي على حدِّه، لو سقط ما سقط إلا فيه، وهو من الحرم».

(٣) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (١/ ٢٤٢): «أَلَالٌ: بفتح الهمزة واللام، وألف، ولام أخرى، بوزن حَمَام: اسم جبل بعرفات».

مَوْقِفٌ»(١)، وفي رواية: «**كُلُّ عَرَفَاتٍ مَوْقِفٌ، وَارْفَعُوا عَنْ بَطْنِ عُرَنَةَ**»(٢)، ثم أرسل مناديه ينادي في الناس، يقول: «**قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**»(٣)، فأمر الناس أن يبقوا في منازلهم في عرفة، واستمر من صلاة الظهر راكبًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبي ويثني على الله ويمجده جَلَّ وَعَلَا، وأصحابه يتلقون ذلك عنه ومنه، ويفعلون فعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى إذا غربت الشمس توجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد شنق لناقته القصواء الزمام حتى يكاد رأسها أن يمس مقدمة الرحل، وذلك من أجل الرفق بالناس، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ**»، كُلَّمَا أَتَى حَبْلًا مِنَ الْحِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا، حَتَّى تَصْعَدَ(٤)، وفي رواية: «**أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ**»(٥)، والإيضاع هو الإسراع في السير(٦)، ولما سُئل أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ حِينَ دَفَعَ؟ قَالَ: «كَانَ يَسِيرُ العَنَقَ، فَإِذَا وَجَدَ فَجْوَةً نَصَّ»(٧)، والنصُّ:

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٧/ ٣١٦)، وابن حبان (٩/ ١٦٦)، والطبراني في الكبير (١٥٨٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٤٩٨) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (١٩١٩)، والترمذي (٨٨٣)، والنسائي (٣٠١٤)، وابن ماجه (٣٠١١).

(٤) جزء من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في صفة حج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٥) أخرجه البخاري (١٦٧١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٦) يُنظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (ص١٦٧)، ومشارق الأنوار (٢/ ٢٩٠)، ولسان العرب (٢/ ٥٨٧).

(٧) أخرجه البخاري (١٦٦٦)، ومسلم (١٢٨٦).

هو الإسراع في السير(١).

يقول أسامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الشِّعْبَ الْأَيْسَرَ، الَّذِي دُونَ الْمُزْدَلِفَةِ أَنَاخَ فَبَالَ، ثُمَّ جَاءَ فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ الْوَضُوءَ، فَتَوَضَّأَ وُضُوءًا خَفِيفًا، ثُمَّ قُلْتُ: الصَّلاةَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: **«الصَّلاةُ أَمَامَكَ»**، فَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ(٢).

ولـمَّا وصل المزدلفة صلَّى بها المغرب، ثم صلَّى العشاء قصرًا، ثم رقد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتى إذا طلع الفجر أول ما طلع قام فصلى الفجر، ثم توجه إلى المشعر الحرام، ووقف وقال للناس: **«وَقَفْتُ هَاهُنَا»**، ووقف شرقي الجبل الآن الذي هو مكان المسجد الآن، فجعل المشعر بينه وبين الكعبة مستقبل القبلة، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للناس: **«وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»**(٣)، يعني: المزدلفة، وفي رواية: **«كُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ، وَارْتَفِعُوا عَنْ بَطْنِ مُحَسِّرٍ»**(٤).

فلـمَّا أسفر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ توجه إلى منى، وفي طريقه إلى منى أمر ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن يلتقط له الحصى، فالتُقطت له سبع حصيات كل واحدة أكبر من حبة الحمص وأقل من ثمرة البندق، فهزهنَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليراهن الناس، ثم قال: **«بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ**

---

(١) قال القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٣٩٢): «و(العَنَق): سيرٌ فيه رفق. و(الفجوة): المتسع من الأرض. و(النص): أرفع السير، ويعني: أنه كان إذا زاحمه الناس سار برفق لأجلهم، وإذا زال الزحام أسرع».

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩)، ومسلم (١٢٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٠١٢) من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فِي الدِّينِ»(١)، كأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر إلى أفعالنا هذا الزمن من خبايا وستر الغيب، وكأنه يرى الناس في غلوهم بالرمي بأحجار كبيرة، وأحذية، وأخشاب وغير ذلك! فكان يأمر الناس بالاتباع؛ لأن الدين إنما هو ما شرعه الله جَلَّ وَعَلَا ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس بما يستعرضه أو يستهويه الرجال؛ لأن الشريعة إنما هي شريعة الله لا بأهواء الرجال ومقاصدهم ورغباتهم.

ثم سار إلى جمرة العقبة، ومعه أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يظلله بردائه عن الشمس(٢)، ومعه -أيضًا- الفضل بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان أردف أسامة من عرفات إلى مزدلفة، وأردف الفضل بن عباس -ابن عمه- من مزدلفة إلى منى، فلما وصل جمرة العقبة، ثم رماها بعد طلوع الشمس بسبع حصيات بيده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَبِّر مع كل حصاة، وعندما وصلها توقَّف عن التلبية(٣)، وجعل مكة عن يساره ومنى عن يمينه مستقبلًا مكان المرمى، يرمي سبع حصيات(٤).

---

(١) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، وابن حبان (٩/ ١٨٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) كما في الحديث عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحُصَيْنِ، عَنْ أُمِّ الْحُصَيْنِ جَدَّتِهِ، قَالَتْ: «حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، فَرَأَيْتُ أُسَامَةَ وَبِلالًا، وَأَحَدُهُمَا آخِذٌ بِخِطَامِ نَاقَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْآخَرُ رَافِعٌ ثَوْبَهُ يَسْتُرُهُ مِنَ الْحَرِّ، حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ»، أخرجه مسلم (١٢٩٨).

(٣) كما في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ أَرْدَفَ الفَضْلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى مِنًى، قَالَ: فَكِلاهُمَا قَالَ: «لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ»، أخرجه البخاري (١٥٤٤)، ومسلم (١٢٨١).

(٤) أخرج مسلم (١٢٩٦) عن عبد الرحمن بن زيد: «أَنَّهُ كَانَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَأَتَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، فَاسْتَبْطَنَ الْوَادِي، فَاسْتَعْرَضَهَا، فَرَمَاهَا مِنْ بَطْنِ الْوَادِي بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ
=

ثم لـمَّا انتهى من الرمي رجع ونحر الإبل التي ساقها، وقد ساق مائة بدنة هديًا للكعبة، ذبح منها بيده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثًا وستين بدنة، يذبح كل واحدة وهي قائمة معقولة يدها اليسرى، يطعنها في رقبتها حتى ينحرها فتقع، فلما أتم ثلاثًا وستين ناقة أعطى ابن عمه عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المدية -وهي السكين- فنحر بقيتها، وكان أشركه معه في الهدي، أي: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرك عليًّا معه في الهدي، فكان علي لا يحل له أن يتحلل من عمرته؛ لأنه لما جاء من اليمن سأله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال له: «**بِمَ أَهْلَلْتَ؟**»، فَقَالَ: أَهْلَلْتُ بِإِهْلالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَوْلَا أَنَّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ**»(١).

ثم حلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأسه، وبدأ بشقه الأيمن فحلقه، ثم حلق بقية رأسه، فطاف طواف الإفاضة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان قد سعى قبل عرفة، وكان قارنًا لم يتحلل فلم يحتج لأن يسعى؛ لأن القارن والمفرد إذا سعيا قبل يوم عرفة لا يلزمهما السعي، ولا سعي عليهما بعد طواف الإفاضة، أما المتمتع فإنه يسعى مع طواف عمرته، ويسعى بعد طواف الإفاضة للحج.

هذه مجمل أعمال الحاج من يوم التروية إلى أن ينتهي من أعمال يوم العيد، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طريقه إلى مكة من المدينة، لما وصل إلى سرف قريبًا من مكة دخل على عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهي تبكي، فقال لها: «**مَا لَكِ، أَنَفِسْتِ؟**»، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «**إِنَّ هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَاقْضِي**

=

كُلِّ حَصَاةٍ، قَالَ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ النَّاسَ يَرْمُونَهَا مِنْ فَوْقِهَا، فَقَالَ: هَذَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَقَامُ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».

(١) أخرجه البخاري (١٥٥٨)، ومسلم (١٢٥٠) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مَا يَقْضِي الحَاجُّ، غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ»(١)، وهي تبكي؛ لأن صاحباتها سوف يتمكنَّ من الطواف بالبيت، وهي كانت تعلم أن الحائض لا تدخل المسجد الحرام، فلمَّا رآها تبكي وأخبرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمرها، فأخبرها أن هذا الأمر شيء كتبه الله على بنات آدم، وهذا يدل على عدم صحة القول بأن الحيض أول ما وقع كان في بني إسرائيل، وقد أتت بهذا أحاديث لا صحة لها، فهذا الحديث في "الصحيح" يقول فيه سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ»**.

فاستمرت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا على إحرامها، فلمَّا جاء اليوم الثامن وهي لم تطهر؛ أمرها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تدخل الحج على العمرة لتكون قارنة، ففعلت، وطهرت قبل يوم العيد فأتمت أعمالها، وأخبرها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن فعلها ذلك يكفي عن حجها وعمرتها.

وسيأتي شيء مما يتعلق بمثل حالها عند التحدث عن اعتمارها من التنعيم، رغم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها: **«يُجْزِئُ عَنْكِ طَوَافُكِ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، عَنْ حَجِّكِ وَعُمْرَتِكِ»**(٢)، ولكنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لم تطب نفسها بذلك، فأذن لها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر أخاها عبد الرحمن أن يعمرها من التنعيم(٣).

هذا -يا عباد الله- مجمل أعمال الحج من الإحرام في يوم التروية إلى الانتهاء من أعمال يوم العيد.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤٨)، ومسلم (١٢١١) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه مسلم (١٢١١) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه البخاري (١٧٨٤)، ومسلم (١٢١٢) من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

أما أفضل الأنساك؛ فقد اختلف أهل العلم فيها:

فقيل: أفضله الحج المفرد؛ لأن الإنسان يكون سفره كله للحج ولا يخلطه بغيره، ويسافر للعمرة في رحلة أخرى، فكان الإفراد أفضل الأنساك(١).

ومنهم من قال: أفضل الأنساك القران؛ لأنه الذي فعله النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولم يكن الله جَلَّوَعَلَا ليختار لنبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلا ما هو الأفضل(٢).

وقيل: بل أفضل الأنساك التمتع؛ لأن الإنسان يأتي فيه بعمرة مستقلة منفردة وبحجة منفردة، ويذبح دمًا هديًا شكرًا لله على هذا التيسير(٣).

وأصح أقوال أهل العلم: ما تمناه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأمر أصحابه به، ألا وهو التمتع، لكن لا حرج على من حج مفردًا، وقد نُقل الإجماع على جواز

---

(١) يُنظر: الكافي في فقه أهل المدينة (١/ ٣٦٤)، وقال العمراني في البيان في مذهب الإمام الشافعي (٤/ ٦٦): «المشهور من المذهب: أن الإفراد والتمتع أفضل من القران، وفي الإفراد والتمتع قولان: أحدهما: أن الإفراد أفضل. والثاني: أن التمتع أفضل».

(٢) قال الكاساني في بدائع الصنائع (٢/ ١٧٥): «وإنما كان القران أفضل من التمتع؛ لأن القارن حجته وعمرته آفاقيتان؛ لأنه يحرم بكل واحدة منهما من الآفاق، والمتمتع عمرته آفاقية، وحجته مكية؛ لأنه يحرم بالعمرة من الآفاق، وبالحجة من مكة».

(٣) قال ابن قدامة في المغني (٣/ ٢٦٠، ٢٦١): «وممن رُوي عنه اختيار التمتع: ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وعائشة، والحسن، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وجابر بن زيد، والقاسم، وسالم، وعكرمة، وهو أحد قولي الشافعي. وروى المروذي عن أحمد: إن ساق الهدي فالقران أفضل، وإن لم يسقه فالتمتع أفضل؛ لأن النبي ﷺ قرن حين ساق الهدي، ومنع كل من ساق الهدي من الحلِّ حتى ينحر هديه. وذهب الثوري، وأصحاب الرأي إلى اختيار القران ... وذهب مالك وأبو ثور إلى اختيار الإفراد، وهو ظاهر مذهب الشافعي، ورُوي ذلك عن عمر، وعثمان، وابن عمر، وجابر، وعائشة».

ذلك، ولم يخالف في هذا إلا ما يُروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: من أتى إلى البيت محرمًا في أشهر الحج وطاف وسعى فقد حل من عمرته شاء أم أبى(١).

وقد نقل الإجماع على خلاف هذا القول الذين اعتنوا بنقل إجماع أهل العلم، وممن نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في مناسكه، وغيره من سائر كبار أهل العلم الذي نقلوا أقوال السلف واختلاف أهل العلم(٢).

فالصحيح: أن المسلم مخير؛ إن شاء حج مفردًا، وإن شاء حج قارنًا، وإن شاء حج متمتعًا، أي نسك من هذه الأنساك أراد فله ذلك.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يهيئ لنا جميعًا من أمرنا رشدًا، وأن يوفقنا لإتمام المناسك وأن يتقبلها منا، وأن يعيدنا يوم نعود من مناسكنا وقد

---

(١) قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ فَقَدْ حَلَّ»، أي: من جاء محرمًا بالحج، أو قارنًا بالعمرة مع الحج، ثم طاف وسعى، فقد حَلَّ، شاء أم أبى. أخرجه البخاري (٤٣٩٦) من طريق عطاء، وأخرجه مسلم (١٢٤٤) من طريق أبي حسان الأعرج.
واحتج ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:٣٣]، وَمِنْ أَمْرِ النبي ﷺ أَصْحَابَهُ أَنْ يَحِلُّوا في حَجَّةِ الْوَدَاعِ.
قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في زاد المعاد (٢/ ١٨٦): «وصدق ابن عباس؛ كل من طاف بالبيت ممن لا هدي معه من مفرد أو قارن أو متمتع فقد حل، إِمَّا وجوبًا، وإِمَّا حكمًا، هذه هي السنة التي لا راد لها ولا مدفع».

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٧٣): «الذي تدل عليه السنة: أن من لم يسق الهدي فالتمتع أفضل له، وأن من ساق الهدي فالقران أفضل له، هذا إذا جمع بينهما في سفرة واحدة، وأَمَّا إذا سافر للحج سفرة وللعمرة سفرة، فالإفراد أفضل له، وهذا متفق عليه بين الأئمة الأربعة؛ اتفقوا على أن الإفراد أفضل إذا سافر لكل منهما سفرة».

غُفرت ذنوبنا، وكُفِّرت خطايانا، ودفع الله عنا سائر المكاره والمحن بمنِّه جَلَّ وَعَلَا وكرمه، اللَّهُمَّ يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الرحمين، ويا مجيب السائلين، يا من قلت وقولك الحق: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، نسألك أن تغفر لنا ذنوبنا.

اللَّهُمَّ أعزنا في أوطاننا، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، اللَّهُمَّ اجعل ولايتنا في كل مكان في بلاد الإسلام فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك، يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلح قادة الأمة، اللَّهُمَّ أصلحهم واهدِ بهم، اللَّهُمَّ وفقهم لطاعتك، اللَّهُمَّ جنبهم معاصيك، اللَّهُمَّ زدهم يا حي يا قيوم من خوفك ورجائك، اللَّهُمَّ اجعل أحب الأشياء إليهم طاعتك وطاعة رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبغض الأشياء إليهم معصيتك ومعصية رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ وفقهم لإعزاز الحق وأهله، وإذلال الباطل وأهله، اللَّهُمَّ اجمع كلمتهم على الحق يا سميع الدعاء، اللَّهُمَّ وفقهم لتأييد الدعاة إليك، الناصحين لسنتك، الصادقين يا حي يا قيوم في دعوتهم، اللَّهُمَّ وفقهم يا حي يا قيوم لإعزازهم وفتح الطريق لهم، وافتح القلوب لدعوة الحق يا كريم يا جواد.

اللَّهُمَّ وفِّق القادة والولاة في كل مكان لشد أزر المجاهدين وتأييدهم بالمال وسائر ما يحتاجون إليه، اللَّهُمَّ عاجل المجاهدين في كل مكان بالنصر والتمكين، واجمع كلمتهم يا كريم يا جواد على الحق، اللَّهُمَّ زد ولاة أمر هذا البلد بمزيد من التوفيق والتسديد، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، اللَّهُمَّ اهدهم واهدِ بهم، اللَّهُمَّ انصرهم بالحق وانصر الحق بهم، اللَّهُمَّ آمن بهم ربوع أوطاننا، واحفظ بهم مقدساتنا، وصن بهم حرمات بيتك العتيق ومسجد

رسولك الكريم يا رب العالمين، اللَّهُمَّ زدهم من كل خير، ووفقهم لتأمين السبل وتوفير الراحة والرفاهية لحجاج بيتك الحرام، وزوار مسجد رسولك الكريم من قادمين ومعتمرين وقاطنين يا أكرم الأكرمين، وكافئهم وجازهم يا ذا الجلال والإكرام على ذلك بخير ما تجازي به عبادك المؤمنين.

اللَّهُمَّ اكبت أعداءنا أعداء الدين، اللَّهُمَّ أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللَّهُمَّ سلِّط عليهم يا حي يا قيوم من يسومهم سوء العذاب.

اللَّهُمَّ اجعل حجَّنا حجًّا مباركًا آمنًا مطمئنًّا، اللَّهُمَّ وفق الحجاج للأخذ بسنة نبيك، وتجنب الرفث والفسوق يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أصلح أحوالنا أجمعين، وأصلح ذرياتنا وأزواجنا وأقاربنا وجميع المسلمين يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ أذل اليهود وأعوانهم، اللَّهُمَّ أذل الكفار المارقين من المجوس وسائر الملحدين الباطنيين يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ أحل في ربوع الإسلام الأمن والأمان، وانزع عنهم يا حي يا قيوم الخلافات، إنك جواد كريم، اللَّهُمَّ أشبع جائع المسلمين، واكسُ عاريهم، وأعز ذليلهم، وانصر مظلومهم يا كريم يا جواد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلَّى الله على سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

❀ ❀ ❀

الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ
المَجْلِسُ الثَّالِثُ(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد مضى في الليلة البارحة شيء من الكلام على قول المولى جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:١٩٧].

في هذه الآية يبيِّن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الحج له وقت مخصوص أشهر معلومة، وجاءنا الدليل من الكريم الحكيم العليم بمصالح عباده يبين مكان ووقت الحج، وهو شهر شوال وذو القعدة ومن شهر ذي الحجة التسع الأولى وليلة العيد وأيام التشريق، هذه كلها وقت لعاقد النية بالحج، وما سوى ذلك فليس من زمن الحج لانعقاد النية بالحج.

ويأمرنا ربنا جَلَّ وَعَلَا أن نتجنب كل عمل يتنافى مع هذا العمل الكريم الذي هو أحد أركان الإسلام؛ من فسق وجماع وما يتعلق به من قبلة ونحو ذلك، فهو يحرم على المحرم بالحج أو العمرة حتى يتم تحلله، والفسق محرم في كل وقت، إلا أن بعض الأوقات يكون التحريم فيها أعظم وأشد؛ كما أن بعض الأمكنة يكون الفسق فيها أفظع وأعظم ذنبًا، وأعظم الأماكن وأولاها

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ٢٤/١١/١٤٠٨هـ.

بكل قدسية هذا المكان المبارك، فالفسوق محرم على المسلم دائمًا وأبدًا، ولكن تحريمه يتغلظ ويعظم حسب عظمة الزمان والمكان، بل المسلم مأمور في أيام حجِّه وتربصه بهذه العبادة الجليلة أن يتجنب الجدال في الأمور المباحة؛ لأن الجدال محرم ومنهي عنه في كل وقت.

فينبغي للحاج أن يكون همُّه شغل هذا الوقت القصير -بالنسبة لعمره وللزمن- بما يسرُّه أن يُسجَّل في سجل أعماله يوم العرض والجزاء، يوم تتطاير الصحف، فمن كانت صحائفه بيمينه فهذا هو الذي يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠]، أما من كان من أهل الخسران فهو من يؤتى كتابه بشماله، فيتمنى أنه لم ير كتابه، وأنه لم يصل إليه، وود أن الأمر انقضى بذلك، ولكن هيهات!

فعلى المسلم أن يشغل زمن حجِّه بما يكون في سجل أعماله صالحًا وفي موازين حسناته، وأن يتجنب كثرة الكلام وما لا حاجة إليه من جدال في الأمور المباحة.

ثم يخبر الله جَلَّوَعَلَا أنه يعلم كل شيء، وأنه لا تخفى عليه خافية، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾، فاجعلوا أعمالكم لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولا تهتموا بحفظها، فإنه لن يضيع علينا أي عمل، كتاب عند ربنا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، يفرح به المؤمنون، ويشقى به أهل الفسق والفجور والإيذاء،﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾، فالعبرة بالخير والقصد إليه، والله عالم بالسرائر، يعلم المقاصد وما يريده العباد، فمن كان عمله إلى ربه وأحصى المتابعة برسول الهدى محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أفلح وفاز،

وحصل على الربح الذي لا تعقبه خسارة، ومن كان يعمل للعباد فإنه يدرك حظه مما أراد، وليس له عند الله من حظ ولا نصيب، نسأل الله العافية.

ثم يأمرنا إلهنا جَلَّوَعَلَا بالتزود، التزود بماذا؟ بما نحتاج إليه في جميع أمورنا، وبيَّن أن خير الزاد تقوى الله جَلَّوَعَلَا، وتقوى الله أمر جامع يشمل ترك جميع المعاصي والمكروهات، ويشمل الأخذ بجميع الطاعات من واجبات ومستحبات، ويشمل ترك المباح الذي لا حاجة إليه، ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ فلنكثر من تقواه، ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ إلى آخر الآية.

وأصل هذا الأمر والبيان أن قومًا في الجاهلية كانوا يأتون في الحج، واستمروا بعد ذلك حتى نزل التوجيه الإلهي الكريم، فيقولون: نحن المتوكلون نتوكل على الله، فلا نأخذ زادًا ولا نفقة، وإنما نتوكل على الله ومن توكل على الله كفاه، فأنزل الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، فلتتزودا مما تحتاجون إليه؛ لتستغنوا به عن التكفف والتسول والأخذ مما في أيدي الناس والاحتياج إليهم، فأكمل الناس أتقاهم لله، وأكثرهم استغناء عن خلق الله واستعانة بالله جَلَّوَعَلَا.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ تحذير للذين يغفلون عن مسببات عذاب الله، أو لا يأخذون بأسباب رحمته؛ لأن من لا يأخذ بأسباب رحمة الله يتعرض لغضب الله وسخطه؛ ولذلك كثر في القرآن الأمر بتقوى الله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٧٠]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨]، إلى غير ذلك مما هو كثير كثير في القرآن.

فتقوى الله: ترك ما حرَّم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والإقبال على ما أمر به جَلَّ وَعَلَا، والأخذ بما أمر الله به على قدر المستطاع، فمن رحمة الله جَلَّ وَعَلَا أنه لم يكلف العباد أن يعملوا كل ما أمر به، وإنما كلَّفهم أن يكفوا عن كل ما نهى عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو نهى عنه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويوضح هذا المعنى ويبينه ويجليه أن المبلِّغ عن الله جَلَّ وَعَلَا رسالاته محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ**»[(١)].

فعلى المسلم أن يعتني بأمره، وأن يتذكر سرعة انتقاله من هذه الدنيا، فإننا نودع ما بين لحظة وأخرى راحلًا منا لا يعود إلينا، ومسافرًا لا يُنتظر له أوبة؛ من صديق وحميم وقريب وبعيد، نودعهم وكأن الأمر لا يعنينا، وكأننا لسنا على الطريق هذه مثله!

والاستعداد -يا عباد الله- إنما يكون بالأعمال الصالحة بتقوى الله جَلَّ وَعَلَا في السر والعلن، وأعظم الأعظمين في جوانب التقوى إحسان هذه العبادة العظيمة التي لا تتكرر للإنسان في كل زمن ومكان، وإنما مكانها مخصوص وزمنها محدود، وكثير من الناس لا يتأتى إليه أن يأتي إليها مرة أخرى، فمن وافته هذه الفرصة -وكلكم بحول الله في هذا المكان أو أكثركم ممن ينتظر أداءها- فليجتهد في إتقانها، وليتأمل وليسأل عن واجباتها وأركانها ومستحباتها، وليأخذ الأركان والواجبات حتمًا، وليستكثر من المستحبات والمكملات؛ لعله إذا قضى حجَّه أن يعود مخفَّفًا لا أثقال عليه، وأن يفوز بالتوفيق والتسديد في المستقبل، فلا يتجرأ على محرم، ولا يقبل على معصية،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ولا ينتكس في طريقة نكسة تفسد عليه حياته وآخرته.

إن الذبح لغير الله جَلَّ وَعَلَا، وإن سؤال ميت أو جني أو قبرٍ أمرٌ من الأمور التي تفسد العمل السابق كله، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال لأكمل الخلق وأبرهم وأصدقهم المعصوم الذي لم يُعصم ولن يُعصم أحد بعده: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]، وبيّن جَلَّ وَعَلَا أن الذبح لغيره شرك؛ كما في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣]، وقال له: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]،

فمما سبق نعرف أنه لا يقصد مسلم في الوجود أن يصلي الصلاة لأحد من الخلق، لكن كثيرًا من المنتسبين للإسلام يذبحون للخلق، إذا نزل منزلًا قال: إني أطلب من الشياطين والجن، فيذبح ذبائح على العتبة، وقد تصيبه مصائب في بعض الأمور فيأتي كاهنًا، فيقول له: اختر ذبيحة لك دمها؛ اذبحها في مكان كذا واجزمها، أو ربما قال: اجزمها حية، وأمثال ذلك مما تفنن الشيطان وأعوانه في اختراعه وإيجاد السبل المضلة عن سبيل الله، وإلا فإن سبيل الله جَلَّ وَعَلَا هو الصراط المستقيم؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وبين ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توضيحًا عمليًا حيث خَطَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطًّا بيده ثُمَّ قال: **«هذا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا»**، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: **«هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»**،

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣][(١)].

إذن صراط الله هي السلامة والمؤدية إلى الفلاح والنجاح، والسبل الأخرى إنما هي سبل الشيطان، فتتفرق بسالكيها حتى تبعدهم عن الأمن والأمان والنجاة والسلامة، نسأل الله السلامة من الشيطان وأعوانه ووساوسه.

فاحرص -يا أخي المسلم- على حجِّك، واجعله خالصًا لربك، واجتهد في أن تتقرب إلى الله بالتعرف على سنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إنما تعبدنا باتباعه، وأخبر أن اتباعه سبب لمحبة الله جَلَّوَعَلَا لنا، وبغير ذلك لا يتحقق ولا نحصل على حب الله إيانا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، فاتباعه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو السبيل المؤدي إلى رضى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن عباده، وحبه لهم، مما يسبب لهم أمنًا وأمانًا وسعادة وعزًّا في الدنيا، ونجاة يوم يقوم الأشهاد، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٤ - ٣٧]، أمره قد أهمَّه فنسي بذلك كل حبيب وقريب!

(١) أخرجه أحمد (٧/٢٠٧)، والنسائي في الكبرى (١٠/٩٥)، والدارمي (٢٠٨)، وابن حبان (١/١٨٠)، والحاكم (٢/٣٤٨)، وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أخرجه أحمد (٢٣/٤١٧)، وابن ماجه (١١).

والاستعداد لذلك إنما هو بالتقوى والأعمال الصالحة، ومن أعظم أسباب التقوى والدوام عليها إحسان العمل في حجنا، وكفنا أنفسنا عمَّا حرَّم علينا ربنا، والاجتهاد في أداء مناسك الحج كما أداها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذه»**[1]، ومناسكنا -بحمد الله- واضحة للجميع، محفوظة محكمة، فقد صانها الله بصحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين حُبُّهم إيمان وكرههم نفاق، الذين لا يبغضهم إلا من يُكِنُّ حقدًا وعداوة لدين الإسلام، فحفظوا لنا أعمال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقلوها لنا؛ دقيقها وجليلها، واجبها ومندوبها، نقلوا كل شيء من أفعاله، نقلوا لنا كيف أحرم، وكيف شرع بالتلبية، ومن أيِّ مكان لبَّى، وكيف كان يفعل في طريقه، وماذا فعل في حال اغتساله وهو محرم، وفي أموره كلها، وحينما بدأ بطوافه بهذا البيت، وكيف بدأ، جعل الكعبة عن يساره واستقبل الحجر، ثم طاف سبعة أشواط، فرمل في الثلاثة الأُول، ومشى في الأربعة الأخيرة مضطبعًا في طوافه كله، جاعلًا حاشية ردائه تحت إبطه اليمنى، وطرفي ردائه على كتفه اليسرى حتى انتهى من طوافه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم أتى مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فصلى خلفه ركعتين، ثم استلم بعد ذلك الحجر، ولا يجب ذلك.

فتقبيل الحجر ليس ركنًا من أركان الحج، ولا هو واجب من واجباته، وإنما هو سنة مؤكدة، فإذا ازداد الزحام وشق الأمر فالأفضل للإنسان أن يتجنب الزحام عليه، وقد أرشد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بألَّا يزاحم

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الناس على الحجر، وقال له: **«يَا عُمَرُ، إِنَّكَ رَجُلٌ قَوِيٌّ، لَا تُزَاحِمْ عَلَى الْحَجَرِ فَتُؤْذِيَ الضَّعِيفَ، إِنْ وَجَدْتَ خَلْوَةً فَاسْتَلِمْهُ، وَإِلَّا فَاسْتَقْبِلْهُ وَهَلِّلْ وَكَبِّرْ»**[١]، فإذا كان تقبيل الحجر لا يتم إلا بصعوبة ومشقة ومزاحمة فإن ترك ذلك أولى؛ لأنه غير واجب.

ثم توجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك إلى الصفا وصعد عليها كما أمره الله جَلَّ وَعَلَا، ولا شك أن في صعوده مشقة وتعبًا، لكن الآن -والحمد لله- تسهل على الناس صعوده، فصعد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتلا قول المولى جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]، حتى أتمها ثم نزل، وكان يذكر الله في جميع أحواله، ويدعو ويكبر ويهلل، حتى وصل باطن الوادي فسعى سعيًا حثيثًا حتى ارتفع عن مبلغ الوادي، ولأن المعالم زالت من زمن قليل، فقد وُضِع على مكان المصعد علامات، وكان في السابق عليه عَلَمان أخضران، وبعد ذلك وُضعت مصابيح مضيئة؛ ليعلم الساعي أن هذا مكان الجري السريع الذي ركض وسعى فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلمَّا وصل المروة صعدها، وفعل عليه ما فعل على الصفا، ولكنه يستقبل البيت في الصفا ولا يستقبله في المروة، ثم عاد إلى الصفا حتى أكمل سبعة أشواط، ذهابه إلى المروة شوط، ومجيئه منها شوط، وأتم السابع بالصعود على

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٨)، وعبدالرزاق في مصنفه (٥/ ٣٦)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ٨٠) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المروة، ثم أمر الناس بالتحلل من عمرتهم، إلا من ساق الهدي، فأوجب عليهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتحللوا من عمرتهم أجمعين.

وانعقد الإجماع بعد ذلك على أن من شاء تمتع بالعمرة إلى الحج، ومن شاء قرن بينهما، ومن شاء حجَّ مفردًا.

وكما ذكرت سابقًا كان العرب يستغربون الاعتمار والتحلل من الحج قبل الرجوع من عرفة، ولاشك أن الأشياء المألوفة التي يشب الإنسان عليها ويكبر يصعب على النفس تركها، إلا إذا كان على الاعتقاد، فلما أمرهم أن يتحللوا، تَعَاظَمَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْحِلِّ؟ قَالَ: **«الْحِلُّ كُلُّهُ»**[1]، فتعجبوا من ذلك، وقال أحدهم: «فَيَرُوحُ أَحَدُنَا إِلَى مِنًى، وَذَكَرُهُ يَقْطُرُ مَنِيًّا؟!»، كناية عن الجماع، فأخبرهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ذلك أمر لازم، فتحللوا، إلا من ساق معه الهدي من الحل.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء معه إلى مكة وقد ساق مائة بدنة، فقال لما رأى تذمرهم: **«لوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ»**، أي: لو علمت ما ستكون الأمور عليه، **«مَا أَهْدَيْتُ»**، أي: ما سُقْتُ الهدي، **«وَلَوْلَا أَنَّ مَعِي الهَدْيَ لأَحْللتُ»**، وفي رواية قال: **«إِنِّي لبَّدْتُ رَأْسِي، وَقَلَّدْتُ هَدْيِي، فَلا أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ»**[2]، فبيَّن أن الذي منعه من الإحلال إنما هو سَوْق الهَدْي.

فجاء علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من اليمن، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِمَّنْ حَلَّ، وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا، وَاكْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٦٤)، ومسلم (١٢٤٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٦٦)، ومسلم (١٢٢٩).

بِهَذَا، فَكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ، مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: **«صَدَقَتْ صَدَقَتْ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟»**، قَالَ قُلْتُ: اللهُمَّ إِنِّي أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ، قَالَ: **«فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ، فَلَا تَحِلُّ»**[١]، فلم يذهب حتى نحر الهدي.

وجاء أبو موسى من اليمن وكان هو وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في اليمن، فأهلَّ بما أهلَّ به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمّا جاء وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: **«هَلْ مَعَكَ مِنْ هَدْيٍ؟»**، قال: لا، يقول أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَأَمَرَنِي، فَطُفْتُ بِالْبَيْتِ، وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، ثُمَّ أَمَرَنِي، فَأَحْلَلْتُ، فَأَتَيْتُ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِي، فَمَشَطَتْنِي، أَوْ غَسَلَتْ رَأْسِي»[٢]، فدل ذلك على أنه لا يلزم الإنسان إذا أهَلَّ بما أهَلَّ به أحد أن يثبت على ذلك ويجزمه، فإذا جاء قائل وقال: أهللت بما أهَلَّ به فلان، وهو لا يعرف كيف أهَلَّ، فوجده قارنًا، جاز له أن يتحلل من القران إلى التمتع، كما فعل أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان معهم هدي، وكان الذين معهم هَدْي من الصحابة قليلين، والسبب أن الصحابة كانوا قليلي ذات اليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لم تتوسع بهم الدنيا، وإنما كانوا بعد الفتح أحسن حالًا منه قبل الفتح، بل كثير منهم لم يسق هديًا أو عامَّتهم، فكانوا يصومون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٥٩)، ومسلم (١٢٢١) (١٥٥).

ثم في اليوم الثامن -يوم التروية- أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه فأحرموا من منازلهم في الأبطح[١]، فدلَّ هذا على أن المحرم لا يحتاج لأن يأتي إلى البيت الحرام ويحرم منه، بل يحرم من مكان منزله، فإن نزل في الأبطح أو في أحياء مكة أو لم يجد منزلًا إلَّا في منى فنزل فيه، لا يقال: لا يُحرم حتى يأتي المسجد الحرام فيحرم منه.

والأفضل أن يحرم بالحج قبل الظهر من يوم التروية، وإن أخَّر الإحرام إلى ما بعد ذلك جاز، لكن يفوته الفضل والاشتغال بسنة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولاشك أن موافقة سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر هام، ونور نتائجه جليلة على النفس والأعمال.

ومن يسكن في منًى ممن لا يجدون محلًّا في غيرها يُسنُّ لهم أن يحرموا ويتجردوا من ملابسهم المخيطة قبل ظهر اليوم الثامن؛ ليكونوا مع الناس في حال الإحرام سواءً.

والسنة أن يصلي الحاج محرمًا الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر في منى، وهو يوم الثامن إلى فجر يوم التاسع؛ عملًا بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويمكث فيها إلى طلوع الشمس، ويتوجه إلى عرفة بعد طلوع الشمس، على عكس من مزدلفة إلى منى، فإنه يتوجه إليها قبل طلوع الشمس؛ ليخالف هدي المشركين كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

هذه كلها أعمال مسنونة غير واجبة، فلو لم يحرم إلا صبيحة عرفة أو في

---

(١) كما في حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «أَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَحْلَلْنَا أَنْ نُحْرِمَ إِذَا تَوَجَّهْنَا إِلَى مِنًى»، قَالَ: «فَأَهْلَلْنَا مِنَ الْأَبْطَحِ»، أخرجه مسلم (١٢١٤).

ظهر يوم عرفة فلا شيء عليه، ولو لم يأتِ إلى منًى ولم يصلِّ فيها وقتًا من الأوقات قبل عرفة لا شيء عليه، لكن -كما ذكرت- يفوت الإنسان بمخالفة السنة أجور عظيمة، وأعمال جليلة، فإن مخالفة سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها أثرها حتى على النفس وراحتها واطمئنانها وشعورها بالغلظة.

وقد صلَّى سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفجر في يوم عرفة، وقبل ذلك أعيد ما كررته في السابق: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي بأصحابه، وكان يقصر الصلاة ولا يجمعها في الأبطح، وكان الناس لا يقصرون صلاتهم، وهذا يدل على أن المجيء إلى الكعبة والصلاة في منًى ليس حتمًا، بل إذا أراد الإنسان أن يصلي في مساجد حيِّه اقتداءً برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد أحسن، ودل ذلك -أيضًا- على أن الصلاة مضاعفة في جميع مكة، وأن مكة كلها حرمٌ والصلاة في أي بقعة فيها تعدل مائة ألف صلاة فيما سواها(١).

ثم مشى سيد الخلق والمسلمون معه من منًى صبيحة يوم عرفة إلى عرفة فضربت له قبة في نمرة، فاستراح فيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى زالت الشمس، أي:

---

(١) كما في حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«فَضْلُ الصَّلاةِ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ عَلَى غَيْرِهِ مِائَةُ أَلْفِ صَلاة، وَفِي مَسْجِد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفُ صَلاة، وَفِي مَسْجِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ بِخَمْسِمائَة صَلاة»**، أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٢١٢) برقم (٤٢٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٨٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧): «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام، وهو حديث حسن». ويشهد له حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«صَلاةٌ في مَسْجِدِي هذا أَفْضَلُ من أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إلا المَسْجِدَ الحَرَامَ»**. أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

حتى دخل وقت الظهر، فقام صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتى مكان المسجد وخطب الناس خطبة بيَّن لهم فيها مناسكهم، وبيَّن ما يجب عليهم، وأن أموالهم ودماءهم وأعراضهم حرام عليهم، وبيَّن بطلان ما كان في الجاهلية من أعمال ذميمة، ووضع دماء الجاهلية ورباها، وجعل ذلك كله زائلًا لا بقاء له.

ولما انتهى من خطبته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذن بلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم أقام، فصلى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناس الظهر ركعتين، ثم أقام بلال فصلى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العصر ركعتين في موقفه، ثم ركب ناقته القصواء وتوجه إلى شرقي جبل إلال الذي يُسمَّى حبل الرحمة، فوقف عند الصخرات، وجعله بينه وبين القبلة، وقال: «**وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**»(١)، وفي رواية: «**كُلُّ عَرَفَاتٍ مَوْقِفٌ، وَارْفَعُوا عَنْ بَطْنِ عُرَنَةَ**»(٢)، ثم أرسل رسله إلى الناس يقولون لهم: «**قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**»(٣).

واستمر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بعد صلاة الظهر واقفًا مستقبلًا القبلة، والسنة في الدعاء والوقوف بعرفة وفي مزدلفة أن يستقبل الحاج القبلة، ولو استدبر الجبل، ولو استدبر المشعر الحرام في مزدلفة، فإن هذه الكعبة هي جهة الدعاء في كل مكان، والاتجاه إليها بالدعاء أفضل في كل وقت من الأوقات.

واستمر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راكبًا ناقته حتى غربت الشمس وتحقق غروبها،

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٧/٣١٦)، وابن حبان (٩/١٦٦)، والطبراني في الكبير (١٥٨٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/٤٩٨) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (١٩١٩)، والترمذي (٨٨٣)، والنسائي (٣٠١٤)، وابن ماجه (٣٠١١).

ثم انصرف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوجه إلى مزدلفة، وهو يأمر الناس بالسكينة والرفق، وقد بيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كثير من مواقفه أن الرفق ما دخل في شيء إلا زانه، وأن العنف لا يدخل في شيء إلا شانه.

ومن ذلك نعلم أن الاضطرابات والمظاهرات والضوضاء والصراخ ليسو من مناسك الحج ولا من أعماله، وإنما هي من الفوضى والإساءة لمناسك الحج، وصرف هذه الشريعة عمَّا شرعه الله جَلَّ وَعَلَا إلى ما يهواه الشيطان وأعوانه، وكان لسانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولسان أصحابه: لبيك اللَّهُمَّ، بل كان يكبر ويهلل، ومنهم من يزيد على تلبية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يعيب أحد على أحد؛ لأن الجميع ذكر لله، لكن مما لاشك فيه أن الالتزام بتلبية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل وأكمل وأحسن؛ لأنه اقتداء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم وقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ويلح على ربه جَلَّ وَعَلَا في الدعاء، وقال: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ ما قلت أنا وَالنَّبِيُّونَ من قَبْلِي: لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له الـمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[1]. هذه عندما يسمعها أحدنا يقول: ليس فيها طلب، وإنما هي لله جَلَّ وَعَلَا، ولكن معناها: أنه لا أحد يستطيع أن ينفعك، ولا أن يرزقك، ولا أن يرفع عنك، وأنه لا يجوز أن تتعلق قلوب العباد بغير الله جَلَّ وَعَلَا، فالثناء عليه

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢١٤)، وعبد الرزاق (٤/ ٣٧٨)، والبيهقي (٤/ ٢٨٤) عن عبيد الله بن كريز مرسلًا، قال البيهقي في الدعوات الكبير (٢/ ٢٤٦): «وقد روي بإسناد آخر موصولًا، وهو ضعيف، والمرسل هو المحفوظ». وأخرجه الترمذي (٣٥٨٥) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

يستلزم الطلب منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

واستمر سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر الناس بالرفق والسكينة، ويقول لهم: **«أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ»**(١)، والإيضاع هو الإسراع في السير(٢)، إلا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسير العَنَق فإذا وجد فجوة -أي: فراغًا لا زحام فيه- نصَّ(٣)، والنصُّ السير بسرعة(٤).

وفي طريقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقف عند الشِّعْبِ الأيسر الذي دون المزدلفة، فأناخ ناقته فَبَالَ، ثم توضَّأ وضوءًا خفيفًا، فقال له زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الصَّلاةَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: **«الصَّلاةُ أَمَامَكَ»**(٥)، ثم ركب حتى أتى المزدلفة، فأمر بلالًا أن يؤذن، ثم أقام، فصلى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناس المغرب ثلاثًا، ثم حطوا الرحال لكي تستريح، ثم أقام فصلى العشاء ركعتين.

ثم استراح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يشتغل بشيء من الأعمال في المزدلفة حتى بزغ الفجر، فصلَّى الفجر في أول الوقت، ثم توجه إلى المشعر فجعله بينه وبين

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٧١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) يُنظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (ص١٦٧)، ومشارق الأنوار (٢/ ٢٩٠)، ولسان العرب (٢/ ٥٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٦٦٦)، ومسلم (١٢٨٦).

(٤) قال القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٣٩٢): «و(العَنَق): سيرٌ فيه رفق. و(الفجوة): المتسع من الأرض. و(النص): أرفع السير، ويعني: أنه كان إذا زاحمه الناس سار برفق لأجلهم، وإذا زال الزحام أسرع».

(٥) أخرجه البخاري (١٣٩)، ومسلم (١٢٨٠).

القبلة، وقال للناس: «**وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**»[(١)]، وجمعٌ: هي المزدلفة، وفي رواية: «**كُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ، وَارْتَفِعُوا عَنْ بَطْنِ مُحَسِّرٍ**»[(٢)]، وهو الوادي الذي بين مزدلفة ومنى.

ولما أَسْفَرَ جدًّا توجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى منى، وكان العرب في الجاهلية لا ينصرفون من مزدلفة حتى تطلع الشمس فتتعمم بها رؤوس الجبال وكانوا يقولون: «أشرق ثبير كيما نغير»[(٣)]، لكن هدي الإسلام خالف هديهم، وهدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالف هديهم، فانصرف قبل طلوع الشمس، وأذن للنساء والضعفة والصبيان أن ينصرفوا آخر الليل؛ يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -وكان غلامًا وقت حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ناهز الاحتلام-: قَدَّمَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أُغَيْلِمَةَ بَنِي عبد الْمُطَّلِبِ على حُمُرَاتٍ لَنَا مِنْ جَمْعٍ، فَجَعَلَ يَلْطَحُ أَفْخَاذَنَا وَيَقُولُ: «**أُبَيْنِيَّ** -وهي تصغير بني- **لَا تَرْمُوا حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٠١٢) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرج البخاري (١٦٨٤) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُفِيضُونَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَيَقُولُونَ: أَشْرِقْ ثَبِيرُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالَفَهُمْ ثُمَّ أَفَاضَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ». وأخرجه أحمد (١/ ٣٧٨)، وابن ماجه (٣٠٢٢)، وفيه قوله: «كيما نغير».
قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري (٣/ ٥٣١): «وثبير -بفتح المثلثة وكسر الموحدة-: جبل معروف هناك، وهو على يسار الذاهب إلى منى، وهو أعظم جبال مكة، عُرِف برجل من هذيل اسمه ثبير دُفِن فيه»، والمعنى المراد: أشرق يا جبل ثبير لكي نندفع للنحر.

(٤) أخرجه النسائي (٣٠٦٤)، وابن ماجه (٣٠٢٥)، وأحمد (١/ ٢٣٤)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ١٣١).

فانصرف النساء والضعفة ومن معهم آخر الليل، ومكث صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتى انصرف قبل طلوع الشمس، وتوجه إلى جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات، وقد أمر ابنَ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن يلتقط له الحصى من مزدلفة، كل حصاة أكبر من حبة الحمص وأقل من ثمرة البندق، ثم هزهنَّ النبي بيده الشريفة حتى يراهنَّ الناس، ثم قال: «**بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»(١).

فلما وصل العقبة واستقبل الوادي توجه إلى الجمرة ليرميها، وقطع التلبية عندما وصل إلى جمرة العقبة(٢)، وجعل مكة عن يساره، ومنى عن يمينه، فرمى الجمرة بسبع حصيات وكبَّر مع كل حصاة(٣).

ولمَّا انتهى عاد إلى المنحر فذبح الإبل التي ذكرت عددها فيما مضى ثلاث وستين بدنة نحرها بيده صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهي قائمة مغلولة يدها اليسرى، يطعنها بالحربة في رقبتها حتى تخر ساقطة، ثم أعطى ابن عمه علي بن أبي طالب

---

(١) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، وابن حبان (٩/ ١٨٣) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) كما في الحديث عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ أُسَامَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كَانَ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ أَرْدَفَ الفَضْلَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مِنَ المزْدَلِفَةِ إِلَى مِنًى، قَالَ: فَكِلاهُمَا قَالَ: «لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ»، أخرجه البخاري (١٥٤٤)، ومسلم (١٢٨١).

(٣) أخرج مسلم (١٢٩٦) عن عبد الرحمن بن زيد: «أَنَّهُ كَانَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَأَتَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، فَاسْتَبْطَنَ الْوَادِي، فَاسْتَعْرَضَهَا، فَرَمَاهَا مِنْ بَطْنِ الْوَادِي بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ النَّاسَ يَرْمُونَهَا مِنْ فَوْقِهَا، فَقَالَ: هَذَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَقَامُ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».

رَضِيَٱللَّهُعَنهُ المدية لينحر بقيتها، وكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قد أشركه معه في الهدي[١]، ثم أمره أن يأخذ من كل ناقة بضعة لحم، فجمعت في قِدْر فطبخت، فأكل صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هو وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ من لحمها وشربا من مرقها، فدل ذلك على أنه يسن للحاج أن يأكل من لحم هديه، ولا يجب ذلك وجوبًا، ثم قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«مَنْ شَاءَ اقْتَطَعَ»**[٢]، أي: من شاء أن يأخذ فليأخذ.

ثم بعد ذلك حلق رأسه، فأمر الحلاق أن يبدأ من الجانب الأيمن من رأسه ثم أتم حلقه، ولما انتهى نزل إلى مكة، وصلى الظهر في المسجد الحرام[٣]، وطاف طواف الإفاضة، وقد حصل له بذلك التحلل كله.

والتحلل للحاج اثنان:

التحلل الأول: ويحصل بفعل اثنين من ثلاثة أعمال، وهي: رمي الجمرة، وحلق الرأس، والطواف بالبيت والسعي إذا لم يكن قد سعى.

والتحلل الثاني: ويحصل بفعل هذه الأعمال الثلاثة.

---

(١) كما في حديث علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: «أَهْدَى النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مِائَةَ بَدَنَةٍ فَأَمَرَنِي بِلُحُومِهَا فَقَسَمْتُهَا، ثُمَّ أَمَرَنِي بِجِلالِهَا فَقَسَمْتُهَا، ثُمَّ بِجُلُودِهَا فَقَسَمْتُهَا». أخرجه البخاري (١٧١٨). وحديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا قال: «...ثُمَّ انْصَرَفَ إلى المَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلاثًا وَسِتِّينَ بيده، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا فَنَحَرَ ما غَبَرَ». أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١٧٦٥)، وأحمد (٣١/٤٢٧) من حديث عبد الله بن قُرْطٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا. وأخرج مسلم (١٣٠٨) عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَفَاضَ يَوْمَ النَّحْرِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَلَّى الظُّهْرَ بِمِنًى». وقد جمع الإمام ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ بين الروايتين بأنه صلَّى الظهر بمكة، ولمَّا رجع إلى منى أعادها بأصحابه؛ لتكون له نافلة ولهم فريضة. يُنظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/٢٥٨).

فإذا فعل الثلاثة فقد كمل تحلله وحلَّ له كل ما يحرم على الـمُحرم، وإذا فعل اثنين من هذه الثلاثة حلَّ له لبس ما شاء من الملابس، وتقليم الأظافر، وقص ما يريد قصه من الشعر، وحلَّ له الطيب، لكن لا يحل له النساء حتى يأتي بالعمل الثالث الذي يحصل له به التحلل الكامل، فمن طاف بالبيت ورمى الجمرة تحلل التحلل الأول، ومن رمى الجمرة وحلق رأسه أو قصَّر تحلل التحلل الأول، ومن حلق أو قصر وطاف بالبيت حصل له التحلل الأول، ومن فعل هذه الثلاثة كلها حصل له التحلل الثاني.

ثم رجع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى منى وبات فيها، ورمي جمرة العقبة في أيام التشريق الثلاثة، ويوم العيد، والمبيت في منى واجب على الناس كلهم إلا من له عذر؛ كالذين يرعون الأغنام أو الإبل، أو الذين يشتغلون في سقاية الحجاج في مكة، أو الذين ينظمون أمور الناس وأحوالهم، أو الذين يشتغلون في تطبيق القانون وحفظ الأمن، أو الذين يقومون بأعمال يتعين عليهم القيام بها؛ كالأطباء ونحوهم، كل هؤلاء لا يلزمهم المبيت، وكذلك يجوز لهم تأخير رمي الجمار إلى آخر أيام التشريق، وأمَّا من لا عذر له فيجب عليه المبيت في منى في ليلة أحد عشر، وليلة اثني عشر، وليلة ثالث عشر، لمن أراد ألَّا يتعجل، أما من تعجَّل فعليه الانصراف قبل غروب الشمس في اليوم الثالث عشر.

ورمي الجمرة يوم العيد يجوز أن يكون في آخر الليل؛ وذلك للضعفة وأصحاب الأعذار ومن معهم، والأفضل ألا يرمي إلا بعد طلوع الشمس؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومن معه من الضعفة:

«**لَا تَرْمُوا حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ**»[١]، وفي المسألة خلاف، فبعض أهل العلم لا يجيز الرمي للقادر قبل طلوع الشمس، ولكن الصحيح: جواز ذلك، لاسيما في هذه الأيام والزمن المتأخر، حيث يتهيأ للناس سبل النقل، وتيسرت لهم الأسفار، فأصبح الحجيج أضعاف أضعاف ما كان عليه الناس في السابق، فإنه خلال أقل من عشرين سنة ازداد عدد الحجيج زيادة كبيرة جدًّا، وما ذاك إلا بتوفيق الله وتيسيره للعباد وسهولة النقل، وتيسير الأمن في هذه البلاد.

وقد كان الناس في الزمن القديم إذا عزم أحدهم على الحج يودعه أهله توديع من يتوقعون عدم رجوعه؛ لخوف الطريق، والخوف في هذه البلاد؛ حتى يسَّر الله جَلَّ وَعَلَا للناس هذا الأمن، وذلك من فضل الله جَلَّ وَعَلَا وتوفيقه، فإنه لا حول ولا قوة إلا به جَلَّ وَعَلَا، فكل فضل مرجعه إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو المستحق للحمد كله.

ورمي الجمرة يستمر يوم العيد إلى الغروب، لكن من فاته الرمي ولم يفرط جاز له أن يرمي بعده لليوم الذي مضى، والأفضل للخروج من الخلاف أن يتعجل بالرمي في النهار، أو يؤخره إلى الغد بعد الزوال.

وأما في اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر فلا يجوز الرمي إلا بعد الزوال، ومن رمى قبل ذلك وجب عليه أن يعيد مادام في أيام الرمي، فإن مضى وقته فات وقت الجمرات.

ويجوز للإنسان أن يؤخر رمي الجمرات يوم الحادي عشر والثاني عشر

---

(١) أخرجه النسائي (٣٠٦٤)، وابن ماجه (٣٠٢٥)، وأحمد (١/ ٢٣٤)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ١٣١).

ويرميها كلها في اليوم الثالث عشر، لكن إذا أخرها فليرمها على الترتيب، يبدأ بجمرات اليوم الحادي عشر، على الأولى ثم الوسطى ثم جمرة العقبة، ثم يعود من جديد يرمي جمرات اليوم الثاني عشر، وهكذا.

ثم بعد الانتهاء من رمي الجمرات من أراد السفر فعليه أن يودع البيت بأن يطوف سبعة أشواط، ولا يحل له أن يودع إلى بعد أن ينتهي من أعمال الحج ومن رمي الجمرات، وقد ثبت في "الصحيح" من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: كَانَ النَّاسُ يَنْصَرِفُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ -وذلك عندما تنتهي أيام التشريق، فلا يتقيدون بجهة- فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَنْفِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ»**(١)، وفي لفظ: «أُمِرَ النَّاس أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالْبَيْتِ، إلا أَنَّهُ خُفِّفَ عن الْمَرْأَةِ الْحَائِضِ»(٢)، أي: لا يجوز لها الوداع، إذا حبسها الحيض أو النفاس وهي لم تودع، فإنها تنصرف ولا يجب عليها الوداع.

والهدي واجب للمتمتع والقارن، وكذا الفدية لمن عليه فدية، وهي شاة من الضأن إذا تم له نصف سنة، ومن الماعز ما تم له سنة، ومن البقر ما تم له سنتان، ومن الإبل ما تم له خمس سنين، ولا يجزئ ما كان أقل من ذلك.

ويُشترط في الهدي ما يُشترط في الأضحية، أي: لا تجزئ **«الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ عَرَجُهَا، وَالْكَسِيرَةُ الَّتِي لَا تُنْقِي»**؛ كما قال سيد البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٥٥)، ومسلم (١٣٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٨٠٢)، والترمذي (١٤٩٧)، والنسائي (٤٣٦٩)، وابن ماجه =

هذا مجمل أعمال الحج يا عباد الله، أسأل الله الكريم الجليل الجواد أن يوفقنا أجمعين لصالح الأعمال، وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتم لنا مناسكنا، وأن يتقبلها منَّا، وأن يعيدنا مغفورة ذنوبنا بمنِّه جَلَّ وَعَلَا وكرمه، كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لنا في هذا المكان أجمعين، وأن يغفر لأمواتنا أجمعين، وأن يتجاوز عنَّا وعن جميع المسلمين، وأن يهدي ضال المسلمين، وأن يصلحهم أجمعين، وأن يعزهم بطاعته، وألا يسلط عليهم بالمعاصي.

وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يُوفق القادة في كل مكان، أن يوفق قادة الأمة الإسلامية للقيام بأمره، وتحقيق شرعه، ونصرة الحق وأهله، وإذلال الباطل وأهله، إنه جَلَّ وَعَلَا فعال لما يريد، قادر على كل شيء، كما أسأله سبحانه أن يخصَّ ولاة أمر هذه البلاد بمزيد من الهداية والرشاد، والتوفيق والتسديد، والصلاح والاستقامة، والعزيمة الصادقة، وأن يوفقهم جَلَّ وَعَلَا للمحافظة على أمن هذه البلاد، وتوفير الراحة والاطمئنان والرفاهية لكل قادم إلى هذه البلاد، أو قاطن فيها، أو وافد من حاج ومعتمر وزائر، كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يوفقهم لتوفير سبل الراحة لجميع الحجاج والمعتمرين والزائرين، وأن يكافئهم سبحانه على ذلك بعزِّ الدنيا وثواب الآخرة بمنه جَلَّ وَعَلَا وكرمه، وأن يوفقهم للمحافظة على أمن هذه البلاد والمقدسات الإسلامية؛ من هذا الحرم الآمن، ومسجد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسائر هذه البلاد والسبل المؤدية إلى هذه البلاد بمنه جَلَّ وَعَلَا وكرمه، وأن يزيدهم من كل خير وقوة، وأن

=

(٣١٤٤)، وأحمد (٣٠/٤٦٨) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يوفقهم لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل قصدهم في ذلك كله إرضاء الله سبحانه.

كما أسأله جَلَّوَعَلَا أن يذل أعداءنا أعداء الدين، وأن يرينا فيهم عجائب قدرته، وأن يسلط عليهم سوء العذاب، وأن يصب عليهم العذاب، وأن يجعل كيدهم في نحورهم، وأن يجعل تدبيرهم تدميرًا لهم بمنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وكرمه.

كما أسأله سبحانه أن يذل اليهود والنصارى والمجوس والملحدين الباطنيين وسائر الكفرة المارقين في كل مكان، وأن ينصر المجاهدين في سبيله، وأن يعاجلهم بنصره وتأييده، وأن يقيم لهم دولتهم في بلادهم، وأن يخلص بلاد الإسلام من أيدي الشيوعية الحاقدة وسائر أهل الكفر في كل مكان.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يعز ذليل المسلمين، وينصر مظلومهم، ويرفع ضعيفهم، ويغني فقيرهم، ويشبع جائعهم، ويؤمِّن خائفهم، إنه أكرم الأكرمين وأرحم الرحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

❁ ❁ ❁

الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ
المَجْلِسُ الرَّابِعُ(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أتم الصلاة وأزكى التسليم، وبعد:

لقد شرع الله جَلَّ وَعَلَا لأمة الإسلام هذه الشريعة الغرَّاء التي جاءت بكل خير، شاملة لكل ما يحتاجه البشر، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وقد اختص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الأمة -أمة محمد صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بما لم يعطه أمة من الأمم؛ تفضلًا منه جَلَّ وَعَلَا وإحسانًا ومنَّة وكرمًا وجودًا على هذه الأمة، ومن أعظم ما امتن الله به على أمة الإسلام ما شرعه من حجِّ بيته الحرام، وما رتَّبه جَلَّ وَعَلَا على هذا الحج من غفران الذنوب والآثام، وما يسَّره سبحانه لعباده من الرفق والتيسير والإحسان والرأفة بهم، وهو الرؤوف الرحيم.

ثم إنه -كما تقدم- من نِعَم الله علينا وفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومنَّته على أمة محمد صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسَّر لها مَنْ حفظ لها آثار وأعمال نبيها صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبعد مضي أربعة عشر قرنًا لا يزال الناس يَرْوُون أعمال سيد الخلق وأفعاله في جميع تقلباته في حياته؛ من عبادات وعادات وعلاقات خاصة وعامة، وهذا من حفظ الله جَلَّ وَعَلَا لدين الإسلام.

أما الأمم قبلنا من أتباع الأنبياء فهم يتخبطون؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا لم يتكفل

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ٢٥/١١/١٤٠٨هـ.

بحفظ شرائعهم، وإنما استحضر الأحبار والرهبان لدينهم، وأما دين الإسلام فقد قال الله جَلَّوَعَلَا بشأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، ومن حفظ هذا الذكر حفظ ما يحتاج الناس إليه لمعرفة معانيه، وتوضيح نبي الهدى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لمجمله وبيان تفصيله، إلى غير ذلك مما هو معلوم.

ومن ذلك: مناسك الحج التي لا تجب على المسلم إلا مرة في العمر، وما زاد عن ذلك فهو تطوع، ومع ذلك فهي -بحمد الله- محفوظة ميسَّرة مودعة كتب العلم، نُقلت إلينا بواسطة رجال أمناء على شريعة الإسلام، بذلوا أنفسهم وأموالهم، وهجروا أوطانهم وتركوا كل ما يملكون ابتغاء مرضاة الله جَلَّوَعَلَا، فماذا كان؟ آتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة؛ إذ إنه اختارهم لصحبة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فكانوا أبر الناس، وأوفى الناس، وأصدق الناس بعد الأنبياء، وأكمل الناس في كل خصلة من خصال الخير، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، إنما يختار خيرته من خلقه، خيرة البشر في وقته، ثم بَلَّغ أولئك الأمجاد شريعة الإسلام لمن جاء بعدهم حتى انتشر العلم وعمَّ الضياء، وشاع الخير والفلاح، فصار الإنسان في أقصى بلاد الإسلام يعرف أماكن الحج ومسافاتها وبُعْد كل مشعر عن المشعر الآخر، حتى بأدق القياسات، وهذا من حفظ هذه الشريعة، وإرادة الله جَلَّوَعَلَا للعباد ألا يقع عليهم إشكال.

وقد مرَّ فيما مضى شيء من بيان مجمل أعمال الحج، ولا شك أن الحاج إذا أحرم وجب عليه أن يتجنب الطِّيب، وأن يتجنب لبس المخيط؛ من قميص

وسراويل وعمامة وغير ذلك، فترى الناس على كثرتهم لا يختلف لباس الرجال بعضهم عن بعض؛ كأنما يحكي الموقف الأكبر يوم العرض على المولى جَلَّ وَعَلَا، فتذوب الفرائض، وتنمحي السمات، وتزول آثار النِّعَم إلا القليل، فترى الناس متشابهين في ملابسهم، وفي لهجتهم، وفي توجههم إلى الله، إلا من شذ.

وعلى الحاج حال إحرامه أن يتجنب تغطية رأسه بملاصق؛ من عمامة، وغُترة، وما يسمى بالطاقية، وكل ما يوضع على شكل لباس على الرأس، أما أن يحمل متاعًا على رأسه يحتاج إلى أن يحمله، فلا حرج في ذلك إن شاء الله.

ويتجنب المحرم تقليم الأظفار، وقص الشعر، وتعمد شم الطيب، كل ذلك محظور على المحرم، ولا بأس أن يغتسل المحرم حال إحرامه، ولا بأس أن يحرك شعر رأسه في الاغتسال، فقد ثبت أن المسور بن مخرمة وعبد الله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تماروا هل يغسل المحرم رأسه؟ فقال المسور: لا، وقال ابن عباس: بل يغسل رأسه، فأرسل من يسأل أبا أيوب الأنصاري -وهو من كبار أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فجاءه الرسول وإذا هو يغتسل، فقال له: أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَسْأَلُكَ: كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ؟ فَوَضَعَ أَبُو أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدَهُ عَلَى الثَّوْبِ فَطَأْطَأَهُ حَتَّى بَدَا رَأْسُهُ، ثُمَّ قَالَ لِإِنْسَانٍ يَصُبُّ: اصْبُبْ، فَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ حَرَّكَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ: «هَكَذَا رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ»[(١)].

فلا حرج على المحرم لو اغتسل في اليوم أكثر من مرة، كما أنه لا حرج على المحرم أن يغير ملابس إحرامه، أو أن يغسلها، كل ذلك لا بأس به ولا حرج

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٤٠)، ومسلم (١٢٠٥).

فيه إذا التزم الهيئة والكيفية للمحرم.

وعلى المحرم أن يتجنب الخوض في الكلام والدخول فيما لا يعنيه، ومن أسوأ ذلك الوقيعة في أعراض المسلمين بالغيبة أو النميمة، فهي من أفظع ما يبطل ثواب الحج.

ومن المساوئ -أيضًا- أن يشغل وقته الضيق باستماع الإذاعات، ولاسيما استماع اللهو والطرب، فهو إنما جاء يتقرب إلى الله ويطلب عفو مولاه، ومغفرة ذنوبه، ومحو سيئاته، وما بمثل ذلك تُستجلب رحمة الله جَلَّ وَعَلَا، إنما تُستجلب الرحمة والمغفرة بالابتهال والافتقار والإكثار من الأذكار، والتذكر لذلك اليوم؛ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]، يوم لا ينفع نفسًا إلا ما قدمته من عمل، فيستعد الإنسان لذلك الموقف.

وعلى الحاج أن يعتني بحفظ وقته، وهو وقت قليل محدود، أيام محدودة، إذا هو حفظها واعتنى بها وشغلها بطاعة ربه جَلَّ وَعَلَا أثمرت له -إن شاء الله- صلاحًا في النفس، واستيقاظًا في الضمير، وإقبالًا على الله جَلَّ وَعَلَا، وتعلقًا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واعتمادًا عليه، وثقة بنصره جَلَّ وَعَلَا لناصريه، وناصروه إنما هم الذين يتمسكون بطاعته ويتجنبون معاصيه.

إن الحاج سيرى كثيرًا من الناس يتمازحون ويتضاحكون، والوقت أضيق من أن يُضاع بمثل هذه الأعمال، فكيف إذا أُضيع بالتفكير السيئ، وارتكاب المحظور، والوقيعة في الناس هنا وهناك، وتتبع العورات واقتناصها، ومن يفعل ذلك إنما أدرك من سفرته العناء والتعب، وفاز بخسارة المال وهجران الوطن، وأساء استعمال وقته في أماكن جديرة بأن يُعتنى بالعمل فيها، وفي مواطن خليق بالمسلم أن يتذكر حجة الوداع يوم حج سيد الخلق

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأبصار شاخصة، والقلوب متيقظة متفتحة لترى وتسمع ما يقول سيد الخلق، وأنت بعد ألف وأربعمائة سنة تقريبًا تستطيع أن تسمع وتتصور مواقف سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما ذاك إلا فضل من الله جَلَّ وَعَلَا، فأكثر من حمده والثناء عليه وشكره على هذه النعم العظيمة.

إن هذه الأماكن المفضلة التي هي أشرف بقاع الأرض على الإطلاق جديرة بالمسلم أن يعرف حقها، وأن يعتني بتعظيمها واحترامها، والإكثار من العمل الصالح فيها، والصدِّ عمَّا حرَّم الله، والحرص على الاستفادة منها بالعمل الصالح والذكر، والتزود بالتقوى والعلم والمعرفة، واحترام عبادة الله أن يُصرف شيئًا منها لغير وجه الله، فإنه جاء في الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه جَلَّ وَعَلَا: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[١]، فإذا هو طاف بهذا البيت العتيق وقال: (لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك)، وتمسَّح بأركان البيت العتيق، فكأنما غسل يديه من أدران الذنوب، وأزال ما لوثها من المعاصي، فإياه ثم إياه أن يعود للتمسح بأهداب بيت غير هذا البيت، أو التمسح بأركان بيت غير هذا البيت، فإنه لا بناء على وجه الأرض يُتمسح به ويُتبرك بالطواف حوله سوى هذا البيت العتيق، ومن طاف بسواه فقد أبطل طوافه في هذا المكان.

فليحذر المسلم -يا عباد الله- فإن الشيطان يركض على بني الإنسان بخيله ورجله، ويبث رجالًا ويشيع فتنًا، ويرسل أناسًا يدعون الناس إلى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الباطل، يتكلمون بألسنتنا، ويتزيون بزيِّنا، وينبتون في أوطاننا -أوطان أمة الإسلام- لكنهم جند من جنود الشيطان، فليحذرهم المسلم وليجتهد في الحذر منهم.

ومن اعتصم بكتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسنة سيد الخلق محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعضَّ على ذلك بالنواجذ، واهتدى بهدي سلف الأمة في ذلك، الذين وصفهم سيد الخلق بأنهم خير القرون؛ كما ثبت في "الصحيح" من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **«خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»**، قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»**[1]. هؤلاء هم الذين يأتون بعد هذه القرون المفضلة، التي حمى الله بها الدين، وجمع بها السنة، وأبان بها المحجة، ووُضعت فيها المؤلفات العظيمة التي كل من يأتي بعدهم إنما يستقي من مشربهم ويرتوي من المعين الذي خلَّفوه، فلله الحمد والمنَّة، والفضل له جَلَّ وَعَلَا على عباده.

فاحرص -يا أخي- على أن تحفظ نفسك، ولا يغترن أحد منَّا بكثير من الناس، فإن زمننا ملآن بالفتن، وقد اختلفت أشكالها، وتعددت أصنافها، وتنوعت ألوانها، والمعصوم من عصمه الله، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال:٢٩]، والفرقان: هو التمييز بين الحق والباطل، والتفريق بين الصحيح والسقيم من الأعمال، وكل ذلك إنما يرجع

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

إلى التقوى، من اتقى الله صادقًا أنار له قلبه، وأيقظ بصيرته، ووفقه إن كان عالمًا للعلم النافع، وإن كان مقتديًا وفقه لسؤال أهل العلم الذين يقولون الحق ولا يخافون فيه لومة لائم، فاحرص يا أخي.

وإن أمتنا الإسلامية -بحمد الله- قد جعل الله لها نورًا تستضيء به؛ كتاب الله الكريم وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما اختاره سلف الأمة في القرون المفضلة، وما بينه أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن فضل الله علينا أن ذلك كله مدوَّن، أقوال الصحابة، وأقوال التابعين، وأقوال أتباعهم وأتباعهم من الأئمة الأربعة وتابعيهم، كل ذلك -بحمد الله- مدوَّن، فما على الإنسان إلا أن يرجع إن كان قادرًا بنفسه، أو يسأل أهل العلم، وإذا سأل فليتحقق عن صحة ما يُفتى به ويُبان له، وهل هذا هو الذي عليه صدر هذه الأمة؟ فإن أفضل الأعمال ما كان عليه صدر أمة الإسلام قبل أن تتفشى فيها الطرق، وقبل أن تنتشر فيها البدع، وقبل أن يكثر فيها الدعاة إلى أنواع مختلفة من الباطل، وقبل أن تُبنى فيها المساجد على القبور ويُدعى فيها غير الله!

فاحرص -يا أخي- واتخذ من الحج نجاةً لنفسك، وإقبالًا على ربك، وتعلقًا به جَلَّ وَعَلَا، وعهدًا معه ألا تتمسح بأركان بيت بعد بيته العتيق، وألا تُقَبِّل بناءً بعد تقبيلك هذا الحجر الكريم في هذا البيت العظيم، فإن سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبَّله، وجاء في "الصحيح" أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أفضل هذه الأمة بعد رسول الله وبعد أبي بكر الصديق لمَّا قبَّل الحجر قال: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ

صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»[(١)]، قال ذلك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ لـمَّا كثر الناس، وكان العرب في الجاهلية يعبدون الأحجار والأشجار ويتخذون لأنفسهم أصنامًا يصنعونها بأيديهم، فبيَّن لهم أنه إنَّما يقبل الحجر اتِّباعًا لا طلبًا لمددٍ من ذلك الحجر؛ إذ لا يقدر على المدد إلا من بيده تصريف الأمور كلها وهو الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

إن كثيرًا من الناس -يا عباد الله- يرجعون إلى بلاد فيها أبنية على الأضرحة، وحول تلك الأبنية طواف كما يُطاف بهذا البيت العتيق، وقد شاهدت بعضًا من ذلك، فاحذر يا أخي، فإن الشيطان يسعى لإضلال الناس، وأعظم ما يسوؤه تنزُّل الرحمة على الناس في يوم عرفة، فإن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: **«مَا رُؤِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ، وَلَا أَدْحَرُ، وَلَا أَحْقَرُ، وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ في يَوْمِ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى من تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوُزِ اللهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ»**[(٢)]؛ ذلك أن الشيطان يغيظه أن يغفر الله جَلَّوَعَلَا لأمة محمد، وأن يتجاوز عن سيئاتهم، وأن يمحو عنهم خطاياهم، فغيظوه بكثرة التعلق بالله والاعتماد عليه، والعزيمة الصادقة على أن تستمروا على التوحيد الخالص، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:٣].

ثم اجتهدوا في إتمام أعمال حجكم، والوفاء بسننها.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٣٢) عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلًا، ومن طريق مالك رواه عبد الرزاق في مصنفه (٥/١٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٦١)، وقال البيهقي في فضائل الأوقات (ص٣٥٥): «هذا مرسل حسن، ورُوي من وجه آخر ضعيف عن طلحة، عن أبي الدرداء، عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ».

أما أركان الحج، فهي: الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الإفاضة، فلابد من ذلك، ولا يرفع عن أحد بالنسبة لهذه الأركان ما عدا تجنب المخيط في الإحرام، إذا كان الإنسان مضطرًّا، فالذي يعدم الرداء والإزار يجوز له أن يحرم بالسراويل؛ كما قال ذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما سُئل: مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ؟ فَقَالَ: **«لَا يَلْبَسُ الْقَمِيصَ، وَلَا السَّرَاوِيلَ، وَلَا الْبُرْنُسَ، وَلَا ثَوْبًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ وَلَا وَرْسٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَّيْنِ، وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ»**[1]، وهذا حين كان في المدينة، وفي عرفات ذكر ذلك، ولكنه لم يذكر القطع، فقال: **«مَنْ لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَّيْنِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِزَارًا فَلْيَلْبَسْ سَرَاوِيلَ لِلْمُحْرِمِ»**[2]، وترك لنا أنواع الألبسة؛ من أخضر، وأزرق، وأحمر، وأبيض، إلا أن الأفضل في حق الرجال أن يلبسوا البياض؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ»**[3].

وأعظم أركان الحج الوقوف بعرفة؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الحَجُّ عَرَفَةُ، مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعٍ قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ فَقَدْ أَدْرَكَ الحَجَّ»**[4]، من لم يقف في عرفة ولو لحظة واحدة قبل طلوع فجر يوم العيد، فلا حج له، فليحرص المسلم إذا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦)، ومسلم (١١٧٧) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٤١) واللفظ له، ومسلم (١١٧٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٧٨)، والترمذي (٩٩٤)، وابن ماجه (١٤٧٢)، وابن حبان (١٢/٢٤٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه أبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)، والنسائي (٣٠١٦)، وابن ماجه (٣٠١٥)، وأحمد (٣١/٦٣) من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

خرج من عرفة أن يتأكد أنه وقف فيه داخل الأميال المنصوبة، وقد نُصبت أميال تبين انتهاء عرفة من جهة مكة وابتداءها، فليحرص الحاج على الدخول فيها، ولا يجوز له أن ينصرف قبل غروب الشمس، وإن انصرف فحجه صحيح إلا أنه يجب عليه ذبح شاة لما انتقص من أعمال حجه؛ لأن الانصراف قبل الغروب انتقاص ينتقصه العبد من حجه.

ويستدل على صحة الحج إن انصرف الحاج قبل الغروب بما ثبت من حديث عروة بن مضرس الطائي، أنه أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فجر يوم النحر، بعد أن صلَّى الفجر في مزدلفة، وقال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي جِئْتُ مِنْ جَبَلَيْ طَيِّئٍ، أَكْلَلْتُ رَاحِلَتِي، وَأَتْعَبْتُ نَفْسِي، واللهِ مَا تَرَكْتُ مِنْ حَبْلٍ إِلَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ، فَهَلْ لِي مِنْ حَجٍّ؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ شَهِدَ صَلاتَنَا هَذِهِ»**، يعني: صلاة الفجر في مزدلفة، **«وَوَقَفَ مَعَنَا حَتَّى نَدْفَعَ، وَقَدْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، فَقَدْ أَتَمَّ حَجَّهُ، وَقَضَى تَفَثَهُ»**(١)، فدل ذلك على أن إدراك الحج يتم بحصول وقت للإنسان في يوم عرفة في عرفة، واختُلف فيما قبل الزوال، لو وقف بعرفة قبل الزوال هل يدرك الحج أو لا؟ محل اختلاف، ولستم بحاجة إلى ذلك إن شاء الله، إنما يحرص الإنسان على الدخول إلى عرفة.

ثم اعلموا أن الذهاب إلى الجبل الذي يُسمَّى جبل الرحمة، وتسميه العرب أَلَال، كما قال قائلهم(٢):

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٥٠)، والترمذي (٨٩١)، والنسائي (٣٠٣٩)، وأحمد (١٤٢/٢٦) من حديث عروة بن مضرس الطائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البيت للنابغة الذبياني، يُنظر: ديوانه (ص١٢٥).

بِمُصْطَحَبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ ... يَـزُرْنَ إِلالًا سَـيْرُهُنَّ التَّـدَافُعُ

يقصد بذلك: يزرن عرفة.

هـذا الجبـل لا يُـشترط أن تقـصده في حجـك، ولا أن تـصعد عليـه، ومـن ذهب يقصد الصعود عليه يتبرك ثم يعود إلى منزله فإنه ابتدع في دينه، أما إذا تيسر لك بيسر أن تقف في شرقي الجبل دون عناء ولا إتعاب لنفسك، فحسن، وإلَّا فإنك تنزل حيث يتيسر لك داخل حدود عرفة؛ كما أمر النبي المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس حينما بعث المنادين ينادون الناس: **«قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ»**[1]، يخاطب بذلك العرب عدنانيهم وقحطـانيهم، جميـع العـرب يخـاطبهم بهـذا الخطـاب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حتـى لا يحصل حرج ولا عناء في مزاحمتهم للذهاب إلى موقفه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي أيام الحج من الحرِّ والزحام والشدة مما قد يتعرض له الإنسان إذا ذهب إلى شرقي الجبل، وهو في غناء عن هذا، والله جَلَّ وَعَلَا لا يكلف نفسًا إلَّا وسعها، فالتزام مقر نزوله أفضل له من التجول والتعرض للتعب والمشقة مع ما في ذلك من مخالفة السنة، فإن السنة للحاج إذا صلى الظهر والعصر جمعًا وقصرًا في وقت الظهر أن ينزل مكانه، ويتوجه إلى القبلة، ويشتغل بالذكر، والثناء على الله، والتضرع إليه، وسؤاله المغفرة، وسؤاله ما يريد من مطالب الدنيا والآخرة، فإن الله كريم جواد، مهما عرَّضْتَ المسألة ومهما عَظُمَتْ في نفسك فإنها قليلة جدًّا في جنب فضل الله وكرمه وإحسانه، وتذكر وأنت تدعو ربك وتسأله في ذلك الموقف تذكر ما بينك وبين الناس، وإن استطعت أن

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩١٩)، والترمذي (٨٨٣)، والنسائي (٣٠١٤)، وابن ماجه (٣٠١١).

تتذكر قبل ذلك الموقف فتتخلص من حقوقهم وترد إليهم مظالمهم وتسلم من شرائرها فهو أفضل؛ حتى توافي ذلك الموقف وقد برأت ساحتك، وخف حملك، وتهيأت للإقدام على ربك، إن استطعت أن تفعل ذلك فافعل، واجتهد في ذلك غاية الاجتهاد، فرب دعوة تُستجاب لك يكتب الله جَلَّوَعَلَا لك بها السعادة في الدنيا والأمن من المكاره فيها، والفوز بالزحزة من النار ودخول الجنة، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]، هذا هو الفوز العظيم، وإن كنا نحب فوز الدنيا ويحرص الناس عليه، لكن الفوز العظيم والسعادة الحقة والنجاة التي لا يماثلها شيء هو الفوز برضوان الله جَلَّوَعَلَا، والحصول على كرامته التي أعدها ثوابًا وإكرامًا لعباده المؤمنين، ألا وهي الجنة.

فاجتهد -يا أخي المسلم- في ذلك الموقف، وإنه لوقت قليل، والموفَّق من استغرقه في طاعة ربه، وهو لا يزيد عن نصف نهار، وإن قيل لواحد منَّا: إنك إذا وقفت ست ساعات على قدميك لا تجلس تأخذ كذا وكذا من مطالب الدنيا؛ سيارةً، أو مبلغًا من المال لا تدركه إلا بعمل أشهر، لوجدت الصغير والكبير، والقوي والضعيف يتسابقون إلى ذلك؛ رغبة للفوز بهذه الجائزة! وقد لا يتلذذ بها، قد تكون منيَّته مهيئةً في وقت استحصاله عليها، أو قد تسبق ذلك!

أما المتاجرة مع المولى الكريم، والإخلاص في طاعته جَلَّوَعَلَا، فالله لا يكلفنا شيئًا من الشطط، وقد رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا واقفًا في الشمس، فقال: فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ فِي الشَّمْسِ

وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَأَنْ يَصُومَ. فَقَالَ: **«مُرُوهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ»**(١).

فربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أرحم بنا من أنفسنا، وإنما أرسل رسله ليدعونا إليه؛ حتى يثيبنا أجر العمل ويجزل لنا العطاء، فعلينا في هذه الرحاب الطاهرة أن نكون راجعين إليه مغتنمين بين يديه، متذكرين مشاكلنا ومتاعبنا وكرباتنا، سائلين إياه جَلَّ وَعَلَا أن يفرج كل كرب لنا، وأن يكشف كل غمٍّ عنَّا، وأن يعيذنا من كل سوء، ولنحرص -أيها المسلمون- في تلك المواقف وما قبلها وما بعدها على تصور عرصات يوم القيامة، يوم تدنو الشمس من الرؤوس، يوم يلجم كثيرًا من الناس العرقُ، يوم تفزع الخلائق، يوم يقول الأنبياء: اللَّهُمَّ سلِّم سلِّم، لنتذكر ذلكم الموقف، ولنستعد له بالعمل الصالح، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، يا له من فوز عظيم، ويالها من سعادة لا يماثلها شيء، ويالها من ثمرة يانعة! ما على الإنسان إلا أن يأخذ بأسباب اجتنائها؛ وذلك بالإقبال على ربه، والإعراض عن معاصي الله، والتبرؤ من ظلم العباد، فإن الله جَلَّ وَعَلَا قال -كما جاء في الحديث القدسي-: **«يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلا تَظَالَمُوا»**(٢)، لابد للإنسان أن يتجنب ظلمه لنفسه باستعمالها في المعاصي، وأن يتجنب ظلم العباد، ثم ليحرص المسلم على تحقيق آداء المناسك على الصفة التي أداها رسولنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لعله يفوز

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بالتوفيق والتسديد.

اللَّهُمَّ يا واسع الفضل والجود، يا أكرم الأكرمين، يا خير المسؤولين، يا خير الغافرين، نسألك في هذا المكان المبارك الطاهر بجانب هذا البيت العتيق أن تقيلنا من العثرات، وأن تغفرلنا الزلات، وأن تمحو عنا السيئات يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا وأمواتنا أجمعين، وذرياتنا وأزواجنا يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ أصلح منَّا الأقوال والأعمال، اللَّهُمَّ طهِّر قلوبنا، اللَّهُمَّ باعد بيننا وبين معاصيك، اللَّهُمَّ ارزقنا قلوبًا نقيةً، وأعمالًا صالحة طاهرة، وحسن اقتداء بسيد خلقك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ حبب إلينا ذلك، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان يا رب العالمين، اللَّهُمَّ لا تفرق جمعنا من هذا المكان المبارك إلا بذنب مغفور، وعمل مشكور، وسعي مبرور يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ اغفر لجميع أموات المسلمين، اللَّهُمَّ فرِّج الهمَّ عن أحبابنا وسائر أقاربنا والمسلمين أجمعين، اللَّهُمَّ اهدِ ضال المسلمين، اللَّهُمَّ أعز ذليلهم، وأغنِ فقيرهم، وانصر مظلومهم، واقهر ظالمهم يا رب العباد، اللَّهُمَّ أصلح أمة الإسلام في كل مكان، واهدِ ضالها.

اللَّهُمَّ وفق قادة أمتنا يا رب العباد لما تحبه وترضاه، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم البلاد والعباد، واستعملهم في طاعتك، وجنبهم أسباب معاصيك، اللَّهُمَّ ارزقهم خوفك ورجاءك في السر والعلانية يا أكرم مسؤول، اللَّهُمَّ وفقهم لتحكيم كتابك وسنة نبيك، والأخذ على أيدي السفهاء، وَأْطُرهم على الحق أَطْرًا، وانصر بهم أهل الحق والخير والصلاح يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ خُصَّ ولاة أمر هذا البلد الأمين بمزيد من التوفيق والتسديد

والعزة والصلاح والاستقامة، اللَّهُمَّ وفقهم لطاعتك، اللَّهُمَّ يسر لهم الأمور واجعلهم يا حي يا قيوم من أصلح عبادك، اللَّهُمَّ وفقهم لتوفير الراحة والطمأنينة والرفاهية والأمن والأمان لوفود بيتك الحرام وزوار مسجد رسولك الكريم، اللَّهُمَّ وفقهم لحفظ الأمن والأمان في هذه البلاد، وتوفير السعادة لكل قادم إليها أو قاطن فيها أو وافد من حاج ومعتمر وزائر، اللَّهُمَّ احفظ بهم الأمن، وصن بهم الحرمات، وأعز بهم المقدسات يا جواد يا كريم.

اللَّهُمَّ أذل أعداءهم، واكبت أعداءنا أعداء الدين، وأرنا في الظلمة المارقين عجائب قدرتك، اللَّهُمَّ أنزل بأسك الذي لا يُردُّ على القوم المجرمين على كل من أراد أن يكدر صفو الحجيج، أو أن ينغص عليهم عباداتهم، أو يفسد عليهم سكونهم وهدوءهم يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ وفق الحجاج والمعتمرين لإخلاص العمل لوجهك، والإكثار من ذكرك، وتجنب ما ينافي قدسية هذه الأماكن يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصرهم وأيدهم، اللَّهُمَّ أيدهم بالنصر والتمكين، اللَّهُمَّ سلطهم على أعدائك الكفرة المارقين، اللَّهُمَّ وفقهم يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ احقن دماء المسلمين، اللَّهُمَّ ضع عنهم الحروب والآثام، اللَّهُمَّ وفقهم لما تحبه وترضاه، اللَّهُمَّ أرنا في أعدائنا من اليهود وسائر الكفرة عجائب قدرتك، وأنزل بهم بأسك، وانصر عبادك المؤمنين في كل مكان يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على الهادي الأمين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ
المَجْلِسُ الخَامِسُ(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وسيد الأولين والآخرين، المبعوث رحمة للعالمين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فيا عباد الله! هنيئًا لمن وفَّقه الله جَلَّوَعَلَا لأداء مناسك الحج، وأخلص لله في العمل وعقد العزم على أن لا يرتكب معصية بعد اليوم، وتاب إلى الله جَلَّوَعَلَا مما سلف من الذنوب والآثام، هنيئًا لمن وفقه الله جَلَّوَعَلَا للوصول إلى هذه الرحاب، والتمسح بأركان هذا البيت، والجهر بالتلبية، والصلاة في هذه الأماكن، وكان نقيَّ السريرة، خالص النية، مقبلًا على ربه ملتجئًا إليه جَلَّوَعَلَا، هنيئًا لمن وفد إلى هذه الأماكن وكان من وفد الله جَلَّوَعَلَا الراغبين في ثوابه، الفزعين من ذنوبهم، الخائفين من البعد عن الله جَلَّوَعَلَا، هنيئًا لهؤلاء جميعًا ولمن تاب إلى الله سبحانه وأناب.

ثم ليعلم المسلم أن أحب الأعمال إلى الله جَلَّوَعَلَا ما كان أكثر متابعة لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الله لا يقبل عملًا لا تتحقق فيه المتابعة؛ لأن من شرط قبول العمل: إخلاصه لوجه الله، وصدق متابعته لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل الأعمال لا يُقبل منها إلا ما توفر فيه هذان الشرطان: الإخلاص لرب العالمين، ومتابعة سيد المرسلين نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ٢٦/ ١١/ ١٤٠٨هـ.

فليحرص المسلم وليَجِدَّ في ذلك، وليعزم على أن يتحرى حسن متابعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم إن مناسك الحج -يا عباد الله- لا سبيل إليها ولا وسيلة لتحقيقها إلا باتباع رسولنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لـمَّا قدم مكة حاجًّا عام حجة الوداع في السنة العاشرة من هجرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحرم من ذي الحليفة ميقات أهل المدينة، وأحرم معه جميع من أراد الحج والاتباع له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان أكثرهم إنما ينوي الحج المفرد، وكما سبق أن أوضحت أن العرب ما كانوا يعرفون العمرة في أشهر الحج، ولا يرونها تحل إلا بعد مضي وقت بعد خروج شهر صفر، ولأن ذلك إنما اخترعوه من أنفسهم فقد أبطله الله على لسان نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانت جميع العُمَر التي اعتمرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أشهر الحج، وأكمل ذلك وأوضحه عمرته مع حجته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبلغ ذلك أَمْرُه الناس الذين أحرموا معه أن يتحللوا من إحرامهم وأن يجعلوها عمرة، ولما راجعوه في ذلك وقالوا له: أي الحل؟، قال: «**الحِلُّ كُلُّهُ**»[1]، ولـمَّا قال له بعضهم: يا رَسُولَ الله، أَلَنا هذه خَاصَّةً؟ قال: «**لَا، بَلْ لِأَبَدٍ**»[2]، وفي رواية: فَشَبَّكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ: «**دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ**»، مَرَّتَيْنِ «**لَا، بَلْ لِأَبَدِ أَبَدٍ**»[3].

وبعد أن طاف وسعى تحلل أصحابه الذين لم يكن معهم هدي مسوق من

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٦٤)، ومسلم (١٢٤٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٣٠)، ومسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الحلِّ؛ تحللوا بالعمرة وصاروا حلالًا، فباشروا النساء، وتمتعوا بما يتمتع به الحلال، إلى أن جاء اليوم الثامن من شهر ذي الحجة المسمى يوم التروية، فأحرموا بأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتوجهوا معه إلى منى قبل صلاة الظهر، فصلوا معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منى الظهر والعصر والمغرب والعشاء وفجر يوم عرفة، يقصرون الرباعية، ثم توجهوا معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد طلوع الشمس من يوم عرفة من منى قاصدين عرفة.

ونزل الناس في منازلهم، ونزل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبة من أدم ضُربت له في نمرة، فلما زالت الشمس توجه إلى مكان الصلاة محل المسجد الآن، فخطب الناس خطبة بيَّن لهم فيها مناسك الحج، وبيَّن لهم نعمة الله عليهم، وبيَّن لهم أن دماءهم وأموالهم وأعراضهم حرام عليهم؛ لا يحل انتهاك عرض، ولا سفك دم، ولا أخذ مال إلا بحق الإسلام[1].

فلما انتهى من خطبته أذَّن المؤذن فصلَّى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحجاج؛ جميع الحجاج صلوا معه إلا من لم يتيسر له الوصول، صلى بهم الظهر قصرًا، ثم أُقيمت الصلاة فصلى بهم العصر قصرًا في وقت الظهر، ثم ركب ناقته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوجه إلى شرقي الصخرات الكبار الواقعة في شرقي الجبل الذي يُسمَّى جبل الرحمة، وتسميه العرب ألالًا، فوقف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك الموقف مستقبل القبلة، ثم قال: «**وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**»[2]، وفي

---

(١) كما في حديث أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).
(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

رواية: «**كُلُّ عَرَفَاتٍ مَوْقِفٌ، وَارْفَعُوا عَنْ بَطْنِ عُرَنَةَ**»(١)، وبطن عرنة مجرى الوادي المنخفض بجانب المسجد، من وقف فيه ولم يدخل حدود عرفة قبل فجر يوم النحر فلا حج له، ومن كان دونه إلى مكة فلا حج له، وقد أقيمت الأنصاب والأعلام الآن ليعرف العامي والمتعلم حدود عرفة؛ حتى لا يقف خارجها فيعود بدون حج.

فأخذ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك الموقف يثني على الله ويمجده، ويلبي ويكبر ويهلل، واستمر في ذكره ودعائه وثنائه على ربه جَلَّ وَعَلَا حتى غربت الشمس، فطيلة ذلك الوقت وهو على راحلته واقفًا يدعو، فلما غربت الشمس توجه إلى مزدلفة برفق ورأفة كان يوجه الناس ويرشدهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والناس عيونهم شاخصة ماذا يصنع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبماذا يأمر؛ ليبادروا بامتثال أوامره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حتى إذا وصل مزدلفة أذن المؤذن وأقام فصلى المغرب، ثم حطوا رحالهم فأُقيمت صلاة العشاء فصلاها ركعتين؛ أذن بلال أذانًا واحدًا وأُقيمت صلاة المغرب ثم أقيمت صلاة العشاء، ثم بعد ذلك استراح حتى إذا بزغ الفجر أول ما بزغ أذن المؤذن، ثم صلى الصلاة في أول وقتها، ثم ذهب فوقف عند المشعر ثم قال للناس: «**وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**»(٢)، يعني: المزدلفة، وفي

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧/٣١٦)، وابن حبان (٩/١٦٦)، والطبراني في الكبير (١٥٨٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/٤٩٨) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

رواية: «**كُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ، وَارْتَفِعُوا عَنْ بَطْنِ مُحَسِّرٍ**»(١)، وبطن محسر مجرى وادٍ يأتي من الشمال الشرقي من حدود منى، وهو ما بين منى ومزدلفة، ويهبط في الجبل الواقع في الجنوب الغربي لمنى، ثم يسير بجانب الجبل، ذاك هو بطن محسر.

فلما كادت الشمس أن تطلع وتسفر انصرف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت العرب لا تنصرف حتى تطلع الشمس وتشرق الجبال بطلوعها، فانصرف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل ذلك ليخالف هدي المشركين، فلمَّا وصل إلى منى بادر إلى رمية الجمرة فرماها سبع حصيات، وكانت قد التُقطت له عندما ركب منصرفًا من مزدلفة، وهزهن بيده الشريفة ليراها الناس، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم: «**بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»(٢)، ومقدار حجم الحصى التي التُقطت له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكبر من حبَّات الحمص بقليل، فلا يجوز للمسلم أن يرمي بأحجار كبيرة، ولا بأحذية، ولا بأعواد حطب، ولا بعِصِي، ولا بحديد، إنما الدين ما شرعه الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلما رمى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجمرة سبع حصيات، وكان حينما انصرف من عرفة ركب مع أسامة بن زيد، فلما انصرف من منى ركب مع الفضل ابن عباس، توجه فذبح ونحر الهدي، وكان ساق الهدي معه، ساق مائة ناقة

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٠١٢) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، وابن حبان (٩/ ١٨٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا غير هدي التمتع والقران، فنحر بيده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثًا وستين بدنة في موقف واحد، ثم ناول المدية عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فنحر البقية، فكان ينحر الناقة واقفة معقولة اليد اليسرى، فإذا نُحرت وتم النحر سقطت، ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا﴾ [الحج:٣٦] والوجوب هو السقوط.

وبعد الذبح أتى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحلاق فحلق رأسه، ثم توجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة، وقد أمر أن يؤخذ من كل ناقة قطعة لحم فجُمعت في قِدْر وطُبخت، فأكل منها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشربا من مرقها، فالأفضل أن يتناول الحاج من هديه إذا أمكن، وإن لم يتيسر فلا حرج عليه.

ثم ذهب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطاف بالبيت، ولم يسع؛ لأنه سعى قبل الحج، أما المتمتعون فإنهم لما طافوا بعد رمي الجمار سعوا بين الصفا والمروة؛ لأن المتمتع يطوف للعمرة ويسعى، ثم يطوف للحج ويسعى، وأما القارن والمفرد فإذا سعيا مع طواف القدوم قبل عرفة فلا سعي عليهما بعد النزول من عرفة، وإن لم يسعيا بعد طواف القدوم سعيا بعد طواف الإفاضة.

وبعض الناس في ذلك اليوم رمى الجمرة قبل الحلق، وبعضهم حلق قبل أن يذبح، وبعضهم جاء للبيت وطاف فيه وسعى قبل أن يرمي ويذبح ويحلق، فما سُئِلَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شَيْءٍ قُدِّمَ ولا أُخِّرَ إلا قال: «**افْعَلْ وَلَا حَرَجَ**»(١)، ثم مكث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منى يصلي الصلوات الخمس في وقتها ويقصر الرباعية؛ يقصر الظهر والعصر والعشاء، والناس معه يقصرون،

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤)، ومسلم (١٣٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولا فرق في ذلك بين من كان من سكان مكة أو من غيرها، لم يأمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدًا أن يتم الصلاة، لكن مَنْ كان مِنَ النازلين هناك طول الوقت فإنه لا يحل له القصر؛ لأنه ساكن في نفس المكان.

فلما صار في اليوم الثالث عشر ورمى الجمرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انصرف من منى، ونزل في الأبطح، ثم في ليلة الرابع عشر ودَّع البيت وتوجه إلى المدينة، مُنهيًا حجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا حرج على من أراد أن يتعجل إذا رمى الجمرة في اليوم الثاني عشر بعد زوال الشمس أن ينصرف من منى ويوادع، والوداع الذي يكون قبل رمي الجمرة في اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر لا يُعتد به؛ لأن الوداع من شرطه أن يكون بعد الانتهاء من أعمال الحج كاملة.

والوقوف بعرفة إلى غروب الشمس واجب، وأما الوقوف فيها ساعة من ليل أو نهار فهو ركن من أركان الحج، من لم يقف في عرفة قبل فجر يوم النحر ولو للحظة فلا حج له، ومن نزل خارج أميال عرفة وانصرف ولم يرجع إليها فهذا لا حج له، ذهب بدون حج، أما من انصرف قبل الغروب فحجه صحيح، لكن عليه ذبح ذبيحة لفقراء الحرم؛ لما انتقص من أعمال حجه.

والمبيت بمزدلفة واجب في أصح أقوال أهل العلم، فمنهم من يقول: هو ركن، ومنهم من يقول: ليس بركن. لكن أصح أقوال أهل العلم أنه واجب من واجبات الحج، فمن لم يبت فعليه ذبح شاة.

واختُلِف ماذا يجزئ من الوقت في مزدلفة؟ على خلاف بين أهل العلم، منهم من يقول: يحط الرحل ويصلي المغرب والعشاء وينصرف، ومنهم من يقول: إلى منتصف الليل، ومنهم من يقول: إلى ما بعد منتصف الليل. وأصح

أقوال أهل العلم: أنه إلى ما بعد منتصف الليل؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يأذن للضعفة من النساء والأطفال بالانصراف إلا بعد منتصف الليل؛ كما ثبت من حديث أسماء بنت أبي بكر[١]، وحديث ابن عباس[٢]، رضي الله عنهم أجمعين.

والمبيت في منى ليلة الحادي عشر وليلة الثاني عشر من واجبات الحج، ورمي الجمرات: جمرة العقبة يوم النحر، والجمرات الثلاث في اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من واجبات الحج، والرمي في اليوم الثالث عشر لمن لم يتعجل وبات في منى واجب عليه.

ووقت الرمي في يوم العيد يوم النحر يبدأ من بعد منتصف الليل ويستمر إلى الغروب، ومن فاته الرمي قبل الغروب جاز له أن يرمي وهو في الليل، وفي اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر لا يحل الرمي قبل زوال الشمس، ومن فاته الرمي في اليوم الحادي عشر والثاني عشر حتى غربت الشمس جاز له أن يرمي بعد الغروب، والأفضل وخروجًا من الخلاف أن يعتني الحاج برمي الجمرات في الأوقات التي رمى فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورمى أصحابه فيها، فإن كثيرًا من أهل العلم لا يجيزون الرمي في الليل،

---

(١) أخرج البخاري (١٦٧٩)، ومسلم (١٢٩١) عن عبد اللهِ مَوْلَى أَسْمَاءَ، قَالَ: «قَالَتْ لِي أَسْمَاءُ وَهِيَ عِنْدَ دَارِ الْمُزْدَلِفَةِ: هَلْ غَابَ الْقَمَرُ؟ قُلْتُ: لَا، فَصَلَّتْ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَتْ: يَا بُنَيَّ، هَلْ غَابَ الْقَمَرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: ارْحَلْ بِي، فَارْتَحَلْنَا حَتَّى رَمَتِ الْجَمْرَةَ، ثُمَّ صَلَّتْ فِي مَنْزِلِهَا، فَقُلْتُ لَهَا: أَيْ هَنْتَاهْ! لَقَدْ غَلَّسْنَا، قَالَتْ: كَلَّا، أَيْ بُنَيَّ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَذِنَ لِلظُّعُنِ».

(٢) أخرجه النسائي (٣٠٦٤)، وابن ماجه (٣٠٢٥)، وأحمد (١/ ٢٣٤)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ١٣١).

ولا يجيزون الرمي بعد غروب الشمس من يوم العيد ولا بعد غروبها من اليوم الحادي عشر أو الثاني عشر، أما اليوم الثالث عشر فلا يجوز الرمي بعد غروبها بأي حال.

والمتمتع والقارن عليه هدي ذبح شاة، وهي: ما تم له نصف سنة من الضأن، أو ما تم له سنة من الماعز، أو سُبْع بدنة، أي: سُبْع بعير، أو سُبْع بقرة، ولا يجزئ من البقر إلا ما تم له سنتان، ولا يجزئ من الإبل إلا ما تم له خمس سنين، والبقرة أو البعير يجزئ عن سبعة، والشاة والماعز لا تجزئ الواحدة إلا عن واحد فقط، وكذا في الفدية ما ترتب عليه فدية، وكذا في الأضحية: الإبل والبقر عن سبعة، والغنم عن واحدة، ويجوز لصاحب البيت ورب الأسرة أن يذبح أضحية واحدة عنه وعن أهل بيته، والأضحية غير الهدي.

ثم بعد ذلك لا يحل للحاج أن يسافر من مكة إلا بعد أن يودع هذا البيت العتيق، وقد ثبت في "الصحيح" من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: كَانَ النَّاسُ يَنْصَرِفُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ -وذلك عندما تنتهي أيام التشريق، فلا يتقيدون بجهة- فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَنْفِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ»**[1]، وفي لفظ: «أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالْبَيْتِ، إلا أَنَّهُ خُفِّفَ عن الْمَرْأَةِ الْحَائِضِ»[2]، أي: أنه لا وداع عليها، لكن طواف الإفاضة واجب على كل أحد.

هذا مجمل أعمال الحج أيها المسلمون، فأسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته

(١) أخرجه مسلم (١٣٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٥٥)، ومسلم (١٣٢٨).

أن يتم لحجاج بيت الله حجهم، وأن يتقبل منهم أعمالهم وسعيهم، وأن يرحمهم برحمته التي وسعت كل شيء، وأن يرزقهم الإخلاص في العمل لوجهه الكريم، اللَّهُمَّ يا جواد يا كريم، يا حي يا قيوم، يا أرحم الراحمين ارحمنا في هذا المكان أجمعين، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم، اللَّهُمَّ عاملنا بما أنت أهله يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ أصلح لنا الأقوال والأعمال، واختم بالصالحات أعمالنا، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ولأمواتنا أجمعين، وأصلح اللَّهُمَّ ذرياتنا وأزواجنا، وبارك لنا فيما أعطيتنا من أهل ومال وعلم وعمل، إنك أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تجعل حجنا حجًّا مبرورًا وسعينا سعيًا مشكورًا، وأن تغفر لنا وتعيدنا بذنب مغفور يا رب العالمين، اللَّهُمَّ ارزقنا بعد الحج التوفيق والسداد وأصلح لنا الأعمال يا جواد يا كريم.

اللَّهُمَّ أصلح فساد المسلمين، اللَّهُمَّ اهدِ ضالهم، وأشبع جائعهم، وأغنِ فقيرهم، واكسُ عاريهم، وأعز ذليلهم، وانصر مظلومهم، اللَّهُمَّ اقهر ظالمهم يا عزيز يا جبار، اللَّهُمَّ أصلح قادتنا، اللَّهُمَّ وفقهم لصالح العمل، اللَّهُمَّ وفقهم لما تحبه وترضاه، اللَّهُمَّ هيئ لهم من أمرهم رشدًا، اللَّهُمَّ أعزهم بطاعتك ولا تذلهم بالمعاصي، اللَّهُمَّ أقم على الأمة الإسلامية في كل مكان خيارها، وأزل عنها شرارها يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ وفق أمة الإسلام ووفق قادة المسلمين للتحكيم بكتابك الكريم وسنة نبيك محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ وفقهم لذلك، وأصلح بهم الأعمال والأقوال، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام وفق ولاة أمر هذا البلد وزدهم بكل خير، وأصلحهم وأصلح بهم، واحفظ بهم أمننا وأمن ربوع بلادنا، وصن بهم مقدساتنا، ووفقهم لتوفير

الراحة والرفاهية والأمان والأمن يا حي يا قيوم لوفود بيتك من الحجاج والمعتمرين والزوار يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ وفقهم لذلك وارزقهم يا حي يا قيوم العزيمة على الرشد، والغنيمة من كل برٍّ، وأكرم بهم يا رب العالمين وفود بيتك الكريم، اللَّهُمَّ ارزقهم خوفك ورجاءك، واجعل أحب الأشياء إليهم طاعتك وطاعة رسولك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ وفقهم لتوفير الراحة لحجاج بيتك العتيق، اللَّهُمَّ كافئهم على ذلك بعز الدنيا وثواب الآخرة.

اللَّهُمَّ اكبت أعداءنا أعداء الدين، اللَّهُمَّ أرنا في أعدائنا أعداء الدين من اليهود والمجوس والنصارى وسائر الكفرة المارقين عجائب قدرتك، وأرهم عقابك، اللَّهُمَّ أنزل بهم بأسك الذي لا يرد على القوم المجرمين.

اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ وفقهم للقيام بأمرك، وهيئ لهم دولة إسلامية قائمة بالعدل يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ عاجلهم بالنصر والتمكين، وسلطهم على أعدائك أعداء الدين، اللَّهُمَّ وفقهم لإقامة العدل في أوطانهم، واستبعاد سائر المنكرات عن بلادهم يا ذا الجلال والإكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيد الخلق أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ
المَجْلِسُ السَّادِسُ[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وسيد الأولين والآخرين، المبعوث رحمة للعالمين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

يقول المولى جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[النحل:١٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]، وإن من أجلِّ النعم على العبد توفيق الله إياه للإسلام، وهدايته لدينه، ومن أعظم النعم على المسلم أن يسهل الله له طريق الحج وييسر له الوصول إلى هذا البيت العتيق، ومن أعظم نعم الله على الحاج أن يوفِّقه لإخلاص العمل لله رب العالمين، وأن يسدده في أموره كلها، ويرزقه حسن المتابعة لسيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يوفقه لحفظ وقته وعدم انشغاله إلا بما يرضي ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن من أعظم النعم على الحاج أن يحج بمال حلال، وأن يؤدي المناسك تامَّة غير منقوصة، وأن يتَّقي ربه في ذلك كله، وأن يكف أذاه عن الناس، وأن يشتغل طول بقائه في هذه الأماكن المعظمة المشرفة بالإكثار من الصلاة، والإكثار من الذكر، وتجنب اللغو والكلام الذي لا فائدة من ورائه، والابتعاد عن كل ما يدنس قدسية الحج ويؤثر على هيبة الأماكن، ويسلب الحج عمَّا شُرع من أجله؛ عن إقامة ذكر الله إلى أمور ما أنزل الله بها من سلطان.

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١٤٠٨/١١/٢٧هـ.

فعلى الحاج أن يخاف ربه، وأن يحمده ويشكره، وأن يعلم بأن الله جَلَّ وَعَلَا أولاه نعمة تذوب نفوس عدد كبير من الناس حسرات على الحصول عليها، وقد يسَّرها الله له لا بحول منه وقوة، وإنما بفضل من المولى الكريم وإحسان لعبده.

ولقد تكرر على مسامع الكثيرين منَّا قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْعُمْرَةُ إلى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ ليس له جَزَاءٌ إلا الْجَنَّةُ»**[1]، وثبت -أيضًا- عن المصطفى الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**[2]، والأحاديث في هذا كثيرة، إذن كيف يكون برُّ الحج يا عباد الله؟

يكون برُّ الحج بأداء المناسك كاملة بأركانها وواجباتها، وتجنب ما يؤثر عليها وينقص من فضلها، وأن يحرص العبد دائمًا وأبدًا على تذكر هذه المنَّة والشعور بهذه المنَّة من الكريم الأكرم، وأن يحمده عليها، ويكثر من طاعته جَلَّ وَعَلَا.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما حجَّ أحرم من ذي الحليفة وهو في مصلاه، فلبى بتلبية التوحيد: **«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»**[3]، هذه هي تلبية التوحيد، يعني تلبية توحيد الله

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (١٥٤٩)، ومسلم (١١٨٤) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وكان ابن عمر يَزِيدُ فيها: «لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ، لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ».

وإفراده بالعبادة ونفي الشريك عنه؛ لأنه جَلَّوَعَلَا هو المستحق للعبادة التي لا يستحقها معه أحد، واستمر على تلبيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصحابة يلبون بهذه التلبية، ويلبي بعضهم بالزيادة: «لَبَّيْكَ ذَا المَعَارِجِ»، وبعضهم يقول: «لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا، تَعَبُّدًا وَرِقًّا»[١]، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمع فلا ينكر على أحد من ذلك، ولكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لزم تلبيته، فتلبية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل أنواع التلبيات.

ولمَّا وصل إلى مكة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغتسل لدخولها، والسبب أن الإنسان في الزمن القديم يبقى فترة طويلة ما بين إحرامه إلى أن يصل إلى مكة، أقل مدة يبقاها يبقى يومين حتى يصل إلى مكة، ومع ذلك إذا تيسر للإنسان أن يغتسل إذا وصل فحسن، ولو لم يمضِ على لبس إحرامه إلا وقت ضيق أو غير طويل.

ثم دخل مكة فابتدأ بالطواف سبعة أشواط، يجعل الكعبة عن يساره، ولا يدخل مع الحِجْرِ، وإنما يستكمل الطواف من وراء الحِجْرِ، ثم بعد ذلك لمَّا أتمَّ سبعة أشواط صلَّى خلف المقام ركعتين، ثم توجه إلى الصفا، وإذا أمكن أن يقبِّل الحجر قبَّله، وإذا شقَّ وأمكنه أن يمسه بيده مسَّ الحجر بيده ثم قبلها، أو مسَّ الحجر بشيء وقبَّل ما مسَّ الحجر، وإذا لم يتمكن من ذلك كبَّر ورفع يديه تجاه الحجر وسار، ويسن له مس الركن اليماني ولا يسن تقبيله، وما عدا هذين الركنين لا يشرع مسه من أركان الكعبة[٢].

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (١٣/٢٦٦) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في قصة ابن عباس مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا استلم معاوية الركنين الشامي والعراقي، قال له ابن عباس: «إِنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يَكُنْ يَسْتَلِمُ إلا الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَالرُّكْنَ الْيَمَانِيَ»، =

ثم خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الصفا فصعدها، وتلا قول الله -جل من قائل-: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٥٨]، حتى أتمها، ثم ذكر الله وأثنى عليه، ونزل فسار إلى المروة، حتى إذا كان في بطن الوادي أسرع في السعي[(١)] إلى أن ارتفع عن بطن الوادي، وهو ما كان ما بين المصباحين الآن، كان ما بينهما بطن الوادي منخفضًا، فلمَّا وصل المروة صعد وقال ما قال على الصفا، فأتم بذلك شوطًا؛ حتى أتم الأشواط السبعة على المروة، ثم أرشد الناس أن يجعلوا حجهم عمرة ويتحللوا من إحرامهم بعمرة، فلما تلكأ بعضهم أمرهم أمرًا لازمًا أن يتحللوا، فتحللوا بأمره إلا من ساق الهدي، واستمر هو محرمًا؛ لأنه ساق معه الهدي من الحل فصار بذلك قارنًا.

وفي اليوم الثامن أحرم ضحًى وتوجه إلى منى، وأحرم الصحابة معه، ولم يأتوا إلى البيت ليحرموا عنده، وإنما أحرموا من محل منزلهم في الأبطح[(٢)]، وكانوا يصلون الصلوات الخمس في الأبطح مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقصرون

=

فقال له معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس شَيْءٌ مِن الْبَيْتِ مَهْجُورًا»، فقال له ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، فقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صدقت. أخرجه الترمذي (٨٥٨)، وأحمد (١/٢٤٦)، والطبراني في الأوسط (٣/١٧)، وابن عبدالبر في التمهيد (١٠/٥٢).

(١) كما في حديث حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي تَجْرَاةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «دَخَلْنَا دَارَ أَبِي حُسَيْنٍ فِي نِسْوَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ»، قَالَتْ: «وَهُوَ يَسْعَى يَدُورُ بِهِ إِزَارُهُ مِنْ شِدَّةِ السَّعْيِ». أخرجه أحمد (٤٥/٣٦٣)، والدارقطني (٣/٢٩١)، والحاكم (٤/٧٩).

(٢) كما في حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «أَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَحْلَلْنَا أَنْ نُحْرِمَ إِذَا تَوَجَّهْنَا إِلَى مِنًى»، قَالَ: «فَأَهْلَلْنَا مِنَ الْأَبْطَحِ»، أخرجه مسلم (١٢١٤).

ولا يجمعون، ولـمَّا ذهب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى منى صلى فيها ظهر اليوم الثامن قصرًا، وعصر اليوم الثامن قصرًا، والمغرب، والعشاء قصرًا، ولما صلى الفجر وطلعت الشمس توجه إلى عرفة، فنزل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبة من أدم ضُربت له في نمرة، ولما زالت الشمس خطب الناس وبيَّن لهم مناسك الحج، وبيَّن لهم ما حرَّم الله عليهم جملة، فلما انتهى من خطبته أذَّن بلال وأقام الصلاة، فصلَّى الظهر قصرًا، ثم أقام للعصر فصلَّى العصر قصرًا.

وبعد ذلك توجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى شرقي الصخرات، إلى شرقي الجبل المسمَّى جبل الرحمة، فاستقبل القبلة هناك، وظلَّ راكبًا ناقته يلبي ويثني على الله ويحمده ويوحده حتى غربت الشمس، طيلة هذا الوقت وهو راكب على ناقته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشغول بالذكر والثناء على المولى الكريم، فلما غربت الشمس انصرف يمشي برفق ويأمر الناس بالرفق، حتى إذا وصل مزدلفة نزل فأذَّن بلال فصلى المغرب، ثم أناخوا رواحلهم، ثم أقام فصلَّى العشاء قصرًا، ثم نام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما بزغ الفجر صلى الصبح في أول الوقت، ثم وقف عند المشعر يدعو الله جَلَّ وَعَلَا ويثني عليه ويذكره؛ كما أمر الله تعالى بقوله: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٩٨] إلى آخر الآية.

ثم انصرف إلى منى قبل طلوع الشمس، ولـمَّا وصل إلى الجمرة الكبرى قطع التلبية ورماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة[١]، ثم نحر هديه على

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٦) عن عبد الرحمن بن زيد: «أَنَّهُ كَانَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَأَتَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، فَاسْتَبْطَنَ الْوَادِي، فَاسْتَعْرَضَهَا، فَرَمَاهَا مِنْ بَطْنِ الْوَادِي بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ النَّاسَ يَرْمُونَهَا مِنْ فَوْقِهَا، فَقَالَ: هَذَا
=

التفصيل الذي ذكرته سابقًا أكثر من مرة؛ نحر بيده ثلاثًا وستين بدنة ونحر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقية المائة، ثم بعد ذلك حلق رأسه، وأمر بقطعة لحم من كل ناقة فوضعت في قِدْر فطبخت، فأكل منها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشربا من مرقها، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ شَاءَ اقْتَطَعَ»**[1]، أي من أراد اللحم فليأخذ.

ثم بعد ذلك ذهب إلى البيت، فطاف طواف الإفاضة، وسعى المتمتعون مع طواف الإفاضة، والقارن إذا لم يكن سعى قبل الحج سعى بعد طواف الإفاضة.

ثم رجع وبات في منى ليلة الحادي عشر، ورمى الجمرات الثلاث في اليوم الحادي عشر بعد الزوال، وبات في منى ليلة الثاني عشر، ورمى في اليوم الثاني عشر بعد الزوال، وسافر المتعجلون بعد أن رموا الجمرات بعد الزوال، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتعجل، فبات ليلة الثالث عشر حتى رمى الجمرات في اليوم الثالث عشر بعد الزوال، ثم انصرف ونزل في الأبطح، فلما صار آخر الليل ليلة الرابع عشر جاء فطاف بالبيت، ثم توجه إلى المدينة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا مجمل أعمال الحج التي فعلها سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالواجب على الحاج أن لا ينصرف من عرفة إلا بعد غروب الشمس، فإن انصرف قبل ذلك وجب عليه فدية ذبح شاة لفقراء الحرم لا يأكل منها، وهي

=

وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَقَامُ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».

(١) أخرجه أبو داود (١٧٦٥)، وأحمد (٣١/٤٢٧) من حديث عبد الله بن قُرْطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

غير فدية التمتع والقران، وذلك ليتم حجه؛ لأنه انتقص من حجه جزءًا لم يحققه، فإن رجع إلى عرفة قبل طلوع الفجر ليلة العيد سقط عنه ذلك الواجب؛ لأنه يجب على الحاج أن يقف في عرفة ولو أقل القليل من ليلة العيد، ويجب عليه المبيت في مزدلفة ولا ينصرف منها قبل منتصف الليل، على خلاف بين أهل العلم، لكن أصح أقوال أهل العلم وجوب ذلك، فإذا انصرف بعد منتصف الليل صحَّ حجه، ولكن الأفضل أن يفعل كما فعل سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن ذلك هو أتم الأعمال، ومن أراد أن يكون حجه حجًّا مبرورًا فليتقيد بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن لم يحضر إلى عرفة إلا قبل الفجر من ليلة العيد وأدرك الدخول إلى عرفة قبل طلوع الفجر فقد أتم الحج، ومن لم يصل إلى عرفة إلا بعد طلوع الفجر فقد فاته الحج، إن كان محرمًا تحلَّل بعمرة، فيأتي إلى البيت ويطوف ويسعى ويتحلل، فقد جاء عروة بن مضرس الطائي -من أهل طيء، وجبل طيء في شمال الجزيرة- إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فجر يوم النحر، بعد أن صلَّى الفجر في مزدلفة، وقال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي جِئْتُ مِنْ جَبَلَيْ طَيِّئٍ، أَكْلَلْتُ رَاحِلَتِي، وَأَتْعَبْتُ نَفْسِي، واللهِ مَا تَرَكْتُ مِنْ حَبْلٍ إِلَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ، فَهَلْ لِي مِنْ حَجٍّ؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ شَهِدَ صَلاتَنَا هَذِهِ»**، يعني: صلاة الفجر في مزدلفة، **«وَوَقَفَ مَعَنَا حَتَّى نَدْفَعَ، وَقَدْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، فَقَدْ أَتَمَّ حَجَّهُ، وَقَضَى تَفَثَهُ»**[1]، فمن وقف في عرفة قبل طلوع الفجر أتم الحج.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٥٠)، والترمذي (٨٩١)، والنسائي (٣٠٣٩)، وأحمد (١٤٢/٢٦) من حديث عروة بن مضرس الطائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم ليعلم الحاج أن لعرفة أميالًا وحدودًا منصوبة يجب عليه أن يقف داخل هذه الأميال، فإذا وقف خارجها ولم يدخل إليها ولو لحظة فقد فاته الحج، وهذه الأميال منصوب عليها الآن علامات واضحة يراها الإنسان، ولو سأل عنها أي إنسان لدله عليها، فليحرص الحاج على ذلك.

وليحرص في أدائه للمناسك أن يصون سمعه وبصره ولسانه وجوارحه في هذه المواقف وفي كل مكان، لكن شرف المكان والزمان وهيبة الجمع العظيم تستدعي من الإنسان أن يكون أعظم خشيةً لله، وأشد تعلقًا بعفو الله، وأعظم رغبة في مغفرة الله جَلَّوَعَلَا ورحمته وعفوه، فليحرص الحاج في تلك المواقف على التضرع والابتهال والافتقار والإلحاح إلى الكريم الجواد؛ لعله أن يعفو عنه، ويتجاوز عن سيئاته وعن ذنوبه، ويعود به إلى أهله عودًا حميدًا، وأن يحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، فإن الله يستجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويغفر الذنوب وهو الغفور الرحيم، فليحرص الحاج -أيها المسلمون- على ذلك.

ثم إن المتمتع والقارن على كل واحد منهما هدي تمتع أو قران، وهو ذبح شاة، ووقتها بعد الرجوع من عرفة يوم العيد، ولا يحل قبل ذلك، فالنبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم ينحر إلا يوم العيد، لا هديه المسوق ولا الهدي عن التمتع أو القران عنه أو عن نسائه صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وسنة رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أولى بالاتباع، واتباع هديه وشرعه في الدنيا يفوز به العبد في الدنيا والآخرة.

ومن لم يكن معه مال يكفي لذبح هدي التمتع فإن ربنا جَلَّوَعَلَا يسَّر علينا، ورحمنا، وخفَّف عنَّا، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا

رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٩٦]، وحضور المسجد الحرام هو ما كان من رمضان، أي: قبل أشهر الحج، فمن أتى بأهله بعد أشهر الحج متمتعًا وجب عليه الهدي.

هذه -يا عباد الله- جملة مناسك الحج، فإذا أراد الحاج الانصراف وجب عليه الوداع؛ من رجل وامرأة، كبير وصغير، سقيم ومعافى، ولكنه خُفِّف عن الحائض والنفساء؛ كما ثبت في "الصحيح" من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[1].

فليحرص المسلم -أيها المسلمون- على إتمام المناسك، والمحافظة على آداب السلوك، وصيانة السمع واللسان والبصر، وكف الأذى، وإذا حصل لك مزاحمة أو مضايقة في طريق أو في مسجد أو في هذا المكان الطاهر المكرم فاحرص على أن تكون ليِّنًا غير جامد، عفيف اللسان، حريصًا على الرفق بإخوانك المسلمين، مشعرًا إياهم باهتمامك بهم وعطفك عليهم ورأفتك بهم وحبك إياهم؛ **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»**[2]، هكذا قال سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا رأيت من لم تكن هذه سمته فاعلم أن في إسلامه خللًا، وأن في قلبه غلًّا وحقدًا على المسلمين.

اللَّهُمَّ يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الرحمين، ويا واسع الفضل والجود، احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا ومن تحتنا، اللَّهُمَّ طهر نفوسنا وآتها تقواها، وزكها فأنت خير من طهرها وزكاها،

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٥٥)، ومسلم (١٣٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أنت ربها ومولاها، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ يا من كرَّمت هذا البيت وعظمته، ويا من دعوت العباد إلى حجه وزيارته، نسألك وقد يسَّرت لنا ذلك أن تجعل ذلك كفارة لذنوبنا، ومغفرة لخطايانا وسببًا لسعادتنا في دنيانا وآخرتنا، اللَّهُمَّ يا من أكرمتنا بالحضور إلى هذه الرحاب، ويسَّرت لنا السير والوصول إلى هذا المكان المبارك، نسألك أن تجعل ذلك عن رضى منك عنا، ورحمة منك بنا، وتوفيق منك لنا يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللَّهُمَّ أتمم لنا مناسكنا وأتم علينا فضلك، وارحمنا برحمتك، واغفر لنا ولوالدينا ولوالديهم وجميع أمواتنا وذرياتنا وأزواجنا وأقاربنا يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولهم، واغفر لجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين الذين هم على دينك الحق يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلح فساد المسلمين، اللَّهُمَّ اهدِ ضالهم، اللَّهُمَّ أعزَّ ذليلهم، وانصر مظلومهم، وأشبع جائعهم، واكسُ عاريهم يا حي يا قيوم.

اللَّهُمَّ اجمع شمل المسلمين، وألِّف ذات بينهم، وأصلحهم واهدِ قادتهم، اللَّهُمَّ اهدِ قادة المسلمين، وأصلحهم وأصلح بهم العباد والبلاد، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، وارزقهم خوفك ورجاءك والإياب إليك يا إله العالمين، اللَّهُمَّ أصلح بهم عبادك، اللَّهُمَّ اهد القادة واهد بهم، اللَّهُمَّ انصرهم بالحق ووفقهم للحكم بما أنزلت في كتابك أو على لسان نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ من أراد أن يفرق جمع المسلمين أو أن يجعل الضراء والأحقاد بينهم فأنزل به عذابك واجعله عبرة للمعتبرين يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ إن نبيك قال وهو أصدق الخلق: «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ،**

وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»[١]، اللَّهُمَّ يا إله العالمين أجب دعوة نبيك فيمن رفق بأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأجب دعوته في أهل الشقاء، اللَّهُمَّ اشقق على من شق على أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا عزيز يا جبار.

اللَّهُمَّ إنا نسألك أن ترحمنا وتتوب علينا، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام خصَّ ولاة أمر هذا البلد بمزيد من التوفيق والتسديد، والهداية والرشاد، والصلاح والاستقامة، اللَّهُمَّ وفقهم لما تحبه وترضاه، اللَّهُمَّ وفقهم لتأمين هذه الرحاب، والمحافظة على أمن هذا الوطن، وتيسير السبل المؤدية إلى هذا البيت العتيق وإلى مسجد رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ وفقهم لتوفير الراحة والرفاهية ورغد العيش والاطمئنان والأمان لوفود بيتك من حجاج وزوار ومعتمرين، اللَّهُمَّ كافئهم على ذلك بأفضل ما تكافئ به عبادك المؤمنين يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ اقمع أعداءنا أعداء الدين، اللَّهُمَّ انصر ولاة أمر هذا الدين، اللَّهُمَّ شد أزرهم بالحق وانصر الحق بهم يا كريم، اللَّهُمَّ إني أسألك أن تنصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ عاجلهم بالنصر والتمكين، وأقم لهم دولتهم، ومكنهم من رقاب أعدائهم وأموالهم، واستنقذ بهم أوطان المسلمين في كل مكان.

اللَّهُمَّ وفِّق الدعاة إلى الله، اللَّهُمَّ وفقهم وارزقهم صدق اللهجة، وافتح القلوب لراية الحق يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ أرنا في الظلمة الفجرة الماكرين من اليهود والنصارى والشيوعيين

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

والملاحدة الباطنيين عجائب قدرتك، اللَّهُمَّ شق عليهم، اللَّهُمَّ أنزل بهم بأسك الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيد الأولين والآخرين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ
المَجْلِسُ السَّابِعُ(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، خير من لبَّى وطاف بالبيت العتيق، وأكمل من رمى الجمار ووقف في عرفة، وخير من دعا إلى الله على بصيرة، عليه وعلى آله وصحابته أتم الصلاة وأكمل التسليم، وبعد:

أيها المسلمون حجاج بيت الله الحرام، إنه مهما تكرر للذكر منَّة الله علينا في تقريبه إيانا لهذا البيت العتيق، فإن ذلك من فضله جَلَّوَعَلَا ورحمته وإحسانه، والله جَلَّوَعَلَا نعمه لا تُحصى، وإحسانه على عباده لا حدود له، وعفوه عن عباده رغم كثرة سيئاتهم وخطاياهم لا ينتهي إلى حدٍّ، فله الحمد والنعمة، وله الفضل كله.

فاحرص -أيها المسلم- على معرفة حاجتك إلى ربك، وشدة افتقارك إليه، وعظيم كرمه وتتابع منّنه والثواب في إحسانه، واعلم أنه جَلَّوَعَلَا يفرح بتوبة التائب، ويفرح بدعاء الداعي، ويتعرض لعباده ليسألوه ويستغفروه، فإنه ثبت في الصحيح عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**لَلهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ**

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ١/١٢/١٤٠٨هـ.

وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»(١)، وفي رواية فيها زيادة: «**ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ؛ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ!**»(٢)، ما فهم ما يقول من عظم فرحه، فالله جَلَّ وَعَلَا -وله المثل الأعلى- أشد فرحًا بتوبة العبد إذا تاب إليه؛ ولذلك فإنه جَلَّ وَعَلَا في كل ليلة ينزل إلى السماء الدنيا -كما ثبت في "الصحيح"- فيقول: **هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟**»(٣).

فأين نحن من الحوائج العظيمة، ومن الذنوب المتراكمة، ومن الفقر إليه جَلَّ وَعَلَا الذي لا ينتهي إلى غاية؟! علينا أن نفزع إليه ونلتجئ إلى عفوه لاسيما أنتم يا من دنوتم من بيته العتيق، يا من درجتم في مدارج المصطفى، يا من تمسحتم بأركان البيت العتيق، احمدوا الله على هذا التوفيق، واشكروه واسألوه أن يثبت قلوبكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وعظموا حُرمات بيته، واعرفوا قدر هذا الحرم الكريم الآمن، واعرفوا قدر إخوانكم الوافدين إلى هذه الأماكن، راعوا لهم حُرمتهم، وأكرموا وفادتهم، وادعوهم وارفقوا بهم، فإن الرفق بالمؤمنين إحسان إليهم وإلى أنفسنا.

وليحرص المسلم أن يعرف حق إخوانه المسلمين، فإن المصطفى

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (١٥/٣٦٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو بنحو هذا اللفظ عند البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»**(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**(٢)، ولا شك أن في هذا المكان المبارك وعند هذه الكعبة المشرفة يحصل للناس زحام وعناء وضيق وضنك، لكن على المسلم أن يعرف أن هؤلاء إخوته، وفدوا إلى بيت ربهم يلتمسون ويرجون رحمته ويتعرضون إلى نفحاته، فليرفق بهم، وليتحمل ما يناله منهم، وليصبر على ما قد يُصيبه من أذى؛ احتسابًا للأجر وطلبًا للمثوبة من الله، ورغبةً في أن يرفُق الله به جَلَّ وَعَلَا، فإن الله يحب من عباده أهل الرفق والإحسان، ويحب من عباده أهل البِرِّ والعطف واللين مع إخوانهم.

ثم اعلموا -أيها المسلمون- أن برَّ الحج من أهم أسباب مغفرة الذنوب وتكفير الخطايا، وإعادة العبد يوم يعود وقد تخفَّف من الذنوب ونجا من جرائرها وسلم، وإن من برِّ الحج الإكثار من الذكر، والإكثار من الثناء على الله جَلَّ وَعَلَا والتكبير والتهليل، ودوام التلبية مع الإحرام مع المواظبة على ترداد كلمة الإخلاص كلمة التوحيد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير.

ثم اجتهدوا -أيها المسلمون- في أن تؤدوا مناسك حجكم على الطريقة التي أدَّاها إمامكم وقائدكم إلى الجنة، الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، سيد الخلق أجمعين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه لا طريق لنا إلى أسباب

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رضا الله، ولا إلى الدنو من جنته، ولا إلى الانطواء تحت رحمته، إلا بصدق المتابعة لسيدنا ونبينا محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنه حجَّ يوم حج وهو يتَّسم بالرفق بالأمة، والعناية بهم، والعطف عليهم، والإحسان إليهم، **«لَا فَضْلَ لِعَرَبِي على عَجَمِي، وَلَا لِعَجَمِي على عَرَبِي، وَلَا لِأَبْيَض على أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ على أَبْيَض، إِلَّا بِالتَّقْوَى، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»**[1]، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

ثم ليحرص المسلم -أيها المسلمون- على إتمام المناسك، والوفاء بأركانها، والمحافظة على واجباتها، وتكميل سننها ومُستحباتها، وإن الحج من أعظم العبادات التي تجمع بين التعب والنصب، وبذل المال، وهجران الأوطان، والتغرب عن الأهل والعشيرة؛ ولذا رتَّب الله على برِّه دخول الجنة والخروج من الذنوب كبائرها وصغائرها، إذا قبل الله توبة العبد وتحمل عنه حقوق العباد.

ثم اعلموا -أيها المسلمون- أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا جاء إلى هذا البيت جاءه مُعظمًا له، حاضًا للصحابة على كفِّ كل شيءٍ يضر بقدسية هذا المكان وشرف هذه البقعة، وقد طاف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالبيت مُبتدئًا من الحجر جاعلًا البيت على يساره، مُدخلًا الحجر مع البيت، يطوف ولا يدخل الحجر في طوافه، فلما طاف سبعة أشواط ذهب إلى المقام وصلى ركعتين خلفه، ثم

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ٤٧٤) من حديث أبي نضرة المنذر بن مالك عن رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٦٦): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح».

خرج إلى الصفا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقال: «**أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ**»، ثم تلا قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]، فصعدها وقال: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»[1].

ثم نزل عن الصفا وسعى إلى المروة، فلما صار في بطن الوادي عند المكان الذي فيه الآن مصباحان أخضران جرى جريًا حثيثًا حتى ارتفع من بطن الوادي، فسار إلى المروة وصعدها، وقال عليها مثلما قال على الصفا فتمَّ له بذلك شوطٌ، ثم عاد إلى الصفا وتم له شوطان، ولما وصل إلى مروة في الشوط السابع تم سعيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتم سعي الناس معه، فأمر من لم يسق منهم الهدي من الحلِّ أن يتحللوا بعمرة، وكان بعضهم لا يعرف إلا الحج ما نوى عمرةً مع حجه، فأمرهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتحللوا بعمرة، أما من ساق منهم الهدي من الحلِّ فقد بقي في إحرامه.

ثم نزل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأبطح يُصلي الصلوات الخمس، ولا يأتي إلى الكعبة للصلاة عندها؛ وذلك ليبين للناس دواعي التيسير والتخفيف والرفق بهم؛ لأنه لو جاء يُصلي هنا كل الأوقات لما ترك المسلمون من بعده ذلك، ولحصل على الناس عناء ومشقة، ولكنه كما وصفه ربه جَلَّ وَعَلَا: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، عليه أفضل الصلاة والتسليم، وفي عمله ذلك

(١) جزء من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صفة حج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخرجه مسلم (١٢١٨).

شرع للناس أن الحاج وغيره من أهل مكة له أن يُصلي جماعة في محلِّ منزله، وهو -إن شاء الله- مُدرك مُضاعفة الأعمال، وحاصلٌ -بإذن الله- على مائة ألف صلاةٍ لكل صلاة(١).

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة أمر حلَّ بعمرة من أن يحرم بالحج من مكانه في مكة، ثم توجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى منى وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، يقصُر الرباعية بهم، ويصلِّي الناس خلفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يأمر أحدًا ممن أتى إلى منى من مكة أو غيرها أن يتم صلاته، ولـمَّا طلعت الشمس من يوم عرفة توجه إلى عرفة، وسار الناس معه كأنه سيل يتجهون إلى عرفات، يرجون رحمة ربهم، ويسألونه المغفرة، ويُلبون بتلبية التوحيد.

ولما زالت الشمس خطب الناس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبيَّن لهم الحلال والحرام، وبيَّن لهم عظم الحج وفوائده، وبيَّن لهم حُرمة أنفسهم وأموالهم وأعراضهم إلا بحق الإسلام، ثم أذَّن المؤذن وأقام الصلاة، فصلى الظهر ركعتين، ثم أقام المؤذن فصلى بهم العصر ركعتين جمعًا في وقت الظهر، ثم توجه -صلوات الله

---

(١) كما في حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«فَضْلُ الصَّلاةِ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ عَلَى غَيْرِهِ مِائَةُ أَلْفِ صَلاة، وَفِي مَسْجِد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفُ صَلاة، وَفِي مَسْجِدِ بيْتِ المَقْدِسِ بِخَمْسِمائة صَلاة»**، أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٢١٢) برقم (٤٢٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٨٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧): «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام، وهو حديث حسن».

وسلامه عليه- إلى شرقي جبل عرفات جبل ألال المُسمَّى جبل الرحمة، فوقف شرقيه عند الصخرات الكبار، وقال للناس: **«وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»**[١]، وفي رواية: **«كُلُّ عَرَفَاتٍ مَوْقِفٌ، وَارْفَعُوا عَنْ بَطْنِ عُرَنَةَ»**[٢]، وبطن عُرنة -يا عباد الله- هو مجرى السيل الذي يأتي من عند ركن المسجد.

واستمر يُلبي ويُثني على الله ويُوحده حتى غربت الشمس وهو واقف، ثم انصرف -عليه أفضل الصلاة والتسليم- وأصحابه معه يتلقون ما يقول ويقولون مثلما يقول، وقد أمر الناس أن يلزموا أماكنهم التي نزلوا فيها من عرفات، وبعث إليهم من ينادي ويقول: **«قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ»**[٣].

ثم وجَّه الناس إلى الرفق والسكينة وعدم المضايقة، فكان وهو يمشي يشنق لناقته زمامها حتى تمس أُذناها مقدمة رحله عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهو يقول: **«أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ»**[٤]، والإيضاع هو الإسراع في السير[٥].

فلمَّا وصل مزدلفة أذَّن المؤذن، فصلى بالناس المغرب، ثم أُقيمت الصلاة

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣١٦/٢٧)، وابن حبان (١٦٦/٩)، والطبراني في الكبير (١٥٨٣)، والبيهقي في الكبرى (٤٩٨/٩) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (١٩١٩)، والترمذي (٨٨٣)، والنسائي (٣٠١٤)، وابن ماجه (٣٠١١).

(٤) أخرجه البخاري (١٦٧١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) يُنظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (ص١٦٧)، ومشارق الأنوار (٢٩٠/٢)، ولسان العرب (٥٨٧/٢).

فصلى بهم العشاء ركعتين، ثم استراح عليه أفضل الصلاة والتسليم، ولما طلع الفجر أذَّن المؤذن، ثم صلى الصلاة في أول وقتها، ثم ذهب إلى المشعر الحرام ووقف يذكر الله ويُثني عليه؛ كما قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٩٨]، وقال للناس بمزدلفة: **«وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»**(١)، جمعٌ هي مزدلفة لاجتماع الناس بها، وفي رواية: **«كُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ، وَارْتَفِعُوا عَنْ بَطْنِ مُحَسِّرٍ»**(٢)، وبطن مُحسر هو مجرى السيل يقصد بين منى ومزدلفة، فإذا التقى بالجبل من جهة الجنوب هذا هو بطن مُحَسِّر.

فلما أسفر قبل طلوع الشمس انصرف وتوجه إلى منى وأمر ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن يلقط له الحصى، فلقط له سبع حصياتٍ من الطريق، فأخذهن وهزهن بيده -عليه أفضل الصلاة والتسليم- وقال للناس: **«بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»**(٣)، وكانت الحصيات التي لُقطت له أكبر من حبة الحمص وأقل من ثمرة البندق، فلما وصل الجمرة الكبرى توقف عن التلبية(٤)، ووقف في بطن الوادي، فجعل مكة عن يساره ومنى عن يمينه ووجهه إلى الجمرة، فرماها بسبع حصيات

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٠١٢) من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، وابن حبان (٩/ ١٨٣) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٤) كما في الحديث عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ أُسَامَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كَانَ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ أَرْدَفَ الفَضْلَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مِنَ المُزْدَلِفَةِ إِلَى مِنًى، قَالَ: فَكِلاهُمَا قَالَ: «لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ»، أخرجه البخاري (١٥٤٤)، ومسلم (١٢٨١).

يُكبر مع كل حصاة[1]، وكانت الجمرة في ذلك الوقت تستند إلى جبلٍ، هذا الجبل أزالته هذه الحكومة -وفقها الله- توسعة للحجاج في طرقهم ومساراتهم، ولو أن هذا الجبل والعقبة التي عنده التي سُميت جمرة العقبة بها باقيان إلى الآن؛ لكان على الناس من العناء والضيق والشدة والزحام ما لا يعلمه إلا الله، أدركنا ذلك، ولكن نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يُجازي أهل الإحسان بالإحسان في كل مكان.

ثم رجع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى منزله، وذهب إلى المنحر وذبح هديه، وأمر أن يُؤخذ من كل بدنة قطعة لحم، ووُضعت في قِدْر فطبخت، وأكل منها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وشربا من مرقها؛ لأنه أشرك عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الهدي، ثم بعد ذلك حلق رأسه، ثم جاء إلى البيت فطاف طواف الإفاضة والمُحرمون المُتمتعون طافوا وسعوا لعمرتهم؛ لأن المتمتع طواف مع عمرته وسعى لها ثم تحلل، فإذا رجع من عرفات وطاف طواف الإفاضة سعى للحج، أما القارن والمفرد فإن كانا سعيا قبل عرفة فإنه لا يبقى عليهما إلا الطواف، وإن لم يكونا سعيا فعليهما سعي مع طوافهما.

ثم بقي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منى وبات فيها ليلة الحادي عشر، ولما زالت الشمس في اليوم الحادي عشر رمى الجمرات ورمى الناس معه، ولم يبدأ برمي

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٦) عن عبد الرحمن بن زيد: «أَنَّهُ كَانَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَأَتَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، فَاسْتَبْطَنَ الْوَادِي، فَاسْتَعْرَضَهَا، فَرَمَاهَا مِنْ بَطْنِ الْوَادِي بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ النَّاسَ يَرْمُونَهَا مِنْ فَوْقِهَا، فَقَالَ: هَذَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَقَامُ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».

الجمرات إلا بعد زوال الشمس، وكذلك لـمَّا زالت الشمس في اليوم الثاني عشر رمى الجمرات، وانصرف المتعجلون بعد رمي الجمرات بعد الظهر من اليوم الثاني عشر، أما هو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يتعجل، ولما صار يوم الثالث عشر رمى الجمرات بعد الظهر، ثم انصرف من منى؛ حتى إذا صار آخر الليل جاء وصلى الفجر هنا، وودع البيت الحرام وخرج متوجهًا إلى المدينة عليه أفضل الصلاة والتسليم.

هذا -أيها المسلمون- مُجمل أعمال الحج.

وأركان الحج: الإحرام، وطواف الإفاضة ومعه السعي، والوقوف بعرفة، لا حج لمن لم يفعل ذلك، والبقية واجبات، وهي: الإحرام من الميقات، والمبيت في منى ليالي التشريق، ورمي الجمار، والمبيت في مزدلفة، والبقاء في عرفة إلى غروب الشمس، فمن لم يبق في عرفة إلى غروب الشمس ولم يرجع إليها في الليل وجب عليه فدية ذبح شاة، ومن لم يبت في مزدلفة فكذلك، ومن لم يبت ليالي التشريق في منى بغير عذرٍ فكذلك.

فاحرص -أيها الحاج- على المحافظة على آداب الحج، وصن نفسك ولسانك عن الخوض فيما لا يعنيك، واشغل نفسك بعيوبك، واحرص على إلحاحك على ربك؛ لعلك أن تُصادف وقتًا ترتفع فيه دعواتك إلى السماء، فيكتب الله لك بها السعادة إلى يوم اللقاء.

اجتهد -أيها المسلم- فإنها فرصٌ لا تُعوَّض، وزمنٌ محدودٌ وأرباحه لا حدَّ لها، ووقتٌ ضيقٌ يكتب الله لك بالتوفيق فيه السعادة إلى يوم اللقاء، إلى يوم يدخل أهل الكرامة دار المقامة، جعلنا الله في هذا المكان منهم أجمعين.

فاحرص -أيها الحاج- على الالتزم بآداب الحج، وكُفَّ أذاك عن الحجاج،

واحرص على الرفق بهم والإحسان إليهم، إما بما ما في يدك وإما بلسانك، فإن من البرِّ أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق؛ كما قال سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك[1]، ثم احرص على تجنب الآثام وتجنب الإيذاء، وكفَّ أذاك عن نفسك وعن المسلمين، ففي الحديث عن أبي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ، قَالَ: «**أَمِطِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ**»[2].

يا له من فضلٍ من الله على العباد! ويا له من إحسان لا حدود له ولا نهاية! ويا له من كرم إلهي لا ينتهي إلى غاية! ولكن علينا أن نتعرض لكرم الله، وأن نلتجئ إلى حماه، وأن نتعلق بآداب عفوه، وأن نُحسن الصلة به جَلَّ وَعَلَا بكثرة الأعمال الصالحة وكثرة الذكر والإنابة إليه، وتصور فقرنا وفاقتنا وشدة حاجتنا إلى عفوه ولطفه، فإن الله يحب من العباد أن يعرفوا قدرهم وفقرهم واحتياجهم إليه، وهم بدون شك في أمسِّ الحاجة إليه؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر:١٥]، فجميع الناس؛ ملكهم ومملوكهم، رئيسهم ومرؤوسهم، غنيهم وفقيرهم، خادمهم ومخدومهم، كل هؤلاء فقراء في غاية الفقر إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وأغناهم أكثرهم طاعة لله، وأعظمهم إنابة إليه، وأصدقهم في التوجه إليه.

اللَّهُمَّ يا أكرم الأكرمين، ويا أجود الأجودين، ويا حي يا قيوم، يا واسع

---

(١) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحْقِرَنَّ من الْمَعْرُوفِ شيئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»، أخرجه مسلم (٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣٣/ ٤٠)، وأصله في مسلم (٢٦١٨)، ولفظه: «**اعْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ**».

الفضل والجود، يا من جمعتنا في هذا المكان، يا من حبوتنا، نسألك أن تكون جمعتنا عن رضًا منك عنَّا، ونسألك أن ترحمنا برحمتك الواسعة، وأن تُقيل لنا العثرات، وأن تغفر الزلات، وأن تعاملنا بما أنت أهله من الكرم والجود والإحسان يا ذا الفضل والإحسان، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام، يا من تعرف إلى عباده بالإحسان نسألك بأسمائك وصفاتك أن تمنَّ علينا أجمعين بالتوفيق، وأن ترحمنا برحمتك، وأن تغفر لنا أجمعين، وأن تجعلنا ممن دعاك فأجبته، واستهداك فهديته، واسترحمك فرحمته يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا وأزواجنا وذرياتنا وأقاربنا، اللَّهُمَّ اغفر لأمواتنا أجمعين يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح ذرياتنا وأزواجنا، وطهر قلوبنا، وأزل عنها الحقد والحسد والبغضاء لإخواننا المسلمين، اللَّهُمَّ اجعلنا يا ذا الجلال والإكرام من الذين قلت فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، اللَّهُمَّ ارضَ عن صحابة نبيك أجمعين، اللَّهُمَّ ارضَ عن صحابة نبيك أجمعين، اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم اكبت كل من يُبغض أحدًا من أصحاب نبيك يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تُقيلنا من كل ذنب، وأن ترحمنا برحمتك، اللَّهُمَّ أتمم لنا حجنا وتقبله منا، وأعدنا إلى أهلينا مغفوري الذنوب مرحومين يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين، اللَّهُمَّ اكتب الصحة والسلامة والعافية والسعادة لجميع المسلمين المسافرين منهم والمقيمين، الوافدين إلى بيتك والقاطنين حوله، وفي كل مكان

من أرضك وبرك وبحرك يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ أغنِ فقير المسلمين، وأشبع جائعهم واكسُ عاريهم، وانصر مظلومهم، وأعزَّ ذليلهم يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ أصلح القادة، اللَّهُمَّ أصلح قادتنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلح القادة واجمع كلمتهم على الحق، وألِّف ذات بينهم، واجعل همهم وقصدهم ورغبتهم وإرادتهم تحت إرادتكِ واتباع سنة نبيك يا إله العالمين، اللَّهُمَّ من سبق في علمك يا رب العالمين أنه لا يهتدي ولا يستقيم فأزله عن الوجود واستبدله بمن يخافك ويرجوك ويرعى لأمة محمدٍ زلتها ويرفق بها يا إله العالمين، اللَّهُمَّ إن نبيك قال: **«اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»**(١)، اللَّهُمَّ أجب دعوة نبيك في أهل الرفق والإحسان، وأجب دعوة نبيك في أهل المشقة والقسوة والعنف على عبادك المؤمنين.

اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام وفِّق ولاة أمرنا في هذا البلد، وأصلحهم واهدهم واهدِ بهم، وزدهم من كل خير، ووفقهم للمحافظة على أمن هذه الربوع، وتوفير الراحة والطمأنينة والرفاهية والرغد لمن هو وافد على هذا البيت أو قاطن في هذه البلاد من حاج ومعتمر وزائر ومقيم، وكافئهم على ذلك بخير ما تكافئ به عبادك المؤمنين، اللَّهُمَّ اجعل عملهم ذلك خالصًا

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

لوجهك يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى والمجوس، اللَّهُمَّ أذل اليهود والنصارى والمجوس وسائر الكفرة الملحدين من الباطنيين وسائر الوثنيين يا رب العالمين، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، الذين يُقاتلون لتكون كلمتك هي العليا، اللَّهُمَّ انصرهم وسدد سهامهم وثبت أقدامهم، وارزقهم صدق القول والعمل، وصواب الرأي، والجد والاجتهاد في طاعتك، وعاجلهم بإقامة دولتهم الإسلامية.

اللَّهُمَّ أعد لأمة الإسلام قدسها يا رب العالمين، اللَّهُمَّ استنقذه من اليهود يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ إنك تعلم أنه لا يُستنقذ إلا بكلمة الإسلام، اللَّهُمَّ وفق المسلمين للصدق في هذه الكلمة يا رب العالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على الهادي الأمين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

العَشْرُ الأَوَائِلُ مِنْ ذِي الحِجَّةِ[(١)]

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله له الحمد في الأولى والآخرة وهو على كل شيء قدير، الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيد البشر أجمعين محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإنكم -أيها المسلمون- في أيام مباركة، «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ**»، هكذا أخبر سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقيل له: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**»[(٢)].

هذه الأيام المباركة أيام عظيمة، أيام يباهي الله جَلَّ وَعَلَا بعباده الحجاج في عرفة ملائكته في السماء، فحري بالحجاج والمسلمين في كل مكان أن يتقوا ربهم جَلَّ وَعَلَا، وأن يخلصوا له العمل، وأن يحمدوه لأن هداهم للإسلام، فكم من أمم عظيمة تتخبط في ظلمات الجهل والضلال، والنار تنتظرهم، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢]، وأمة الإسلام منَّ الله عليها سبحانه وله الفضل والمنَّة فهداها إلى الإسلام، فينبغي أن تشكر ربها وتعرف قدر هذه النعمة التي أعطاها إياها، وإن من أفضل نعم الله على المسلم تيسير الحج له، وتسهيل الطريق إليه،

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ٢/١٢/١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٩٦٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وإعانته للوصول إلى هذه الأماكن المقدسة التي يأمن فيها على نفسه وماله وأهله، فهي جديرة بأن تحمل العبد المسلم على حمد الله والثناء عليه، والاعتراف بجميل عطفه وعظيم فضله وسائر نعمه.

ثم لنعلم -أيها المسلمون- أن الحج المبرور لا جزاء له عند الله إلا إدخال العبد الجنة، ومن لا يتمنى دخول الجنة وفيها الفوز العظيم والنعيم الدائم الذي لا ينقطع؟! ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]، إذن كيف ندرك الحج المبرور أيها المسلمون؟

يكون ذلك -إن شاء الله- بالتمسك بهدي المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، الذي اختاره الله جَلَّوَعَلَا من خليقته لحفظ الرسالة وشمول آدابها للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فيجب علينا أن نحسن الاقتداء به واتباعه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لعل الله أن يكتب لنا الفوز برضوانه، وإذا كنا قد منَّ الله علينا فوصلنا إلى هذه الرحاب، وأنسنا بهذا المقام، وشعرنا بلذة النظر إلى البيت العتيق، التي نرجو أن تكون بداية للنظرة العليا، وهي لذة النظر إلى وجه الكريم الأكرم، الذي وعد الله بها عباده المؤمنين، فقال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، وقد فسَّر جماعة من السلف الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله جَلَّوَعَلَا، والحسنى هي الجنة[١].

فعلينا -أيها المسلمون- أن نحرص على إتقان الحج، وأن نصون جوارحنا عمَّا يمكن أن يؤثر على آدابه ونتائجه، فإن الحج إذا أُدي أداءً صحيحًا بإقبال على الله، وثقة برحمته، وحسن ظن بجميل لطفه، مع الخوف والتضرع بين

---

(١) يُنظر: تفسير الطبري (١٥/٦٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/١٩٤٥).

يديه، فالعبد الذي يقوم بهذا حريٌّ أن يكتب الله له السلامة من الانحرافات، والسعادة في دنياه وآخرته، نسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء.

إن أعمال الحج لا تُقبل إلا إذا أتت على وفق ما شرعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي قال للناس وقد وعظهم وأرشدهم وأخبرهم أنه قد لا يلقاهم بعد عامه ذاك؛ ولذا سُمِّيت تلك الحجة بحجة الوداع، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ**»[(١)]، أي: احفظوها بمعرفتها، ومنَّ الله على صحابته مع برِّهم وحرصهم على الخير وشدة رغبتهم في العلم ونقل الدين كما سمعوه وعلموه غضًّا طريًّا، فقد بلغونا بحركاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى إذا وقف يقضي حاجته من غائط أو بول، نقلوا لنا كيف جلس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو لا يستقبل القبلة لا ببول ولا بغائط[(٢)]، وينهى المسلم أن يستقبل القبلة بشيء من ذلك.

فأنتم -أيها المسلمون- الوافدون إلى هذا البيت، الذي جمعكم في هذا المكان في نعمة عظيمة وفي خير جزيل، أرجو الله أن يتمم للجميع حجه، وأن يبارك لكم فيما أعطاكم، وأن يحط عليكم النعم والأرزاق، اهتموا بمناسك الحج، فالحج إحرام وتلبية وإكثار من ذكر الله، وكفٌّ للبصر والسمع عمَّا حرَّم الله، وكفُّ سائر الجوارح، واشتغال بالعبادة وبطاعة الرب الكريم الذي يوالي علينا نعمه، ويدر علينا خيراته، ويدفع عنا من المصائب ما لا نستطيع له دفعًا، فله الحمد والشكر في إحسانه إلينا وعفوه عنا رغم تقصيرنا وكثرة إساءتنا.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (٣٩٤)، ومسلم (٢٦٤).

فإذا جاء اليوم الثامن -أيها المسلم- إن كنت متمتعًا أو قاطنًا في هذا البلد من رمضان أو قبله تحرم مع الناس في اليوم الثامن، وهذا سنة مؤكدة، ليس بواجب أن تحرم في اليوم الثامن ولكنه سنة مؤكدة، وموافقة سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعظم الأسباب الجالبة للمغفرة الحافظة للقلب عن الانحرافات والنزوات، تحرم في اليوم الثامن وتذهب إلى منى، وتصلي هناك الظهر والعصر والمغرب والعشاء وفجر يوم عرفة، تقصر الصلاة الرباعية الظهر والعصر والعشاء، ولا تقصر صلاة المغرب ولا صلاة الفجر، وتشغل الوقت في ذلك بالتلبية ولاسيما بعد الصلوات، وتكثر من ذلك غاية الإكثار، فإن أعظم ما يفعل العبد أن يكون لسانه رطبًا بذكر الله، ورطوبة اللسان هي بكثرة الذكر والتلبية، فإن الإنسان إذا صمت طويلًا يبس لسانه، وإذا تكلم كثيرًا إن كان فيما لا يعنيه جمع له لسانه من الآثام والذنوب والخطايا والسيئات ما يعجزه عن الحركة إلى الأعمال الصالحة، وإن اشتغل لسانه بالذكر والدعاء والاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل حفظ نفسه من نزوات الشيطان ووساوسه، وتدرع بأدراع حصينة متينة، وصان نفسه بأسوار منيعة لا يستطيع الشيطان أن يتوصل إليه منها.

فإذا أصبحت في اليوم التاسع تتوجه مع الناس إلى عرفات، والوقوف بعرفة ليس بسنة ولا بواجب، وإنما هو ركن من أركان الحج، ثم إذا وصلت إلى عرفة أشغل نفسك بشيء من الطاعة قبل صلاة الظهر، ووفر على نفسك العناء والتعب بقدر ما تستطيع؛ حتى إذا جاء وقت الإقبال على الدعاء والوفود بين يدي المولى جَلَّ وَعَلَا فإذا أنت قد أخذت قسطًا من الراحة، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لـمَّا وصل عرفة استراح في قبة ضُربت له في نمرة، فلما

زالت الشمس -أي: انتصف النهار، ودخل وقت صلاة الظهر، أو قبيل الزوال- توجه فوقف في موضع المسجد، وخطب الناس خطبة عظيمة بيَّن فيها ما لهم وما عليهم، وما يحرم عليهم، وبيَّن لهم مناسكهم، وبيَّن لهم حرمة أموالهم ودمائهم وأعراضهم.

ثم بعد أن خطبهم خطبة عظيمة جامعة أذَّن المؤذن لصلاة الظهر والعصر، ثم أقام فصلى الظهر ركعتين، ثم أقام مرة ثانية فصلى العصر ركعتين في وقت الظهر، ثم ركب ناقته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذهب إلى شرقي الجبل، جبل الرحمة المسمَّى جبل ألال، فوقف عند شرقي الصخرات مستقبل القبلة، وقال للناس: **«وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»**(١)، وفي رواية: **«كُلُّ عَرَفَاتٍ مَوْقِفٌ، وَارْفَعُوا عَنْ بَطْنِ عُرَنَةَ»**(٢)، وبطن عرنة: مجرى السيل الذي يخترق يأتي بجانب عرفة، وهو يتجه إلى الجنوب الغربي، فما كان عن يساره هو عرفة، وما كان عن يمينه لا يُسمى عرفة.

ثم استمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بموقفه، وأرسل إلى الناس من يأمرهم أن يمكثوا في منازلهم، ويقول لهم: **«قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ»**(٣)، واستمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبي ويذكر الله ويمجده، ويصدع بكلمة التوحيد: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٧/٣١٦)، وابن حبان (٩/١٦٦)، والطبراني في الكبير (١٥٨٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/٤٩٨) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (١٩١٩)، والترمذي (٨٨٣)، والنسائي (٣٠١٤)، وابن ماجه (٣٠١١).

على كل شيء قدير)، وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ ما قلت أنا وَالنَّبِيُّونَ من قَبْلِي: لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له الـمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ»**[١]، إن هذه الكمة حقيقة أن تكون خير الدعاء؛ لأن الرسل من أولهم إلى آخرهم أُرسلوا لتحقيق هذه الكلمة، وفيها نفي الشرك عن الله، وإخلاص العبادة له جَلَّ وَعَلَا.

فلما غربت الشمس توجه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منصرفًا، فيجب على الحاج الوقوف بعرفة إلى أن تغرب الشمس، ومن انصرف قبل ذلك أخلَّ بواجب من واجبات الحج، وعليه ذبح شاة من أجل انتقاصه شيئًا من موقف عرفة وحجه، ويأثم بذلك، ثم أمر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس بالرفق والسكينة، وأمره ذلك يبين أن المظاهرات والصراخ والصياح والتنديد في المناسك وغيرها ليس من أعمال الحجاج، ولا من صفات المسلمين الصادقين، ولا من أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وإنما هذه أخلاق الذين لا أخلاق لهم، فإن أكمل الأخلاق أخلاق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخلاق أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم.

فأخذ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ»**[٢]، يعني:

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢١٤)، وعبد الرزاق (٤/ ٣٧٨)، والبيهقي (٤/ ٢٨٤) عن عبيد الله بن كريز مرسلًا، قال البيهقي في الدعوات الكبير (٢/ ٢٤٦): «وقد روي بإسناد آخر موصولًا، وهو ضعيف، والمرسل هو المحفوظ». وأخرجه الترمذي (٣٥٨٥) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(٢) جزء من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في صفة حج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخرجه مسلم (١٢١٨).

الزموا الرفق والزموا السكينة؛ لأن ذلك هو الخير، وفي رواية قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ**»(١)، والإيضاع هو الإسراع في السير(٢).

فلما وصل مزدلفة وقف ونزل، وأذن مؤذن فأُقيمت صلاة المغرب، فصلاها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث ركعات، وحطوا الرحل عن الإبل، ثم أُقيمت صلاة العشاء، فصلاها ركعتين، ثم استراح صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى إذا بدأ الفجر في أول ظهوره، فأذن مؤذن وصلى ركعتي الفجر في أول الوقت، ثم توجه إلى المشعر الحرام وجعله بينه وبين القبلة، وقال للناس: «**وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**»(٣)، يعني: المزدلفة، وفي رواية: «**كُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ، وَارْتَفِعُوا عَنْ بَطْنِ مُحَسِّرٍ**»(٤)، وبطن محسر مجرى وادٍ يأتي بين مزدلفة ومنى، فإذا ضرب في الجبل الواقع في أرض منى الجنوبي الذي يفصل منى عن الأرض المجاورة لها والمسماة بالعزيزية، إذا ضرب السيل بالجبل ذهب بجانب الجبل إلى الجنوب الغربي، واتجه إلى الجنوب الشرقي، هذا الوادي هو محسر، وهو الذي قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه: «**وَارْتَفِعُوا عَنْ بَطْنِ مُحَسِّرٍ**»، ففي أيِّ مكان وقفت أيها الحاج في عرفات، وفي أي مكان وقفت في مزدلفة؛ فقد أدركت الموقف، لكن عليك أن تعرف الحدود، فإن على عرفات حدودًا بيِّنة وعلامات مبنيَّة، تدل على أن

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٧١) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) يُنظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (ص١٦٧)، ومشارق الأنوار (٢/ ٢٩٠)، ولسان العرب (٢/ ٥٨٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٠١٢) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ما كان خارج تلك الحدود فليس من عرفة، فتجنب البقاء فيه، وإن قُدِّر أن تجلس فيه فادخل إلى عرفة حتى تغرب الشمس، واحرص على ذلك أخي المسلم.

ثم إن تلك الساعات القليلة، وذلك الزمن اليسير، زمن غالي الثمن، وعظيم الفائدة، وجليل القدر، لا يُستطاع معرفة قدر ما يتنزل فيه من أرباح وفوائد وهبات من الله جَلَّ وَعَلَا، فتعرض لذلك الخير، وتهيأ لتلقى تلك الرحمات، واجتهد في ذلك بالدعاء والتضرع إلى المولى والافتقار إليه، فإننا في منتهى الفقر إلى ربنا جَلَّ وَعَلَا، وألح على الله.

فيا أيها الرجل المسن، ويا أيها الشاب المتفتق قوة وحيوية، ما منا من أحد إلا وهو في حاجة ماسَّة إلى لطف الله وحفظه، وإلى حمايته وستره، وإلى دفعه ودفاعه، فلنستعن به جَلَّ وَعَلَا على سائر ما يهمنا، وإنه من أنزل حوائجه بالله، ومن توكل عليه جَلَّ وَعَلَا، ومن أخلص له العمل، ومن صدق في معاظمته، فإنه في خير وأمن وأمان، فاستغلوا تلك الأوقات بطاعة الله.

ثم بعد الانتهاء من مزدلفة يتوجه الحاج إلى منى، وأول عمل يقوم به في منى رمي الجمرات، هذا هو الأفضل، ويجوز التقاط الجمرات من الطريق أو من مزدلفة أو من محل منزلك في منى، لا حرج عليك أن تلتقط الحصيات من أيِّ مكان، لكن عليك أن تتقيد بالسنة، والسنة أن تكون الحصيات أكبر من حبة الحمص بقليل، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بذلك لما التقطت له الحصيات هزهنَّ بيده الكريمة ثم قال للناس: **«بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**

فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»[١]، فاحرص على تجنب الغلو، فإن دين الله وسط بين الغالي والجافي، والغالي هو المتنطع المتشدد، وأما الدين فهو ما يشرعه الله ورسوله، والجافي هو المعرض المفرِّط المتساهل بأوامر الله وأوامر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاحرص على أن تكون وسطًا بين هذا وذاك.

والسُّنَّة البداية برمي الجمرات في منى، ثم بذبح الهدي إن كنت متمتعًا أو قارنًا، ثم بالحلق وهو الأفضل، ثم بالطواف بالبيت إن أمكنك، والعادة أن يوم العيد يوم النحر يوم شديد الزحام عظيم الضنك، فاحرص على ألَّا تتهور وتلقي بنفسك في أمر لا تستطيع الخروج منه، والطواف بالبيت ولو في الطوابق فوق المصابيح، كل من طاف حول الكعبة ولو في سطح المسجد الحرام فقد أدى الطواف صحيحًا.

وإذا لم ترم أولًا بل طفت أولًا أو حلقت قبل الرمي والذبح، أو ذبحت قبل الرمي والحلق والطواف، فلا حرج عليك؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئل في مساء يوم العيد عن هذه الأمور، فقال قائل: لم أشعر فنحرت قبل أن أحلق، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**احْلق وَلَا حَرَجَ**»، قال الآخر: رميت قبل أن أنحر، قال: «**انْحَرْ وَلَا حَرَجَ**»، قال الآخر: نحرت قبل أن أرمي، قال: «**ارمِ وَلَا حَرَجَ**»، فما سُئل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شيء من أعمال يوم العيد التي هي: الرمي، والذبح، والحلق أو التقصير، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة،

---

(١) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، وابن حبان (٩/ ١٨٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ما سُئل عن شيء من ذلك قُدِّم أو أُخِّر إلا قال للسائل: «**افْعَلْ وَلَا حَرَجَ**»(١)، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ما أرحمه بالأمة! فالحمد لله الذي شرع لنا شريعة سمحة، شريعة حنيفية كاملة لا شقاء فيها ولا أغلال.

ثم يجب على الإنسان أن يبيت في منى ليلة الحادي عشر والثاني عشر، وأن يرمي الجمرات في اليوم الحادي عشر والثاني عشر، ويرمي جمرة العقبة يوم العيد يبدأ من آخر الليل إلى غروب الشمس، أما من فاته الرمي في هذا الوقت يجوز له أن يرمي بعد الغروب، وفي أيام التشريق لا يبدأ الرمي إلا بعد زوال الشمس، بعد دخول وقت الظهر، والدولة -وفقها الله رسددها- وضعت مدفعًا يُرمى به تنبيهًا وإيذانًا لوقت الرمي، فلا يحل الرمي قبل ذلك، ومن فاته الرمي في اليوم الحادي عشر في النهار جاز له أن يرمي ليلًا، ومن فاته الرمي في اليوم الثاني عشر جاز له أن يرمي في ليلة الثالث عشر، لكن لا يحل أن يرمي في ليلة الحادي عشر عن الحادي عشر، ولا في ليلة الثاني عشر عن الثاني عشر.

وإذا أراد المسلم الانصراف في مساء الثاني عشر لا ينصرف إلا بوداع حول هذا البيت بطواف سبعة أشواط، وهو طواف الوداع، لا يحل له أن ينصرف بدون ذلك، ومن لم يفعل عليه ذبح شاة لفقراء الحرم.

هذا -أيها المسلمون- مجمل أعمال الحج.

والأركان في الحج: الإحرام، والوقوف بعرفة، والطواف بالبيت بعد الرجوع من عرفة، هذه الأركان، وما عداها من الواجبات، فالبقاء في عرفة إلى الغروب، والمبيت في مزدلفة، ورمي الجمرات في يوم العيد وفي اليوم الحادي

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤)، ومسلم (١٣٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

عشر والثاني عشر، والمبيت في منى ليلة الحادي عشر والثاني عشر، هذه هي الواجبات، من أخل بالواجبات فعليه أن يريق دمًا، ومن أداه فذاك هو الأفضل، وكمال الحج وبرُّه لا يتم إلا بالواجبات والسنن والأركان، فاهتموا -أيها المسلمون- بمناسك حجكم؛ لتفوزوا إن شاء الله بغفران الذنوب.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم، يا أكرم الأكرمين، يا من جمعنا في هذا المكان بلطفه وإحسانه، نسألك أن تغفر لنا ذنوبنا أجمعين، وأن تقيل عثراتنا في هذا المكان يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ آمنَّا في أوطاننا، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، اللَّهُمَّ اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلح فساد قلوبنا، وآت نفوسنا تقواها، وزكها فأنت خير من طهرها وزكاها، أنت ربها ومولاها.

اللَّهُمَّ يا إلهنا لا حول لنا ولا قوة إلا بك، اللَّهُمَّ لا منجى ولا ملتجأ منك إلا إليك، اللَّهُمَّ احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا ومن تحتنا، اللَّهُمَّ املأ قلوبنا نورًا، اللَّهُمَّ املأ جوارحنا نورًا، اللَّهُمَّ ارزقنا نورًا نستعين به يا حي يا قيوم عندما تعمى بصائر الظالمين، اللَّهُمَّ يسِّر لنا حجَّنا وسهله علينا، ووفقنا لأدائه كاملًا كما أداه رسولك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقبله منَّا بمنِّك وكرمك، اللَّهُمَّ تقبل منَّا حجَّنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع أمواتنا، وأصلحنا وأصلح ذرياتنا وأزواجنا، واغفر لنا أجمعين ولسائر أقاربنا يا أكرم الأكرمين ولإخواننا المسلمين.

اللَّهُمَّ أصلح إخواننا المسلمين، اللَّهُمَّ أصلح فاسدهم، واهدِ ضالهم، وأشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وأغنِ فقيرهم، وأمِّن خائفهم، وانصر مظلومهم، وأعزَّ ذليلهم يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ أصلح قادة المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح القادة واستعملهم فيما يرضيك، ووفقهم لطاعتك، وهيئ لهم من أمرهم رشدًا، وارزقهم خوفك ورجاءك والإنابة إليك، والحرص على رعاية شؤون عبادك يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ أصلح أمتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ خُصَّ ولاة أمر هذا البلد الكريم بمزيد من التوفيق والتسديد، اللَّهُمَّ أمن بهم هذه البلاد، وسهِّل بهم الطرق المؤدية إلى هذا البيت، اللَّهُمَّ وفقهم لتأمين حجاج بيتك الكريم وزوار مسجد رسولك المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ وفقهم لتوفير الرغد والراحة والأمن والأمان والاطمئنان، وتسهيل الأمور لكل وافد إلى هذه البلاد، أو قاطن فيها، أو قادم إليها بحج أو عمرة أو زيارة.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم اكبت أعداءهم، وأذل أعداءهم، اللَّهُمَّ سلط على أعدائهم أعداء الدين من يسومهم سوء العذاب، وأعز هؤلاء الولاة بطاعتك يا أكرم الأكرمين، اللَّهُمَّ انقذ المسجد الأقصى من أيدي أعدائك أعداء الدين، اللَّهُمَّ أعده لأمة الإسلام، اللَّهُمَّ يا ذا الجلال والإكرام من شقَّ على أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاشقق عليه بقوتك وجبروتك، اللَّهُمَّ من رفق بأمة محمد فارفق به بمنِّك وكرمك وحلمك يا ذا الجلال والإكرام؛ إجابة لدعوة خليلك ونبيك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على سيد الخلق أجمعين نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

شُرُوطُ قَبُولِ العَمَلِ(١)

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير، الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، أكرم من لبى وطاف، وخير من دعا إلى الله نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، أما بعد:

إن نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على المسلمين لا تُحصى وعلى الخلق أجمعين، ولكن أجلَّ النعم نعمة الإسلام؛ لأن من حقق الإسلام جمع الله له جَلَّ وَعَلَا بين الحياة الدنيا والحياة الطيبة السعيدة يوم يقوم الأشهاد، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩]، ومن أعظم النعم عليكم أيها الوافدون إلى البيت العتيق تيسير الله جَلَّ وَعَلَا لكم سبيل الحج وتوصيلكم إلى هذه الرحاب، فإن ملايين البشر من المسلمين يتمنون أن يصلوا إلى هذا المكان، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

إن الذين منَّ الله عليهم بمزيد توفيق ووصول إلى هذه الرحاب عليه أن يزداد لشكر الله وأن يُكثر من الثناء عليه، فهو سبحانه أهل الثناء والمجد، هو المستحق لكامل الحمد وعظيم الطاعة، فمن وفَّقه الله إلى الوصول إلى هذه الأماكن فليعرف حق هذه النعمة وقدرها، وعظم ما حباه الله جَلَّ وَعَلَا من هذا الإدناء والتوفيق للوصول إلى بيته العتيق.

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في المسجد الحرام في ٣/١٢/١٤٠٨هـ.

ثم لتعلم -أيها المسلم- أن العمل لا يُقبل مهما عظُم وكثُر إلا إذا توفر فيه شرطان أساسيان: إخلاصه لوجه رب العالمين، وحسن المتابعة في ذلك لسيد الخلق أجمعين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يُقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجه الله موافقًا لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا فرض طاعته وفرض اتباعه، وجعله السبيل المؤدي إلى كرامته ورضوانه، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ﴾ [آل عمران:٣١]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لـمّا ذكر افتراق الأمم قبل المسلمين، وافتراق أمة الإسلام: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ على إِحْدَى أو ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى على إِحْدَى أو ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي على ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**»[1]، ولـمّا سُئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الفرقة الناجية، قال: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[2]؛ ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[3]، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذه**»[4]، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، فالنبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيّن للناس ما نُزِّل إليهم من ربهم أفضل البيان، وتركنا على محجة طريق بيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، ولاشك

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وأحمد (١٤/١٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/١٢٩) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أن من ضلَّ عن سنة الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد هلك، نسأل الله السلامة أن نكون من الهالكين.

ثم اعلموا -يا عباد الله- أن الحج المبرور -كما ثبت في "الصحيحين"- **«لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»**(١)، وثبت -أيضًا- عن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في "الصحيحين" أنه قال: **«مَنْ حَجَّ هذا الْبَيْتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كيوم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**(٢)، وفي رواية: **«خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**(٣).

نِعَمٌ عظيمة وتيسيرٌ من الكريم الأكرم، ومننٌ لا تنتهي إلى حدٍّ، وإنَّما الخاسر من فاتته المناسبات، وفرَّط ولم يأخذ بأسباب العزائم، ولم يغتنم فرصة القرب من بيت الله والدنو من الأماكن المفضلة والمشاعر المعظمة؛ ليطَّرح بين يدي ربه، متضرعًا بين يدي ربه، مفتقرًا منكسرًا، سائلًا مغفرة الذنوب، راجيًا رحمة الرحمن الرحيم.

أذكر مناسك الحج باختصار ابتداءً من إحرام المتمتعين والقاطنين في مكة:

فالسُّنَّة أن يُحرم الحاج في اليوم الثامن ماعدا القارن والمُفرد القادم إلى البلاد بالحج، فهذا يبقى على إحرامه إلى أن يحصل على التحلل الأول في صبيحة يوم النحر.

أمَّا المعتمر ومن كان من أهل مكة أو دون المواقيت المكانية فإنه يحرم

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢١، ١٨١٩)، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (١٦/ ١٩٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالحج من مسكنه في اليوم الثامن، هذا هو السنة، يحرم ضُحًى، ويتوجه إلى منى فيُصلي فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء وفجر يوم عرفة، وهذا سنة المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن فعله أحسن وأدرك -إن شاء الله- ثواب ذلك، وإن لم يفعله فلا إثم عليه، وإنما يفوته من الأجر بقدر ما فاته من متابعة السنة.

فإن كان ساكنًا في منى أحرم وهو في مكانه في اليوم الثامن قبل الظهر؛ ليُصلي هذه الأوقات مُحرمًا، وإذا كان من الوافدين إليها يقصُر الصلاة ولا يجمع، وإن جمع فلا حرج، وأداء الصلاة في وقتها أفضل للمُسافر، أمَّا المُقيم في منى فلا يحل له القصر ولا الجمع.

فإذا أصبح من يوم عرفة وطلعت الشمس توجه إلى عرفة، وليشغل وقته كله -خاصةً عندما يُحرم ويكون مُتلبسًا بالإحرام- بالذكر والثناء على الكريم الأكرم، وتمجيده جَلَّ وَعَلَا وحمده، ويسأله حاجاته ويثني عليه بأنه الكريم الأكرم وأنه الغفور الرحيم، ويلح عليه في طلب الحوائج والرحمة والمغفرة منه جَلَّ وَعَلَا؛ لأنك كلما أثنيت على الكريم الأكرم جَلَّ وَعَلَا فأنت من لازم ثنائك أن تسأله، والبشر -وهم مخلوقون- ضعاف، إذا جئت وأنت محتاج وقلت لغني جواد: إنك رجل كريم، وإنك فاضل، وإنك تحسن إلى الفقراء. فلسان حالك تطلب، فكيف بحالك مع من يحتاج إليه ويفتقر إليه كل من على ظهر هذا الكون؟!

فإذا ذهبت إلى عرفة ووصلتها فلأجل الزحام الشديد ولخطر التزحزح عن حدود عرفة احرص على الدخول بمسافة كافية إلى أميال عرفة، ولاشك أن المُتمكن من دخولها قد يكون أولى به أن ينزل قبل حدود عرفة، فإذا زالت الشمس دخلها؛ كما فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث ضُربت له قبة في نمرة على

حدود عرفة، ولما زالت الشمس دخل عرفة، لكن ذلك في هذه الأزمنة مع كثرة الحجيج وازدحام الطرق وامتلاء الأماكن ينبغي للمسلم أن يكون حازمًا، وأن يتأكد أنه داخل عرفة، وقد وُضِعَت لها حدود ولها علامات منصوبة يعرفها المتعلم، ويسأل عنها الذي لا يقرأ: أين أعلام عرفة؟ ليدله الناس عليها؛ لأن من طلع عليه فجر يوم العيد ولم يقف داخل تلك الأميال فإنه لا حج له.

فيدخل إذا زالت الشمس السنة كما فعل النبي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فإنه ذهب من منى ومعه الحجاج، ولـمَّا وصل نزل في نمرة، ودخل الناس في عرفات إلا من نزل معه، فلما زالت الشمس جاء إلى محل المسجد الآن، ولم يكن هناك مسجد في هذا الزمن، فخطب الناس خطبةً واحدة، وهذا هو الثابت، وفي المسألة خلاف بين أهل العلم أهي خطبةٌ واحدة أم خُطبتان؟ لكن الصحيح الثابت: أنه خطب خطبة واحدة بيَّن فيها للناس مناسك الحج، وبين الحرمات الإسلامية، وبيَّن ما منَّ الله به على المسلمين، وما أنعم به عليهم من الهداية.

فلما انتهى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بيانه العظيم وإيضاحه الكامل لما يُحتاج إليه، أذَّن المؤذن للظهر، فأُقيمت الصلاة، فصلى بالناس ركعتين، وكان ذلك اليوم يوم جمعة لكنه لم يُصلِّها جمعة، ثم أقام الصلاة فصلى العصر ركعتين، جمع بينهما قصرًا وجمعًا في وقت الأولى، ثم توجه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى الصخرات الواقعة شرقي جبل الرحمة الذي يُسميه الناس جبل الرحمة وتسميه العرب جبل ألال، فوقف شرقي الصخرات، وقال للناس: **«وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا**

مَوْقِفٌ»[١]، وفي رواية: «**كُلُّ عَرَفَاتٍ مَوْقِفٌ، وَارْفَعُوا عَنْ بَطْنِ عُرَنَةَ**»[٢]، وبطن عُرنة هو مجرى السيل الذي يأتي من جانب عرفة، يجعل المسجد على يساره متجهًا إلى الجنوب الغربي، وأمر الناس أن يلزموا منازلهم، وأرسل رسله ليقولوا للناس: «**قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**»[٣].

واستمر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موقفه من بعد صلاة الظهر راكبًا، مُشتغلًا بذكر الله، مُستقبلًا القبلة إلى أن غربت الشمس، لا يتحدث مع الناس ولا يلتفت إلى أحد، وكل واحد من أولئك مشغول بموقفه بين يدي ربه، مجتهد في ثنائه على الله، جادٌّ في دعائه وتضرعه وافتقاره إلى الله.

ولما غربت الشمس سار عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسار معه أصحابه الحجاج رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وقد شد لناقته زمامها حتى كاد رأسها أن يمس مقدمة رحله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويقول للناس: «**أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ**»[٤]، يعني: أن الفضل والأجر العظيم ليس بالاندفاع والسعي السريع، وإنما بالرفق واللين؛ ولذلك ثبت عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[٥]، أي: لا يكون

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٧/٣١٦)، وابن حبان (٩/١٦٦)، والطبراني في الكبير (١٥٨٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/٤٩٨) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (١٩١٩)، والترمذي (٨٨٣)، والنسائي (٣٠١٤)، وابن ماجه (٣٠١١).

(٤) أخرجه البخاري (١٦٧١) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

الرفق في شيء إلَّا جمَّله وزكَّاه وأتمَّه.

فلما وصل إلى مزدلفة صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أذَّن مؤذن وأُقيمت الصلاة، فصلى بالناس المغرب ثلاثًا، ثم حطَّ الناس عن رواحلهم، ثم أقام فصلى بهم العشاء ركعتين، ثم استراح صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ونام إلى أن بزع الفجر، وفي أول طلوع الفجر أذن مؤذن، ثم أقيمت الصلاة وصلَّى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ركعتي الفجر، ثم توجه إلى المشعر ووقف مستقبلًا القبلة، وقال للناس: «**وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**»[1]، يعني: المزدلفة، وفي رواية: «**كُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ، وَارْتَفِعُوا عَنْ بَطْنِ مُحَسِّرٍ**»[2]، وبطن مُحسر مجرى السيل بين منى ومزدلفة، وهو يأتي من الشمال الشرقي فإذا أتى السيل من الجبل الواقع على يسارك وأنت متجه إلى الجمرة ذهب مع جانب الجبل إلى الجنوب الشرقي، هذا هو وادي مُحسر.

ثم وقف صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في المشعر الحرام إلى ما قبل طلوع الشمس بقليل، ثم توجه إلى منى، وفي الطريق أمر ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن يلتقط له سبع حصيات، فرفعُهنَّ بيده وهزهنَّ ليراهنَّ الناس، وقال: «**بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ**»[3]، وقدر الحصيات: كل حصاة أكبر من حبة الحمص وأصغر من حبة البندق.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٠١٢) من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، وابن حبان (٩/ ١٨٣) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

إذن فالمسألة مسألة عبادة واقتداء، وليست برمي أحجار ضخمة ونحو ذلك، فمن رمى بأحجار كبيرة فإنه لم يرمِ؛ لأن من خالف سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يتقيد بالمناسك على حسب ما شرع؛ لا يحل ولا يجوز فعله ولا يُعتد به، أما إذا كانت الأحجار أكبر بقليل فلا حرج على من أساء وخالف السنة، ولا يؤمر بالإعادة.

ولما وصل المرمى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استقبل الوادي فجاء مع بطن الوادي وجعل مكة عن يساره ومنى عن يمينه، واستقبل جمرة العقبة، وكان يسندها في ذلك الزمن جبل لا يستطيع الناس أن يأتوها إلا من بطن الوادي، فرمى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقطع التلبية حال وصوله إلى الجمرة.

وبعدما انتهى من الرمي ذهب إلى المنحر فنحر ثلاثًا وستين بدنة من الهدي وأعطي البقية عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لينحرها، ثم حلق، وأمر أن يؤخذ من كل بدنة -وهي مائة، ساقها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأشرك معه عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بضعة لحم فطُبخت في قِدْر، فأكل هو وعلي من اللحم وشربا من المرق؛ ليدل بذلك أن السنة للحاج أن يأكل من هديه، فإن لم يفعل فلا حرج عليه، لكن الأفضل الأكل.

ثم توجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة وطاف بالبيت، ثم رجع إلى منى وبات فيها تلك الليلة، فالمشروع يوم العيد بعد الانصراف من منى ومزدلفة: رمي الجمرات، وذبح الهدي للمُتمتع والقارن أو من ساق هديه، والحلق أو التقصير والحلق أفضل، ثم إن سهُل عليه الطواف طاف إن كان متمتعًا وسعى، وإن كان قارنًا أو مُفردًا وكان سعى قبل الحج فليس عليه إلا طواف فقط، ولا سعي عليه.

ثم يبيت في منى ليلة الحادي عشر، ويرمي الجمرات يوم الحادي عشر بعد الزوال، ويبيت ليلة الثاني عشر ويرمي الجمرات يوم الثاني عشر بعد الزوال، وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحينون زوال الشمس لرمي الجمرات[1].

ثم بعد رمي الجمرات في اليوم الثاني عشر من شاء أن ينصرف انصرف، ومن شاء أن يبقى غير متعجلٍ فهو أفضل، ومن أراد الانصراف في الثاني عشر لا يحل له السفر إلا بوداع هذا البيت، والوداع لا يكون إلا بعد الانتهاء من رمي الجمرات، أي في اليوم الثاني عشر بعد الزوال، فإن رمى الجمرات في اليوم الثالث عشر وبات في منى، فإنه يُوادع بعد ذلك، والوداع واجب على كل قادم إلى مكة متمتعًا كان أو قارنًا أو مفردًا.

هذا -أيها المسلمون- مُجمل أعمال الحج، منها الأركان، وهي: الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الإفاضة، ومنها الواجبات، وهي: أن يقف الحاج بعرفة حتى تغرب الشمس، وأن يبقى بمزدلفة إلى ما بعد منتصف الليل، وأن يرمي الجمرات في يوم العيد وفي أيام التشريق، وأن يبيت في منى ليلة الحادي عشر وليلة الثاني عشر، وأن يوادع قبل السفر، ومن لم يفعل شيئًا من الواجبات جبره بدم؛ يذبح شاة، أما الأركان فلا يتم الحج إلا بأدائها، فمن لم يقف بعرفة فقد فاته الحج، فلابد أن يدرك الوقوف بعرفة في أَيَّة ساعة من ليلٍ أو نهار من

---

(١) كما في الأثر عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه سُئل: مَتَى أَرْمِي الجِمَارَ؟ قَالَ: «إِذَا رَمَى إِمَامُكَ فَارْمِهْ»، فأعاد السائل المسألة، فقال: «كُنَّا نَتَحَيَّنُ، فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ رَمَيْنَا»، أخرجه البخاري (١٧٤٦).

يوم عرفة إلى طلوع الفجر من يوم العيد؛ لما ثبت من حديث عُروة بن مضرس الطائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فجر يوم النحر، بعد أن صلَّى الفجر في مزدلفة، وقال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي جِئْتُ مِنْ جَبَلَيْ طَيِّئٍ، أَكْلَلْتُ رَاحِلَتِي، وَأَتْعَبْتُ نَفْسِي، واللهِ مَا تَرَكْتُ مِنْ حَبْلٍ إِلَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ، فَهَلْ لِي مِنْ حَجٍّ؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ شَهِدَ صَلاتَنَا هَذِهِ»**، يعني: صلاة الفجر في مزدلفة، **«وَوَقَفَ مَعَنَا حَتَّى نَدْفَعَ، وَقَدْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، فَقَدْ أَتَمَّ حَجَّهُ، وَقَضَى تَفَثَهُ»**(١)، أخذ بهذا الحديث الإمام أحمد وقال: من وقف في عرفة ولو قبل الزوال أدرك الحج، وليس عليه إلا أن يذبح شاةً لعدم بقائه إلى الغروب(٢).

هذه -أيها المسلمون- مُجمل أعمال الحج، وإنما يحسن بمن يسر الله له الحج أن يحرص على أداء الأركان والواجبات والسنن، وتجنب المُحرمات والمحظورات، وأن يحرص على أن يشتغل بنفسه عن غيره، وبذكر الله عن اللهو والكلام الذي لا فائدة من ورائه، إنما هي أيام قليلة وساعات محدودة، فإذا وقفتم بتلك العرصات واجتمعتم في ذلك الحرم العظيم والمجمع الكريم فتذكروا عرضكم على رب الأرباب، وموقفكم في عرصات القيامة وذلك الهول العظيم في ذلك الموقف العظيم عند رب العالمين، فاجتهدوا في سؤال

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٥٠)، والترمذي (٨٩١)، والنسائي (٣٠٣٩)، وأحمد (٢٦/ ١٤٢) من حديث عروة بن مضرس الطائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال ابن قدامة في المغني (٣/ ٣٧٢): «وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة إلى طلوع الفجر من يوم النحر ... فمن أدرك عرفة في شيء من هذا الوقت وهو عاقل؛ فقد تم حجه».

الله أن يُخفف عنكم الوطأة، وأن يُهون عليكم شدته وكربته، وتضرعوا إلى ربكم جَلَّ وَعَلَا فإنه سبحانه يحب من عباده كثرة الدعاء، ويفرح بإلحاحهم وإعظام مسائلهم ما لم يدعوا بقطيعة رحم أو بضررٍ للعباد؛ لأن هذا عدوان في الدعاء، ومهما طلبت ومهما عظَّمت المطالب وعرَّضت المسائل فإن فضل الله أوسع، وكرمه جَلَّ وَعَلَا أشمل.

فاجتهدوا -أيها المسلمون- في ذلك المكان العظيم، وتضرعوا إلى ربكم وسلوه غفران الذنوب، وتفريج الكربات، وإقالة العثرات، سلوه أن يُهيئ لكم من أمركم رشدًا، سلوه أن يُغيب شمس ذلك اليوم بذنوبكم وقد مُحيت، فإنه جَلَّ وَعَلَا كريمُ جواد عفو واسع المغفرة، رحمته سبقت غضبه.

ثم اجتهدوا -أيها المسلمون- في حفظ المناسك وأدائها على الوجه الأتم، وتجنبوا ما من شأنه أن يؤثر على قدسيتها، فإن الطواف بالبيت والوقوف بعرفة ورمي الجمار إنما شُرعت هذه المناسك كلها لإقامة ذكر الله، لا لغط ولا لصراخ أو صياح أو مظاهرات أو إساءة لقدسية الحج، فإن بعض الذين لا يحترمون المشاعر يسيؤون إلى أنفسهم وإلى إخوانهم الحجاج بصرف الحج عن قدسيته، وشغله بما لا يحل أن يُشغل به، فإن سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في حجِّه له أعداء كثيرون في الدنيا كلها، ومع ذلك لم يتحدث في حجه عن أعدائه، وإنما تحدث عن حاجته إلى لطف الله جَلَّ وَعَلَا به.

اللَّهُمَّ يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين، ويا خير الغافرين، يا من جمعتنا بهذا المكان العظيم المبارك، نسألك بأسمائك وصفاتك أن تغفر زلاتنا، وترحم ضعفنا، وتجبر كسرنا وتُقيل عثراتنا يا إله العالمين، اللَّهُمَّ عاملنا بما أنت أهله، اللَّهُمَّ ارحمنا برحمتك الواسعة، وتجاوز عنا يا خير من تجاوز وعفا،

يا عفو يا كريم، اللَّهُمَّ يا إله العالمين، ويا مُجيب السائلين، ويا من حرَّمت هذا البلد الكريم وهذا البيت العتيق، نسألك أن تحرِّم دماءنا وأبداننا وأهلينا على النار يا رب العالمين، اللَّهُمَّ أجرنا من عذابك يوم تبعث عبادك، اللَّهُمَّ أتمم لنا مناسكنا وتقبلها منَّا، واجعلها سببًا لمغفرة ذنوبنا يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ آمنا في أوطاننا، اللَّهُمَّ آمنا في أوطاننا، اللَّهُمَّ أصلح فساد قلوبنا، وآت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من طهرها وزكاها، أنت ربها ومولاها، اللَّهُمَّ آمنا يوم الفزع الأكبر، اللَّهُمَّ آمنا يوم الفزع الأكبر، اللَّهُمَّ احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا ومن تحتنا يا كريم يا جواد، اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تجعلنا من عبادك المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ وفقنا لإتمام المناسك وهيئ لنا من أمرنا رشدًا، واجعلها مغفرةً لذنوبنا وسببًا لتوفيقنا في دنيانا يا إله العالمين.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا ولأمواتنا أجمعين ولذرياتنا وأزواجنا وسائر قراباتنا، اللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح بنا وتب علينا يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلح ذرياتنا وأزواجنا وإخواننا المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين يا قوي يا عزيز، اللَّهُمَّ اكتب الذلة والمهانة على أعدائك أعداء الدين من اليهود والنصارى والمجوس والملحدين يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ وفِّق حجاج بيتك في كل مكان لطاعتك، اللَّهُمَّ وفقهم وأصلح أمة الإسلام، اللَّهُمَّ اهدِ القادة، اللَّهُمَّ اهدِ قادة الأمة الإسلامية وأصلحهم ووفقهم وهيئ لهم من أمرهم رشدًا، واجعل أحب الأشياء إليهم طاعتك وطاعة رسولك، وارزقهم يا حي يا قيوم خوفك ورجاءك والحرص على

مصالح عبادك يا إله العالمين، اللَّهُمَّ أصلحهم وأصلح بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، واجمع كلمتهم على الحق يا إله العالمين، ووفقهم للحكم بكتابك وبسنة رسولك يا إله العالمين، اللَّهُمَّ من أراد أن يعزل سنة رسولك عن كتابك فسلط عليه عذابك، واستبدله بخيرٍ منه ممن يأمر بالعدل والإحسان يا إله العالمين، اللَّهُمَّ خص ولاة أمر هذا البلد بمزيدٍ من التوفيق والتسديد، اللَّهُمَّ سددهم واهدهم وأصلحهم وأصلح بهم، وانصرهم بالحق وانصر الحق بهم، ووفقهم يا إلهنا لتأمين هذا البلد وتوفير الراحة والرغد والرفاهية والأمن لحجاج بيتك الحرام والوافدين لزيارته وزيارة مسجد رسولك، ولكل قاطن في هذه البلاد، وكافئهم يا إلهنا بالصلاح والاستقامة والهداية والرشاد، إنك أجود الأجودين وأكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ يا إلهنا أعز ذليل المسلمين، وانصر مظلومهم، وأغنِ فقيرهم، وأشبع جائعهم، واكسُ عاريهم، وأمِّن خائفهم في كل مكان، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك، اللَّهُمَّ عاجلهم بنصرك وتأييدك، اللَّهُمَّ مكنهم من رقاب أعدائهم وأموالهم، اللَّهُمَّ وفقهم لاستنقاذ بلادهم يا قوي يا عزيز.

اللَّهُمَّ أصلح أمتنا في كل مكان، اللَّهُمَّ إنه لا يُعيد لنا مقدساتنا في فلسطين إلا صدق الإيمان بك والجد والاجتهاد في طاعتك، اللَّهُمَّ وفق عبادك في كل مكان للصدق في ذلك، وكافئهم في ذلك بتخليص المقدسات يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيد الخلق محمد، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

❁ ❁ ❁

الخَاتِمَــــةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه خاتمة التطواف، ونهاية الاقتطاف، من ثمرات هذه المجالس اليانعة، نفع بها الكريم المنان فضيلة شيخنا صالح بن محمد اللحيدان حفظه الله، وجعلها ذخرًا له ونورًا وبرهانًا يوم يقوم الأشهاد، وبارك لنا في علمه وعمره، وجزاه عنَّا خير الجزاء، وغفر له ولوالديه وذريته أجمعين، وجمعنا معه في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وننوه -أخي القارئ الكريم- إلى أننا اقتصرنا على بعض مجالس مناسك الحج إلى بيت الله الحرام، والتي وجدنا فيها غنية عن غيرها مما تكرر فيه بيان المناسك وما يتعلق بها، وقد كان تكرارها من شيخنا -حفظه الله- لتعدد مجالس شهر ذي الحجة في هذا العام، وتعدد الوافدين إليها، فكان فيها النفع والفائدة والحمد لله، كما ننوه إلى أن تكرار تخريج الأحاديث والآثار في كل مجلس وعدم العزو إلى ما سبق تخريجه هو أمر متعمد ومقصود؛ وذلك لتعم الفائدة ويعظم النفع لمن أراد أن ينقل من هذه المجالس مجلسًا أو أكثر، فلا يحتاج إلى الرجوع إلى مواطن التخريج السابقة، ولله الحمد أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، على جميل صنعه وبديع معروفه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبانة الكبرى، عبيد الله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة، تحقيق: رضا معطي، وآخرين، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
٢- إبطال الحيل، عبيد الله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٣- إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، تحقيق: شرف محمود القضاة، دار الفرقان، عمَّان - الأردن، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٤- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.
٥- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ.
٦- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي، جدَّة، ط١، ١٤١٣هـ.
٧- الأضداد، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن دعامة الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٨- اعتلال القلوب، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد الخرائطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢١هـ.
٩- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان - أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٠- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ.
١١- البيان في مذهب الإمام الشافعي، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني،

تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج، جدة، ط١، ١٤٢١هـ.

١٢- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣- تحرير ألفاظ التنبيه، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٤- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ١٤٣٣هـ.

١٥- تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٦- تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس أبو محمد التميمي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط٣، ١٤١٩هـ.

١٧- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٨- تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، محيي السنة الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٩- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٢٠- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله الحَمِيدي، تحقيق: زبيدة محمد سعيد، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.

٢١- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر

العسقلاني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم، المدينة المنورة، طبعة ١٣٨٤هـ.
٢٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.
٢٣- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٤- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ.
٢٥- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت.
٢٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم الأصبهاني، مكتبة السعادة، مصر، طبعة ١٣٩٤هـ.
٢٧- حلية الفقهاء، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، تحقيق: عبد الله ابن عبدالمحسن التركي، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
٢٨- الدعاء، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
٢٩- الدعوات الكبير، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ٢٠٠٩م.
٣٠- ديوان النابغة الذبياني، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ.
٣١- ديوان امرِئ القيس، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ.
٣٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ.

٣٣- الزهد والرقائق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤- الزهد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، وضع حواشيه: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٦- السنة، أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر بن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٣٧- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٣٨- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٣٩- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

٤٠- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٤١- سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني، تحقيق: شعيب الارناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٤٢- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي - خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٤٣- السنن الصغرى (المجتبى)، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٤٤- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق:

عبدالغفار البنداري، سيد كسروي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٤٥- شرح السنة، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٤٦- شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٤٧- الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ، تحقيق: عبد الله ابن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.
٤٨- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.
٤٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.
٥٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
٥١- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ.
٥٢- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٥٣- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٤- طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، نجم الدين النسفي، المطبعة العامرة - مكتبة المثنى، بغداد، ١٣١١هـ.
٥٥- عمل اليوم والليلة، أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن، تحقيق:

فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٥٦- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٥٧- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ.
٥٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٥٩- الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار أبو شجاع الديلمي، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
٦٠- الفروع ومعه تصحيح الفروع، أبو عبد الله محمد بن مفلح، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ.
٦١- فضائل الأوقات، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: عدنان عبد الرحمن مجيد القيسي، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ.
٦٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
٦٣- الكافي في فقه أهل المدينة، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: محمد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط٢، ١٤٠٠هـ.
٦٤- كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
٦٥- كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.
٦٦- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٦٧- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
٦٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث - دار الكتاب العربي، القاهرة - بيروت، ١٤٠٧هـ.
٦٩- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، ط٢.
٧٠- مجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، محمد بن عمر بن أحمد الأصبهاني المديني، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، دار المدني، جدة - المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٠٦هـ.
٧١- المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، طبعة ١٤٠٤هـ.
٧٢- المدهش، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، تحقيق: مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٧٣- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٧٤- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ.
٧٥- المسند، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.
٧٦- مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط١، ١٤٠٩هـ.
٧٧- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض

اليحصبي، المكتبة العتيقة ودار التراث.
٧٨- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٧٩- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
٨٠- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبدالمحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة١٤١٥هـ.
٨١- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر، بيروت.
٨٢- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.
٨٣- المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.
٨٤- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وآخرين، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
٨٥- الموطأ (رواية يحيى الليثي)، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
٨٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٨٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٠٠م.

فهرس المحاضرات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٥
الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ	٧
أُولَى الوَصَايَا العَشْرُ الَّتِي أَوْصَى بِهَا اللهُ فِي القُرْآنِ	١٧
ثَمَرَاتُ صَلَاحِ القَصْدِ وَالنِّيَّةِ الطَّيِّبَةِ	٢٧
المُبَادَرَةُ إِلَى الاسْتِغْفَارِ	٣٧
الحَثُّ عَلَى تِلَاوَةِ القُرْآنِ وَالانْتِفَاعِ بِمَا فِيهِ	٤٤
أَهْلُ الهُدَىٰ	٥١
المُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَاةِ	٦٢
ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ	٧٥
الدَّعْوَةُ إِلَى الهُدَىٰ والضَّلَالَةِ	٨٣
الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ	٩٠
حِفْظُ الفَمِ وَالفَرْجِ	١٠٠
قِصَّةُ أَصْحَابِ الغَارِ	١٠٩
عُلُوُّ الهِمَّةِ	١١٦
تَقْوَى اللهِ وَصَلَاحُ العَمَلِ	١٢٦
قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ	١٣٥
فَضْلُ الذِّكْرِ	١٤٦
عَاقِبَةُ كُفْرَانِ النِّعَمِ	١٥٦
ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ	١٦٦
ثَمَرَاتُ التَّوْبَةِ	١٧٩

تَحْرِيـمُ الظُّلْـمِ ١٨٧
اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ١٩٨
الرُّقْيَةُ الشَّرْعِيَّةُ ٢٠٥
حَقِيقَةُ الصِّدْقِ وَالإِخْلَاصِ فِي العَمَلِ ٢١٣
اسْتِغْلَالُ الأَوْقَاتِ بِالطَّاعَاتِ ٢٢٢
التَّسَابُقُ إِلَى الخَيْرَاتِ ٢٣٦
نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ٢٤٧
حِمَايَةُ الإِسْلَامِ مِنَ الوُقُوعِ فِي الزِّنَا ٢٥٥
الحَلَالُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ ٢٦٣
اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ٢٧٣
اغْتِنَـامِ الأَوْقَــاتِ ٢٨٠
حُسْنُ القَصْدِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ ٢٨٦
التِّجَارَةُ الرَّابِحَةُ وَالعَزِيمَةُ الصَّادِقَةُ ٢٩٤
صِدْقُ المَحَبَّةِ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٣٠٢
أَهَمِّيَّةُ الصَّــلَاةِ ٣١٢
حِفْظُ الجَوَارِحِ ٣٢٠
وُجُـوبُ الزَّكَــاةِ ٣٣٠
تَفْرِيـجُ الكُـرَبِ ٣٤٤
فَضْلُ الصَّوْمِ وَفَوَائِدُهُ ٣٤٩
فَضْلُ الأَذْكَارِ ٣٥٩
فَضْـلُ الأَذْكَـارِ ٣٦٦
كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسَانِ ٣٧٤

بَابُ الرَّيَّانِ ٣٨٣
ثَمَرَاتُ الاسْتِغْفَارِ ٣٩١
الحَجُّ إلى بَيْتِ اللهِ ٤٠٠
التَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ ٤١١
ثَمَرَاتُ الاسْتِقَامَةِ ٤١٩
حَقِيقَةُ التَّقْوَى وَعَاقِبَتُهَا ٤٢٨
حِفْظُ اللِّسَانِ ٤٣٨
التَّوَسُّلُ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ٤٤٦
أَسْبَابُ الفَوْزِ وَالسَّعَادَةِ ٤٥٥
اللَّيَالِي العَشْرُ ٤٦٤
ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٤٧٢
الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ ٤٨٢
صِفَاتُ المُنَافِقِينَ ٤٩١
العَشْرُ الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ ٥٠٠
السَّبْعُونَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٥٠٧
أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ ٥١٨
الفَارُّونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ ٥٢٧
لَيْلَةُ القَدْرِ ٥٣٥
السَّبْعَةُ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ ٥٤١
لَيْلَةُ القَدْرِ وَمَا كُتِبَ فِيهَا ٥٥٤
الشَّفَاعَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ ٥٦٣
يَوْمُ الفَزَعِ الأَكْبَرِ ٥٧١

تَحْرِيمُ الظُّلْـمِ ٥٧٨
بُنِيَ الإِسْلَامُ على خَمْسٍ ٥٨٩
الصلاة؛ الرُّكْنُ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ الإِسْـلَامِ ٦٠٢
أَرْكَانُ الإِسْـلامِ ٦٢٠
الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ - المَجْلِسُ الأَوَّلُ ٦٣٩
الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ - المَجْلِسُ الثَّانِي ٦٥١
الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ - المَجْلِسُ الثَّالِثُ ٦٧٠
الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ - المَجْلِسُ الرَّابِعُ ٦٩٣
الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ - المَجْلِسُ الخَامِسُ ٧٠٨
الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ - المَجْلِسُ السَّادِسُ ٧١٩
الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ - المَجْلِسُ السَّابِعُ ٧٣١
العَشْرُ الأَوَائِلُ مِنْ ذِي الحِجَّةِ ٧٤٥
شُرُوطُ قَبُولِ العَمَلِ ٧٥٧
الخَاتِمَـةُ ٧٧٠
فهرس المصادر والمراجع ٧٧١
فهرس المحاضرات ٧٧٩

